تراث الإسلام

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

١١

حققه وخرّج أحاديثه

محمود محمد شاكر

راجع أحاديثه

أحمد محمد شاكر

الناشر

مكتبة ابن تيمية

القاهرة ت ٨٦٤٢٤٠

تفسير الطبري

الجزء الحادي عشر

فيه

تفسير سورة المائدة

من ٩٥ — ١٢٠

وتفسير سورة الأنعام

من ١ — ٩٩

والآثار من ١٢٥٤٤ — ١٣٦٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيد المرسلين وخاتم النبيين ، سيدنا محمد بن عبد الله سيد الخلق أجمعين ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

وبعد : فقد كنت منذ بدأت العمل فى هذا التفسير العظيم ، تفسير الطبرى ، مع أخى السيد محمود محمد شاكر باذلًا جهدى فى مراجعة بعض أسانيده ، خصوصاً الأحاديث المرفوعة ، مخرجاً منها ما استطعت تخريجه ، ومبيناً منها ما أعجزنى الوصول إليه . ثم تفضل أخى السيد محمود بمعاونتى فى التخريج ، فخرّج الكثير من الأحاديث فى كثير من الأجزاء . وهو أهل لذلك والحمد لله ، بما أوتيه من دقة النظر والدأب على البحث ، والثقة فيما ينقل عن الدواوين والمراجع . وكنت — ولا أزال — مطمئناً إلى عمله واثقاً به ، عن خبرة وبيّنة . حتى إذا شغلتنى شواغل جمة منذ أول الجزء التاسع تفرّد هو بالتخريج ، كما بيّن ذلك فى مقدمة الجزء العاشر .

وقد رأى أخى ورأيتُ معه أن اشتراكى فى التخريج — فى أصول الكتاب قبل الطبع — قد يعوق ظهورَ الأجزاء متتاليةً على النحو الذى نريد . وأنا وأخى جدّ حريصين على أن لا يتأخر إخراج الكتاب . ونريد أن نتفادى ذلك ما استطعنا .

فرأينا منذ هذا الجزء — الحادى عشر — أن تكون مراجعتى الأحاديث فى أعقاب طبع كراريسه ، ثم أفرد ما بدا لى من زيادة فى التخريج ، وما أراه من رأى فى بعض الأحاديث — وخاصة المرفوع منها — فى قسم مستقل يطبع فى آخر كل جزء ليكون « تتمة التخريج » . فنجمع بذلك بين المقصدين : إتمام التخريج وتحقيق الأحاديث ومراجعتها . ثم الحرص على ظهور الكتاب فى فترات متتالية دون تأخير ، إن شاء الله .

وأسأل الله العصمة والتوفيق والسداد ، إنه سميع الدعاء .

كتبه

أحمد محمد شاكر

عفا الله عنه

بمنه

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله = « لا تقتلوا الصيد » ، الذى بينت لكم ، وهو صيد البر دون صيد البحر= « وأنتم حرم» ، يقول : وأنتم محرمون بحج أو عمرة .

* * *

و« الحرم » ، جمع « حرَام » ، والذكر والأنثى فيه بلفظ واحد . تقول : « هذا رجل حرام » و « هذه امرأة حرَام » . فإذا قيل : « محرم » ، قيل للمرأة : « محرمة » . و« الإحرام » ، هو الدخول فيه ، يقال : « أحرَم القوم » ، إذا دخلوا فى الشهر الحرام ، أو فى الحرَم .   ٢٧/٧

* * *

فتأويل الكلام : لا تقتلوا الصيدَ وأنتم محرمون بحجّ أو عمرة .

* * *

وقوله : « ومن قتله منكم متعمداً » ، فإن هذا إعلام من الله تعالى ذكره عبادَه حكمَ القاتل من المحرمين الصيدَ الذى نهاه عن قتله متعمداً .[1]

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى صفة « العَمْد » الذى أوجب الله على صاحبه به الكفارةَ والجزاء فى قتله الصيد .

---

(١) انظر تفسير « التعمد » فيما سلف ٩ : ٥٧ .

فقال بعضهم: هو العمد لقتل الصيد، مع نسيان قاتله إحرامَه في حال قتله. وقال : إن قتله وهو ذاكر إحرامه متعمداً قتله ، فلا حكم عليه، وأمره إلى الله . قالوا: وهذا أجلُّ أمراً من أن يحكم عليه ، أو يكونَ له كفارة .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٥٤٤ — حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ومن قتله منكم متعمداً فجزاءٌ مثل ما قتل من النعم »، من قتله منكم ناسياً لإحرامه ، متعمداً لقتله ، فذلك الذي يحكم عليه . فإن قتله ذاكراً لحُرْمه ،[1] متعمداً لقتله ، لم يحكم عليه .

١٢٥٤٥ — حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد، في الذي يقتل الصيد متعمداً وهو يعلم أنه محرم ، ويتعمد قتله ،[2] قال : لا يحكم عليه، ولا حج له . وقوله : « ومن قتله منكم متعمداً » ، قال : هو العمد المكفر ، وفيه الكفارة والخطأ ، أن يصيبه وهو ناس لإحرامه، متعمداً لقتله = أو يصيبه وهو يريد غيره . فذلك يحكم عليه مرة .[3]

١٢٥٤٦ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد : « لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً »، غير ناس لُحرْمه ،[4] ولا مريدٍ غيرَه، فقد حلّ، وليست له رخصة. ومن قتله ناسياً ، أو أراد غيره فأخطأ به ، فذلك العمدُ المكفَّر .

١٢٥٤٧ — حدثنا يعقوب قال، حدثنا هشيم، عن ليث ، عن مجاهد في قوله: « ومن قتله منكم متعمداً » ، قال : متعمداً لقتله ، ناسياً لإحرامه .

---

(١) في المخطوطة « ذاكر » في آخر السطر ، وفي أوله : « الحرمه » ، وصواب قراءتها ما في المطبوعة . و « الحرم » (بضم الحاء وسكون الراء) : الإحرام بالحج .

(٢) في المطبوعة : « ويتعمد قتله » ، والصواب من المخطوطة .

(٣) قوله : « مرة » ، يعني مرة واحدة ، فإن عاد لم يحكم عليه ، ومن عاد فينتقم الله منه .

(٤) « الحرم » (بضم فسكون) مضى تفسيره في التعليق رقم : ١

١٢٥٤٨ — حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال، حدثنا الفضيل بن عياض، عن ليث، عن مجاهد قال: العمد، هو الخطأ المكفَّر.

١٢٥٤٩ — حدثنا الحسن بن عرفة قال، حدثنا يونس بن محمد قال، حدثنا عبد الواحد بن زياد قال، حدثنا ليث قال، قال مجاهد: قول الله: «ومن قتله منكم متعمداً فجزاءٌ مثل ما قتل من النعم»، قال: فالعمد الذي ذكر الله تعالى ذكره: أن يصيب الصيدَ وهو يريد غيره فيصيبه، فهذا العمد المكفَّر. فأما الذي يصيبه غيرَ ناس ولا مريد لغيره، فهذا لا يحكم عليه. هذا أجلُّ من أن يحكم عليه.(١)

١٢٥٥٠ — حدثنا ابن وكيع ومحمد بن المثنى قالا، حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن الهيثم، عن الحكم، عن مجاهد: أنه قال في هذه الآية: «ومن قتله منكم متعمداً»، قال: يقتله متعمداً لقتله، ناسياً لإحرامه.

١٢٥٥١ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن أبي عدى قال، حدثنا شعبة، عن الهيثم، عن الحكم، عن مجاهد، مثله.

١٢٥٥٢ — حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبي زائدة قال، قال ابن جريج: «ومن قتله منكم متعمداً»، غير ناس لحُرْمه ولا مريدٍ غيرَه، فقد حلَّ، وليست له رخصة. ومن قتله ناسياً لحرمه، أو أراد غيره فأخطأ به، فذلك العمد المكفَّر.

١٢٥٥٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا سهل بن يوسف، عن عمرو، عن الحسن: «ومن قتله منكم متعمداً»، للصيد ناسياً لإحرامه = «فمن اعتدى بعد ذلك»، متعمداً للصيد يذكرُ إحرامه.(٢)

١٢٥٥٤ — حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا محمد بن أبي عدى قال، حدثنا إسمعيل بن مسلم قال: كان الحسن يفتي فيمن قتل الصيد متعمداً ذاكراً

---

(١) الأثر: ١٢٥٤٩ — «يونس بن محمد بن مسلم البغدادي»، الحافظ، مضى برقم: ٥٠٩٠.

(٢) الأثر: ١٢٥٥٣ — «سهل بن يوسف الأنماطي»، مضى في مثل هذا الإسناد رقم: ١٠٦٤٨.

لإحرامه : لم يحكم عليه = قال إسمعيل : وقال حماد، عن إبراهيم ، مثل ذلك .

١٢٥٥٥ — حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا عفان بن مسلم قال ، حدثنا حماد بن سلمة قال : أمرني جعفر بن أبي وحشية أن أسأل عمرو بن دينار عن هذه الآية: « ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم »، الآية، فسألته، فقال : كان عطاء يقول : هو بالخيار ، أيَّ ذلك شاء فعل ، إن شاء أهدى ، وإن شاء أطعم ، وإن شاء صام . فأخبرت به جعفراً وقلت : ما سمعت فيه ؟ فتلكأ ساعة ، ثم جعل يضحك ولا يخبرني ، ثم قال : كان سعيد بن جبير يقول : يحكم عليه من النعم هدياً بالغ الكعبة، وإنما جُعل الطعام والصيام [كفارة] ، فيما لا يبلغ ثمن الهدى ،[1] والصيام فيه من ثلاثة أيام إلى عشرة .

٢٨/٧

١٢٥٥٦ — حدثنا ابن البرقي قال، حدثنا ابن أبي مريم قال ، أخبرنا نافع ابن يزيد قال، أخبرني ابن جريج قال، قال مجاهد: « ومن قتله منكم متعمداً »، غير ناس لحُرْمه ، ولا مريدٍ غيره ، فقد حلّ ، وليست له رخصة . ومن قتله ناسياً ، أو أراد غيره فأخطأ به ، فذلك العمد المكفَّر .

١٢٥٥٧ — حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : أما الذي يتعمد فيه الصيد وهو ناس لحرمه، أو جاهل أنّ قتله غيرُ محرَّم، فهؤلاء الذين يحكم عليهم . فأما من قتله متعمداً بعد نهي الله، وهو يعرف أنه مُحْرِم، وأنه حرام، فذلك يوكَل إلى نقمة الله ، وذلك الذي جعل الله عليه النقمة .

١٢٥٥٨ — حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم ، عن ليث ، عن مجاهد في قوله : « ومن قتله منكم متعمداً » ، قال : متعمداً لقتله ، ناسياً لإحرامه .

• • •

(١) في المطبوعة : « . . . هدياً بالغ الكعبة ، فإن لم يجد يحكم عليه ثمنه ، فقوّم طعاماً ، فتصدق به ، فإن لم يجد حكم عليه الصيام فيه من ثلاثة أيام إلى عشرة » ، غير ما كان في المخطوطة كل التغيير . والذي كان في المخطوطة هو ما أثبت ، حاشا الزيادة التي بين القوسين ، زدتها استظهاراً من سياق الآية ، ليستقيم الكلام . وقوله : « فيما لا يبلغ ثمن الهدى » ، كأنه يعني إطعام المساكين . والجملة بعد ذلك تحتاج إلى فضل تأمل ، ولم أجد الخبر في مكان غير هذا المكان .

وقال آخرون : بل ذلك هو العمد من المحرِم لقتل الصيد ، ذاكراً لحُرْمه .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٥٥٩ - حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي = عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء قال : يحكم عليه في العمد والخطأ والنسيان .

١٢٥٦٠ - حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبي زائدة قال ، حدثنا ابن جريج = وحدثنا عمرو بن علي قال ، حدثنا أبو عاصم عن ، ابن جريج قال ، قال طاوس : والله ما قال الله إلاّ : « ومن قتله منكم متعمداً » .

١٢٥٦١ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرني بعض أصحابنا ، عن الزهري أنه قال: نزل القرآن بالعَمْد، وجرت السنة في الخطأ = يعني : في المحرِم يصيب الصيدَ .

١٢٥٦٢ - حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم » ، قال : إن قتله متعمداً أو ناسياً ، حكم عليه . وإن عاد متعمداً عُجِّلت له العقوبة ، إلا أن يعفو الله .

١٢٥٦٣ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن الأعمش ، عن عمرو ابن مرة ، عن سعيد بن جبير قال: إنما جعلت الكفارة في العمد، ولكن غُلِّظ عليهم في الخطأ كي يتقوا .

١٢٥٦٤ - حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا أبو معاوية ووكيع قالا ، حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، نحوه .

١٢٥٦٥ - حدثنا ابن البرقي قال، حدثنا ابن أبي مريم قال ، أخبرنا نافع ابن يزيد قال ، أخبرنا ابن جريج قال : كان طاوس يقول : والله ما قال الله إلاّ : « ومن قتله منكم متعمداً » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى ذكره حرّم قتل صيد البر على كل محرِم فى حال إحرامه ما دام حراماً بقوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد » . ثم بيّن حكم من قتل ما قتل من ذلك فى حال إحرامه متعمداً لقتله ، ولم يخصص به المتعمِّد قتلَه فى حال نسيانه إحرامَه ، ولا المخطئَ فى قتله فى حال ذكره إحرامَه ، بل عمّ فى التنزيل بإيجاب الجزاء ، كلَّ قاتل صيد فى حال إحرامه متعمداً .[1] وغير جائز إحالة ظاهر التنزيل إلى باطن من التأويل لا دلالة عليه من نصّ كتاب ، ولا خبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،[2] ولا إجماع من الأمة . ولا دلالةَ من بعض هذه الوجوه .

فإذْ كان ذلك كذلك ، فسواءٌ كان قاتل الصيد من المحرمين عامداً قتلَه ذاكراً لإحرامه ، أو عامداً قتله ناسياً لإحرامه ، أو قاصداً غيره فقتله ذاكراً لإحرامه = فى أن على جميعهم من الجزاء ما قال ربنا تعالى ذكره ، وهو : مثلُ ما قتل من النعم يحكم بهذوا عدل من المسلمين ، أو كفارة طعامُ مساكين ، أو عدل ذلك صياماً .

وهذا قول عطاء والزهرى الذى ذكرناه عنهما ،[3] دون القول الذى قاله مجاهد.[4]

وأما ما يلزم بالخطأ قاتله ، فقد بيّنا القول فيه فى كتابنا : ﴿ كتاب لطيف القول فى أحكام الشرائع ﴾ ، بما أغنى عن ذكره فى هذا الموضع . وليس هذا الموضع موضع ذكره ، لأن قصدنا فى هذا الكتاب الإبانة عن تأويل التنزيل ، وليس فى التنزيل للخطأ ذكر ، فنذكر أحكامه .

* * *

(١) السياق : « بل عم . . . كل قاتل صيد » ، « كل » مفعول : « عم » .

(٢) فى المخطوطة : « من كتاب نص ولا خبر الرسول صلى الله عليه وسلم » . وما فى المطبوعة أحسن فى السياق .

(٣) يعنى رقم : ١٢٥٥٩ ، ١٢٥٦١ .

(٤) يعنى رقم : ١٢٥٤٤–١٢٥٥١ ، ورقم : ١٢٥٥٦ ، ١٢٥٥٨ .

وأما قوله : « فجزاء مثلُ ما قتل من النعم » ، فإنه يقول : وعليه كِفاءٌ وبَدل ،[1] يعنى بذلك جزاء الصيد المقتول. يقول تعالى ذكره : فعلى قاتل الصيد جزاء الصيد المقتول ، مثل ما قتل من النعم .[2]

* * *

وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله: ﴿ فَجَزَاؤُهُ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾.

* * *

وقد اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة المدينة وبعض البصريين: ﴿ فَجَزَاءُ مِثْلِ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾ ، بإضافة « الجزاء » إلى « المثل » ، وخفض « المثل » .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين : ﴿ فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ ﴾ بتنوين« الجزاء» ، ورفع المثل » ، بتأويل : فعليه جزاءٌ مثلُ ما قتل . ٢٩/٧

* * *

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب ، قراءة من قرأ: ﴿ فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ ﴾ بتنوين « الجزاء » ورفع « المثل »، لأن« الجزاء » هو « المثل »، فلا وجه لإضافة الشىء إلى نفسه .

وأحسب أن الذين قرأوا ذلك بالإضافة، رأوا أن الواجبَ على قاتل الصيد أن يَجْزِى مثله من الصيد بمثلٍ من النعم.وليس ذلك كالذى ذهبوا إليه،بل الواجب على قاتله أن يجزى المقتولَ نظيره من النعم . وإذ كان ذلك كذلك، فالمثل هو الجزاء الذى أوجبه الله تعالى ذكره على قاتل الصيد،ولا يضاف الشىء إلى نفسه.[3]

---

(١) فى المطبوعة : « كفارة وبدل » ، والصواب من المخطوطة . و « كفاء الشىء » ، (بكسر الكاف) : مثله ونظيره ، من قولهم : « كافأه على الشىء مكافأة وكفاء » : جازاه .

(٢) انظر تفسير « الجزاء » فيما سلف ٢ : ٢٧ ، ٢٨ ، ٦/٣١٤ : ٧/٥٧٦ : ٩/٢٢٧ : ٥٧ .

(٣) فى المطبوعة : « ولن يضاف . . . » ، وهو غير جيد ، وفى المخطوطة : « فإن يضاف » ويجب أن يكون صوابها ما أثبت .

ولذلك لم يقرأ ذلك قارئ علمناه، بالتنوين ونصب « المثل » .[١] ولو كان « المثل » غير « الجزاء »، لجاز في « المثل » النصب إذا نوّن « الجزاء » ، كما نصب « اليتيم » إذ كان غير « الإطعام » في قوله : ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [سورة البلد: ١٤، ١٥] ، وكما نصب « الأموات » « والأحياء » ، ونون « الكِفَات » في قوله : ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ [سورة المرسلات: ٢٥، ٢٦] ، إذ كان «الكفات» غير « الأحياء » «والأموات». وكذلك « الجزاء » لو كان غير « المثل »، لاتسعت القراءة في « المثل » بالنصب إذا نون « الجزاء ». ولكن ذلك ضاق، فلم يقرأه أحد بتنوين « الجزاء » ونصب «المثل»، إذ كان «المثل» هو «الجزاء»، وكان معنى الكلام: ومن قتله منكم متعمداً فعليه جزاءٌ هو مثلُ ما قتل من النعم .[٢]

* * *

ثم اختلف أهل العلم في صفة «الجزاء»، وكيف يجزى قاتلُ الصيد من المحرمين ما قتل مثله من النعم .[٣]

فقال بعضهم : ينظر إلى أشبه الأشياء به شبهاً من النعم، فيجزيه به، ويهديه إلى الكعبة .

• ذكر من قال ذلك :

١٢٥٦٦ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قوله : « ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم » ، قال : أما « جزاء مثل ما قتل من النعم »، فإن قتل نعامة أو حماراً

---

(١) بل روى ذلك أبو الفتح ابن جني في كتابه « المحتسب » ، ونسبها لأبي عبد الرحمن ، يعني السلمي فيما أرجح . وذكرها ابن خالويه في شواذ القراءات ص : ٣٤ ، ونسبها إلى محمد بن مقاتل ، وإن كان ما في المطبوع : « فجزاء مثل » بنصب « جزاء » ، والصواب بنصب « مثل » .

(٢) في المخطوطة : « هو ما قتل من النعم » ، والصواب ما في المطبوعة .

(٣) في المطبوعة : « بمثله من النعم » ، وفي المخطوطة : « مثل من النعم » ، فرأيت قراءتها كما أثبتها .

فعليه بَدَنة . وإن قتل بقرة أو أيِّلاً أو أرْوَى ،[1] فعليه بقرة . أو قتل غزالاً أو أرنباً فعليه شاة . وإن قتل ضبًّا أو حرباءَ أو يَرْبوعاً ، فعليه سَخْلة قد أكلت العُشب وشربت اللبن .[2]

١٢٥٦٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون بن المغيرة، عن ابن مجاهد قال : سئل عطاء : أيغرَم في صغير الصيد كما يغرم في كبيره ؟ قال : أليس يقول الله تعالى ذكره : « فجزاء مثل ما قتل من النعم » ؟[3]

١٢٥٦٨ — حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبي زائدة قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، قال مجاهد : « ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم »، قال: عليه من النعم مثله .

١٢٥٦٩ — حدثنا هناد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس في قوله : « فجزاء مثل ما قتل من النعم » ، قال : إذا أصاب المحرم الصيدَ، وجب عليه جزاؤه من النعم . فإن وجد جزاءه ذبَحه فتصدق به . فإن لم يجد جزاءه قوَّم الجزاء دراهم ، ثم قوم الدراهمَ حِنطة، ثم صام مكان كل نصف صاع يوماً . قال : إنما أريد بالطعام الصوم، فإذا وجد طعاماً وجد جزاءً .

١٢٥٧٠ — حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا، حدثنا جرير، عن منصور، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس : « فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به

---

(١) « الأيل » (بفتح الهمزة وتشديد الياء المكسورة) : وهو ذكر الوعول . و « الأروى » إناث الوعول ، وهو اسم لجمعها ، وواحدتها « أروية » (بضم الهمزة وسكون الراء والواو مكسورة ، والياء مشددة مفتوحة) . وجاء بها هنا وهو يعني « الأروية » .

(٢) « السخلة » (بفتح فسكون) : ولد الشاة من المعز والضأن ، ذكراً كان أو أنثى .

(٣) الأثر : ١٢٥٦٧ — « هرون بن المغيرة بن حكيم البجلي » ، مضى برقم : ٢٣٥٦ ، ٥٥٢٦ .

وأما « ابن مجاهد » ، فلم أستطع أن أعرف من هو ، وكان في المطبوعة : « أبي مجاهد » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وكأنه الصواب ، وإن أعياني أن أعرف صدر اسمه .

ذوا عدل منكم هدياً بالغَ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً » ، قال : إذا أصاب المحرم الصيد، حكم عليه جزاؤه من النعم. فإن لم يجد ، نظر كم ثمنه = قال ابن حميد : نظركم قيمته = فقوّم عليه ثمنه طعاماً ، فصام مكان كل نصف صاع يوماً = « أو كفارة طعام مساكين أو عدلُ ذلك صياماً » ، قال : إنما أريد بالطعام الصيام ، فإذا وجد الطعام وُجد جزاءه .

١٢٥٧١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يزيد بن هرون، عن سفيان بن حسين ، عن الحكم، عن مقسم ، عن ابن عباس : « ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم »، فإن لم يجد هدياً قُوِّم الهدى عليه طعاماً،وصام عن كل صاع يومين .

١٢٥٧٢ — حدثنا هناد قال، حدثنا عبد بن حميد، عن منصور ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس فى هذه الآية : « ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة » ، قال : إذا أصاب الرجل الصيد حكم عليه . فإن لم يكن عنده قوم عليه ثمنه طعاماً ، ثم صام لكل نصف صاع يوماً .

١٢٥٧٣ — حدثنا أبو كريب ويعقوب قالا، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبد الملك بن عمير ، عن قبيصة بن جابر قال : ابتدرت وصاحبٌ لى ظبياً فى العقبة ، فأصبته ، فأتيت عمر بن الخطاب فذكرت ذلك له ، فأقبل على رجل إلى جنبه ، فنظرا فى ذلك ، قال فقال : اذبح كبشاً .[1]

٣٠/٧

---

(١) الأثر : ١٢٥٧٣ — « عبد الملك بن عمير بن سويد القرشى » ، المعروف بالقبطى و « ابن القبطية » . رأى علياً وأبا موسى . مترجم فى التهذيب .

و « قبيصة بن جابر بن وهب الأسدى » ، روى عن عمر ، وشهد خطبته بالجابية ، ثقة ، فى فقهاء الطبقة الأولى من فقهاء أهل الكوفة بعد الصحابة مترجم فى التهذيب

هذا ، وخبر قبيصة بن جابر ، سيرويه أبو جعفر من طرق من رقم ١٢٥٧٣ – ١٢٥٧٧ ، ثم : ١٢٥٨٦ – ١٥٢٨٨ ، بألفاظ مختلفة . ورواه البيهق فى السنن الكبرى ٥ : ١٨١ من طريق سفيان ، عن عبد الملك بن عمير ، ومن طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن عبد الملك .

١٢٥٧٤ — حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا حصين، عن الشعبي، قال: أخبرني قبيصة بن جابر، نحواً مما حدَّث به عبد الملك.

١٢٥٧٥ — حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع، عن المسعودي، عن عبد الملك ابن عمير، عن قبيصة بن جابر قال: قتل صاحب لي ظبياً وهو محرم، فأمره عمر أن يذبح شاة فيتصدق بلحمها ويُسْقِي إهابها.[1]

١٢٥٧٦ — حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبي زائدة، عن داود بن أبي هند، عن بكر بن عبد الله المزني قال: قتل رجلٌ من الأعراب وهو محرم ظبياً، فسأل عمر، فقال له عمر: أهدِ شاة.[2]

١٢٥٧٧ — حدثنا هناد قال، حدثنا أبو الأحوص، عن حصين = وحدثنا أبو هشام الرفاعي قال، حدثنا ابن فضيل قال، حدثنا حصين = عن الشعبي قال، قال قبيصة بن جابر: أصبت ظبياً وأنا محرم، فأتيت عمر فسألته عن ذلك، فأرسل إلى عبد الرحمن بن عوف. فقلت: يا أمير المؤمنين، إنَّ أمرَه أهون من ذلك! قال: فضربني بالدِّرَّة حتى سابقته عدواً![3] قال: ثم قال: قتلتَ الصيد وأنتَ محرم، ثم تَغْمِص الفُتيا![4] قال: فجاء عبد الرحمن، فحكما شاة.

ونقله ابن كثير في تفسيره ٣ : ٢٣٧، ٢٣٨، وهو رقم: ١٢٥٨٨، عن هذا الموضع من تفسير أبي جعفر، وأشار إلى بعض طرقه هنا. وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٢٩، بنحو من لفظ رقم: ١٢٥٨٨، وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني والحاكم قال: «وصححه». ولم أجده في مظنته من المستدرك للحاكم.

(١) الأثر: ١٢٥٧٥ — هو مختصر الأثر الآتي رقم: ١٢٥٨٨، وسيأتي تفسير «يسقي إهابها» في التعليق عليه هناك.

(٢) الأثر: ١٢٥٧٦ — هذا خبر مرسل عن عمر، «بكر بن عبد الله المزني»، لم يسمع من عمر. ولكنها قصة قبيصة بن جابر التي ذكرها قبل.

(٣) «الدرة» (بكسر الدال): عصاً قصيرة يحملها السلطان أو غيره، يؤدب بها. ودرة أمير المؤمنين عمر، أشهر درة في التاريخ.

(٤) «غمص الشيء يغمصه غمصاً»: حقره واستصغره واستهان به. يعني: أتحتقر الفتيا وتستهين بها وتزدريها؟

١٢٥٧٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « ومن قتله منكم متعمداً فجزاءٌ مثل ما قتل من النعم » ، قال : إذا قتل المحرم شيئاً من الصيد حكم عليه فيه . فإن قتل ظبياً أو نحوه ، فعليه شاة تذبح بمكة . فإن لم يجد ، فإطعام ستة مساكين . فإن لم يجد ، فصيام ثلاثة أيام . فإن قتل أيِّلاً أو نحوه ، فعليه بقرة . وإن قتل نعامة أو حمارَ وحش أو نحوه ، فعليه بدنة من الإبل .

١٢٥٧٩ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، قلت لعطاء : أرأيت إن قتلتُ صيداً فإذا هو أعور ، أو أعرج ، أو منقوص ، أغرم مثله ؟ قال : نعم ، إن شئت . قلت : أوْفَى أحبُّ إليك ؟ قال : نعم . وقال عطاء : وإن قتلت ولدَ الظبي ، ففيه ولد شاة . وإن قتلت ولد بقرة وحشية ، ففيه ولد بقرة إنسية مثله . فكلّ ذلك على ذلك .

١٢٥٨٠ — حُدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان الباهلي قال ، سمعت الضحاك بن مزاحم يقول : « فجزاء مثل ما قتل من النعم » ، ما كان من صيد البر مما ليس له قرن = الحمار أو النعامة = فعليه مثله من الإبل . وما كان ذا قرن من صيد البر من وعِلٍ أو أيِّل ، فجزاؤه من البقر . وما كان من ظبي فمن الغنم مثله . وما كان من أرنب ، ففيها ثَنِيَّة .[1] وما كان من يربوع وشبهه ، ففيه حَمَلٌ صغير . وما كان من جرادة أو نحوها ، ففيه قبضة من طعام . وما كان من طير البر ، ففيه أن يقوَّم ويتصدق بثمنه ، وإن شاء صام لكل نصف صاع يوماً . وإن أصاب فرخ طير بريّة أو بيضها ، فالقيمة فيها طعامٌ أو صوم على الذي يكون في الطير . غير أنه قد ذكر في بيض النعام إذا أصابها المحرم ، أن يحمل الفحل على عدة ما أصاب من البيض على

(١) « الثنية » ، يعني الثنية من المعز ، وهو ما دخل في السنة الثانية أو الثالثة .

بِكارة الإبل ،[1] فما لَقِـح منها أهداه إلى البيت ، وما فسد منها فلا شيء فيه .

١٢٥٨١ — حدثنا ابن البرقي قال ، حدثنا ابن أبي مريم قال ، أخبرنا نافع قال ، أخبرني ابن جريج قال ، قال مجاهد : من قتله = يعني الصيد = ناسياً ، أو أراد غيره فأخطأ به ، فذلك العمد المكفَّر ، فعليه مثله هدياً بالغ الكعبة . فإن لم يجد ، ابتاع بثمنه طعاماً . فإن لم يجد ، صام عن كل مُدٍّ يوماً . وقال عطاء : فإن أصاب إنسان نعامة ، كان له = وإن كان ذا يسار = مُوَسَّعاً ،[2] إن شاء يهدي جزوراً ، أو عَدْلَها طعاماً ، أو عدلها صياماً ، أيَّتهن شاء ،[3] من أجل قوله : فجزاء ، أو كذا ، أو كذا [4] قال : فكل شيء في القرآن : « أو » « أو » ، فليختر منه صاحبه ما شاء .

١٢٥٨٢ — حدثنا ابن البرقي قال ، حدثنا ابن أبي مريم قال ، أخبرنا نافع قال ، أخبرني ابن جريج قال ، أخبرني الحسن بن مسلم قال : من أصاب من الصيد ما يبلغ أن يكون شاة فصاعداً ، فذلك الذي قال الله تعالى ذكره : « فجزاء مثل ما قتل من النعم » . وأما « كفارة طعام مساكين » ، فذلك الذي لا يبلغ أن يكون فيه هدى ، العصفورَ يقتل ، فلا يكون فيه . قال : « أو عدل ذلك صياماً » ، عدل النعامة ، أو عدل العصفور ، أو عدل ذلك كله .

* * *

وقال آخرون : بل يقوِّم الصيد المقتول قيمتَه من الدراهم ، ثم يشتري القاتل بقيمته نِدّاً من النعم ، ثم يهديه إلى الكعبة . ٣١/٧

---

(١) « البكارة » (بكسر الباء) ، جمع « بكر » و « بكرة » (بفتح الباء) : وهو الفتى من الإبل ، بمنزلة الغلام من الناس .

(٢) في المطبوعة : « كان له إن كان ذا يسار ما شاء » ، بحذف « الواو من قوله ، « وإن كان » وهو لا معنى له ، وفي المخطوطة : « كان له ، وإن كان ذا يسار من سا » ، فرأيت أن أقرأها كما أثبتها ، فهو حق المعنى . لأنه يريد أن يقول : إن الله وسع له ورخص في هذا التخيير الذي ذكره بعد .

(٣) في المطبوعة : « أيهن شاء » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو الصواب .

(٤) في المطبوعة : « أو كذا » مرة واحدة ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو الصواب .

• ذكر من قال ذلك :

١٢٥٨٣ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا عبدة، عن إبراهيم قال : ما أصاب المحرم من شيء ، حكم فيه قيمته .

١٢٥٨٤ — حدثنا محمد بن المثنى قال ،حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن حماد قال : سمعت إبراهيم يقول : في كل شيء من الصيد ثمنه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين في تأويل الآية ما قال عمر وابن عباس ، ومن قال بقولهما : أن المقتول من الصيد يُجْزَى بمثله من النعم، كما قال الله تعالى ذكره : « فجزاء مثل ما قتل من النعم » . وغير جائز أن يكون مثل الذى قتل من الصيد دراهم ، وقد قال الله تعالى : « من النعم » ، لأن الدراهم ليست من النعم في شيء .

* * *

فإن قال قائل : فإن الدراهمَ وإن لم تكن مثلاً للمقتول من الصيد ، فإنه يشترى بها المثل من النعم ، فيهديه القاتل ، فيكون بفعله ذلك كذلك جازياً بما قتل من الصيد مثلاً من النعم !

قيل له : أفرأيت إن كان المقتول من الصيد صغيراً [أو معيباً ، ولا يصاب بقيمته من النعم إلاّ] كبيراً ، أو سليماً[١] = أو كان المقتول من الصيد كبيراً أو سليماً، ولا يصاب بقيمته من النعم إلا صغيراً أو معيباً[٢] = أيجوز له أن يشتريَ بقيمته خلافه وخلافَ صفته فيهديه، أم لا يجوز ذلك له، وهو لا يجد إلاّ خلافه ؟

فإن زعم أنه لا يجوز له أن يشترى بقيمته إلاّ مثله ، ترك قوله في ذلك . لأنّ أهل هذه المقالة يزعمون أنه لا يجوز له أن يشترى بقيمة ذلك فيهديه ،[٣] إلاّ ما

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « أفرأيت إن كان المقتول من الصيد صغيراً أو كبيراً أو سليما أو كان المقتول من الصيد . . . » ، وهو كلام لا يستقيم إلا بهذه الزيادة التي زدتها بين القوسين ، وتصحيح « أو كبيراً » بما أثبته « إلا كبيراً » . وهو ما استظهرته من سياق كلام أبي جعفر .

(٢) في المطبوعة : « ولا يصيب بقيمته . . . » ، والصواب ما في المخطوطة .

(٣) في المطبوعة : « بقيمته ذلك » ، وهو خطأ ، صوابه في المخطوطة .

يجوز فى الضحايا . وإذا أجاز شراءَ مثل المقتول من الصيد بقيمته وإهداءها وقد يكون المقتول صغيراً معيباً ،[١] أجاز فى الهدى ما لا يجوز فى الأضاحى .[٢]

وإن زعم أنه لا يجوز أن يشترى بقيمته فيهديه إلاَّ ما يجوز فى الضحايا ، أوضح بذلك من قوله الخلافَ لظاهر التنزيل . وذلك أنَّ الله تعالى ذكره ، أوجب على قاتل الصيد من المحرمين عمداً ، المثلَ من النعم إذا وجده . وقد زعم قائل هذه المقالة أنه لا يجب عليه المثل من النعم ، وهو إلى ذلك واجدٌ سبيلاً .

ويقال لقائل ذلك : أرأيت إن قال قائل آخر : « ما على قاتل ما لا تبلُغ من الصيد قيمته ما يصاب به من النَّعم ما يجوز فى الأضاحى ، من إطعام ولا صيام.[٣] لأن الله تعالى إنما خيَّر قاتل الصيد من المحرمين فى أحد الثلاثة الأشياء التى سماها فى كتابه ، فإذا لم يكن له إلى واحد من ذلك سبيل ، سقط عنه فرض الآخرَيْن . لأن الخيار إنما كان له ، وله إلى الثلاثة سبيل . فإذا لم يكن له إلى بعض ذلك سبيل ، بطل فرض الجزاء عنه ، لأنه ليس ممن عُنِى بالآية = نظيرَ الذى قلت أنت : « إنه إذا لم يكن المقتول من الصيد تبلغ قيمته ما يصاب من النعم مما يجوز فى الضحايا ، فقد سقط فرض الجزاء بالمثل من النعم عنه ، وإنما عليه الجزاء بالإطعام أو الصيام » ، = هل بينك وبينه فرق من أصل أو نظير ؟ فلن يقول فى أحدهما قولاً إلاَّ ألزم فى الآخر مثله .

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « وإذا أجازوا شرى مثل المقتول » ، وصواب كل ذلك ما أثبت ، وإنما وهم الناسخ فى « أجازوا » ، فإن جواب « إذا » يدل على خلافه ، وصواب ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « أجازوا فى الهدى » ، غير ما فى المخطوطة ، لوهم الناسخ كما قلت فى التعليق السالف .

(٣) فى المطبوعة : « ما لا يبلغ » ، وهو فى المخطوطة غير منقوطة ، وصوابها ما أثبت . وسياق هذه الجملة : « ما على قاتل ما تبلغ . . . من إطعام ولا صيام » ، يعنى ليس على قاتل صيد = لا تبلغ قيمته أن يشترى بها من النعم ما يجوز مثله فى الأضاحى ، = إطعام أو صيام .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يحكم بذلك الجزاء الذى هو مثل المقتول من الصيد من النعم عدلان منكم = يعنى : فقيهان عالمان من أهل الدين والفضل[١] = « هدياً » ، « يقول : يقضى بالجزاء ذوا عدل ، أنْ يُهْدَى فيبلغ الكعبة .[٢]
و « الهاء » فى قوله : « يحكم به » ، عائدة على « الجزاء » .[٣]

* * *

قال أبو جعفر : ووجه حكم العدلين إذا أرادا أن يحكما بمثل المقتول من الصيد من النعم على القاتل : أن ينظرا إلى المقتول ويستوصفاه ، فإن ذكر أنه أصاب ظبياً صغيراً ، حكما عليه من ولد الضأن بنظير ذلك الذى قتله فى السن والجسم . فإن كان الذى أصاب من ذلك كبيراً ، حكما عليه من الضأن بكبير . وإن كان الذى أصاب حمار وَحْش ، حكما عليه ببقرة . إن كان الذى أصاب كبيراً ، فكبيراً من البقر ، وإن كان صغيراً فصغيراً . وإن كان المقتول ذكراً فمثله من ذكور البقر . وإن كان أنثى فمثله من البقر أنثى . ثم كذلك ذلك ، ينظران إلى أشبه الأشياء بالمقتول من الصيد شبهاً من النعم ،[٤] فيحكمان عليه به ، كما قال تعالى ذكره .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، على اختلافٍ فى ذلك بينهم .

* ذكر من قال ذلك بنحو الذى قلنا فيه :

(١) انظر تفسير « العدل » فيما سلف ٦ : ٥١ ، ٦٠ .
(٢) فى المطبوعة : « أن يهدى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .
(٣) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف ٤ : ٣٤ ، ٩/٣٥ : ٤٦٦ .
(٤) فى المخطوطة : « ينظر إلى أشبه الأشياء » ، والصواب ما فى المطبوعة .

٣٢/٧

١٢٥٨٥ — حدثنا هنّاد بن السريّ قال ، حدثنا ابن أبي زائدة قال ، أخبرنا داود بن أبي هند ، عن بكر بن عبد الله المزني قال : كان رجلان من الأعراب محرِمين ، فأحاش أحدهما ظبياً ، فقتله الآخر . [1] فأتيا عمر ، وعنده عبدالرحمن ابن عوف ، فقال له عمر : [2] ما ترى؟ قال : شاة ، قال : وأنا أرى ذلك، اذهبا فأهديا شاة . فلما مضيّا قال أحدهما لصاحبه : ما درَى أمير المؤمنين ما يقول حتى سأل صاحبه ! ! فسمعها عمر ، فردّهما فقال : هل تقرآن « سورة المائدة » ؟ فقالا : لا ! فقرأ عليهما : [3]« يحكم به ذوا عدل منكم » ، ثم قال : استعنت بصاحبي هذا .

١٢٥٨٦ — حدثنا أبو كريب ويعقوب قالا، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبد الملك بن عمير ، عن قبيصة بن جابر قال : ابتدرت أنا وصاحب لى ظبياً فى العقبة ، فأصبته ، فأتيت عمر بن الخطاب فذكرت ذلك له . فأقبل على رجل إلى جنبه ، فنظرا فى ذلك . قال فقال : اذبح كبشاً = قال يعقوب فى حديثه ، فقال لى : اذبح شاة = فانصرفت فأتيت صاحبي فقلت : إن أميرَ المؤمنين لم يدرِ ما يقول ! فقال صاحبي : انحر ناقتك . فسمعها عمر بن الخطاب ، فأقبل عليّ ضرباً بالدِّرة وقال: تقتل الصيد وأنت محرم، وتَغْمِص ُ الفُتْيا ! [4]إن الله تعالى يقول فى كتابه : « يحكم به ذوا عدل منكم » ، هذا ابن عوف ، وأنا عمر ! [5]

١٢٥٨٧ — حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ، عن

---

(١) فى المطبوعة : « فأجاش » بالجيم ، وهو خطأ ، وفى المخطوطة غير منقوط . « حاش الصيد حوشاً وحياشاً » و « أحاشه » و « أحوشه » و « حشت عليه الصيد » و « أحشته » : إذا نفرته نحوه ، وأخذته من حواليه لتصرفه إلى الحبالة ، ثم سقته نحوه ، وجمعته عليه .

(٢) فى المخطوطة فى الموضعين : « عمرو » ، وهو خطأ محض ، وفى المطبوعة فى الآخرة منهما « عمرو » ، وهو خطأ .

(٣) فى المطبوعة : « فقرأها عليهما » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٤) انظر تفسير « غمص الفتيا » فيما سلف ص : ١٧ ، تعليق : ٤ .

(٥) الأثر : ١٢٥٨٦ — انظر التعليق على الأثر السالف رقم : ١٢٥٧٣ .

الشعبي قال، أخبرني قبيصة بن جابر، بنحو ما حدّث به عبد الملك.

١٢٥٨٨ — حدثنا هناد وأبو هشام قالا، حدثنا وكيع، عن المسعودي، عن عبد الملك بن عمير، عن قبيصة بن جابر قال: خرجنا حجاجاً،[١] فكنا إذا صلينا الغداة اقتدنا رواحلنا نتماشى نتحدث،[٢] قال: فبينما نحن ذات غداة إذ سنح لنا ظبيٌ أو بَرَح،[٣] فرماه رجل منا بحجر فما أخطأ خُشَّاءه،[٤] فركب رَدْعَه ميتاً،[٥] قال: فعظَّمنا عليه. فلما قدمنا مكة خرجت معه حتى أتينا عمر، فقص عليه القصة. قال: وإذا إلى جنبه رجلٌ كأن وجهه قُلْبُ فضة[٦] = يعني عبد الرحمن بن عوف = فالتفت إلى صاحبه فكلمه. قال: ثم أقبل على الرجل قال: أعمداً قتلته أم خطأ؟ قال الرجل: لقد تعمَّدت رميه وما أردت قتله. فقال عمر: ما أراك إلاّ قد أشركتَ بين العمد والخطأ، اعمد إلى شاة فاذبحها، وتصدق بلحمها، وأَسْقِ إهابَها.[٧] قال: فقمنا من عنده، فقلت: أيها الرجل،

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة: «خرجنا» لم يذكر «حجاجاً»، ولكن ابن كثير نقله عن هذا الموضع وفيه «حجاجاً» وكذلك هي في رواية البيهقي في السنن ٥: ١٨١. وإذن فقد سقط من الناسخ «حجاجاً». فلذلك أثبتها.

(٢) «صلاة الغداة»، هي صلاة الفجر.

(٣) «سنح الظبي»: أتاك عن يسارك، و«برح»: أتاك عن يمينك.

(٤) في المطبوعة: «خششاءه»، وأثبت ما في المخطوطة، وهي بضم الخاء وتشديد الشين المفتوحة، وكلتاهما صواب، وبهما روى الخبر. و«الخشاء» و«الخششاء»: وهو العظم الدقيق العاري من الشعر، الناتئ خلف الأذن.

(٥) في المطبوعة: «فركب وودعه ميتاً»، وهو كلام ساقط جداً. وفي المخطوطة: «فركب ودعه ميتاً»، وهو تصحيف، صوابه ما أثبت. يقال للقتيل: «ركب ردعه»: إذا خر لوجهه على دمه. وركوبه عليه: أن الدم يسيل ثم يخر عليه صريعاً. وأصل «الردع» ما تلطخ به الشيء من زعفران أو غيره، وهو أثره ولونه.

(٦) «القلب» (بضم فسكون): سوار يكون قلداً واحداً، أي لياً واحداً. وفي الحديث: «أن فاطمة حلت الحسن والحسين، رضي الله عنهما بقلبين من فضة»، أي: سوارين من فضة. وصفة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في طبقات ابن سعد ٣/١/٩٤: «كان رجلا طويلا، حسن الوجه، رقيق البشرة، فيه جناً (ميل في الظهر أو العنق)، أبيض مشرباً حمرة، لا يغير لحيته ولا رأسه».

(٧) قوله «أسق إهابها»، يعني: أعط إهابها من يدبغه ويتخذ من جلده سقاء. و«السقاء»

عظِّم شعائر الله ! (١) فما درى أمير المؤمنين ما يُفتيك حتى سأل صاحبه ! اعمد إلى ناقتك فانحرها ، فلعلَّ ذاك ! (٢) قال قبيصة : ولا أذكر الآية من « سورة المائدة » : « يحكم به ذوا عدل منكم » . قال : فبلغ عمر مقالتي ، فلم يفجأنا منه إلاَّ ومعه الدِّرَّة ! قال : فعلا صاحبي ضرباً بالدِّرة ، (٣) وجعل يقول : أقتلت في الحرم ، وسفَّهت الحُكم ! قال : ثم أقبل عليَّ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، لا أحِلُّ لك اليوم شيئاً يحرُم عليك مني ! (٤) قال : يا قبيصة بن جابر ، إني أراك شابَّ السن ، فسيحَ الصدر ، (٥) بيِّن اللسان ، وإن الشاب يكون فيه تسعةُ أخلاق حسنة وخلق سيئ ، فيفسد الخلق السيئُ الأخلاقَ الحسنة ، فإياك وعثرات الشباب ! (٦)

ظرف الماء من الجلد . و « الإهاب » : الجلد من البقر والغنم والوحش ، ما لم يدبغ .

(١) في المخطوطة : « أعظم شعائر الله » ، وما في المطبوعة هو الموافق لما في سنن البيهقي ، وهو أولاهما ، لمطابقته نص آية « سورة الحج » : « ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب » .

(٢) في المطبوعة : « ففعل ذاك » ، والصواب هو ما في المخطوطة ، وابن كثير يقول : فلعل ذلك أن يكون جزاء مثل ما قتلت من الصيد . وفي ابن كثير : « يعني أن يجزئ عنك » ، وهذا النص ليس في المخطوطة ، فلذلك لم أزده في هذا الموضع ، أخشى أن يكون من كلام ابن كثير .

(٣) روى البيهقي هذا الخبر بغير هذا اللفظ ، وقال عند هذا الموضع : « فما علمت بشيء ، والله ما شعرت إلا به يضرب بالدرة علي = وقال مرة : على صاحبي » ، فهذه التي هنا هي إحدى الروايتين .

(٤) يعني أنه لما أقبل عليه عمر ، وعرف أنه ضاربه كما ضرب صاحبه ، رهب عمر وأخافه بقوله : إنه لن يحله من ضرب بشرة هي عليه حرام إلا بحقها . فلذلك هاب عمر أن يضربه كما ضرب صاحبه . فانظر إلى ما طبع عليه أسلافنا من حرية الطباع ، وما وقذ الإسلام من عرامهم حتى كف عمر يده مخافة أن يصيب من أبشار المسلم حراماً لا يحل له إلا بحقه .

(٥) قوله : « فسيح الصدر » ، أي : واسع الصدر ، وذلك من دلائل القوة ومتانة التركيب . وهذه المقالة من عمر ، من أبلغ ما يهدى إلى الشباب ، فإن البلاء إنما يأتي من سوء الخلق ، وخلق سوء واحد ، يجر وراءه جميع مساوي الأخلاق .

(٦) الأثر : ١٢٥٨٨ — انظر تخريج خبر قبيصة بن جابر فيما سلف في التعليق على رقم : ١٢٥٧٣ .

وختم البيهقي هذا الأثر (السنن ٥ : ١٨١) ، وهو من رواية ابن أبي عمر ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن عمير : « قال ابن أبي عمر ، قال سفيان : وكان عبد الملك إذا حدث بهذا الحديث قال : ما تركت منه ألفاً ولا واواً » .

١٢٥٨٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة ، عن مخارق ، عن طارق قال : أوطأ أربدُ ضَبًّا ،[1] فقتله — وهو محرم . فأتى عمر ليحكم عليه ، فقال له عمر : احكم معى ! فحكما فيه جَدْياً قد جَمَعَ الماء والشجر .[2] ثم قال عمر : « يحكم به ذوا عدل منكم » .[3]

١٢٥٩٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا جامع بن حماد قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن رجلاً أصاب صيداً ، فأتى ابن عمر فسأله عن ذلك ، وعنده عبد الله بن صفوان ، فقال ابن عمر لابن صفوان : إما أن أقول فتصدقنى ، وإما أن تقول فأصدقك . فقال ابن صفوان : بل أنت فقل . فقال ابن عمر ، ووافقه على ذلك عبد الله بن صفوان.

١٢٥٩١ — حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا هشام ، عن ابن سيرين ، عن شريح أنه قال : لو وجدت حكماً عدلاً لحكمت فى الثعلب جَدْياً، وجدىٌ أحبُّ إلىّ من ثعلب .[4]

---

(١) « أوطأ » يعنى : حمل دابته حتى وطئت الضب ، أى داسته . فسرته كذلك ، لأنهم يقولون : « وطىء الشىء، ووطأته، وتوطأه » ، بمعنى : داسه ، ولم يذكروا « أوطأه » ، وإن كنت أرى القياس يعين عليه .

(٢) قوله : « جمع الماء والشجر » ، يعنى : فطم ، ورعى الماء والشجر ، وهذا تفسير لم أجده فى شىء من مراجع اللغة أو مجازها . ينبغى إثباته .

(٣) الأثر : ١٢٥٨٩ — « مخارق » ، هو « مخارق بن خليفة بن جابر » ، ويقال : « مخارق بن عبد الله » ، و « مخارق بن عبد الرحمن » البجلى الأحمسى ، ثقة ، مضى برقم : ١١٦٨٢ .

و « طارق » هو : « طارق بن شهاب البجلى الأحمسى » ، مضى برقم : ٩٧٤٤ ، ١١٦٨٢ ، ١٢٠٧٣ — ١٢٠٧٥ ، ١٢٠٨٥ .

و « أربد » هو « أربد بن عبد الله البجلى » ، أدرك الجاهلية ، هكذا ترجم له ابن حجر فى الإصابة ، فى القسم الثالث ، وذكر هذا الخبر ، مبيناً فيه اسمه ، ثم قال : « إسناده صحيح ، ورواه الأعمش ، عن سليمان بن ميسره ، عن طارق ، ولم يسم الرجل » .

ورواه البيهقى فى السنن الكبرى ٥ : ١٨٢ ، من طريق الشافعى ، عن سفيان بن عيينة وهو فى الأم ٢ : ١٦٥ ، ومسند الشافعى للسندى : ٣٣٢ ، وشرحه الأستاذ حامد مصطفى ، بمثل ما شرحته قبل .

(٤) فى المطبوعة : « من الثعلب » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الجيد .

١٢٥٩٢ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن بكير قال، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أبي مجلز: أن رجلاً سأل ابن عمر عن رجل أصاب صيداً وهو محرم، وعنده ابن صفوان، فقال له ابن عمر: إما أن تقول فأصدقك، أو أقول فتصدقني. قال: قل وأصدقك.

١٢٥٩٣ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا شعبة، عن منصور، عن أبي وائل قال: أخبرني أبو جرير البجلي قال: أصبت ظبياً وأنا محرم، فذكرت ذلك لعمر فقال: ائت رجلين من إخوانك فليحكما عليك. ٣٢/٧ فأتيت عبد الرحمن وسعداً، فحكما عليّ تيساً أعْفَر = قال أبو جعفر: «الأعفر» الأبيض. [1]

١٢٥٩٤ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن منصور، بإسناده عن عمر، مثله.

١٢٥٩٥ — حدثنا عبد الحميد قال، أخبرنا إسحق، عن شريك، عن

---

(١) الأثر : ١٢٥٩٣ — «أبو وائل»، هو «شقيق بن سلمة الأسدي»، مضى مراراً كثيرة.

و «أبو جرير البجلي»، لم يترجم له غير ابن سعد في الطبقات ٦ : ١٠٦، ١٠٧، وقال: «روى عن عمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد». وساق هذا الخبر مختصراً من طريق إسحق بن يوسف الأزرق، عن سفيان، عن منصور، عن أبي وائل، ثم ساقه مطولا بنحو لفظه في خبر أبي جعفر: من طريق عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن منصور، عن شقيق.

ورواه البيهقي في السنن ٥ : ١٨١، ١٨٢، من طريق عبيد الله بن معاذ، عن شعبة، عن منصور، بنحو لفظ أبي جعفر. ثم قال في آخره: «زاد فيه جرير بن عبد الحميد، عن منصور: وأنا ناس لإحرامي». وهذه الزيادة في خبري ابن سعد، في الأول: «وأنا ناس لإهلالي»، وفي الآخر: «ولا أذكر إهلالي».

ونقله ابن كثير في تفسيره ٣ : ٢٣٩، عن هذا الموضع من تفسير الطبري. وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٢٩، وزاد نسبته لأبي الشيخ.

وفي المطبوعة: «ابن جرير البجلي»، والصواب من المخطوطة، وهي غير منقوطة. وفي ابن كثير مثل ما في المطبوعة. وفي سنن البيهقي والدر المنثور: «أبو حريز»، والصواب ما في طبقات ابن سعد.

وكان في المطبوعة: «فأتيت عبد الرحمن وسعيداً»، والصواب ما أثبت من المخطوطة، و«عبد الرحمن» هو «عبد الرحمن بن عوف» و«سعد» هو: «سعد بن أبي وقاص».

أشعث بن سوار ، عن ابن سيرين قال : كان رجل على ناقة وهو محرم ، فأبصر ظبياً يأوى إلى أكمة ، فقال لأنظرنّ أنا أسبق إلى هذه الأكمة أم هذا الظبي ؟[١] فوقعت عَنْز من الظباء تحت قوائم ناقته فقتلتها ، [٢] فأتى عمر فذكر ذلك له ، فحكم عليه هو وابن عوف عنزاً عفراء = قال : وهى البيضاء .

١٢٥٩٦ — حدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال : أخبرنا أيوب ، عن محمد : أن رجلاً أوطأ ظبياً وهو محرم ، [٣] فأتى عمر فذكر ذلك له ، وإلى جنبه عبد الرحمن بن عوف ، فأقبل على عبد الرحمن فكلمه ، ثم أقبل على الرجل فقال : أهد عنزاً عفراء .

١٢٥٩٧ — حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم : أنه كان يقول : ما أصاب المحرم من شيء لم تمض فيه حكومة ، استقبل به ، فيحكم فيه ذوا عدل . [٤]

١٢٥٩٨ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنى وهب بن جرير قال، حدثنا شعبة ، عن يعلى ، عن عمرو بن حبشى قال : سمعت رجلاً سأل عبد الله بن عمر ، عن رجل أصاب ولدَ أرنب ، فقال : فيه ولد ماعز ، فيما أرى أنا . ثم قال لى : أكذاك ؟ فقلت : أنت أعلم منى ! فقال : قال الله تعالى ذكره : « يحكم به ذوا عدل منكم » . [٥]

١٢٥٩٩ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن أبى عدى وسهل بن يوسف ،

---

(١) فى المطبوعة : « لأنظر أنا أسبق » ، وفى المخطوطة : « لأنظر وأنا أسبق » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٢) « العنز » الأنثى من المعزى والأوعال والظباء .

(٣) انظر تفسير « أوطأ » فيما سلف ص : ٢٦ ، تعليق : ١ .

(٤) أى لم يمض فيه حكم سابق . وقوله : « استقبل به » يعنى : ابتدأ النظر فيه ، بغير حكم سابق .

(٥) الأثر : ١٢٥٩٨ — « عمرو بن حبشى » ، تابعى ثقة ، مضى ومضى ضبط اسمه برقم : ٢٣٤٠ .

عن حميد، عن بكر : أن رجلين أبصرا ظبياً وهما محرمان ، فتراهنا ، وخطرُ كل واحد منهما لمن سبق إليه .[1] فسبق إليه أحدهما ، فرماه بعصاه فقتله . فلما قدما مكة أتيا عمر يختصمان إليه ، وعنده عبدالرحمن بن عوف ، فذكرا ذلك له ، فقال عمر : هذا قِمارٌ ولا أجيزه ! ثم نظر إلى عبد الرحمن ، فقال : ما ترى ؟ قال : شاة . فقال عمر : وأنا أرى ذلك . فلما قَفَّى الرجلان من عند عمر ، قال أحدهما لصاحبه : ما دري عُمر ما يقول حتى سأل الرجل ! فردّهما عمر فقال : إن الله تعالى ذكره لم يرضَ بعمر وحده ، فقال : « يحكم به ذوا عدل منكم » ، وأنا عمر ، وهذا عبد الرحمن بن عوف .

* * *

وقال آخرون : بل ينظر العَدْلان إلى الصيد المقتول ، فيقوّمانه قيمته دراهمَ ، ثم يأمران القاتل أن يشترى بذلك من النعم هَدْياً . فالحاكان يحكمان ، فى قول هؤلاء، بالقيمة . وإنما يحتاج إليهما لتقويم الصيد قيمتَه فى الموضع الذى أصابه فيه.

* * *

وقد ذكرنا عن إبراهيم النخعى فيما مضى قبل أنه كان يقول : « ما أصاب المحرم من شىء، حكم فيه قيمته »،[2] وهو قول جماعة من متفقّهة الكوفيين .

* * *

وأما قوله : « هدياً » ، فإنه مُصَدَّر على الحال من « الهاء » التى فى قوله : « يحكم به » .

* * *

وقوله : « بالغ الكعبة » من نعت « الهدى» وصفته . وإنما جاز أن ينعت به، وهو مضاف إلى معرفة ،[3] لأنه فى معنى النكرة . وذلك أن معنى قوله : « بالغ

---

(١) « الخطر » (بفتحتين) : الرهن ، وهو السبق الذى يترامى عليه فى التراهن . و « أخطر المال » ، جعله خطراً بين المتراهنين ، و « تخاطروا » : تراهنوا . وكان فى المطبوعة : « وجعل كل واحد منهما » ، وهذه الكلمة فى المخطوطة سيئة الكتابة جداً ، رأيت أن أستظهر قراءتها كذلك من من معنى الرهان . وهو الصواب إن شاء الله .

(٢) هو رقم : ١٢٥٨٣ .

(٣) فى المطبوعة : « ينعت وهو مضاف » ، حذف « به » فاختل الكلام .

الكعبة » ، يبلغُ الكعبة . فهو وإن كان مضافاً فعناه التنوين ، لأنه بمعنى الاستقبال . وهو نظير قوله : ﴿ هَٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ﴾ [سورة الأحقاف : ٢٤] ، فوصف بقوله : « ممطرنا » « عارضاً » ، لأن فى « ممطرنا » معنى التنوين ، لأن تأويله الاستقبال ، فعناه : هذا عارض يمطرنا . فكذلك ذلك فى قوله : « هدياً بالغَ الكعبة » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أو عليه كفارة طعام مساكين = و « الكفارة » معطوفة على « الجزاء » فى قوله : « فجزاء مثل ما قتل من النعم » .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك :

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة : ﴿ أَوْ كَفَّارَةُ طَعَامِ مَسَاكِينَ ﴾ بالإضافة .

* * *

وأما قرأة أهل العراق ، فإنّ عامتهم قرأوا ذلك بتنوين « الكفارة » ورفع « الطعام » : ﴿ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ ﴾

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين فى ذلك عندنا بالصواب ، قراءة من قرأ بتنوين « الكفارة » ورفع « الطعام » ، للعلة التى ذكرناها فى قوله : « فجزاء مثلُ ما قتل من النعم » .(١)

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله : « أو كفارة طعام مساكين » .(٢)

فقال بعضهم : معنى ذلك : أنّ القاتل وهو محرم صيداً عمداً ، لا يخلو من

---

(١) انظر ما سلف ص : ١٣ ، ١٤ .

(٢) انظر تفسير « الكفارة » فيما سلف ١٠ : ٥٣١ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وجوب بعض هذه الأشياء الثلاثة التي ذكر الله تعالى ذكره : من مثل المقتول هدياً بالغَ الكعبة ، أو طعامُ مساكين كفارة لما فعل ، أو عدلُ ذلك صياماً = إلاّ أنه مخيَّر في أيّ ذلك شاء فعل ، وأنه بأيِّها كان كفَّر فقد أدّى الواجب عليه . وإنما ذلك إعلامٌ من الله تعالى ذكره عبادَه أن قاتل ذلك كما وصف ، لن يخرُجَ حكمه من إحدى الخلال الثلاثة . قالوا : فحكمه إن كان على المثل قادراً ، أن يحكم عليه بمثل المقتول من النعم ، لا يجزيه غيرُ ذلك ما دام للمثل واجداً . قالوا : فإن لم يكن له واجداً ، أو لم يكن للمقتول مثلٌ من النعم ، فكفارته حينئذ إطعام مساكين . ٣٤/٧

• ذكر من قال ذلك :

١٢٦٠٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعامُ مساكين أو عدل ذلك صياماً ليذوق وَبال أمره » ، قال : إذا قتل المحرم شيئاً من الصيد ، حكم عليه فيه . فإن قتل ظبياً أو نحوه ، فعليه شاة تذبح بمكة . فإن لم يجد ، فإطعام ستة مساكين . فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام . وإن قتل أيِّلاً أو نحوه ، فعليه بقرة . فإن لم يجدها أطعم عشرين مسكيناً .[1] فإن لم يجد ، صام عشرين يوماً . وإن قتل نعامة أو حمارَ وحش أو نحوه ، فعليه بَدَنَة من الإبل . فإن لم يجد ، أطعم ثلاثين مسكيناً . فإن لم يجد ، صام ثلاثين يوماً . والطعام مدٌّ مُدٌّ ، شِبَعَهم .[2]

١٢٦٠١ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد

(١) في المطبوعة : « فإن لم يجد » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٢٦٠٠ — وسيأتي برقم : ١٢٦٢٣ في المطبوعة : « يشبعهم » ، وأثبت ما في المخطوطة . وسيأتي في المخطوطة هناك : « وشبعهم » بالواو ، والجيد ما هنا .

وأنتم حرمٌ »، إلى قوله : « يحكم به ذوا عدل منكم » ، فالكفارة . من قتل ما دون الأرنب ، إطعام .

١٢٦٠٢ — حدثنا هناد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم ، عن مقسم، عن ابن عباس قال : إذا أصاب المحرم الصيد، حكم عليه جزاؤه من النعم . فإن وجد جزاءَه، ذبحه فتصدق به . وإن لم يجد جزاءه، قُوِّم الجزاء دراهم، ثم قوِّمت الدراهم حنطة، ثم صام مكان كل صاع يوماً . قال: إنما أريد بالطعام الصوم ، فإذا وجد طعاماً وجد جزاءً .

١٢٦٠٣ — حدثنا ابن وكيع قال،حدثنا حميد بن عبد الرحمن،عن زهير ، عن جابر ، عن عطاء ومجاهد وعامر : « أو عدل ذلك صياماً » ، قال : إنما الطعام لمن لم يجد الهَدْى.[1]

١٢٦٠٤ — حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم أنه كان يقول : إذا أصاب المحرم شيئاً من الصيد ، عليه جزاؤه من النعم . فإن لم يجد قُوِّم الجزاء دراهم ، ثم قومت الدراهم طعاماً ، ثم صامَ لكل نصف صاع يوماً .

١٢٦٠٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن مغيرة ، عن حماد قال : إذا أصاب المحرم الصيد فحكم عليه ، فإن فضل منه ما لا يتم نصف صاع ، صام له يوماً . ولا يكون الصوم إلاّ على من لم يجد ثمن هدي ، فيحكم عليه الطعام . فإن لم يكن عنده طعام يتصدق به ، حكم عليه الصوم ، فصام مكان كل نصف صاع يوماً = « كفارة طعام مساكين » ، قال : فيما لا يبلغ ثمن هدى= « أو عدل ذلك صياماً »، من الجزاء ، إذا لم يجد ما يشترى به هدياً ، أو ما يتصدق به ، مما لا يبلغ ثمن هدى، حكم عليه الصيام، مكان كل نصف صاع يوماً .

(١) زاد في المطبوعة : « ليذوق » ، وقطع الآية ، وأثبت ما في المخطوطة .

١٢٦٠٦ — حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبي زائدة قال، أخبرنا ابن جريج قال، قال مجاهد: «ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم»، قال: عليه من النعم مثلُه هدياً بالغَ الكعبة. ومن لم يجد، ابتاع بقيمته طعاماً، فيطعم كل مسكين مُدَّين. فإن لم يجد، صام عن كل مدَّين يوماً.

١٢٦٠٧ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى: «ومن قتله منكم متعمداً»، إلى قوله: «ومن عاد فينتقم الله منه»، قال: إذا قتل صيداً، فعليه جزاؤه مثل ما قتل من النعم. فإن لم يجد، حكم عليه، ثم [قُوِّم] الفداءُ، كم هو درهماً، ثمّ قدر ثمن ذلك بالطعام على المسكين،[1] فصام عن كل مسكين يوماً، ولا يحل طعام المسكين، لأن من وجد طعام المسكين فهو يجد الفداء.

١٢٦٠٨ — حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا أبو عاصم، عن ابن جريج قال: قال لى الحسن بن مسلم: من أصاب الصيد فيما جزاؤه شاة،[2] فذلك الذى قال الله تعالى ذكره: «فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم». وما كان من كفارة بإطعام مساكين،[3] مثل العصفور يقتل ولا يبلغ أن يكون فيه هدى = «أو عدل ذلك صياماً»،[4] قال: عدل النعامة أو العصفور،[5] أو عدل ذلك كله. فذكرت ذلك لعطاء فقال: كل شيء فى القرآن «أو» «أو»، فلصاحبه أن يختار ما شاء.

---

(١) فى المطبوعة: «فإن لم يجد ما حكم عليه قوم الفداء كم هو درهماً، وقدر ثمن ذلك ...»، وفى المخطوطة: «فإن لم يجد حكم عليه م الفداء كم هو درهماً بين قدر ثمن ذلك ...»، وكلتاهما لا تستقيم، فآثرت أن أقرأها كما أثبتها، ووضعت مكان (ثم) (ثم قوم)، ومكان (بين)، (ثم) بين القوسين، والعبارة بعد ذلك كله مشكلة، لم أستطع أن أهتدى إلى مكانها فى كتاب آخر، ولا أن ألتمس لها تحريفاً أرضى عنه.

(٢) فى المطبوعة: «مما جزاؤه»، وأثبت ما فى المخطوطة.

(٣) فى المطبوعة: «من كفارة طعام»، وأثبت ما فى المخطوطة.

(٤) فى المطبوعة، زاد فى الآية «ليذوق»، ثم قطع الآية.

(٥) فى المطبوعة: «أو العصفور»، وأثبت ما فى المخطوطة.

١٢٦٠٩ — حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا يزيد بن هرون قال ، أخبرنا سفيان بن حسين ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس فى قوله : « لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم » ، فإن لم يجد جزاءً ، قوِّم عليه الجزاءُ طعاماً ، ثم صام لكل صاع يومين .

٣٥/٧

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أن للقاتل صيداً عمداً وهو محرم ، الخيارُ بين إحدى الكفارات الثلاث ، وهى : الجزاء بمثله من النعم ، والطعام ، والصوم . قالوا : وإنما تأويل قوله : « فجزاء مثل ما قتل من النعم أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً » ، فعليه أن يجزى بمثله من النعم ، أو يكفر بإطعام مساكين ، أو بعدل الطعام من الصيام .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٦١٠ — حدثنا هناد بن السرى قال ، حدثنا ابن أبى زائدة قال ، أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء فى قول الله تعالى ذكره : « فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً » ، قال : إن أصابَ إنسان محرم نعامة ، فإن له = وإن كان ذا يسار [١] = أن يهدى ما شاء ، جزوراً ، أو عدلها طعاماً ، أو عدلها صياماً . قال : كل شىء فى القرآن « أو » « أو » ، فليختر منه صاحبه ما شاء .

١٢٦١١ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حجاج ، عن عطاء فى قوله : « فجزاء مثل ما قتل من النعم » ، قال : ما كان فى القرآن : « أو كذا أو كذا » ، فصاحبه فيه بالخيار ، أىَّ ذلك شاء فعل .

١٢٦١٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أسباط وعبد الأعلى ، عن داود ،

---

(١) فى المطبوعة : « إن كان ذا يسار » ، حذف الواو ، كما فعل فى الأثر السالف : ص : ١٩ ، تعليق : ٢ ، والصواب ما فى المخطوطة .

عن عكرمة قال : ما كان فى القرآن « أو »« أو » ، فهو فيه بالخيار . وما كان : « فمن لم يجد » ، فالذى يليه ثم الذى يليه .[١]

١٢٦١٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حفص ، عن عمرو ، عن الحسن ، مثله .

١٢٦١٤ — حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا ليث ، عن عطاء ومجاهد : أنهما قالا فى قوله: « فجزاء مثل ما قتل من النعم »، قالا: ما كان فى القرآن : « أو كذا أو كذا » ، فصاحبه فيه بالخيار ، أىَّ ذلك شاء فعل .

١٢٦١٥ — حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم، عن جويبر ، عن الضحاك : ما كان فى القرآن : « أو كذا أو كذا » ، فصاحبه فيه بالخيار ، أىَّ ذلك شاء فعل .

١٢٦١٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا أبو حُرَّة ، عن الحسن = قال وأخبرنا عبيدة ، عن إبراهيم = قالا : كل شىء فى القرآن « أو » « أو » ، فهو بالخيار، أىّ ذلك شاء فعل .[٢]

١٢٦١٧ — حدثنا هناد قال، حدثنا حفص، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : كل شىء فى القرآن « أو » « أو » ، فصاحبه مخيَّر فيه . وكل شىء : « فمن لم يجد » ، فالأول ، ثم الذى يليه .

* * *

واختلف القائلون بتخيير قاتل الصيد من المحرمين بين الأشياء الثلاثة ، فى صفة اللازم له من التكفير بالإطعام والصوم ، إذا اختار الكفارة بأحدهما دونَ الهدى .

---

(١) فى المطبوعة : « فمن لم يجد ، فالأول ثم الذى يليه » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب محض .

(٢) الأثر : ١٢٦١٦ — « أبو حرة البصرى » ، هو : « واصل بن عبد الرحمن » ، مضى برقم : ٦٣٨٥ ، وكان فى المطبوعة هنا « أبو حمزة » ، والصواب من المخطوطة .

فقال بعضهم : إذا اختار التكفير بذلك ، فإنّ الواجب عليه أن يقوِّم المثلَ من النعم طعاماً ، ثم يصوم مكان كلّ مُدّ يوماً .

• ذكر من قال ذلك :

١٢٦١٨ — حدثنا هناد قال، أخبرنا ابن أبي زائدة قال : أخبرنا ابن جريج قال، قلت لعطاء : ما « أو عدل ذلك صياماً » ؟ قال: إن أصاب ما عَدْله شاة ، أقيمت الشاة طعاماً ، ثم جعل مكان كل مدّ يوماً يصومه .

* * *

وقال آخرون : بل الواجب عليه إذا أراد التكفير بالإطعام أو الصوم ، أن يقوِّم الصيد المقتولَ طعاماً ، ثم الصدقة بالطعام إن اختار الصدقة .[1] وإن اختار الصوم صام .

* * *

ثم اختلفوا أيضاً فى الصوم .

فقال بعضهم : يصوم لكل مدّ يوماً .

* * *

وقال آخرون : يصوم مكان كل نصف صاع يوماً .

* * *

وقال آخرون : يصوم مكان كل صاع يوماً .

* * *

• ذكر من قال : المقوَّم للإطعام هو الصيد المقتول .[2]

١٢٦١٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا جامع بن حماد قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا شعبة ، عن قتادة : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد » ، الآية ، قال : كان قتادة يقول : يحكمان فى النعم ، فإن كان ليس

(١) فى المطبوعة : « ثم يتصدق بالطعام » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو لا بأس به .

(٢) فى المطبوعة : « المتقوم للإطعام » ، وفى المخطوطة بهذا الرسم غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت .

عنده ما يبلغ ذلك،[1] نظروا ثمنه فقوّموه طعاماً، ثم صام مكان كل صاع يومين.

* * *

وقال آخرون : لا معنى للتكفير بالإطعام ، لأن من وجد سبيلاً إلى التكفير بالإطعام ، فهو واجد إلى الجزاء بالمثل من النعم سبيلاً . ومن وجد إلى الجزاء بالمثل من النعم سبيلاً ، لم يجزه التكفير بغيره . قالوا : وإنما ذكر الله تعالى ذكره الكفارة بالإطعام فى هذا الموضع ، ليدلّ على صفة التكفير بالصوم = لا أنه جعل التكفير بالإطعام إحدى الكفارات التى يكفر بها قتل الصيد .[2] وقد ذكرنا تأويل ذلك فيما مضى قبل .[3]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب عندى فى قول الله تعالى ذكره : « فجزاء مثل ما قتل من النعم » ، أن يكون مراداً به : فعلى قاتله متعمداً مثلُ الذى قتل من النعم = لا القيمة ، إن اختار أن يجزيه بالمثل من النعم . وذلك أن القيمة إنما هى من الدنانير أو الدراهم . والدراهم أو الدنانير ليست للصيد بمثل ، والله تعالى ذكره إنما أوجب الجزاء مثلاً من النعم . ٣٦/٧

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب عندى فى قوله : « أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً » ، أن يكون تخييراً ، وأن يكون للقاتل الخيار فى تكفيره بقتله الصيد وهو محرم بأىّ هذه الكفارات الثلاث شاء . لأن الله تعالى ذكره ، جعل ما أوجبَ فى قتل الصيد من الجزاء والكفارة عقوبة لفعله ، وتكفيراً لذنبه ، فى إتلافه ما أتلف من الصيد الذى كان حراماً عليه إتلافه فى حال إحرامه ، وقد كان حلالاً له قبل حال إحرامه ، كما جعل الفدية من صيام أو صدقة أو نسك فى حلق الشعر الذى حلقه المحرم فى حال إحرامه ، وقد كان له حلالاً قبل حال

(١) فى المطبوعة : « فإن كان ليس صيده ما يبلغ ذلك » ، وهو خطأ ، صوابه فى المخطوطة .

(٢) فى المخطوطة : « لأنه جعل التكفير ... » ، وصوابه ما فى المطبوعة .

(٣) انظر ما سلف ص : ١٥ ، وما بعدها .

إحرامه [عقوبة لفعله ، وتكفيراً لذنبه] ، فى حلق الشعر الذى حلقه المحرم فى حال إحرامه ، وقد كان له حلقه قبل حال إحرامه ، ثم منع من حلقه فى حال إحرامه ، نظيرَ الصيد .(١) ثم جعل عليه إن حلقه جزاءً من حلقه إياه . فأجمع الجميع على أنه فى حلقه إياه إذا حلقه من أذاته ،(٢) مخيَّر فى تكفيره فعله ذلك بأى الكفارات الثلاث شاء ،(٣) فمثله فيما ناله قاتلُ الصيد من المحرمين ،(٤) وأنه مخيَّر فى تكفيره قتلَه الصيدَ بأىِّ الكفارات الثلاث شاء . لا فرقَ بين ذلك .

ومن أبى ما قلنا فيه ، قيل له : حكم الله تعالى ذكره على قاتل الصيد بالمثل من النعم ، أو كفارة طعام مساكين ، أو عدله صياماً = كما حكم على الحالق بفدية من صيام أو صدقة أو نسك ، فزعمتَ أن أحدهما مخيَّر فى تكفير ما جعل منه عوَضٌ بأىِّ الثلاث شاء ، وأنكرت أن يكونَ ذلك للآخر ، فهل بينك وبين من عكس عليك الأمر فى ذلك = فجعل الخيارَ فيه حيث أبيت ، وأبى حيث جعلته له = فرقٌ من أصل أو نظير ؟ فلن يقول فى أحدهما قولاً إلاَّ إذا ألزم فى الآخر مثله .(٥)

---

(١) كانت هذه الجملة فى المطبوعة : « كما جعل الفدية من صيام أو صدقة أو نسك فى حلق الشعر الذى حلقه المحرم فى حال إحرامه ، وقد كان له حلقه قبل حال إحرامه ، ثم منع من حلقه فى حال إحرامه ، نظير الصيد » . وهو كلام غير مستقيم ، وهو اختصار لما فى المخطوطة .

وكان فى المخطوطة هكذا : « كما جعل الفدية من صيام أو صدقة أو نسك فى حلق الشعر الذى حلقه المحرم فى حال إحرامه ، وقد كان حلالا قبل حال إحرامه ، كما جعل الفدية من صيام أو صدقة أو نسك فى حلق الشعر الذى حلقه المحرم فى حال إحرامه ، وقد كان له حلقه قبل حال إحرامه ، ثم منع من حلقه فى حال إحرامه ، نظير الصيد » . وهى جملة مختلطة ، فيها بلا شك زيادة من الناسخ ، وهو قوله : « كما جعل الفدية من صيام أو صدقة أو نسك » ، واستظهرت أن مكان هذه العبارة كما وضعته بين القوسين ، لتَمّ المناظرة بين الفعلين والعقوبتين ، والجزاءين ، وبذلك استقام الكلام إن شاء الله .

(٢) فى المطبوعة : « من إيذائه » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو غير منقوطة .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « فى تكفيره فعليه ذلك » ، وهو خطأ محض ، صوابه ما أثبت .

(٤) فى المطبوعة : « فمثله إن شاء الله قاتل الصيد » ، وفى المخطوطة : « فمثله مما شاله قاتل الصيد » ، واستظهرت الصواب من نص الآية « ليبلونكم الله بشىء من الصيد تناله أيديكم » .

(٥) انظر ما قاله أبو جعفر فى الحلق فيما سلف ٤ : ٧٦ — ٧٨ .

ثم اختلفوا فى صفة التقويم إذا أراد التكفير بالإطعام .

فقال بعضهم : يقوّم الصيد قيمة الموضع الذى أصابه فيه .[1] وهو قول إبراهيم النخعى ، وحماد ، وأبى حنيفة ، وأبى يوسف ، ومحمد . وقد ذكرت الرواية عن إبراهيم وحماد فيما مضى بما يدل على ذلك ،[2] وهو نص قول أبى حنيفة وأصحابه .

* * *

وقال آخرون : بل يقوّم ذلك بسعر الأرض التى يكفَّر فيها .[3]

ذكر من قال ذلك :

١٢٦٢٠ — حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن أبى زائدة قال ، حدثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر قال فى محرم أصاب صيداً بخراسان ، قال : يكفر بمكة أو بمنًى . وقال : يقوّم الطعام بسعر الأرض التى يكفَّر بها .

١٢٦٢١ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أبو يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن الشعبى ، فى رجل أصاب صيداً بخراسان ، قال : يحكم عليه بمكة .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا ، أن قاتل الصيد إذا جزاه بمثله من النَّعم ، فإنما يجزيه بنظيره فى خلقه وقدره فى جسمه ،[4] من أقرب الأشياء به شبهاً من الأنعام . فإن جزاه بالإطعام ، قوّمه قيمته بموضعه الذى أصابه فيه ، لأنه هنالك وجب عليه التكفير بالإطعام . ثم إن شاء أطعم بالموضع الذى أصابه فيه ، وإن شاء بمكة ، وإن شاء بغير ذلك من المواضع حيث شاء ، لأن الله تعالى ذكره ، إنما شرَط بلوغ الكعبة بالهدى فى قتل الصيد دون غيره من جزائه ، فللجازى

(١) فى المطبوعة : « قيمته بالموضع » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب محض . وليس فى المخطوطة « فيه » ، وإثباتها واجب .

(٢) يعنى ما سلف رقم : ١٢٥٨٣ ، ١٢٦٠٤/١٢٥٨٤ ، ١٢٦٠٥ .

(٣) فى المطبوعة : « يكفر بها » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « فى خلق » ، والجيد ما أثبت .

بغير الهدى أن يجزيه بالإطعام والصوم حيث شاء من الأرض .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل العلم .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٦٢٢ — حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن أبى زائدة قال ، حدثنا ابن أبى عروبة ، عن أبى معشر ، عن إبراهيم قال : ما كان من دم فبمكة . وما كان من صدقة أو صوم ، فحيث شاء .

* * *

وقد خالف ذلك مخالفون ، فقالوا : لا يجزئ الهدى والإطعام إلا بمكة . فأما الصوم ، فإن لم يكن كفَّر ، فله أن يصومه حيث شاء من الأرض .[1]

* ذكر من قال ذلك :

١٢٦٢٣ — حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع= وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = عن حماد بن سلمة ، عن قيس بن سعد ، عن عطاء قال : الدم والطعام بمكة ، والصيامُ حيث شاء .

١٢٦٢٤ — حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = عن مالك بن مغول ، عن عطاء قال : كفارة الحج بمكة .

١٢٦٢٥ — حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : أين يُتصدق بالطعام إن بدا له ؟ قال : بمكة ، من أجل أنه بمنزلة الهدى ، قال : « فجزاء مثل ما قتل من النعم هدياً بالغ الكعبة » ، من أجل أنه أصابه فى حَرَم = يريد البيت = فجزاؤه عند البيت . ٣٧/٧

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « فأما الصوم ، فإن كفر به يصوم حيث شاء من الأرض » ، وفى المخطوطة : « فإن لم يكن كفر به أن يصومه حيث شاء من الأرض » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

فأما الهدى ، فإنّ من جزَى به ما قتل من الصيد ،[1] فلن يجزئه من كفارة ما قتل من ذلك إلا أن يبلغه الكعبة كما قال تعالى ذكره ،[2] وينحره أو يذبحه ويتصدق به على مساكين الحرم = وعنىَ بالكعبة فى هذا الموضع ،الحرم كله .[3]

ولمن قدّم بهديه الواجبَ من جزاء الصيد ، أن ينحره فى كل وقت شاء ، قبل يوم النحر وبعده ، ويطعمه . وكذلك إن كفر بإطعام ،[4] فله أن يكفر به متى أحب وحيث أحب . وإن كفّر بالصوم فكذلك .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، خلا ما ذكرنا من اختلافهم فى التفكير بالإطعام على ما قد بينا فيما مضى .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٦٢٦ — حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن أبى زائدة قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، قلت لعطاء : « أو عدل ذلك صياماً » ، هل لصيامه وقت ؟ قال : لا ، إذا شاء وحيث شاء ، وتعجيله أحبُّ إلىّ .

١٢٦٢٧ — حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن أبى زائدة قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، قلت لعطاء : رجل أصابَ صيداً فى الحج أو العمرة ، فأرسل بجزائه إلى الحرم فى المحرّم أو غيره من الشهور ، أيجزىْ عنه ؟ قال : نعم . ثم قرأ : « هدياً بالغ الكعبة » = قال هناد : قال يحيى : وبه نأخذ .[5]

---

(١) فى المطبوعة : « فأما الهدى ، فإنه من جراء ما قتل من الصيد » ، وهو كلام فاسد جداً . وفى المخطوطة : « فأما الهدى ، فإن من جرائه ما قتل من الصيد » غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها .

(٢) فى المطبوعة : « إلا أن يبلغه الكعبة طيباً ، وينحره أو يذبحه » ، وهو فاسد المعنى . وفى المخطوطة : « إلا أن يبلغه الكعبة طيباً قال تعالى ذكره وينحره . . . » ، وصواب قراءة « طبا » غير منقوطة « كما » ، كما أثبتها .

(٣) فى المطبوعة : « ويعنى بالكعبة » ، وفى المخطوطة « وعنا بالكعبة » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٤) فى المطبوعة : « بالطعام » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٥) الأثر : ١٢٦٢٧ — « يحيى » ، هو « ابن أبى زائدة » ، وهو : « يحيى بن زكريا ابن أبى زائدة » ، ومضى مراراً .

١٢٦٢٨ — حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبي زائدة قال ، أخبرنا ابن جريج وابن أبي سليمان، عن عطاء قال: إذا قدمتَ مكة بجزاء صيدٍ فانحره ، فإن الله تعالى ذكره يقول : « هدياً بالغ الكعبة » ، إلا أن يقدَم في العشر ، فيؤخِّرُه إلى يوم النحر .(١)

١٢٦٢٩ — حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبي زائدة قال ، حدثنا ابن جريج ، عن عطاء قال : يتصدّق الذي يصيب الصيدَ بمكة ، فإن الله تعالى ذكره يقول : « هدياً بالغ الكعبة » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بذلك : أو على قاتل الصيد محرماً ، عدلُ الصّيد المقتول من الصيام . وذلك أن يقوّم الصيد حيًّا غير مقتول قيمته من الطعام بالموضع الذي قتله فيه المحرم، ثم يصوم مكان كل مدّ يوماً . وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم عَدَل المدَّ من الطعام بصوم يوم في كفَّارة المُوَاقع في شهر رَمضَان .(٢)

* * *

فإن قال قائل: فهلاَّ جعلت مكان كلّ صاع في جزاءِ الصيد، صومَ يوم ، قياساً على حكم النبي صلى الله عليه وسلم في نظيره ، وذلك حكمه على كَعْب ابن عُجْرة إذ أمره أن يطعم إنْ كفَّر بالإطعام فَرَقاً من طعام، وذلك ثلاثة آصُعٍ بين ستّة مساكين(٣) = إنْ كفر بالصيام أن يصوم ثلاثة أيام ، فجعل الأيام

(١) في المطبوعة : « فيؤخر » بغير ضمير ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) انظر الأخبار في كفارة من أتى أهله في نهار رمضان ، وهو صائم ، في السنن الكبرى البيهقي ٤ : ٢٢١ — ٢٢٥ .

(٣) انظر خبر « كعب بن عجرة » إذ شكا رأسه من صئبانه ، فيما سلف في التفسير ٤ : ٥٨ — ٦٩ ، الآثار رقم : ٣٣٣٤ — ٣٣٥٩ .

الثلاثة فى الصوم عَدْلاً من إطعام ثلاثة آصع ، فإن ذلك بالكفارة فى جزاء الصيد ، أشبهُ من الكفارة فى قتل الصيد بكفّارة المُواقع امرأتَه فى شهر رمضان ؟ .

قيل : إن « القياس » ، إنما هو رَدُّ الفروع المختلف فيها ، إلى نظائرها من الأصول المجمع عليها . ولا خلافَ بين الجميع من الحجّة أنه لا يجزئ مكفِّراً كفَّر فى قتل الصيد بالصوم ، أن يعدِلَ صوم يوم بصاعِ طعام . فإذْ كان ذلك كذلك ، وكان غير جائز خلافها فيما حدَّثت به من الدين مجمعةً عليه ،[1] صحَّ بذلك أن حكم معادلة الصوم الطعامَ فى قتل الصيد ، مخالف حكم معادلته إيَّاه فى كفارة الحلق ، إذْ كان غير جائز ردّ أصْلٍ على أصلٍ قياساً . وإنما يجوز أن يقاس الفرعُ على الأصل.[2]

وسواء قال قائل : « هلاَّ رددتَ حكم الصوم فى كفارة قتلِ الصيد ، على حكمه فى حَلْق الأذى فيما يُعْدل به من الطعام » ؟ = وآخر قال : « هلاَّ رددت حكم الصوم فى الحلق ، على حكمه فى كفارة قتل الصيد فيما يُعدلُ به من الطعام ، فتُوجب عليه مكان كل مدٍّ أو مكان كل نصف صاع صومَ يوم » ؟

* * *

وقد بينا فيما مضى قبل أن « العَدْل » فى كلام العرب بالفتح ، هو قدر الشىء من غير جنسه[3] = وأن « العِدْل » ، هو قدره من جنسه .[4]

وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : « العدل » مصدر من قول القائل : « عَدَلت هذا بهذا عَدْلاً حسناً » . قال : « والعَدْل » أيضاً بالفتح ،

---

(١) فى المطبوعة : « حدث به من الدين » (بتشديد الدال والثاء فى آخره) ، وفى المخطوطة « حدث به » بالثاء ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « إذا كان غير جائز وداخل على آخر قياساً » ، وفى المخطوطة مثلها مهملة غير منقوطة . وهو كلام لا معنى له ، بل الصواب المحض ما أثبت ، وذلك أن الكاتب كتب : « وداحل » ، وصوابها : « رد أصل » ، ثم كتب « على احر » ، وصوابها : « على أصل » ، وهو ظاهر كلام أبى جعفر كما رأيت قبل ، وكما ترى بعد .

(٣) فى المطبوعة : « وهو قدر . . . » بزيادة « الواو » ، وهو خطأ .

(٤) انظر تفسير « العدل » فيما سلف ٢ : ٣٥ ، ٥٧٤ . ثم معانى القرآن للفراء ١ : ٣٢٠ ، ثم مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٥٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ .

المثل . ولكنهم فرّقوا بين « العدل » فى هذا وبين « عِدْل المتاع » ، بأن كسروا « العين » من « عِدْل المتاع » ، وفتحوها من قول الله تعالى[1] : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ [سورة البقرة : ١٢٣] ، وقول الله عز وجل : « أو عدل ذلك صياماً » ، كما قالوا : « امرأة رَزان » و « حَجَر رَزين » .[2]

٣٨/٧ وقال بعضهم : « العدل » هو القسط فى الحق ، « والعِدْل » بالكسر ، المثل. وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى .[3]

* * *

وأما نصب « الصيام » فإنه على التفسير ،[4] كما يقال : « عندى ملء زقٍّ سمناً » ، و « قدر رطلٍ عسلاً » .[5]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .[6]

---

(١) فى المطبوعة : « من قولهم » ، وفى المخطوطة : « من قول هم » ، وهو خطأ غريب ، والصواب ما كتبت إن شاء الله .

(٢) نص هذا الكلام ، ذكره صاحب لسان العرب فى مادة (عدل) ، ولم يشر إليه فى مادة (رزن) ، فهو مما يقيد فى اللسان فى موضعه . وجاء فى اللسان « وعجز رزين » ، وهو خطأ يصحح ، إنما الصواب « وحجر » ، و « حجر رزين » : ثقيل . وقد صرح صاحب أساس البلاغة فقال : « وامرأة رزان ، ولا يقال « رزينة » .

(٣) يعنى ما سلف فى ٢ : ٣٥ .

(٤) « التفسير » ، هو التمييز ، وانظر ما سلف فى فهارس المصطلحات .

(٥) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٢٠ .

(٦) عند هذا الموضع انتهى المجلد الثامن من مخطوطة التفسير التى اعتمدناها . وفيها هنا ما نصه :

« تمَّ المجلَّد الثامن بحمد الله وعونه
وصلَّى الله على سيدنا محمدٍ النبىِّ وآله وصحبه وسلم كثيراً .
يتلوه فى التاسع إن شاء الله تعالى :
ذكر من قال ذلك: حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، قلت لعطاء : ما « عَدْل ذلك صياماً » ؟
قال : عدل الطعام من الصيام .

١٢٦٣٠ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال، أخبرنا ابن جريج قال ، قلت لعطاء: ما « عدل ذلك صياماً » ؟ قال : عَدْلُ الطعامِ من الصيام . قال: لكل مُدٍّ يوماً، يأخذ زعَم بصيام رمضان وبالظِّهار.[1] وزعم أن ذلك رأى يراه، ولم يسمعه من أحد ، ولم تمض به سنة . قال : ثم عاودته بعد ذلك بحين ، قلت : ما « عدل ذلك صياماً » ؟ قال : إن أصاب ما عَدْلُه شاةٌ، قوِّمت طعاماً ، ثم صام مكان كل مدٍّ يوماً . قال : ولم أسأله: هذا رأى أو سنة مسنونة ؟

١٢٦٣١ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير في قوله عز وجل: « أو عدل ذلك صياماً » ، قال : يصوم ثلاثةَ أيام إلى عشرة أيام .

١٢٦٣٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن حماد : « أو عدل ذلك صياماً » ، من الجزاء، إذا لم يجد ما يشترى به هدياً، أو ما يتصدق به مما لا يبلُغ ثمنَ هدى ، حكم عليه الصيامُ مكان كل نصفِ صاعٍ يومًا .

١٢٦٣٣ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « أو عدل ذلك صياماً » ، قال : إذا قتل المحرم شيئاً من الصيد، حكم عليه فيه . فإن قتل ظبياً أو نحوه ، فعليه شاة تذبح بمكة . فإن لم يجد ، فإطعام ستة مساكين. فإن لم يجد

وكان الفراغ منه فى شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة وسبعمئة » .

ثم يليه فى أول الجزء التاسع ما نصه :

« بسْم الله الرَّحمن الرحيم

رَبِّ يَسِّرْ

بقية تفسير : « أَوْ عَدْلُ ذلك صِيَامًا » .

(١) فى المطبوعة : « يؤخذ » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الصواب . ومعنى قوله : « يأخذ » هنا ، يعنى به يقيس ذلك بكفارة المواقع أهله فى نهار رمضان ، وبكفارة الظهار .

فصيام ثلاثة أيام . وإن قتل أيِّلا أو نحوه، فعليه بقرة . فإن لم يجدها أطعم عشرين مسكيناً . فإن لم يجد ، صام عشرين يوماً . وإن قتل نعامةً أو حمارَ وحش أو نحوه، فعليه بدنة من الإبل . فإن لم يجد، أطعم ثلاثين مسكيناً . فإن لم يجد، صام ثلاثين يوماً . والطعام : مدٌّ مدٌّ، شِبَعَهم .[1]

١٢٦٣٤ — حدثنا ابن البرقى قال، حدثنا عمرو بن أبى سلمة، عن سعيد : [وسألته] عن المحرم يصيب الصيد،[2] فيكون عليه الفدية، شاة أو البقرة أو البدنة . فلا يجد،[3] فما عدل ذلك من الصيام أو الصدقة ؟ قال: ثمن ذلك ، فإن لم يجد ثمنه، قوّم ثمنه طعاماً يتصدق به لكل مسكين مُدّ، ثم يصومُ بكُلّ مدٍّ يوماً.[4]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : أوجبت على قاتل الصيد محرماً ما أوجبت من الجزاء والكفارة الذى ذكرت فى هذه الآية ،[5] كى يذوق وبال أمره وعذابه .

* * *

يعنى : « بأمره »، ذنبه وفعله الذى فعله من قتله ما نهاه الله عز وجل عن قتله فى حال إحرامه .

* * *

(١) الأثر : ١٢٦٣٣ — مضى هذا الأثر برقم : ١٢٦٠٠ ، وفيه « شبعهم » بغير واو . وفى المخطوطة هنا « وشبعهم » بالواو ، والجيد حذف الواو . وفى المطبوعة هنا غيرها كما غيرها فى الموضع السالف وكتب : « يشبعهم » .

(٢) فى المطبوعة : « عن سعيد : المحرم . . . » ، وفى المخطوطة : « عن سعيد : عن المحرم » ، فظاهر أنه سقط من الناسخ قوله : « وسألته » ، كما أثبتها بين القوسين ، وهو حق السياق كما ترى . والذى حذفه الناشر « عن » ، حذف مفسد للكلام .

(٣) فى المطبوعة : « . . . أو البدنة ، فإن لم يجد ، فما عدل ذلك . . . » ، وهو تغيير فاسد جداً ، أداه إليه التصرف المعيب ، كما رأيت فى التعليق السالف .

(٤) فى المطبوعة : « لكل مد » باللام ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٥) فى المطبوعة : « ما أوجبت من الحق أو الكفارة » ، وهو كلام لا معنى له ، وفى المخطوطة : « ما أوجبت من الحق أو الكفاره » غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها كما أثبته .

يقول : فألزمته الكفارة التي ألزمته إياها ، لأذيقه عقوبة ذنبه ، بإلزامه الغرامة والعمل ببدنه مما يتعبه ويشق عليه .[1]

* * *

وأصل «الوبال» ، الشدّة في المكروه ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [سورة المزمل : ١٦] .

* * *

وقد بيّن تعالى ذكره بقوله : « ليذوق وبالَ أمره » ، أنّ الكفاراتِ اللازمةَ الأموالَ والأبدانَ ، عقوباتٌ منه لخلقه ، وإن كانت تمحيصاً لهم ، وكفارةً لذنوبهم التي كفّروها بها .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٦٣٥ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : أما « وبال أمره » ، فعقوبة أمره .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ﴾

قال أبو جعفر : يقول جل من قائل لعباده المؤمنين به وبرسوله صلى الله عليه وسلم : عفا الله ، أيها المؤمنون ، عمّا سلف منكم في جاهليتكم ، من إصابتكم الصيد وأنتم حُرُم ، وقتلكموه ، فلا يؤاخذكم بما كان منكم في ذلك قبل تحريمه إياه عليكم ، ولا يلزمكم له كفارةً في مال ولا نفس . ولكن من عاد منكم لقتله وهو محرم ،

(١) انظر تفسير « ذاق » فيما سلف ٧ : ٩٦ ، ٤٤٦ ، ٨/٤٥٢ : ٤٨٧ .

بعد تحريمه بالمعنى الذى كان يَقْتُلُه فى حال كفره، وقبل تحريمه عليه ، من استحلاله قتلَه ، فينتقم الله منه .[1]

* * *

وقد يحتمل أن يكون معناه :[2] من عاد لقتله بعد تحريمه فى الإسلام ، فينتقم الله منه فى الآخرة. فأما فى الدنيا ، فإن عليه من الجزاء والكفّارة فيها ما بيَّنت.

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم نحو الذى قلنا فيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٦٣٦ — حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبى زائدة قال، أخبرنا ابن جريج قال ، قلت لعطاء : ما « عفا الله عما سلف » ؟ قال : عما كان فى الجاهلية . قال قلت : ما « ومن عاد فينتقم الله منه » ؟ قال: من عاد فى الإسلام ، فينتقم الله منه . وعليه مع ذلك الكفارة .

٣٩/٧

١٢٦٣٧ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال، أخبرنا ابن جريج قال، قلت لعطاء، فذكر نحوه = وزاد فيه، وقال : وإن عاد فقتل، عليه الكفارة. قلت : هل فى العَوْد من حدٍّ يعلم ؟ قال : لا ، قلت : فترى حقًّا على الإمام أن يعاقبه ؟ قال : هو ذنب أذنبه فيما بينه وبين الله ، ولكن يفتدى .

١٢٦٣٨ — حدثنا سفيان قال، حدثنا محمد بن بكر وأبو خالد، عن ابن جريج ، عن عطاء : « ومن عاد فينتقم الله منه » ، قال : فى الإسلام ، وعليه مع ذلك الكفارة . قلت : عليه من الإمام عقوبة ؟ قال : لا .[3]

---

(١) انظر تفسير « عفا » فيما سلف من فهارس اللغة = وتفسير « سلف » فيما سلف ٦ : ٨/١٤ : ١٣٧ ، ١٥٠ .

(٢) فى المطبوعة : « أن يكون ذلك معناه » ، زاد « ذلك » ليهلك العبارة !! وليست فى المخطوطة .

(٣) الأثر : ١٢٦٣٨ — « سفيان » هو : « سفيان بن وكيع » . مضى مراراً .

١٢٦٣٩ — حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي = عن سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء: «عفا الله عما سلف»، عمّا كان في الجاهلية = «ومن عاد»، قال: في الإسلام = «فينتقم الله منه»، وعليه الكفارة. قال قلت لعطاء: فعليه من الإمام عقوبة؟ قال: لا.

١٢٦٤٠ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء قال: يحكم عليه في الخطأ والعمد والنسيان، وكلّما أصاب، قال الله عز وجل: «عفا الله عما سلف»، قال: ما كان في الجاهلية = «ومن عاد فينتقم الله منه»، مع الكفارة = قال سفيان، قال ابن جريج: فقلت: أيعاقبه السلطان؟ قال: لا.

١٢٦٤١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن بكر وأبو خالد، عن ابن جريج قال، قلت لعطاء: «عفا الله عما سلف»، قال: عما كان في الجاهلية.

١٢٦٤٢ — حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم، عن أبي بشر، عن عطاء ابن أبي رباح أنه قال: يحكم عليه كلّما عاد.

١٢٦٤٣ — حدثنا هناد قال، حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد قال: كلّما أصاب المحرم الصيد ناسياً حُكِم عليه.

١٢٦٤٤ — حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال، حدثنا فضيل بن عياض، عن منصور، عن إبراهيم قال: كلّما أصاب الصيدَ المحرمُ حُكِم عليه.

١٢٦٤٥ — حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء قال: من قتل الصيد ثم عاد، حكم عليه.

١٢٦٤٦ — حدثنا عمرو قال، حدثنا سفيان بن عيينة، عن داود بن أبي هند، عن سعيد بن جبير قال: يحكم عليه، أفيُخْلَع! أفيُتْرك! .[1]

و «محمد بن بكر بن عثمان البرساني»، مضى برقم: ٥٤٣٨.

و «أبو خالد» هو الأحمر، «سليمان بن حيان الأزدي»، مضى برقم: ٣٩٥٦.

(١) في المطبوعة: «فيخلع أو يترك»، فأفسد معنى الكلام إفساداً، والصواب من المخطوطة. وهذا الاستفهام تعجب من سأله: «أيحكم عليه كلما عاد»، فأجابه بذلك، تأكيداً للحكم عليه

١٢٦٤٧ — حدثنا عمرو قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود بن أبي هند ، عن سعيد بن جبير : الذى يصيب الصيد وهو محرم فيحكم عليه ثم يعود ؟ قال : يحكم عليه .

١٢٦٤٨ — حدثنا عمرو قال ، حدثنا كثير بن هشام قال ، حدثنا الفرات ابن سلمان ، عن عبد الكريم ، عن عطاء قال : يحكم عليه كلّما عاد .[1]

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : عفا الله عما سلف منكم فى ذلك فى الجاهلية ، ومن عاد فى الإسلام فينتقم الله منه ، بإلزامه الكفّارة .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٦٤٩ — حدثنى ابن البرقى قال ، حدثنا عمرو ، عن زهير ، عن سعيد ابن جبير وعطاء فى قول الله تعالى ذكره : « ومن عاد فينتقم الله منه » ، قالا : « ينتقم الله » ، يعنى بالجزاء = « عفا الله عما سلف » ، فى الجاهلية .

* * *

وقال آخرون فى ذلك : عفا الله عما سلف من قتل من قتلَ منكم الصيدَ حراماً فى أول مرة . ومن عاد ثانية لقتله بعد أولى حراماً ، فالله ولىٌّ الانتقام منه ، دون كفارة تلزمه لقتله إياه .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٦٥٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى

كلما قتل الصيد . يعنى أن العائد عليه الحكم فى كل مرة ! وإلا لأصبح مخلوعاً متروكاً يفعل بعد ذلك ما شاء فى قتله الصيد وهو محرم . وانظر الأثر الآتى رقم : ١٢٦٥٢ .

(١) الأثر : ١٢٦٤٨ — « كثير بن هشام الكلابى » ، أبو سهل الرقى . نزل بغداد ، روى عنه أحمد ، وإسحق ، وابن معين ، ومحمد بن بشار بندار ، وغيرهم . مترجم فى التهذيب . والكبير للبخارى ٤/١/٢١٨ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/١٥٨ .

و « الفرات بن سلمان الحضرمى الجزرى الرقى » ، قال أبو حاتم : « لا بأس به ، محله الصدق ، صالح الحديث » . مترجم فى تعجيل المنفعة : ٣٣١ ، والبخارى فى الكبير ٤/١/١٢٩ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٨٠ . وكان فى المطبوعة : « بن سليمان » ، والصواب من المخطوطة . ثم انظر إسناد الأثر التالى رقم : ١٢٦٦٣ .

معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : من قتل شيئاً من الصيد خطأ وهو محرم ، حكم عليه فيه مرة واحدة . فإن عاد يقال له : « ينتقم الله منك » ، كما قال الله عز وجل .

١٢٦٥١ — حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعى قال، حدثنا فضيل بن عياض، عن هشام، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : إذا أصاب المحرم الصيدَ حُكم عليه . فإن عاد، لم يحكم عليه، وكان ذلك إلى الله عز وجل : إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه . ثم قرأ هذه الآية : « ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام » .

١٢٦٥٢ — حدثنا هناد قال، حدثنا يحيى بن أبى زائدة قال، حدثنا داود، عن عامر قال : جاء رجل إلى شريح فقال : إنى أصبت صيداً وأنا محرم ! فقال : هل أصبت قبل ذلك شيئاً؟ قال: لا . قال: لو قلت « نعم »، وكلتك إلى الله يكون هو ينتقم منك ، إنه عزيز ذو انتقام ! قال داود : فذكرت ذلك لسَعيد بن جبير فقال : بل يحكم عليه ، أفَيَخْلَع ! [1]

١٢٦٥٣ — حدثنى أبو السائب وعمرو بن على قالا ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم قال : إذا أصابَ الرجلُ الصيدَ وهو محرم قيل له : أصبت صيداً قبل هذا؟[2] فإن قال : «نعم»، قيل له: اذهب فينتقم الله منك! وإن قال : « لا » ، حكم عليه . ٤٠/٧

١٢٦٥٤ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا ابن أبى عدى، عن شعبة ، عن سليمان ، عن إبراهيم، فى الذى يقتل الصيد ثم يعود ، قال : كانوا يقولون : من عاد لا يحكم عليه ، أمرُه إلى الله عز وجل .

١٢٦٥٥ — حدثنا عمرو قال، حدثنا ابن عيينة، عن داود بن أبى هند ،

---

(١) فى المطبوعة : « أو يخلع » غير ما فى المخطوطة بلا طائل ، والصواب ما أثبت من المخطوطة، وانظر ما فعله فى خاتمة الأثر رقم : ١٢٦٤٦ ، والتعليق عليه ص ٤٩ ، رقم : ١ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « مثل هذا » ، وهو خطأ ، صوابه ما أثبت .

عن الشعبي : أن رجلاً أتى شريحاً فقال : أصبت صيداً ؟ ، قال : أصبت قبله صيداً؟ قال : لا. قال : أما إنك لو قلت « نعم »، لم أحكم عليك .

١٢٦٥٦ — حدثنا عمرو قال، حدثنا ابن أبي عدى قال، حدثنا داود ، عن الشعبي ، عن شريح ، مثله .

١٢٦٥٧ — حدثنا عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن الأشعث، عن محمد، عن شريح ، فى الذى يصيب الصيد قال : يحكم عليه ، فإن عاد انتقمَ الله منه .

١٢٦٥٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكّام بن سلم، عن عنبسة ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : « ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثلُ ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم » ، قال : يحكم عليه فى العمد مرة واحدة ، فإن عاد لم يحكم عليه ، وقيل له : « اذهب ينتقم الله منك » ، ويحكم عليه فى الخطأ أبداً .

١٢٦٥٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن خصيف، عن سعيد بن جبير قال : رُخّص فى قتل الصيد مرة ، فمن عاد لم يدعه الله تعالى ذكره حتى ينتقم منه .

١٢٦٦٠ — حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

١٢٦٦١ — حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا يحيى بن سعيد وابن أبى عدى ، جميعاً عن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فيمن أصاب صيداً فحكم عليه ، ثم عاد ، قال : لا يحكم ، ينتقم الله منه .

١٢٦٦٢ — حدثنا عمرو قال، حدثنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : إنما قال الله عز وجل : « ومن قتله منكم متعمداً » ، يقول : متعمداً لقتله ، ناسياً لإحرامه ، فذلك الذى يحكم عليه . فإن عاد لا يحكم عليه ، وقيل له : « ينتقم الله منك » .

١٢٦٦٣ — حدثنا عمرو قال، حدثنا كثير بن هشام قال، حدثنا الفرات

ابن سلمان، عن عبد الكريم ، عن مجاهد : إن عاد لم يحكم عليه ، وقيل له : « ينتقم الله منك » . [(١)]

١٢٦٦٤ — حدثنا عمرو قال ، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا الأشعث ، عن الحسن ، فى الذى يصيب الصيد فيحكم عليه ثم يعود ، قال : لا يحكم عليه .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : عفا الله عما سلف من قتلكم الصيد قبل تحريم الله تعالى ذكره ذلك عليكم . ومن عاد لقتله بعد تحريم الله إياه عليه ، عالماً بتحريمه ذلك عليه ، عامداً لقتله ، ذاكراً لإحرامه ، فإن الله هو المنتقم منه ، ولا كفارة لذنبه ذلك ، ولا جزاء يلزمه له فى الدنيا .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٦٦٥ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ومن عاد فينتقم الله منه »، قال : من عاد بعد نهى الله — بعد أن يعرف أنه محرَّم ، وأنه ذاكرٌ لحُرْمه [(٢)] — لم ينبغ لأحد أن يحكم عليه ، ووكلوه إلى نقمة الله عز وجل . فأما الذى يتعمد قتلَ الصيد وهو ناس لحرمه ، أو جاهل أنّ قتله محرَّم ، فهؤلاء الذين يحكم عليهم . فأما من قتله متعمداً بعد نهى الله ، وهو يعرف أنه محرَّم، وأنه حرَام ، [(٣)] فذلك يوكل إلى نقمة الله ، فذلك الذى جعل الله عليه النقمة .

* * *

وهذا شبيه بقول مجاهد الذى ذكرناه قبل . [(٤)]

* * *

---

(١) الأثر : ١٢٦٦٣ — « كثير بن هشام الكلابى » ، و « الفرات بن سلمان الجزرى » ، مضيا قريباً برقم : ١٢٦٤٨ ، وكان فى المطبوعة هنا أيضاً « الفرات بن سليمان » ، وهو خطأ ، صوابه ما فى المخطوطة .

(٢) « الحرم » (بضم الحاء وسكون الراء) : الإحرام ، وقد سلف شرحه .

(٣) « حرام » ، أى : محرم .

(٤) يعنى ما سلف رقم : ١٢٦٦٢ .

* * *

وقال آخرون : عُنِىَ بذلك شخصٌ بعينه .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٦٦٦ — حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا معتمر بن سليمان قال ، حدثنا زيد أبو المعلى : أن رجلاً أصاب صيداً وهو محرم ، فتجُوِّزَ له عنه . ثم عاد ، فأرسل الله عليه ناراً فأحرقته ، فذلك قوله : « ومن عاد فينتقم الله منه » ، قال : فى الإسلام .[1]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندنا ، قولُ من قال : معناه : « ومن عاد فى الإسلام لقتله بعد نهى الله تعالى ذكره عنه ، فينتقم الله منه ، وعليه مع ذلك الكفارة » ، لأن الله عز وجل إذْ أخبر أنه ينتقم منه ، لم يخبرنا = وقد أوجب عليه فى قتله الصيد عمداً ما أوجب من الجزاء أو الكفارة بقوله : « ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثلُ ما قتل من النعم » = أنه قد أزال عنه الكفارة فى المرة الثانية والثالثة ، بل أعلم عبادَه ما أوجبَ من الحكم على قاتل الصيد من المحرمين عمداً ، ثم أخبر أنه منتقم ممن عاد ، ولم يقل : « ولا كفارة عليه فى الدنيا » .

* * *

فإن ظن ظانّ أن الكفارة مزيلةٌ العقابَ ،[2] ولو كانت الكفارةُ لازمةً له فى الدنيا ، لبطلَ العقاب فى الآخرة ، فقد ظنّ خطأ . وذلك أن لله عز وجلّ أن يخالف بين عقوبات معاصيه بما شاء وأحب ، فيزيد فى عقوبته على بعض معاصيه مما ينقصُ من بعض ، وينقص من بعض مما يزيد فى بعض ، كالذى فعل من ذلك فى مخالفته بين عقوبته الزانىَ البكرَ والزانىَ الثيِّبَ المحصن ، وبين سارق

٤١/٧

(١) الأثر : ١٢٦٦٦ — « زيد » « أبو المعلى » ، مترجم فى « زيد بن مرة » ، و « زيد بن أبى ليلى » ، « أبو المعلى » ، مولى بنى العدوية . قال أبو حاتم : « صالح الحديث » ، وقال أبو داود الطيالسى : « وكان ثقة » . مترجم فى لسان الميزان ٢ : ٥١١ ، والكبير للبخارى ٢/١/٣٧٠ ، وعلق عليه ناشر التاريخ . تعليقاً وافياً ، وابن أبى حاتم ١/٢/٥٧٣ .

(٢) فى المطبوعة : « مزيلة للعقاب » بزيادة اللام ، وهو تغيير لعبارة أبى جعفر فى المخطوطة . وقوله : « العقاب » منصوب مفعول به لقوله : « مزيلة » .

ربع دينار وبين سارق أقلّ من ذلك . فكذلك خالف بين عقوبته قاتلَ الصيد من المحرمين عمدًا ابتداءً، وبين عقوبته عَوْداً بعد بدء . فأوجب على البادئ المثلَ من النعم ، أو الكفارة بالإطعام أو العدل من الصيام ، وجعل ذلك عقوبة جُرْمه بقوله : « ليذوق وبال أمره » ، وجعل على العائد بعد البدء ، وزاده من عقوبته ما أخبر عبادَه أنه فاعل به من الانتقام، تغليظاً منه عز وجل للعود بعد البدء. ولو كانت عقوباته على الأشياء متفقة ، لوجب أن لا يكون حدٌّ في شيء ، مخالفاً حداً في غيره ، ولا عقابٌ في الآخرة، أغلظ من عقابٍ . وذلك خلاف ما جاء به محكم الفرقان .

* * *

وقد زعم بعض الزاعمين أن معنى ذلك : ومن عاد في الإسلام بعد نَهْي الله عن قتله = لقتله بالمعنى الذي كان القوم يقتلونه في جاهليّتهم ، فعفا لهم عنه عند تحريم قتله عليهم، وذلك قتله على استحلال قتله. قال : فأما إذا قتله على غير ذلك الوجه = وذلك أن يقتله على وجه الفسوق لا على وجه الاستحلال = فعليه الجزاء والكفارة كلّما عاد .

وهذا قول لا نعلم قائلاً قاله من أهل التأويل . وكفى خطأ بقوله ، خروجه عن أقوال أهل العلم ، لو لم يكن على خطئه دلالة سواه ، فكيف وظاهر التنزيل ينبئ عن فساده ؟ وذلك أن الله عز وجل عمّ بقوله : « ومن عاد فينتقم الله منه »، كلَّ عائد لقتل الصيد بالمعنى الذي تقدم النهي منه به في أوّل الآية ، ولم يخصّ به عائداً منهم دون عائد . فمن ادّعى في التنزيل ما ليس في ظاهره ، كُلِّف البرهانَ على دعواه من الوجه الذي يجب التسليمُ له .

* * *

وأما من زعم أن معنى ذلك : ومن عاد في قتله متعمداً بعد بدء لقتل تقدم منه في حال إحرامه ، فينتقم الله منه، كان معنى قوله[1]: « عفا الله عما سلف » ،

(١) في المطبوعة: « فإن معنى قوله »، وهو خطأ في قراءة المخطوطة، وإفساد للسياق والمعنى جميعاً.

إنما هو : عفا الله عما سلف من ذنبه بقتله الصيد بدءًا =[1] فإنّ فى قول الله تعالى ذكره : « ليذوق وبال أمره » ، دليلاً واضحاً على أن القول فى ذلك غير ما قال، لأن العفو عن الجرم : تركُ المؤاخذة به. ومن أذيق وبال جرمه ، فقد عوقب به . وغير جائز أن يقال لمن عوقب : « قد عفى عنه » . وخبر الله عز وجل أصدق من أن يقع فيه تناقض .

* * *

فإن قال قائل : وما تنكر أن يكون قاتل الصيد من المحرمين فى أوّل مرّة ، قد أذيق وبال أمره بما ألزم من الجزاء والكفارة ، وعفى له من العقوبة بأكثر من ذلك مما كان لله عز وجل أن يعاقبه به ؟

قيل له : فإن كان ذلك جائزاً أن يكون تأويلَ الآية عندك = وإن كان مخالفاً لقول أهل التأويل = فما تُنكر أن يكون الانتقام الذى أوعده الله تعالى ذكره على العود بعد البدء هو تلك الزيادة التى عُفاها عنه فى أول مرة ،[2] مما كان له فعله به مع الذى أذاقه من وبال أمره، فيذيقه فى عوده بعد البدء وبالَ أمره الذي أذاقه المرة الأولى = ويترك عفوَه عما عفا عنه فى البدء ، فيؤاخذه به ؟ فلن يقول فى ذلك شيئاً إلا ألزم فى الآخر مثله .[3]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ (٩٥)

قال أبو جعفر : يقول عز وجل : والله منيعٌ فى سلطانه ، لا يقهره قاهرٌ ، ولا يمنعه من الانتقام ممن انتقم منه ، ولا من عقوبة من أراد عقوبته ، مانع . لأن

---

(١) قوله : « فإن قول الله . . . » ، جواب قوله : « فأما من زعم . . . » .
(٢) يقال : « عفا له ذنبه » ، متعدياً ، و « عفا له عن ذنبه » لازماً .
(٣) فى المطبوعة : « فلم يقل فى ذلك شيئاً » ، وفى المخطوطة : « فلم يقول . . . » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

الخلق خلقه ، والأمر أمره ، له العزة المنيعة .[1]

وأما قوله : « ذو انتقام » ، فإنه يعني به معاقبتَه لمن عصاه على معصيته إياه .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « أحل لكم » ، أيها المؤمنون ، « صيد البحر » = وهو ما صيد طريًّا ، كما :—

١٢٦٦٧ — حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال عمر بن الخطاب في قوله : « أحل لكم صيد البحر » ، قال : صيده ، ما صيد منه .[2]

١٢٦٦٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن سماك قال ، حُدِّثت عن ابن عباس قال : خطب أبو بكر الناس فقال : « أحل لكم صيد البحر » ، قال : فصيده ما أُخذ .[3]

١٢٦٦٩ — حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : « أحل لكم صيد البحر » ، قال : صيده ، ما صيد منه .[4] ٤٢/٧

١٢٦٧٠ — حدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرقّيّ قال ، حدثنا محمد بن سلمة

---

(١) انظر تفسير « عزيز » فيما سلف ١٠ : ٢٨٩ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٢٦٦٧ — « عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » ، مضى برقم : ٣٩١١ ، قال ابن سعد : « كان كثير الحديث ، وليس يحتج بحديثه » . وقال شعبة : « أحاديثه واهية » . وقد مضى الكلام فيه . وكان في المخطوطة هنا « عمرو بن أبي سلمة » ، وهو خطأ ، سيأتي على الصواب في رقم : ١٢٦٨٧ ، في المخطوطة .

وأبوه : « أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » ، مضى برقم : ٨ ، ٦٧ ، ٣٠١٥ ، ٨٣٩٤ ، ثقة . وهذا الخبر ، مختصر الخبر الآتي رقم : ١٢٦٨٧ ، وسيأتي تخريجه هناك .

(٣) الأثر : ١٢٦٦٨ — سيأتي هذا الخبر بنفس هذا الإسناد ، بغير هذا اللفظ ، برقم ١٢٦٨٦ .

(٤) الأثر : ١٢٦٦٩ — رواه البيهقي في السنن ٩ : ٢٥٥ ، من طريق خلف بن خليفة ، عن حصين ، مطولا بنحوه .

الحرّانى ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله ، « أحل لكم صيد البحر » ، قال : صيده ، الطرىّ .[1]

١٢٦٧١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الهذيل بن بلال قال ، حدثنا عبد الله بن عبيد بن عمير ، عن ابن عباس فى قوله : « أحل لكم صيد البحر »، قال : صيدهُ ، ما صيد .[2]

١٢٦٧٢ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى،عن أبيه،عن ابن عباس : « أحل لكم صيد البحر »، قال :الطرىّ .

١٢٦٧٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا الحسن بن على الحنفىّ = أو : الحسين، شاك أبو جعفر = عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، قال : كان ابن عباس يقول : صيد البحر ، ما اصطاده .[3]

---

(١) الأثر : ١٢٦٧٠ — « سليمان بن عمر بن خالد الرقى القرشى » ، الأقطع . مضى برقم : ٦٢٥٤ .

وكان فى المطبوعة : « البرقى » ، وهو خطأ محض .

و « محمد بن سلمة الحرانى الباهلى » ، ثقة، مضى برقم : ١٧٥ .

(٢) الأثر : ١٢٦٧١ — « هذيل بن بلال الفزارى المدائنى » ، « أبو البهلول » . ضعيف ، قال ابن معين « ليس بشىء » . وقال أبو زرعة : « هو لين ، ليس بالقوى » . وقال ابن حبان : « يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل ، فصار متروكاً » . وقال ابن سعد : « كان ضعيفاً » . ولكن قال أبو حاتم : « محله الصدق ، يكتب حديثه » . وضعفه النسائى والدارقطنى . مترجم فى الكبير ٢٤٥/٢/٤ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وابن أبى حاتم ١١٣/٢/٤ ، وفى تعجيل المنفعة : ٤٣٠ ، ولسان الميزان ٦ : ١٩٢ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٢٥١ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « هذيل ابن هلال » بالهاء ، وهو خطأ محض . وسيأتى على الصواب فى المخطوطة : « بلال » فى رقم : ١٢٦٩٣ ، ولكن الناشر سيغيره هناك إلى « هلال » خطأ أيضاً .

و « عبد الله بن عبيد بن عمير بن قتادة الليثى الجندعى » ، روى عن أبيه ، وقيل لم يسمع منه . وروى عن عائشة ، وابن عباس ، وابن عمر . روى عنه « هذيل بن بلال » ، وجرير بن حازم ، وابن جريج ، والأوزاعى ، وعكرمة بن عمار ، وغيرهم . ثقة . وكان مستجاب الدعوة . مترجم فى التهذيب .

(٣) الأثر : ١٢٦٧٣ — « الحسن بن على الحنفى » ، أو « الحسين بن على الحنفى » ، لم أجد لأحدهما ترجمة فى المراجع التى بين يدى . وكان فى المطبوعة : « الجعفى » ، وهو تغيير بلا هدى . فإن « الجعفى » ، هو « الحسين بن على الجعفى » ، مضى مراراً كثيرة ، وهو أجل من أن يشك فى اسمه أبو جعفر أو سفيان بن وكيع . ثم انظر الأثر التالى رقم : ١٢٦٩٢ .

١٢٦٧٤ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير : « أحل لكم صيد البحر » ، قال : الطريّ .

١٢٦٧٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عنبسة، عن الحجاج، عن العلاء بن بدر، عن أبي سلمة قال : « صيد البحر » ، ما صيد .[1]

١٢٦٧٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير : « أحل لكم صيد البحر » ، قال : الطريّ .

١٢٦٧٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

١٢٦٧٨ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال، حدثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير : « أحل لكم صيد البحر » ، قال : السمك الطريّ .

١٢٦٧٩ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط، عن السدي : « أحل لكم صيد البحر »، أما « صيد البحر »، فهو السمك الطريّ ، هي الحيتان .

١٢٦٨٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب قال : صيده ، ما اصطدته طريًّا — قال معمر ، وقال قتادة : صيده ، ما اصطدته .[2]

١٢٦٨١ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره : « أحل لكم صيد البحر » ، قال : حيتانه .

---

(١) الأثر : ١٢٦٧٥ — « العلاء بن بدر » ، نسب إلى جده ، وهو : « العلاء بن عبد الله ابن بدر الغنوي » ، مضى برقم : ٧٩٣٩ .

(٢) الأثر : ١٢٦٨٠ — « أبو سفيان » ، هو « أبو سفيان المعمري » ، « محمد بن حميد اليشكري » . مضى برقم : ١٧٨٧ ، ٨٨٢٩ .

١٢٦٨٢ — حدثنا ابن البرقي قال، حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال : سئل سعيد عن صيد البحر فقال ، قال مكحول ، قال زيد بن ثابت : صيده ، ما اصطدت .[1]

١٢٦٨٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد فى قوله : « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة » ، قال : يصطاد المحرِم والمحلُّ من البحر ، ويأكلُ من صيده .

١٢٦٨٤ — حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال، حدثنا ابن عيينة، عن عمرو ، عن عكرمة قال : قال أبو بكر : طعام البحر كلُّ ما فيه = وقال جابر بن عبد الله : ما حَسر عنه فكُلْ . وقال : كلّ ما فيه = يعنى جميع ما صيدَ .

١٢٦٨٥ — حدثنا سعيد بن الربيع قال، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع عكرمة يقول : قال أبو بكر : « وطعامه متاعاً لكم وللسيارة » ، قال : هو كل ما فيه .

* * *

وعنى بـ« البحر » ، فى هذا الموضع ، الأنهار كلها . والعرب تسمى الأنهار « بحاراً » ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ .[3]

* * *

(١) الأثر : ١٢٦٨٢ — « عمرو بن أبي سلمة التنيسى » ، مضى برقم : ٣٩٩٧ ، ٥٢٣٠ ، ٥٤٤٤ ، ٦٦٢٨ ، وكان فى المطبوعة هنا « عمر بن أبي سلمة » ، وهو خطأ ، ذاك أقدم من هذا (انظر ما مضى رقم : ١٢٦٦٧) . والصواب من المخطوطة .

و « سعيد » هذا ، هو « سعيد بن عبد العزيز بن أبي يحيى التنوخى » ، مضى رقم : ٦٥٢٩ ، ٨٩٦٦ ، ٩٠٧١ . ومضى أيضاً فى الأثر : ٣٩٧٧ ، غير مترجم ، فى مثل هذا الإسناد .

وهذا الخبر أخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٢٣٢ ، ولم ينسبه لغير الطبرى .

(٢) الأثر : ١٢٦٨٤ — خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٢٣٢ ، ولم ينسبه لغير الطبرى . . .

(٣) مضى ذكر « البحر » فى سورة البقرة : ٥٠ (٢ : ٥٠) ، ولم يشرح هذا الحرف هناك . وهذا من وجوه اختصار تفسيره . ولكن جاء تفسير « البحر » فى الأثر السالف رقم : ٣٩٨٥ ، بغير هذا المعنى ، فانظره .

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام: أحل لكم، أيها المؤمنون، طرىّ سمك الأنهار الذى صدتموه فى حال حِلِّكم وحَرَمكم ، وما لم تصيدوه من طعامه الذى قتله ثم رَمى به إلى ساحله .

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله : « وطعامه » .

فقال بعضهم : عنى بذلك : ما قذف به إلى ساحله ميتاً ، ، نحو الذى قلنا فى ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٦٨٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن سماك قال ، حدثت عن ابن عباس قال : خطب أبو بكر الناس فقال : « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم » ، وطعامه ، ما قَذَف .[1]

١٢٦٨٧ — حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عمر بن أبى سلمة ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : كنت بالبحرين ، فسألونى عما قذف البحر. قال : فأفتيتهم أن يأكلوا . فلما قدمتُ على عمر بن الخطاب رحمه الله ، ذكرت ذلك له ، فقال لى : بم أفتيتهم ؟[2] قال ، قلت : أفتيتهم أن يأكلوا ؟ قال : لو أفتيتهم بغير ذلك لعلوتك بالدِّرَّة ! قال : ثم قال : إن الله تعالى قال فى كتابه : « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم » ، فصيده ، ما صيد منه = وطعامه ، ما قَذَف .[3]

---

(١) الأثر : ١٢٦٨٦ — مضى بهذا الإسناد بغير هذا اللفظ فيما سلف رقم : ١٢٦٦٨ .
وهذا الخبر نقله ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٢٤٢ ، والسيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٣٣١ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد .

(٢) فى المخطوطة : « بما أفتيتهم » ، وهو الأصل ، وهو صواب .

(٣) الأثر : ١٢٦٨٧ — مضى مختصراً بهذا الإسناد رقم : ١٢٦٦٧ . وذكرت هناك ما قالوه فى ضعف « عمر بن أبى سلمة » .
وهذا الخبر ، رواه البيهقى فى السنن الكبرى ٩ : ٢٥٤ ، من طريق سعيد بن منصور ، عن

١٢٦٨٨ — حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : «أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم» ، قال : طعامه ما قَذَف .

٧ / ٤٣ ١٢٦٨٩ — حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن سليمان التيمى ، عن أبي مجلز ، عن ابن عباس في قوله :«أحل لكم صيد البحر وطعامه» ، قال : طعامه ما قذف .

١٢٦٩٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن سليمان التيمى ، عن أبي مجلز ، عن ابن عباس ، مثله .

١٢٦٩١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حسين بن على ، عن زائدة ، عن سماك ، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «طعامه» ، كل ما ألقاه البحر.[(١)]

١٢٦٩٢ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا الحسن بن على = أو : الحسين ابن على الحنفى ، شك أبو جعفر = عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : «طعامه» ، ما لفظ من ميتته .[(٢)]

١٢٦٩٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الهذيل بن بلال قال ، حدثنا عبد الله بن عبيد بن عمير ، عن ابن عباس : «أحل لكم صيد البحر وطعامه» ، قال : «طعامه» ، ما وجد على الساحل ميتاً .[(٣)]

أبي عوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، بنحوه .

وخرجه السيوطى في الدر المنثور ٢ : ٣٣١ ، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور ، وعبد ابن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(١) الأثر : ١٢٦٩١ — «حسين بن على بن الوليد الجعفى» ، مضى مراراً ، منها رقم : ٢٩ ، ١٧٤ ، ٤٤١٥ ، ٧٢٨٧ ، ٧٤٩٩ . وهو غير الذى سيأتى بعده ، كما أشرت إليه في التعليق على الأثر رقم : ١٢٦٧٣ .

(٢) الأثر ١٢٦٩٢ — «الحسن بن على الحنفى» ، أو «الحسين بن على الحنفى» ، مضى الكلام عنه ، وإنى لم أجده، فيما سلف رقم : ١٢٦٧٣ . وغيره هنا في المطبوعة وكتب «الجعفى» ، وهو هنا أيضاً في المخطوطة : «الحنفى» .

(٣) الأثر : ١٢٦٩٣ — «الهذيل بن بلال الفزارى المدائنى» ، مضى برقم : ١٢٦٧١ ،

١٢٦٩٤ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن سليمان التيمى ، عن أبى مجلز ، عن ابن عباس قال : «طعامه» ، ما قذف به .

١٢٦٩٥ — حدثنا سعيد بن الربيع قال، حدثنا سفيان، عن عمرو ، سمع عكرمة يقول : قال أبو بكر رضى الله عنه : «وطعامه متاعاً لكم» ، قال : «طعامه» ، هو كل ما فيه .

١٢٦٩٦ — حدثنى محمد بن المثنى قال، حدثنا الضحاك بن مخلد ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى عمرو بن دينار ، عن عكرمة مولى ابن عباس قال : قال أبو بكر : «وطعامه متاعاً لكم» ، قال : «طعامه» ، ميتته = قال عمرو : وسمعت أبا الشعثاء يقول[1] : ما كنت أحسب «طعامه» إلا مالحه .

١٢٦٩٧ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنى الضحاك بن مخلد ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى أبو بكر بن حفص بن عمر بن سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : «وطعامه متاعاً لكم» ، قال : «طعامه» ، ميتته .[2]

١٢٦٩٨ — حدثنا حميد بن مسعدة[3] قال، حدثنا يزيد بن زريع ، عن عثمان ، عن عكرمة : «وطعامه متاعاً لكم» ، قال : «طعامه» ، ما قذف .

١٢٦٩٩ — حدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا معمر بن سليمان قال ، سمعت عبيد الله ، عن نافع قال : جاء عبد الرحمن إلى عبد الله فقال : البحر قد ألقى حيتاناً كثيرة ؟ قال : فنهاه عن أكلها ، ثم قال : يانافع ، هات

وهو فى المخطوطة هنا «بلال» ، ولكن غيره الناشر فى المطبوعة ، فكتب : «هلال» ، وهو خطأ كما بينت هناك .

و «عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى» ، مضى أيضاً برقم : ١٢٦٧١ .

(١) فى المطبوعة : «وسمع» ، وفى المخطوطة : «وسمعه» ، وصواب قراءتها ما أثبت كما سيأتى فى رقم : ١٢٧٠٢ .

(٢) الأثر : ١٢٦٩٧ — «أبو بكر بن حفص بن عمر بن سعد» ، اسمه «عبد الله ابن حفص» ثقة ، مضى برقم : ٣٠٣٥ .

(٣) فى المخطوطة : «جرير بن مسعدة» ، والصواب ما فى المطبوعة .

المصحف ! فأتيته به ، فقرأ هذه الآية : « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم » ، قال ، قلت : « طعامه » هو الذى ألقاه . قال : فالحقْهُ ، فمُرْهُ بأكله.[1]

١٢٧٠٠ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب قال، حدثنا أيوب ، عن نافع : أن عبد الرحمن بن أبي هريرة سأل ابن عمر فقال : إن البحر قذف حيتاناً كثيرة ميتة ، أفنأكلها ؟ قال : لا تأكلوها ! فلما رجع عبد الله إلى أهله أخذ المصحف فقرأ « سورة المائدة » ، فأتى على هذه الآية : « وطعامه متاعاً لكم وللسيارة » ، قال : اذهب فقل له فليأكله ، فإنه طعامه .[2]

١٢٧٠١ — حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال، أخبرنا أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، بنحوه .

١٢٧٠٢ — حدثني المثنى قال، حدثنا الضحاك بن مخلد ، عن ابن جريج قال ، أخبرني عمرو بن دينار ، عن عكرمة مولى ابن عباس قال ، قال أبو بكر رحمه الله : « وطعامه متاعاً لكم » ، قال : ميتته = قال عمرو : سمعت أبا الشعثاء يقول : ما كنت أحسب « طعامه » إلاّ مالحه .[3]

١٢٧٠٣ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا الضحاك بن مخلد، عن ابن جريج قال ، أخبرنا نافع : أن عبد الرحمن بن أبي هريرة سأل ابن عمر عن حيتان كثيرة ألقاها البحر ، أميتة هى ؟ قال : نعم! فنهاه عنها ، ثم دخل البيت فدعا

---

(١) الأثر : ١٢٦٩٩ — « عبد الرحمن » هو : « عبد الرحمن بن أبي هريرة » ، و « عبد الله » هو « عبد الله بن عمر » . وسيأتى تخريجه فى الذى يليه .

(٢) الأثر : ١٢٧٠٠ — هو طريق أخرى للأثر السالف .

وهذا الخبر رواه مالك ، عن نافع ، بمثله فى الموطأ : ٤٩٤ . ورواه البيهقى عن مالك فى السنن الكبرى ٩ : ٢٥٥ . وسيأتى من طريق أخرى برقم : ١٢٧٠٣ .

ونقله ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٢٤٢ ، ولم يخرجه . وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٣٣٢ ، وقصر فى نسبته ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٣) الأثر : ١٢٧٠٢ — مضى هذا الأثر من رواية أبي جعفر عن « محمد بن المثنى » بمثل إسناده هنا رقم : ١٢٦٩٦ .

بالمصحف فقرأ تلك الآية: « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم » ، قال : « طعامه » ، كل شيء أخرج منه، فكله، فليس به بأس . وكل شيء فيه يؤكل، ميت أو بساحليه .[1]

١٢٧٠٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر قال قتادة : « طعامه » ، ما قذف منه .[2]

١٢٧٠٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو خالد ، عن ليث ، عن شهر ، عن أبي أيوب قال : ما لفظ البحر فهو طعامه ، وإن كان ميتاً .

١٢٧٠٦ — حدثنا هناد قال، حدثنا أبو الأحوص ، عن ليث ، عن شهر ، قال : سئل أبو أيوب عن قول الله تعالى ذكره : « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً » ، قال : هو ما لفظ البحر .

* * *

وقال آخرون : عنى بقوله : « وطعامه » ، المليح من السمك[3]= فيكون تأويل الكلام على ذلك من تأويلهم: أحل لكم سمك البحر ومَليحه في كل حال، في حال إحلالكم وإحرامكم .[4]

* ذكر من قال ذلك :

١٢٧٠٧ — حدثنا سليمان بن عُمرَ بن خالد الرقيّ قال، حدثنا محمد بن سلمة، عن خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس : « وطعامه » ، قال : « طعامه » ، المالح منه .[5]

---

(١) الأثر : ١٢٧٠٣ — مضى هذا الخبر بثلاثة أسانيد أخرى رقم : ١٢٦٩٩ — ١٢٧٠١ ، وخرجته في رقم : ١٢٧٠٠ . وفي المطبوعة : « ميتاً » بالنصب ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب لا بأس به . وفي المطبوعة : « بساحله » بالإفراد ، وفي المخطوطة بالتثنية كما أثبتها .

(٢) الأثر : ١٢٧٠٤ — انظر التعليق على الأثر السالف رقم : ١٢٦٨٠ ، « أبو سفيان » هو : المعمري ، « محمد بن حميد اليشكري » .

(٣) « المليح » على وزن « فعيل » ، هو المملح . يقال: « سمك مالح ، ومليح ، ومملوح ، ومملح » .

(٤) في المطبوعة ، أسقط من العبارة « في حال » ، وأثبتها من المخطوطة .

(٥) الأثر : ١٢٧٠٧ — « سليمان بن عمر بن خالد الرقي » ، مضى برقم : ١٢٦٧٠ ،

٤٤/٧ ١٢٧٠٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « وطعامه متاعاً لكم » ، يعني : بطعامه ، مالحه ، وما قذف البحر منه ، مالحه .[1]

١٢٧٠٩ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وطعامه متاعاً لكم » ، وهو المالح .

١٢٧١٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن مجمّع التيمي ، عن عكرمة في قوله : « متاعاً لكم » قال : المليح .[2]

١٢٧١١ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن سالم الأفطس وأبي حصين ، عن سعيد بن جبير قال : المليح .

١٢٧١٢ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن

وكذلك هو في المخطوطة ، أما في المطبوعة ، فقد جعله « سليمان بن عمرو بن خالد البرقي » ، وهو خطأ في موضعين ، صوابه ما أثبت .

أما قوله : « المالح منه » ، فقد استنكر الجوهري وغيره أن يقال : « سمك مالح » ، وقال يونس : « لم أسمع أحداً من العرب يقول : مالح » . والذي لم يسمعه يونس ، سمعه غيره ، وجاء في فصيح الشعر ، وهكذا جاء في الآثار التي هنا ، وهو صواب لا شك فيه عندي ، والصواب ما قاله ابن بري أن وجه جوازه هذا من جهة العربية أن يكون على النسب ، مثل قولهم : « ماء دافق » ، أي ذو دفق . وكذلك « ماء مالح » ، أي : ذو ملح ، وكما يقال : « رجل تارس » ، أي ذو ترس ، و « رجل دارع » أي ذو درع . قال : ولا يكون هذا جارياً على الفعل ، وهو الصواب إن شاء الله . (انظر لسان العرب ، مادة : ملح) .

(١) في المطبوعة : « وما قذف البحر من مالحه » ، غير ما في المخطوطة ، فأفسد العبارة . وقوله « مالحه » الأخيرة ، خبر المبتدأ « ما قذف البحر منه » .

(٢) الأثر : ١٢٧١٠ — « سفيان » هو الثوري .

و « مجمع التيمي » ، هو : « مجمع بن سمعان » ، أو « مجمع بن صمعان » ، أبو حمزة التيمي الكوفي النساج الحائك . قال ابن عيينة : « كان له من الفضل غير قليل » . روى عنه أبو حيان التيمي ، وسفيان الثوري . ووثقه يحيى بن معين . مترجم في الكبير للبخاري ٤/١/٤٠٩ ، وابن أبي حاتم ٤/١/٢٩٥ . وكان في المطبوعة والمخطوطة : « سفيان بن مجمع التيمي » ، وهو خطأ لا شك فيه . وليس في الرواة من يسمى كذلك .

منصور ، عن إبراهيم : « وطعامه متاعاً لكم » ، قال : المليح ، وما لَفَظ .

١٢٧١٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير في قوله : « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم » ، قال : يأتي الرجل أهلَ البحر فيقول : « أطعموني » ! فإن قال : « غريضاً » ، ألقوا شبكتهم فصادوا له . وإن قال : « أطعموني من طعامكم » ، أطعموه من سمكهم المالح .[1]

١٢٧١٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن عطاء ، عن سعيد : « أحل لكم صيد البحر وطعامه » ، قال : المنبوذ ، السمك المالح .

١٢٧١٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير : « وطعامه » ، قال : المالح .

١٢٧١٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم : « وطعامه » ، قال : هو مليحهُ .[2] ثم قال : ما قَذَف .

١٢٧١٧ — حدثنا ابن معاذ قال ، حدثنا جامع بن حماد قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وطعامه » ، قال : مملوح السمك .

١٢٧١٨ — حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن أبي زائدة قال ، أخبرني الثوري ، عن منصور قال : كان إبراهيم يقول : « طعامه » ، السمك المليح . ثم قال بعد : ما قذفَ به .

١٢٧١٩ — حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن أبي زائدة قال ، أخبرنا الثوري ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير قال : « طعامه » ، المليح .

١٢٧٢٠ — حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن أبي زائدة قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد قال : « طعامه » ، السمك المليح .

---

(١) الأثر : ١٢٧١٣ — سيأتي مطولا برقم : ١٢٧٥٣ .

(٢) في المطبوعة : « مالحه » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهكذا قراءتها على سوء كتابة الناسخ .

١٢٧٢١ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير في هذه الآية : « وطعامه متاعاً لكم » ، قال : الصِّير= قال شعبة ، فقلت لأبي بشر : ما الصِّير ؟ قال : المالح .[1]

١٢٧٢٢ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا هشام بن الوليد قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن جعفر بن أبي وحشية ، عن سعيد بن جبير قوله : « وطعامه متاعاً لكم » ، قال : الصِّير . قال قلت : ما الصِير ؟ قال : المالح .

١٢٧٢٣ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وطعامه متاعاً لكم » ، قال : أما « طعامه » ، فهو المالح .

١٢٧٢٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب : « وطعامه متاعاً لكم » ، قال : « طعامه » ، ما تزوّدت مملوحاً في سفرك .

١٢٧٢٥ — حدثنا عمرو بن عبد الحميد وسعيد بن الربيع الرازي قالا، حدثنا سفيان ، عن عمرو قال، قال جابر بن زيد: كنا نُحَدَّث أن « طعامه » مليحه ، ونكره الطافي منه .[2]

* * *

---

(١) « الصير » (بكسر الصاد) ، ويقال له : « الصحناة » ، وقيل : هي السمكات المملوحة التي تعمل منها الصحناة ، وهي كالفسيخ في بلادنا ، ذكرها جرير في شعره فقال في هجاء آل المهلب ، وهم من الأزد :

إنَّ الخِلاَفَةَ لم تُقْدَرْ لِيَمْلِكَهَا عَبْدٌ لِأَزْدِيَّةٍ في بَظْرِهَا عَقَفُ
كَانُوا إذَا جَعَلُوا في صِيرِهِمْ بَصَلاً ثم اشْتَوَوا كَنْعَدًا مِنْ مَالِحٍ جَدَفُوا

و « الكنعد » : ضرب من السمك . وقوله : « جدفوا » ، أكلوا « الجدف » (بفتحتين) وهو يكون باليمن تأكله الإبل فتجزأ به عن الماء ، ولا يحتاج مع أكله إلى شرب ماء .
وفي المخطوطة في المواضع كلها : « الصر » مهملة ، لا تقرأ ، صوابها في المطبوعة .

(٢) الأثر : ١٢٧٢٥ — « سفيان » هو الثوري — أو « سفيان بن عيينة » ، كلاهما

وقال آخرون : « طعامه » ، ما فيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٧٢٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة قال : طعام البحر ، ما فيه .

١٢٧٢٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن حريث ، عن عكرمة : « وطعامه متاعاً لكم » ، قال : ما جاء به البحر بموجه ، هكذا .[1]

١٢٧٢٨ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن حسن بن صالح ، عن ليث ، عن مجاهد قال : « طعامه » ، كل ما صيد منه .[2]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب عندنا ، قولُ من قال : « طعامه » ، ما قذفه البحر ، أو حَسَر عنه فوُجد ميتاً على ساحله . وذلك أن الله تعالى ذكره ذكر قبله صيدَ الذى يصاد ، فقال : « أحل لكم صيد البحر » ، فالذى يجب أن يعطف عليه فى المفهوم ما لم يُصَدْ منه ، فقال : أحل لكم ما صدتموه من البحر ، وما لم تصيدوه منه .

وأما « المليح » ، فإنه ما كان منه مُلِّح بعد الاصطياد ، فقد دخل فى جملة قوله : « أحل لكم صيد البحر » ، فلا وجه لتكريره ، إذ لا فائدة فيه ، وقد أعلم

روى عن عمرو بن دينار . « عمرو » ، هو « عمرو بن دينار » . وكان فى المطبوعة : « سفيان ابن عمرو » وهو خطأ محض .

و « جابر بن زيد الأزدى » ، هو « أبو الشعثاء » ، مضى كثيراً ، وترجم فى : ٥٣١٦ ، ٥٤٧٢ .

(١) فى المطبوعة : « ماء به البحر بوجه » ، فغير ، وحذف « هكذا » . كأنه ظن « هكذا » إشارة إلى استشكال كلمة « بموجه » ! وهذا غريب . وقوله : « هكذا » ، يريد بذلك الإشارة إلى أنه جاء طافياً .

(٢) الأثر : ١٢٧٢٨ — « حميد بن عبد الرحمن بن حميد الرؤاسى » ، مضى برقم : ٤٩٢٦ ، ٨٧٧٠ . و « الحسن بن صالح بن حى الثورى » ، مضى برقم : ١٧٨ ، ٥٣٤٧ ، ٧٥٩٤ .

عبادَه تعالى ذكره : إحلالَه ما صيد من البحر بقوله : « أحل لكم صيد البحر » . فلا فائدة أن يقال لهم بعد ذلك : « ومليحه الذي صيد حلال لكم » ، لأن ما صيد منه فقد بُيِّن تحليله ، طريًّا كان أو مليحاً ، بقوله : « أحل لكم صيد البحر » والله يتعالى عن أن يخاطب عباده بما لا يفيدهم به فائدة . ٤٥/٧

* * *

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذي قلنا خبر ، وإن كان بعض نقلته يقف به على ناقله عنه من الصحابة ، وذلك ما :—

١٢٧٢٩ — حدثنا به هناد بن السريّ قال ، حدثنا عبدة بن سليمان ، عن محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو سلمة ، عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم » ، قال : « طعامه » ، ما لفظه ميتاً فهو طعامه .[1]

* * *

وقد وقف هذا الحديث بعضهم على أبي هريرة .

١٢٧٣٠ — حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن أبي زائدة ، عن محمد بن عمرو ،

(١) الأثر : ١٢٧٢٩ ، ١٢٧٣٠ — « عبدة بن سليمان الكلابي » ، قال أحمد : « ثقة ، ثقة وزيادة ، مع صلاح في بدنه » . روى له أصحاب الكتب الستة . مضى مراراً برقم : ٢٢٢ ، ٢٣٢٣ ، ٢٧٥٨ ، ٣٠٢٢ ، ومواضع غيرها .

و « محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي » ، ثقة . روى له أصحاب الكتب الستة . ومضى برقم : ٨ ، ٣٠١٥ .

و « أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » ، تابعي جليل إمام ثقة . مضى برقم : ٨ ، ٦٧ ، ٣٠١٥ ، ٨٣٩٤ ، وغيرها .

وهذا الخبر لم أجد أحداً ذكره إلا السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٣١ ، ولم ينسب هذا المرفوع إلا لابن جرير ، أما الخبر الآتي ، وهو الموقوف ، فإنه زاد نسبته لابن أبي حاتم .

وأما الخبر الموقوف الثاني رقم : ١٢٧٣٠ ، ففيه « ابن أبي زائدة » ، وهو « يحيى بن زكريا ابن أبي زائدة » ، وهو من حفاظ الكوفيين ، كان متقناً ثبتاً صاحب سنة ، مستقيم الحديث . روى له أصحاب الكتب الستة ومضى برقم : ٨٥٠ ، ٤٢٤٦ .

فإسناد المرفوع والموقوف ، كلاهما إسناد صحيح ، ورجالهما ثقات حفاظ . وكتبه محمود محمد شاكر .

عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة في قوله : « أحل لكم صيد البحر وطعامه » ، قال : « طعامه » ، ما لفظه ميتاً .(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ مَتَـٰعًا لَّـكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « متاعاً لكم » ، منفعةً لمن كان منكم مقيماً أو حاضراً في بلده ، يستمتع بأكله وينتفع به(٢) = « وللسيارة » ، يقول : ومنفعةً أيضاً ومتعة للسائرين من أرض إلى أرض ، ومسافرين يتزوّدونه في سفرهم مليحاً .

* * *

و « السيارة » ، جمع « سيّار » .(٣)

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٧٣١ — حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرني أبو إسحق عن عكرمة أنه قال في قوله : « متاعاً لكم وللسيارة » ، قال : لمن كان بحضرة البحر = « وللسيارة » ، السَّفْر .

١٢٧٣٢ — حدثني يعقوب قال : حدثنا ابن علية ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة في قوله : « وطعامه متاعاً لكم وللسيارة » ، ما قذف البحر ، وما يتزوّدون في أسفارهم من هذا المالح = يتأوّلها على هذا .

١٢٧٣٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا جامع بن حماد قال ، حدثنا

---

(١) الأثر : ١٢٧٣٠ — انظر التعليق على الأثر السالف .

(٢) انظر تفسير « المتاع » فيما سلف ٨ : ٥٥١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) اقتصرت كتب اللغة على أن « السيارة » : القافلة ، أو القوم يسيرون ، وأنه أنث على معنى الرفقة أو الجماعة . وجعله أبو جعفر جمعاً ، كقولهم « جمال » و « جمالة » (بتشديد الميم) و « حمار » و « حمارة » .

يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وطعامه متاعاً لكم وللسيارة » ، مملوح السمك ، ما يتزودون فى أسفارهم .

١٢٧٣٤ — حدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرقىّ قال ، حدثنا مسكين بن بكير قال ، حدثنا عبد السلام بن حبيب النجارى ، عن الحسن فى قوله : « وللسيارة » ، قال : هم المحرمون .[1]

١٢٧٣٥ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وطعامه متاعاً لكم وللسيارة » ، أما « طعامه » ، فهو المالح منه ، بلاغٌ يأكل منه السيار فى الأسفار .[2]

١٢٧٣٦ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « وطعامه متاعاً لكم وللسيارة » ، قال : « طعامه » ، مالحه ، وما قذف البحر منه ، يتزوّده المسافر= وقال مرة أخرى : مالحه ، وما قذف البحر . فمالحه يتزوده المسافر .

١٢٧٣٧ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وطعامه متاعاً لكم وللسيارة » ، يعنى : المالح يتزوّده .[3]

---

(١) الأثر : ١٢٧٣٤ — « سليمان بن عمر بن خالد الرقى » ، مضى برقم : ٦٢٥٤ ، ١٢٦٧٠ ، ١٢٧٠٧ ، وغيره فى المطبوعة كما غيره فيما سلف فجعله « سليمان بن عمرو بن خالد البرق » ، وهو خطأ محض ، صوابه فى المخطوطة .

و « مسكين بن بكير الحرانى » ، أبو عبد الرحمن الحذاء ، روى عنه أحمد بن حنبل . ثقة . مترجم فى التهذيب .

أما « عبد السلام بن حبيب النجارى » ، فلم أجد فى الرواة عن الحسن أو غيره من اسمه ذاك . ووجدت فى الرواة عن الحسن البصرى « عبد السلام بن أبى الجنوب المدنى » ، وهو شيخ مدنى متروك ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/٤٥ ، وميزان الاعتدال ٢ : ١٢٩ . فلعله يكون هو .

(٢) « بلاغ » يعنى « بلغة » (بضم الباء) ، وهو ما يتبلغ به المرء من الزاد ، أى يكتفى به حتى يبلغ مستقره . وكان فى المطبوعة : « السيارة » بالتاء فى آخره ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « فيتزوده » ، والجيد ما فى المخطوطة .

وكان مجاهد يقول فى ذلك بما : —

١٢٧٣٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وطعامه متاعاً لكم » ، قال : أهل القرَى = « وللسيارة » ، أهل الأمصَار .

١٢٧٣٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « متاعاً لكم » ، قال: لأهل القرى = « وللسيارة » ، قال : أهل الأمصار ، والحيتانُ للناس كلهم .[1]

* * *

وهذا الذى قاله مجاهد : من أن « السيارة » هم أهل الأمصار ، لا وجه له مفهوم ، إلا أن يكون أراد بقوله : « هم أهل الأمصار » ، هم المسافرون من أهل الأمصار ، فيجب أن يدخل فى ذلك كل سيارة ، من أهل الأمصار كانوا أو من أهل القرى . فأما « السيارة » ، فلا نعقله : المقيمون فى أمصارهم .[2]

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « أهل الأمصار وأجناس الناس كلهم » ، وأداه إلى هذا ما جاء فى الدر المنثور ٢ : ٢٣٢ ، عن مجاهد : « وطعامه قال : حيتانه = متاعاً لكم ، لأهل القرى = وللسيارة ، أهل الأسفار وأجناس الناس كلهم » ، ثم ما جاء فى المخطوطة مما دخله التحريف ، وذلك : « أهل الأمصار والحباب للناس كلهم » ، والدر المنثور ، لا يوثق بطباعته ، والجملة فيه خطأ لاشك فيه ، فقوله « أهل الأسفار» لاشك أنها « أهل الأمصار » ، وأما قوله : « حيتانه» هنا ، فإن ذلك من سوء اختصار السيوطى ، فإن « حيتانه » تفسير لقوله : « صيد البحر » ، كما مضى فى الأثر رقم : ١٢٦٨١ ، من تفسير مجاهد لصيد البحر . وأما « طعامه » فقد فسرها مجاهد « السمك المليح » ، كما مضى فى رقم : : ١٢٧٢٠ ، وهو مراد هنا فى هذا الموضع . فظاهر أنه أراد : «طعامه، السمك المليح = متاعاً لكم ؛ لأهل القرى = وللسيارة ، أهل الأمصار = والحيتان للناس كلهم » ، يعنى أنه لا يدخل قوله تعالى: « متاعاً لكم وللسيارة » فى بيان قوله تعالى : « أحل لكم صيد البحر» ، بل فى بيان قوله : « وطعامه » ، وهو السمك المليح . هذا هو الصواب ، وأما ما فى الدر المنثور ، وما فى المطبوع من هذا التفسير ، فكلام لا يستقيم .

(٢) فى المطبوعة : « فأما السيارة ، فلا يشمل المقيمين فى أمصارهم » ، وهو كلام مريض ، وهو فى المخطوطة كما أثبته غير منقوط ، وهذا صواب قراءته . والمعنى : فلا نعقله أن يكون معناه : المقيمون فى أمصارهم . وقد مضى استعمال أبى جعفر « نعقله » فى مثل هذه العبارة فى مواضع سلفت ، ليس عندى الآن بيانها .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : وحرم الله عليكم ، أيها المؤمنون ، صيد البر = « ما دمتم حرماً » ، يقول : ما كنتم محرمين ، لم تحلوا من إحرامكم .[1]

* * *

ثم اختلف أهل العلم فى المعنى الذى عنَى الله تعالى ذكره بقوله : « وحُرِّم عليكم صيدُ البر » .

فقال بعضهم : عنى بذلك أنه حرَّم علينا كل معانى صيد البر : من اصطياد ، وأكل ، وقتل ، وبيع ، وشراء ، وإمساك ، وتملُّك .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٧٤٠ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن أبيه قال : حج عثمان بن عفان ، فحج علىّ معه ، قال : فأتى عثمان بلحم صيد صاده حلال ، فأكل منه ، ولم يأكل علىّ ، فقال عثمان : والله ما صدنا ولا أمرنا ولا أشرنا ! فقال علىّ : « وحُرِّم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً » .[2]

---

(١) انظر تفسير « ما دام » فيما سلف ١٠ : ١٨٥ — = وتفسير « حرم » فيما سلف : ٧

(٢) الأثر : ١٢٧٤٠ — « يزيد بن أبى زياد الكوفى » ، مولى بنى هاشم صدوق ، فى حفظه شىء بعد ما كبر . مضى برقم : ٢٠٢٨ .

و « عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم » ، لقبه : « ببة » ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فحنكه رسول الله ، روى عن جماعة من الصحابة . روى له أصحاب الكتب الستة . مترجم فى التهذيب . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « عبد الله بن الحارث عن نوفل » وهو خطأ صرف .

وأبوه : « الحارث بن نوفل بن الحارث » . روى عن رسول الله ، وعن عائشة . استعمله النبى صلى الله عليه وسلم على بعض أعمال مكة ، ومات بالبصرة فى خلافة عثمان . مترجم فى التهذيب .

وهذا الخبر خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٣٢٢ ، وزاد نسبته لابن أبى شيبة ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ .

١٢٧٤١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون بن المغيرة، عن عمرو بن أبي قيس، عن سماك، عن صبيح بن عبد الله العبسي قال: بعث عثمان بن عفان أبا سفيان بن الحارث على العَرُوض،(١) فنزل قديداً، فمرّ به رجل من أهل الشأم معه باز وصقر، فاستعاره منه، فاصطاد به من اليعاقيب،(٢) فجعلهن في حظيرة. فلما مرّ به عثمان طبخهن، ثم قدمهن إليه، فقال عثمان: كلوا! فقال بعضهم: حتى يجيء علي بن أبي طالب، رحمة الله عليه. فلما جاء فرأى ما بين أيديهم، قال علي: إنا لن نأكل منه! فقال عثمان: مالك لا تأكل؟ فقال: هو صيد، ولا يحل أكله وأنا محرم! فقال عثمان: بيِّن لنا! فقال عليّ: «يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم»، فقال عثمان: أو نحن قتلناه؟ فقرأ عليه: «أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحرِّم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً».(٣)

٧ / ٤٦

١٢٧٤٢ — حدثنا تميم بن المنتصر وعبد الحميد بن بيان القناد قالا، أخبرنا

وقوله: «صاده حلال»، يعني: رجل حلال، غير محرم بحج.
وسيأتي هذا الخبر بلفظ آخر، وإسناد آخر. في رقم: ١٢٧٤٥، ١٢٧٤٦.

(١) «العروض» (بفتح العين): مكة والمدينة وأكنافهما.

(٢) «اليعاقيب» جمع «يعقوب»، طائر، وهو ذكر الحجل والقطا.

(٣) الأثر: ١٢٧٤١ — «هارون بن المغيرة بن حكيم البجلي»، ثقة مضى برقم: ٣٣٥٦، ٥٥٢٦. و«عمرو بن أبي قيس الرازي، الأزرق»، ثقة. مضى برقم: ٦٨٨٧، ٩٣٤٦.
و«سماك» هو «سماك بن حرب»، ثقة، مضى مراراً.

و«صبيح بن عبد الله العبسي»، روى عن علي، وروى عنه سماك بن حرب. مترجم في الكبير للبخاري ٢/٢/٣١٩، وابن أبي حاتم ٢/١/٤٤٩. ولم يذكرا فيه جرحاً. وقد مضى ذكره في التعليق على رقم: ٧٥٩٥ (وقع هناك خطأ فيما نقلته عن التاريخ الكبير، «على الفروض» وصوابه «على العروض»، فليصحح هناك وفي تاريخ البخاري). وفي المخطوطة والمطبوعة: «صبيح بن عبيد الله» والتصحيح من البخاري وابن أبي حاتم.

وهذا الخبر رواه البخاري مختصراً في التاريخ، قال: «حدثني حسن بن خلف، أخبرنا إسحق، عن شريك، عن سماك، عن صبيح بن عبد الله العبسي». وهو الإسناد التالي لهذا.

إسحق الأزرق ، عن شريك ، عن سماك بن حرب ، عن صبيح بن عبد الله العبسي قال: استعمل عثمان بن عفان أبا سفيان بن الحارث على العَرُوض = ثم ذكر نحوه ، وزاد فيه ، قال: فمكث عثمان ما شاء الله أن يمكث ، ثم أتى فقيل له بمكة: هل لك في ابن أبي طالب ، أهدي له صفيف حمار فهو يأكل منه ! [1] فأرسل إليه عثمان ، وسأله عن أكل الصفيف ، فقال : أما أنتَ فتأكل ، وأما نحن فتنهانا ؟ فقال: إنه صيد عام أوّلَ وأنا حلال، فليس عليّ بأكله بأس ، وصيد ذلك = يعني اليعاقيب = وأنا محرم ، وذبحن وأنا حرّام . [2]

١٢٧٤٣ — حدثنا عمران بن موسى القزاز قال، حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال ، حدثنا يونس ، عن الحسن : أن عمر بن الخطاب لم يكن يرى بأساً بلحم الصيد للمحرم ، وكرهه على بن أبي طالب ، رضى الله عنهما . [3]

١٢٧٤٤ — حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب : أن عليًّا كره لحم الصيد للمحرم على كل حال .

١٢٧٤٥ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث : أنه شهد عثمان وعليًّا أُتيا بلحم، فأكل عثمان ولم يأكل عليّ، فقال عثمان : أنحن صِدْنا أو

---

(١) « الصفيف » ، هو لحم يشرح عراضاً حتى ترق البضعة منه فتراها تشف شفيفاً ، ويوسع مثل الرغفان ، ثم يشرر فى الشمس حتى يجف . فإذا دق الصفيف فهو « القديد » . وكان فى المخطوطة فى هذا الموضع « بصفف » ، وفى الذى يليه « الصصف » ، غير منقوطة ، وهو رسم خطأ ، صوابه فى المطبوعة .

(٢) الأثر : ١٢٧٤٢ — « إسحق الأزرق » هو : « إسحق بن يوسف بن مرداس المخزومى الواسطى » ، مضى برقم : ٣٣٣٩ ، ٤٢٢٤ . وكان فى المخطوطة والمطبوعة « أبو إسحق الأزرق . » ، وهو خطأ وسهو من ناسخ . وهو على الصواب فى إسناد البخارى الذى نقلته آنفاً فى تخريج الأثر السالف .

(٣) الأثر : ١٢٧٤٣ — « عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان العنبرى » ، مضى برقم : ٢١٥٤ ، ٦٥٨٩ ، ٦٥٩١ ، ٦٨١٩ .

و « يونس » ، هو : « يونس بن عبيد بن دينار العبدى » ، مضى برقم : ٢٦١٦ ، ٤٩٣١ .

صيد لنا ؟ فقرأ عليّ هذه الآية : « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحرِّم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً » .[١]

١٢٧٤٦ — حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه قال : حج عثمان بن عفان ، فحج معه علي ، فأتى بلحم صَيْدٍ صاده حلالٌ ، فأكل منه وهو محرم ، ولم يأكل منه عليّ ، فقال عثمان ، إنه صيدَ قبل أن نحرم ! فقال له عليّ : ونحن قد نزلنا وأهالينا لنا حلال ،[٢] أفيحللن لنا اليوم ؟[٣]

١٢٧٤٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا هرون ، عن عمرو بن عبد الكريم ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل : أن عليًّا أتى بِشِقِّ عَجُزِ حمار وهو محرم ، فقال : إنِّي محرم .[٤]

١٢٧٤٨ — حدثنا ابن بزيع قال ، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا سعيد ، عن يعلى بن حكيم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنه كان يكرهه على كل حال ، ما كان محرماً .[٥]

---

(١) الأثر : ١٢٧٤٥ — مضى هذا الخبر ، برواية « عبد الله بن الحارث بن نوفل » ، عن أبيه « الحارث بن نوفل » ، برقم : ١٢٧٤٠ ، وسيأتى رقم : ١٢٧٤٧ .

(٢) فى المطبوعة : « ونحن قد بدأ لنا » ، وفى المخطوطة : « ونحن بر لىا » غير منقوطة ، وهذه قراءتها فيما أرجح .

(٣) الأثر : ١٢٧٤٦ — « عمر بن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » ، أحاديثه واهية ، يكتب حديثه ولا يحتج به ، مضى برقم : ٣٩١١ ، ١٢٦٦٧ .

وسيأتى هذا الخبر بإسناد آخر رقم : ١٢٧٥٥ ، مختصراً بغير هذا اللفظ .

(٤) الأثر : ١٢٧٤٧ — « هرون » ، هو « هارون بن المغيرة » ، مضى قريباً برقم : ١٢٧٤١ .

و « عمرو » هو « عمرو بن أبى قيس » ، مضى أيضاً برقم : ١٢٧٤١ .

و « عبد الكريم » هو « عبد الكريم بن مالك الجزرى » ، مضى برقم : ٨٩٢ ، ١٥٦٦ . وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « عن عمرو بن عبد الكريم » ، وهو خطأ . ليس فى الرواة من يسمى بذلك .

ومضى هذا الخبر بإسناديه رقم : ١٢٧٤٠ ، ١٢٧٤٥ .

(٥) الأثر : ١٢٧٤٨ — « سعيد » ، هو « سعيد بن أبى عروبة » .

١٢٧٤٩ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا ابن جريج قال، أخبرنا نافع: أن ابن عمر كان يكره كل شيء من الصيد وهو حرام، أخذ له أو لم يؤخذ له، وَشيقةً وغيرها. [1]

١٢٧٥٠ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا يحيى بن سعيد القطان، عن عبد الله قال، أخبرني نافع: أن ابن عمر كان لا يأكل الصيدَ وهو محرم، وإن صاده الحلالُ.

١٢٧٥١ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال، أخبرنا ابن جريج قال، أخبرني الحسن بن مسلم بن يناق: أنّ طاوساً كان ينهى الحرامَ عن أكل الصيد، وشيقة وغيرها، صيد له أو لم يُصد له.

١٢٧٥٢ — حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا خالد بن الحارث قال، حدثنا الأشعث قال، قال الحسن: إذا صاد الصيد ثم أحرمَ لم يأكل من لحمه حتى يحلّ. فإن أكل منه وهو محرم، لم ير الحسن عليه شيئاً. [2]

١٢٧٥٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام وهرون، عن عنبسة، عن سالم قال: سألت سعيد بن جبير، عن الصيد يصيده الحلال، أيأكل منه المحرم؟ فقال: سأذكر لك من ذلك، إن الله تعالى ذكره قال: «يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم»، فنهى عن قتله، ثم قال: «ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم»، ثم قال تعالى ذكره: «أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة»، قال: يأتي الرجل أهلَ البحر فيقول: «أطعموني»، فإن

و «يعلى بن حكيم الثقفي»، روى عن سعيد بن جبير، وعكرمة، ونافع مولى ابن عمر، وغيرهم. وثقه أحمد وابن معين، وأبو زرعة، والنسائي، وقال أبو حاتم: «لا بأس به». مترجم في التهذيب.

(١) «الوشيقة»: لحم يغلى في ماء وملح إغلاءة واحدة، ولا ينضج فيتهرأ، ثم يخرج فيصير في الجبجبة، وهو جلد بعير يقور، ثم يجعل ذلك اللحم فيه، فيكون لهم زاداً في أسفارهم.

(٢) الأثر: ١٢٧٥٢ — «خالد بن الحارث بن عبيد الهجيمي» ثقة، مضى برقم: ٧٥٠٧، ٧٨١٨، ٩٨٧٨.

قال : « غريضاً »، ألقوا شبكتهم فصادوا له ، وإن قال : « أطعمونى من طعامكم »، أطعموه من سمكهم المالح . ثم قال : « وحُرِّم عليكم صيد البرّ ما دمتم حرماً » ، ٤٧/٧
وهو عليك حرام ، صدته أو صاده حلال .[1]

* * *

وقال آخرون : إنما عنى الله تعالى ذكره بقوله : « وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً »، ما استحدث المحرم صيدَه فى حال إحرامه أو ذبحه، أو استُحْدِث له ذلك فى تلك الحال . فأما ما ذبحه حلال وللحلال ، فلا بأس بأكله للمحرم . وكذلك ما كان فى ملكه قبل حال إحرامه ، فغير محرم عليه إمساكه .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٧٥٤ — حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال، حدثنا بشر بن المفضل قال، حدثنا سعيد قال، حدثنا قتادة : أن سعيد بن المسيب حدّثه، عن أبى هريرة: أنه سئل عن صيد صاده حلال ، أيأكله المحرم ؟ قال : فأفتاه هو بأكله ، ثم لقى عمر بن الخطاب رحمه الله فأخبره بما كان من أمره ، فقال : لو أفتيتهم بغير هذا لأوجعتُ لك رأسك .[2]

١٢٧٥٥ — حدثنا أحمد بن عبدة الضبى قال، حدثنا أبو عوانة، عن عمر ابن أبى سلمة، عن أبيه قال: نزل عثمان بن عفان رحمه الله العَرْجَ وهو محرم،[3] فأهدى صاحبُ العرج له قَطاً،[4] قال: فقال لأصحابه : كلوا ، فإنه إنما اصطيد

---

(١) الأثر : ١٢٧٥٣ — مضى هذا الأثر مختصراً برقم : ١٢٧١٣ .

(٢) الأثر : ١٢٧٥٤ — إسناده صحيح . وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ، باختلاف يسير فى لفظه ، وزاد نسبته لابن أبى شيبة ، وسيأتى هذا الأثر بأسانيد أخرى رقم : ١٢٧٥٦ ، ١٢٧٥٧ ، ١٢٧٦٢ .

(٣) « العرج » (بفتح فسكون) : وهى قرية جامعة على طريق مكة من المدينة ، على جادة الحاج .

(٤) فى المخطوطة : « رطا » غير منقوطة ، كأنها تقرأ « بطا » ، ولكن الذى جاء فى الروايات السالفة وما سيأتى برقم : ١٢٧٧١ أنها « قطا » أو « يعاقيب » ، وهى ذكور الحجل والقطا ، والصواب إن شاء الله ما كان فى المطبوعة : « قطا » . و « القطا » : طائر كالحمام .

على اسمى ، [١] قال : فأكلوا ولم يأكل . [٢]

١٢٧٥٦ — حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ، حدثنا ابن أبى عدى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب : أن أبا هريرة كان بالرَّبَذة ، فسألوه عن لحم صيدٍ صاده حلال ، ثم ذكر نحو حديث ابن بزيع عن بشر. [٣]

١٢٧٥٧ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة ، عن عمر ، نحوه . [٣]

١٢٧٥٨ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا ابن أبى عدى، عن شعبة ، عن أبى إسحق ، عن أبى الشعثاء قال : سألت ابن عمر عن لحم صيد يُهديه الحلال إلى الحرام ، فقال : آكله عمر ، وكان لا يرى به بأساً . قال قلت : تأكله ؟ قال : عمر خير منى . [٤]

---

(١) قوله : « إنما اصطيد على اسمى » ، أى من أجله ، وهو تعبير قديم يقيد ، ولا يزال يجرى على ألسنة العامة إلى هذا اليوم ، وهو صحيح فصيح . وانظر ما يفسره فى خبر مالك فى الموطأ : ٣٥٤ ، وسيأتى رقم : ١٢٧٦٤ .

(٢) الأثر : ١٢٧٥٥ — « عمر بن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » ، مضى قريباً رقم : ١٢٧٤٦ . وسيأتى من طريق أخرى برقم : ١٢٧٧١ ، بغير هذا اللفظ ، عن أبى سلمة من فعله هو .

(٣) الأثر : ١٢٧٥٦ ، ١٢٧٥٧ — مضى برقم : ١٢٧٥٤ .

(٤) الأثر : ١٢٧٥٨ ، ١٢٧٥٩ — « أبو إسحق » ، هو : « أبو إسحق السبيعى الهمدانى » .

و « أبو الشعثاء » ، سيأتى فى الأثر رقم : ١٢٧٦٣ ، أنه « أبو الشعثاء الكندى » وهو غير « أبى الشعثاء ، جابر بن زيد » الذى مضى برقم : ٥١٣٦ ، ٥٤٧٢ ، ١٢٤٠٦ ، ١٢٧٢٥ .

و « أبو الشعثاء الكندى » هو : « يزيد بن مهاصر » ، كوفى ، روى عن ابن عمر ، وابن عباس . ترجم له البخارى فى الكبير ٣٦٣/٢/٤ فى « يزيد بن مهاصر » ، وقال : « كناه محمد بن عبد الله ابن نمير » ولم يزد على ذلك . وترجم له ابن أبى حاتم ٢٨٧/٢/٤ فى « يزيد بن مهاصر ، أبو الشعثاء الكندى » ثم قال : « روى عنه أبو إسحق الهمدانى ، وأبو العنبس ، ويونس بن أبى إسحق ، وأبو سنان الشيبانى » . ثم عاد فترجم له ٣٩١/٢/٤ ، وقال : « روى عنه أبو سنان الشيبانى ، وسعيد بن سعيد الثعلبى . سمعت أبى يقول ذلك ، ويقول : « لا يسمى ، وهو كوفى. قال على بن المدينى: أبو الشعثاء ، الذى روى عنه أبو إسحق الهمدانى ، ويونس بن أبى إسحق ، وأبو العنبس ، وأبو سنان ، هو الكندى ، وليس هو سليم [يعنى سليم بن أسود المحاربى] — سمعت أبى يقول : أبو الشعثاء الكندى ، اسمه : يزيد بن مهاصر وخالف علياً فى ذلك »

١٢٧٥٩ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة قال ، حدثنا أبو إسحق ، عن أبي الشعثاء قال : سألت ابن عمر عن صيد صاده حلال يأكل منه حرام ، قال : كان عمر يأكله . قال قلت : فأنت ؟ قال : كان عمر خيراً مني .

١٢٧٦٠ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا ابن أبي عدي، عن هشام ، عن يحيى ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : استفتاني رجلٌ من أهل الشأم في لحم صيد أصابه وهو محرم ، فأمرته أن يأكله ، فأتيت عمر بن الخطاب فقلت له : إن رجلاً من أهل الشأم استفتاني في لحم صيد أصابه وهو محرم ، قال : فما أفتيته ؟ قال قلت : أفتيته أن يأكله . قال : فوالذي نفسي بيده ، لو أفتيته بغير ذلك لعلوتك بالدرة ! وقال عمر : إنما نُهيت أن تصطاده .[1]

١٢٧٦١ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا مصعب بن المقدام قال، حدثنا خارجة ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء ، عن كعب قال : أقبلت في أناس محرمين ، فأصبنا لحمَ حمار وحش ، فسألني الناس عن أكله ، فأفتيتهم بأكله ، وهم محرمون . فقدمنا على عمر فأخبروه أنيّ أفتيتهم بأكل حمار الوحش وهم محرمون،

فظاهر هذا أنه غير « أبي الشعثاء ، جابر بن زيد الأزدي » ، ولكني رأيت الحافظ ابن حجر قال في ترجمة « أبي العنبس » في التهذيب ٨ : ١٨٩ ، أنه روى عن « أبي الشعثاء ، جابر بن زيد الكندي » ، فلا أدري أوهم الحافظ ، أم هكذا اختلف عليه في ذلك .

وهذا الخبر رواه البيهقي في السنن ٥ : ١٨٩ ، من طريق عبيد الله بن معاذ ، عن أبيه ، عن شعبة ، عن أبي إسحق ، سمعت أبا الشعثاء » .

وسيأتي برقم : ١٢٧٦٣ ، بغير هذا اللفظ مختصراً . وكتبه محمود محمد شاكر .

(١) الأثر : ١٢٧٦٠ — مضى مختصراً برقم : ١٢٧٥٤ ، بغير هذا الإسناد .

« هشام » هو « هشام صاحب الدستوائي » .

و « يحيى » ، هو « يحيى بن أبي كثير الطائي » ، ثقة روى له أصحاب الكتب الستة . مضى برقم : ٩١٨٩ ، ١١٥٠٥ — ١١٥٠٧ .

و « أبو سلمة » هو « أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » ، مضى مراراً ، منها رقم : ١٢٦٦٧ .

وهذا الخبر رواه البيهقي في السنن الكبرى ٥ : ١٨٨ ، من طريق : « حفص بن عبد الله السلمي ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن هشام » بمثله .

فقال عمر : قد أمَّرته عليكم حتى ترجعوا .[1]

١٢٧٦٢ — حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال : مررت بالرَّبَذة ، فسألني أهلها عن المحرم يأكل ما صاده الحلال ؟ فأفتيتهم أن يأكلوا . فلقيت عمر بن الخطاب ، فذكرت ذلك له . قال: بم أفتيتهم ؟[2] قال : أفتيتهم أن يأكلوا . قال : لو أفتيتهم بغير ذلك لخالفتك .[3]

١٢٧٦٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح ، عن يونس ، عن أبي الشعثاء الكندي قال : قلت لابن عمر : كيف ترى في قوم حرام لقوا قوماً حلالاً ، ومعهم لحم صيد ، فإما باعوهم ، وإما أطعموهم ؟ فقال: حلال .[4]

---

(١) الأثر : ١٢٧٦١ — « مصعب بن المقدام الخثعمي » ثقة وضعفه بعضهم ، ولكن روى له مسلم ، مضى برقم : ١٢٩١ ، ٣٠٠١ .

و « خارجة » هو « خارجة بن مصعب بن خارجة الخراساني » ، وقد مضى برقم : ٩٦٦٨ ، قال أخي السيد أحمد هناك : « مختلف فيه جداً ، والأكثر على تضعيفه ، ولكن أعدل كلمة فيه كلمة الحاكم في المستدرك ١ : ٤٩٩ : خارجة ، لم ينقم عليه إلا روايته عن المجهولين ، وإذا روى عن الثقات الأثبات ، فروايته مقبولة » .

و « زيد بن أسلم » ثقة ثبت . مضى كثيراً .

و « عطاء » ، هو « عطاء بن يسار » ، مضى مراراً .

و « كعب » هو « كعب الأحبار » .

وهذا الخبر صحيح ، رواه مالك في الموطأ : ٣٥٢ ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، مطولا . ورواه البيهقي في السنن ٥ : ١٨٩ ، من طريق مالك .

(٢) في المخطوطة : « بما أفتيتهم » ، فكتبتها على ما درجنا عليه « بم » ، وفي المطبوعة : « فبم » .

(٣) الأثر : ١٢٧٦٢ — مضى حديث سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، من طريقين آخرين ، رقم : ١٢٧٥٤ ، ١٢٧٥٦ .

وهذا الخبر رواه مالك في الموطأ ٣٥١ ، عن يحيى بن سعيد ، بغير هذا اللفظ ، ثم رواه بعد من طريق « ابن شهاب ، عن سالم بن عبد الله : أنه سمع أبا هريرة ، يحدث عبد الله بن عمر » ، ولفظه أقرب إلى لفظ أبي جعفر هذا .

(٤) الأثر : ١٢٧٦٣ — « يونس » ، هو « يونس بن أبي إسحق السبيعي » ، مضى مراراً ، وانظر التعليق على رقم : ١٢٧٥٨ ، ١٢٧٥٩ .

١٢٧٦٤ — حدثنا سعيد بن يحيى الأموى قال، حدثنا محمد بن سعيد قال، حدثنا هشام = يعنى ابن عروة = قال ، حدثنا عروة ، عن يحيى بن عبدالرحمن ابن حاطب : أن عبد الرحمن حدثه : أنه اعتمر مع عثمان بن عفان فى ركب فيهم عمرو بن العاص، حتى نزلوا بالرَّوحاء ، فقُرِّب إليهم طير وهم محرمون ، فقال لهم عثمان: كلوا ، فإنى غير آكله! فقال عمرو بن العاص: أتأمرنا بما لستَ آكلاً؟ فقال عثمان : إنى لولا أظنّ أنه اصطيد من أجلى ، لأكلت ! [1] فأكل القوم . [2]

١٢٧٦٥ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ،عن هشام بن عروة ، عن أبيه : أن الزبير كان يتزوّد لحوم الوحش وهو محرم . [3]

١٢٧٦٦ — حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ، أخبرنا إسحق، عن شريك ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ما صيد أو ذبح وأنت حلال فهو لك حلال ، وما صيد أو ذبح وأنت حرام فهو عليك حرام . ٧ / ٤٨

١٢٧٦٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا هرون،عن عمرو ، عن سماك، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ما صيد من شىء وأنت حرام فهو عليك حرام ، وما صيد من شىء وأنت حلال فهو لك حلال .

و « أبو الشعثاء الكندى » ، مضى الكلام فى أمره واسمه ، فيما سلف ، فى التعليق على الأثرين قم ١٢٧٥٩ ، ١٢: ٧٥ ، ومضى تخريجه هناك .

(١) فى المطبوعة : « صيد من أجلى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٢٧٦٤ — « يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب بن أبى بلتعة اللخمى » ، تابعى ثقة جليل ، وينسب إلى جده فيقال : « يحيى بن حاطب » ، مضى برقم : ٨٣٦٧ .

و « عبد الرحمن » هو أبوه « عبد الرحمن بن حاطب بن أبى بلتعة اللخمى » ، وهو فى الطبقة الأولى من تابعى أهل المدينة وفقهائهم ، ثقة قليل الحديث . مترجم فى التهذيب .

وهذا الخبر رواه البيهقى فى السنن الكبرى ٥ : ١٩١ من طريق أحمد بن يوسف السلمى ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن أبيه ، بنحوه .

(٣) الأثر : ١٢٧٦٥ — إسناده صحيح ، رواه مالك فى الموطأ : ٣٥٠ ، عن هشام ابن عروة عن أبيه : « أن الزبير بن العوام كان يتزود صفيف الظباء ، وهو محرم » هذا لفظه . فأراد بقوله « لحوم الوحش » ، الظباء ، فهى من الوحش .

١٢٧٦٨ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً » ، فجعل الصيد حراماً على المحرم صيده وأكله ما دام حراماً . وإن كان الصيدُ صيدَ قبل أن يحرم الرجل ، فهو حلالٌ . وإن صاده حرامٌ لحلال ، فلا يحلّ له أكله .

١٢٧٦٩ — حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال : سألت أبا بشر عن المحرم يأكل مما صاده الحلال ؟ قال : كان سعيد بن جبير ومجاهد يقولان : ما صيد قبل أن يُحرِم أكل منه ، وما صيد بعد ما أحرم لم يأكل منه .

١٢٧٧٠ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا ابن جريج قال : كان عطاء يقولُ إذا سئل في العلانية : أيأكل الحرامُ الوَشيقةَ والشيء اليابس؟[1] = يقول بيني وبينه : لا أستطيع أن أبيّن لك في مجلس ، إن ذبح قبل أن نُحرم فكل ، وإلا فلا تبع لحمه ولا تبتع .[2]

* * *

وقال آخرون : إنما عني الله تعالى بقوله : « وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً » ، وحرم عليكم اصطياده . قالوا : فأما شراؤه من مالك يملكه وذبحه وأكله ، بعد أن يكون ملكه إياه على غير وجه الاصطياد له ، وبيعه وشراؤه جائز . قالوا : والنهي من الله تعالى ذكره ، عن صيده في حال الإحرام دون سائر المعاني .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٧٧١ — حدثني عبد الله بن أحمد بن شبويه قال ، حدثنا ابن أبي مريم

(١) « الوشيقة » مضى تفسيرها في ص : ٧٨ ، تعليق : ١ .

(٢) هكذا هذا الخبر في المخطوطة ، إلا أنه كتب : « وإن ذبح قبل أن تحرم » بالواو . وأنا في شك من سياق هذا الخبر ، أخشى أن يكون سقط منه شيء ، فإن السياق يقتضي أن يقال : إذا سئل في العلانية يقول : لا . ولكن هكذا جاء ، ولم أجده في مكان آخر ، فتركته على حاله حتى يصححه من يجده .

قال ، حدثنا يحيى بن أيوب قال ، أخبرني يحيى : أن أبا سلمة اشترى قَـطاً وهو بالعَـرْج وهو محرم ، ومعه محمد بن المنكدر ، فأكلها .[1] فعاب عليه ذلك الناسُ .[2]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب فى ذلك من القول عندنا أن يقال : إن الله تعالى ذكره ، عمَّ تحريم كل معانى صيد البرّ على المحرم فى حال إحرامه ، من غير أن يخص من ذلك شيئاً دون شيء . فكل معانى الصيد حرام على المحرم ما دام حراماً ، بيعه وشراؤه واصطياده وقتله ، وغير ذلك من معانيه ، إلاّ أن يجده مذبوحاً قد ذبحه حلال لحلال ، فيحلّ له حينئذ أكله ، للثابت من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى : —

١٢٧٧٢ — حدثناه يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج = وحدثنى عبد الله بن أبى زياد قال ، حدثنا مكى بن إبراهيم قال ، حدثنا عبد الملك بن جريج = قال ، أخبرنى محمد بن المنكدر ، عن معاذ بن عبدالرحمن ابن عثمان ، عن أبيه عبد الرحمن بن عثمان قال : كنا مع طلحة بن عبيد الله ونحن حُرُم ، فأهدى لنا طائرٌ ، فمنا من أكل ، ومنا من تَورَّع فلم يأكل . فلما استيقظ طلحة وفَّق من أكل ،[3] وقال : أكلناه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.[4]

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « فأكله » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الصواب .

(٢) الأثر : ١٢٧٧١ — « عبد الله بن أحمد بن شبويه الخزاعى » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ١٩٠٩ ، ٤٦١٢ ، ٤٩٢٣ .

و « ابن أبى مريم » هو « سعيد بن أبى مريم » ، مضى برقم : ١٦٠ ، ٥٤٥٥ ، ٨٣٣٥ .

و « يحيى بن أيوب الغافقى » ، مضى برقم : ٣٨٧٧ ، ٤٣٣٠ .

و « يحيى » هو « يحيى بن سعيد بن قيس الأنصارى » ، مضى برقم : ٤٨٥٩ ، ٩٦٧٩ .

و « أبو سلمة » هو « أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » . مضى قريباً .

(٣) فى المطبوعة : « وافق من أكل » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الصواب الموافق لما فى صحيح مسلم . وقوله : « وفق من أكل » : دعا له بالتوفيق ، واستصوب فعله .

(٤) الأثر : ١٢٧٧٢ — « يحيى بن سعيد » هو القطان .

فإن قال قائل : فما أنت قائل فيما روي عن الصعب بن جثّامة أنه أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رِجْلَ حمارِ وحش يقطر دماً، فردّه فقال: إنا حُرُم[1] = وفيما روى عن عائشة : أن وَشِيقة ظبي أهديت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم ، فردّها[2] = وما أشبه ذلك من الأخبار ؟

قيل : إنه ليس في واحد من هذه الأخبار التي جاءت بهذا المعنى ، بيانُ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردّ من ذلك ما ردّ وقد ذبحه الذابح إذ ذبحه ، وهو حلال لحلال ، ثم أهداه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حرام ، فرده وقال : « إنه لا يحل لنا لأنا حرم » ، وإنما ذكر فيه أنه أُهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لحم صيد فردّه . وقد يجوز أن يكون ردُّه ذلك من أجل أنّ ذابحه ذبحه أو صائده صاده من أجله صلى الله عليه وسلم وهو محرم .

وقد بيَّن خبر جابر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بقوله: « لحم صيد[البر] للمحرم حلال إلاّ ما صاده أو صيد له » ،[3] معنى ذلك كله .

فإذ كان كلا الخبرين صحيحاً مخرجهما ، فواجبٌ التصديقُ بهما ، وتوجيه كلّ واحد منهما إلى الصحيح من وجه ، وأن يقال : « ردُّه ما ردّ من ذلك من أجل

و « مكى بن إبراهيم بن بشير بن فرقد التميمى » الحافظ ، روى له أصحاب الكتب الستة . مترجم فى التهذيب .

و « معاذ بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله بن عثمان التيمى » ، ثقة .

وأبوه « عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله التيمى » ، هو « شارب الذهب » ، صحابى ، أسلم يوم الحديبية ، وقيل يوم الفتح .

وهذا الخبر رواه مسلم فى صحيحه ٨ : ١١١ ، ١١٢ ، والبيهقى فى السنن الكبرى ٥ : ١٨٨ .

(١) حديث الصعب بن جثامة ، رواه مسلم فى صحيحه من طرق ٨ : ١٠٣ - ١٠٦ ، والسنن الكبرى للبيهقى ٥ : ١٩١ ، ١٩٤ ، واستوفى تخريجه هناك .

(٢) حديث عائشة ، رواه أحمد فى المسند ٦ : ٤٠ . وقد مضى تفسير « الوشيقة » فيما سلف ص : ٧٨ ، تعليق : ١ .

(٣) حديث جابر بن عبد الله ، خرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٥ : ١٩٠ ، فانظر ما قاله فيه ، وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٣٣٣ ، وقال : أخرجه أحمد والحاكم وصححه . وزدت ما بين القوسين من الخبر ، وهو ساقط من المخطوطة والمطبوعة .

أنه كان صيد من أجله = وإذنه فى أكل ما أذن فى أكله منه ، من أجل أنه لم يكن صيد لمحرم ولا صاده محرم » ، فيصح معنى الخبرين كليهما .

* * *

واختلفوا فى صفة الصيد الذى عنى الله تعالى بالتحريم فى قوله : « وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً » .

فقال بعضهم : « صيد البر » ، كل ما كان يعيش فى البرّ والبحر ، وإنما « صيد البحر »، ما كان يعيش فى الماء دون البرّ ويأوى إليه .

٤٩/٧

* ذكر من قال ذلك :

١٢٧٧٣ — حدثنا هناد بن السرى قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى= ، عن عمران بن حدير ، عن أبى مجلز : « وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً » ، قال : ما كان يعيش فى البر والبحر فلا تصده ،[1] وما كان حياته فى الماء فذاك .[2]

١٢٧٧٤ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا الحجاج ، عن عطاء قال : ما كان يعيش فى البر فأصابه المحرم فعليه جزاؤه ، نحو السلحفاة والسرطان والضفادع .

١٢٧٧٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون بن المغيرة ، عن عمرو بن أبى قيس ، عن الحجاج ، عن عطاء قال : كل شىء عاش فى البر والبحر فأصابه المحرم ، فعليه الكفارة .

١٢٧٧٦ — حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا يزيد بن أبى زياد ، عن عبد الملك بن سعيد بن جبير قال : خرجنا

---

(١) فى المطبوعة : « لا تصيده » ، وفى المخطوطة : « ولا تصده » ، وهذا صواب قراءتها .

(٢) الأثر : ١٢٧٧٣ — فى المخطوطة : « وهل كان حياته فى الماء فذاك » ، ولا أدرى ما « وهل » هنا ، وما فى المطبوعة أشبه بالصواب . وهذا الأثر أخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٣٣٢ ، بمثل ما فى المطبوعة ، وزاد نسبته لابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ .

حجاجاً معنا رجلٌ من أهل السَّواد معه شُصُوصُ طير ماءٍ، فقال له أبي حين أحرمنا : اعزل هذا عنا .[1]

١٢٧٧٧ — وحدثنا به أبو كريب مرة أخرى قال، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت يزيد بن أبي زياد قال ، حدثنا حجاج ، عن عطاء : أنه كَرِه للمحرم أن يذبح الدجاج الزِّنجي ، لأن له أصلاً في البر .[2]

* * *

وقال بعضهم : صيد البر ما كان كونه في البرّ أكثر من كونه في البحر .[3]

* ذكر من قال ذلك :

١٢٧٧٨ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال ، ابن جريج أخبرناه ، قال : سألت عطاء عن ابن الماء ، أصيد برّ أم بحر ؟ وعن أشباهه ؟ فقال : حيث يكون أكثر ، فهو صيده .

١٢٧٧٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني وكيع ، عن سفيان ، عن رجل ، عن عطاء بن أبي رباح قال : أكثر ما يكون حيث يُفْرِخ ، فهو منه .

* * *

(١) الأثر : ١٢٧٧٦ — « يزيد بن أبي زياد الكوفي » ، مضى قريباً برقم : ١٢٧٤٠ ، وكان في حفظ يزيد شيء بعد ما كبر .

و « عبد الملك بن سعيد بن جبير الأسدي » ، روى عن أبيه وعكرمة . وروى عنه يزيد بن أبي زياد . وهو ثقة عزيز الحديث . مترجم في التهذيب . وكان في المطبوعة والمخطوطة : « عبد الملك عن سعيد بن جبير » ، وهو خطأ محض .

(٢) الأثر : ١٢٧٧٧ — هكذا جاء في المخطوطة والمطبوعة : « وحدثنا به أبو كريب مرة أخرى » وهذا إشعار بأنه سيروي الحديث السالف عن عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه ، ولكن اختلف الأمر جداً ، فإذا هو عن « حجاج عن عطاء » ، وإذا معناه بمعزل عن معنى الحديث الذي قبله ، بل هو بمعنى الحديث رقم : ١٢٧٧٥ ، وعن حجاج عن عطاء ، أيضاً . ولكن ذلك من رواية « ابن حميد » لا من رواية « أبي كريب » ، فتبين بذلك أنه ليس يصح أن يكون هذا الأخير قد تأخر عن مكانه . فأخشى أن يكون الناسخ قد اضطرب ، فاضطرب تصحيح هذا الموضع .

(٣) في المخطوطة : « ما كان أكثر كونه في البر » بزيادة « أكثر » هنا ، وهو لا يصح .

القول فى تأويل قوله ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٩٦)

قال أبو جعفر : وهذا تقدُّمٌ من الله تعالى ذكره إلى خلقه بالحذر من عقابه على معاصيه .

يقول تعالى ذكره : واخشوا الله، أيها الناس ، واحذروه بطاعته فيما أمركم به من فرائضه ،[1] وفيما نهاكم عنه فى هذه الآيات التى أنزلها على نبيكم صلى الله عليه وسلم ، من النهى عن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ، وعن إصابة صيد البر وقتله فى حال إحرامكم وفى غيرها ، فإنّ لله مصيرَكم ومرجعَكم ،[2] فيعاقبكم بمعصيتكم إياه، ويجازيكم فيثيبكم على طاعتكم له .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : صيرَّ الله الكعبة البيت الحرام قواماً للناس الذين لا قِوَام لهم من رئيس يحجز قويَّهم عن ضعيفهم ،[3] ومسيئهم عن محسنهم ، وظالمهم عن مظلومهم = « والشهر الحرام والهدى والقلائد » ، فحجز بكل واحد من ذلك بعضهم عن بعض ، إذ لم يكن لهم قيامٌ غيره ، وجعلها معالم لدينهم ، ومصالح أمورهم .

* * *

و « الكعبة » ، سميت فيما قيل « كعبة » ، لتربيعها ..

* * *

(١) انظر تفسير « اتقى » فيما سلف من فهارس اللغة (وقى) .
(٢) انظر تفسير « الحشر » فيما سلف ٤ : ٦/٢٢٨ : ٩/٢٢٩ : ٤٢٥ .
(٣) انظر تفسير « جعل » فيما سلف ٣ : ١٨ .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٧٨٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : إنما سميت « الكعبة » ، لأنها مربعة .

١٢٧٨١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا هاشم بن القاسم ، عن أبي سعيد المؤدب ، عن النضر بن عربي ، عن عكرمة قال : إنما سميت « الكعبة » ، لتربيعها .(١)

* * *

وقيل : « قياماً للناس » بالياء ، وهو من ذوات الواو ، لكسرة القاف ، وهي « فاء » الفعل ، فجعلت « العين » منه بالكسرة « ياء » ، كما قيل في مصدر : « قمت » « قياماً » و « صمت » « صياماً » ، فحوّلت « العين » من الفعل : وهي « واو » « ياء » لكسرة فائه . وإنما هو في الأصل : « قمت قواماً » و « صمت صِوَاماً » ، وكذلك قوله : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس » ، فحوّلت ، واوها ياء ، إذ هي « قوام » .(٢) وقد جاء ذلك من كلامهم مقولاً على أصله الذي هو أصله ، قال الراجز :(٣)

* قِوَامُ دُنْيَا وَقِوَامُ دِينِ *(٤)

فجاء به بالواو على أصله .

* * *

وجعل تعالى ذكره الكعبة والشهرَ الحرام والهديَ والقلائد قواماً لمن كان يحرّم ذلك من العرب ويعظّمه ،(٥) بمنزلة الرئيس الذي يقوم به أمر تُبّاعه .

(١) الأثر : ١٢٧٨١ — « هاشم بن القاسم بن مسلم الليثي » ، « أبو النضر » ، الإمام الحافظ ، مضى برقم : ١٨٤ ، ٨٢٣٩ .
و « أبو سعيد المؤدب » هو : « محمد بن مسلم بن أبي الوضاح القضاعي » ، ثقة مأمون ، مضى برقم : ٨٢٣٩ ، ١٢٣١٠ .

(٢) انظر تفسير « قيام » فيما سلف ٧ : ٥٦٨ ، ٥٦٩ .

(٣) هو حميد الأرقط .

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١٧٧ .

(٥) في المطبوعة : « يحترم ذلك » ، وصوابه من المخطوطة ، وفي المخطوطة : « ويعطيه » ، وصوابه ما في المطبوعة .

وأما « الكعبة » ، فالحرم كله . وسمّاها الله تعالى « حراماً » ، لتحريمه إياها أن يصاد صيدها أو يُختلى خلاَها، أو يُعضد شجرها، [1] وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى قبل . [2]

* * *

وقوله : « والشهر الحرام والهدي والقلائد » ، يقول تعالى ذكره : وجعل الشهر الحرام والهدى والقلائد أيضاً قياماً للناس ، كما جعل الكعبة البيت الحرام لهم قياماً .

* * *

و « الناس » الذين جعل ذلك لهم قياماً ، مختلفٌ فيهم .

فقال بعضهم : جعل الله ذلك فى الجاهلية قياماً للناس كلهم . ٧ / ٥٠

* * *

وقال بعضهم : بل عنى به العربَ خاصة .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى تأويل « القوام » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال : عنى الله تعالى ذكره بقوله : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس » ، القوام ، على نحو ما قلنا .

١٢٧٨٢ — حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبى زائدة قال ، أخبرنا من سمع خُصَيفاً يحدث ، عن مجاهد فى : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس » ، قال : قواماً للناس .

١٢٧٨٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن خصيف ، عن سعيد بن جبير : « قياماً للناس » ، قال : صلاحاً لدينهم .

١٢٧٨٤ — حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبى زائدة قال ، أخبرنا داود ، عن ابن جريج ، عن مجاهد فى : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس » ، قال :

---

(١) « الخلى » : الرطب الرقيق من النبات . و « اختلى الخلى » : جزه وقطعه ونزعه . و « عضد الشجرة » ، قطعها .

(٢) انظر ما سلف ٣ : ٤٥ — ٥١ .

حين لا يرْجون جنة ولا يخافون ناراً ، فشدّد الله ذلك بالإسلام .

١٢٧٨٥ — حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن أبي زائدة ، عن إسرائيل ، عن أبي الهيثم ، عن سعيد بن جبير قوله : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس » ، قال : شدةً لدينهم .

١٢٧٨٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي الهيثم ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

١٢٧٨٧ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس » ، قال ، قيامها ، أن يأمن من توجّه إليها .

١٢٧٨٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد » ، يعني : قياماً لدينهم ، ومعالم لحجهم .

١٢٧٨٩ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد » ، جعل الله هذه الأربعةَ قياماً للناس ، هو قوام أمرهم .

* * *

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال وإن اختلفت من قائليها ألفاظُها ،[1] فإن معانيها آيلةٌ إلى ما قلنا في ذلك ، من أن « القوام » للشيء ، هو الذي به صلاحه ، كما الملك الأعظم ، قوامُ رعيته ومنَ في سلطانه ،[2] لأنه مدبِّر أمرهم ، وحاجز ظالمهم عن مظلومهم ، والدافع عنهم مكروه من بغاهم وعاداهم . وكذلك كانت الكعبة والشهرُ الحرام والهدى والقلائد ، قوامَ أمر العرب الذي كان به صلاحهم

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « من قائلها » بالإفراد ، وما أثبته أولى بالصحة .
(٢) في المطبوعة : « كالملك » ، والصواب الجيد ما في المخطوطة .

فى الجاهلية ، وهى فى الإسلام لأهله معالمُ حجهم ومناسكهم ، ومتوجَّههم لصلاتهم ، وقبلتهم التى باستقبالها يتمّ فرضُهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قالت جماعة أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٧٩٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا جامع بن حماد قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد » ، حواجز أبقاها الله بين الناس فى الجاهلية ،[1] فكان الرجل لو جَرَّ كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يُتناول ولم يُقرب . وكان الرجل لو لَقِى قاتلَ أبيه فى الشهر الحرام لم يعرض له ولم يقرَبه . وكان الرجل إذا أراد البيت تقلد قلادةً من شعر فأحمته ومنعته من الناس . وكان إذا نفر تقلَّد قلادة من الإذْخِر أو من لِحَاء السمُر ، فمنعته من الناس حتى يأتى أهله ،[2] حواجزُ أبقاها الله بين الناس فى الجاهلية .

١٢٧٩١ — حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « جعل الله الكعبة البيت الحرامَ قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد » ، قال : كان الناس كلهم فيهم ملوكٌ تدفع بعضَهم عن بعض . قال : ولم يكن فى العرب ملوكٌ تدفع بعضهم عن بعض ، فجعل الله تعالى ذكره لهم البيت الحرام قياماً ، يُدْفع بعضُهم عن بعض به ، والشهر الحرام كذلك ، يدفع الله بعضهم عن بعضهم بالأشهر الحرام ، والقلائد . قال : ويلقَى الرجل قاتل أخيه أو ابن عمه فلا يعرض له . وهذا كله قد نُسِخ .

---

(١) عندى أن الصواب « ألقاها الله » باللام ، فى هذا الموضع ، والذى يليه ، ولكن هكذا هى فى المخطوطة .

(٢) « الإذخر » : حشيشة طيبة الرائحة ، يسقف بها البيوت فوق الخشب ، ويطحن فيدخل فى الطيب . و « اللحاء » قشر الشجر . و « السمر » (بفتح السين وضم الميم) : شجر من الطلح .

١٢٧٩٢ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: «والقلائد»، كان ناس يتقلَّدون لحاء الشجر في الجاهلية إذا أرادوا الحجّ، فيعرفون بذلك

* * *

وقد أتينا على البيان عن ذكر: «الشهر الحرام» = و«الهدى» = و«القلائد»، فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.[1]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٩٧)

٥١/٧

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: «ذلك»، تصييرَه الكعبةَ البيتَ الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد. يقول تعالى ذكره: صيرت لكم، أيها الناس، ذلك قياماً، كي تعلموا أن من أحدث لكم لمصالح دنياكم ما أحدث، مما به قوامكم، علماً منه بمنافعكم ومضاركم، أنه كذلك يعلم جميع ما في السموات وما في الأرض مما فيه صلاحُ عاجلكم وآجلكم، ولتعلموا أنه بكل شيء «عليم»، لا يخفى عليه شيء من أموركم وأعمالكم، وهو محصيها عليكم، حتى يجازي المحسنَ منكم بإحسانه، والمسيء منكم بإساءته.[2]

* * *

(١) انظر تفسير «الشهر الحرام» فيما سلف ٣ : ٥٧٥ — ٤/٥٧٩ : ٢٩٩ ، ٣٠٠ وما بعدها/٩ : ٤٦٦ = وتفسير «الهدى» فيما سلف ٤ : ٢٤ ، ٩/٢٥ : ٤٦٦/١١ : ٢٢ = وتفسير «القلائد» فيما سلف ٩ : ٤٦٧ — ٤٧٠ .

(٢) انظر تفسير «عليم» فيما سلف من فهارس اللغة .

القول فى تأويل قوله ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٩٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : اعلموا، أيها الناس ، أن ربكم الذى يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ، ولا يخفى عليه شىء من سرائر أعمالكم وعلانيتها ، وهو يُحْصيها عليكم ليجازيكم بها ، شديد عقابُه من عصاه وتمرَّد عليه، على معصيته إياه = وهو غفور لذنوب من أطاعه وأنابَ إليه ، فساترٌ عليه، وتاركٌ فضيحته بها = رحيم به أن يعاقبه على ما سلف من ذنوبه بعد إنابته وتوبته منها[1] .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ (٩٩)

قال أبو جعفر : وهذا من الله تعالى ذكره تهديد لعباده ووعيد . يقول تعالى ذكره : ليس على رسولنا الذى أرسلناه إليكم ، أيها الناس ، بإنذاركم عقابَنا بين يدى عذاب شديد ، وإعذارنا إليكم بما فيه قطع حججكم = إلاَّ أن يؤدى إليكم رسالتنا ، ثم إلينا الثواب على الطاعة ،[2] وعلينا العقاب على المعصية = « والله يعلم ما تبدون وما تكتمون » ، يقول : وغير خفى علينا المطيعُ منكم ، القابلُ رسالتنا، العاملُ بما أمرته بالعمل به = من العاصى الآبى رسالتنا ، التارك العمل بما أمرته بالعمل به ،[3] لأنا نعلم ما عمله العامل منكم فأظهره بجوارحه ونطق

---

(١) انظر تفسير « شديد العقاب » ، و « غفور » ، و « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) انظر تفسير « البلاغ » فيما سلف ١٠ : ٥٧٥

(٣) فى المطبوعة : « من العاصى التارك العمل » ، أسقط ما كان فى المخطوطة ، وكان فيها :

به بلسانه = « وما تكتمون » ، يعني : وما تخفونه في أنفسكم من إيمان وكفر، أو يقين وشك ونفاق.[1]

يقول تعالى ذكره : فمن كان كذلك، لا يخفى عليه شيء من ضمائر الصدور، وظواهر أعمال النفوس ، مما في السموات وما في الأرض ، وبيده الثواب والعقاب = فحقيق أن يُتَّقى ، وأن يُطاع فلا يعصى .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، قل يا محمد : لا يعتدل الرديء والجيد ، والصالح والطالح، والمطيع والعاصي[2] = « ولو أعجبك كثرة الخبيث » ، يقول : لا يعتدل العاصي والمطيع لله عند الله ، ولو كثر أهل المعاصي فعجبت من كثرتهم ، لأن أهل طاعة الله هم المفلحون الفائزون بثواب الله يوم القيامة وإن قلّوا ، دون أهل معصيته = وإن أهل معاصيه هم الأخسرون الخائبون وإن كثروا .

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : فلا تعجبنّ من كثرة من يعصى الله فيُمْهِله ولا يعاجله بالعقوبة، فإن العقبى الصالحة لأهل طاعة الله عنده دونهم ، كما :—

« من المعاصي التي ، رسالتنا » هكذا كتبت ، وبين الكلام بياض ورسم « ، » بالحمرة . فأثبت قراءتها كما أثبتها .

(١) انظر تفسير « تبدون » و « تكتمون » في فهارس اللغة « بدا » و « كتم » .

(٢) انظر تفسير : « استوى » فيما سلف ٩ : ٨٥ = وتفسير « الخبيث » فيما سلف ٥ : ٥٥٨ ، ٧/٥٥٩ : ٤٢٤ ، ٥٢٧ = وتفسير « الطيب » فيما سلف ١٠ : ٥١٣ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

١٢٧٩٣ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، « لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث » ، قال : « الخبيث » ، هم المشركون = و « الطيب » ، هم المؤمنون .

* * *

وهذا الكلام وإن كان مخرجه مخرجَ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالمراد به بعض أتباعه ، يدل على ذلك قوله : « فاتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١٠٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : واتقوا الله بطاعته فيما أمركم ونهاكم ، واحذروا أن يستحوذ عليكم الشيطان بإعجابكم كثرة الخبيث ، فتصيروا منهم = « يا أولى الألباب » ، يعنى بذلك أهلَ العقول والحِجَى الذين عقلوا عن الله آياته ، وعرفوا مواقع حججه [١] = « لعلكم تفلحون » ، يقول : اتقوا الله لتفلحوا ، أى : كى تنجحوا فى طلبكم ما عنده [٢] .

* * *

(١) انظر تفسير « أولى الألباب » فيما سلف ٣ : ٤/٣٨٣ : ٥/١٦٢ : ٦/٥٨٠ : ٢١١ ، وفى التعليق على المواضع السالفة خطأ ، يصحح من هنا .

(٢) انظر تفسير « الفلاح » فيما سلف ١٠ : ٥٦٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : ذكر أن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب مسائل كان يسألها إياه أقوام ، امتحاناً له أحياناً ، واستهزاءً أحياناً . فيقول له بعضهم : « من أبى » ؟ ويقول له بعضهم إذا ضلت ناقته : « أين ناقتى » ؟ فقال لهم تعالى ذكره : لا تسألوا عن أشياءَ من ذلك = كمسألة عبد الله بن حُذافة إياه من أبوه = « إن تبدلكم تسؤكم » ، يقول : إن أبدينا لكم حقيقة ما تسألون عنه ، ساءكم إبداؤها وإظهارها . ٥٢/٧

وبنحو الذى قلنا فى ذلك تظاهرت الأخبار عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر الرواية بذلك :

١٢٧٩٤ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا حفص بن بُغَيل قال ، حدثنا زهير بن معاوية قال ، حدثنا أبو الجويرية قال : قال ابن عباس لأعرابىّ من بنى سليم : هل تدرى فيما أنزلت هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » ؟ حتى فرغ من الآية ، فقال : كان قوم يسألون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم استهزاء ، فيقول الرجل : « من أبى » ؟ = والرجل تضل ناقته فيقول : « أين ناقتى » ؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية .(١)

---

(١) الأثر : ١٢٧٩٤ — « حفص بن بغيل الهمدانى المرهبى » ، ثقة ، مضى برقم : ٩٦٣٩ ، وكان فى المطبوعة هنا « بعض بنى نفيل » ، وفى المخطوطة : « بعض بن نفيل » ، وكله خطأ ، وكذلك جاء خطأ فى فتح البارى « حفص بن نفيل » بالفاء ، وهو « بغيل » بالغين ، على التصغير .

و « زهير بن معاوية الجعفى » ، هو « أبو خيثمة » . ثقة ثبت ، روى له أصحاب الكتب الستة . مضى برقم : ٢١٤٤ ، ٢٢٢٢ .

و « أبو الجويرية » هو « حطان بن خفاف بن زهير بن عبد الله بن رمح بن عرعرة الجعفى » ،

١٢٧٩٥ — حدثني محمد بن المثنى قال، حدثنا أبو عامر وأبو داود قالا ، حدثنا هشام ، عن قتادة ، عن أنس قال : سأل الناسُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حتى أحْفَوه بالمسألة ،[1] فصعد المنبر ذات يوم فقال : لا تسألوني عن شيء إلاّ بيَّنْتُ لكم ![2] قال أنس: فجعلت أنظر يميناً وشمالاً فأرى كل إنسان لافًّا ثوبَه يبكي ، فأنشأ رجل كان إذا لاحَى يُدعى إلى غير أبيه ،[3] فقال : يا رسول الله ، من أبي ؟ فقال: أبوك حذافة ! قال : فأنشأ عمر فقال: رضينا بالله ربًّا ، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً ، وأعوذ بالله من سوء الفتن ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم أرَ الشرّ والخيرَ كاليوم قط ![4] إنه صُوِّرت لي الجنة والنار حتى رأيتهما وراء الحائط ! = وكان قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الآية : « لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم » .[5]

روى عن ابن عباس . ثقة ، قال ابن عبد البر : « أجمعوا على أنه ثقة » . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/١/١٠٩ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٣٠٤ .

وهذا الخبر رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٨ : ٢١٢) من طريق الفضل بن سهل ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، عن أبي خيثمة زهير بن معاوية ، عن أبي الجويرية ، بنحوه . وأشار إلى إسناد أبي جعفر ، الحافظ ابن حجر في شرح الحديث . وقال ابن كثير في تفسيره ٣ : ٢٥٠ ، وذكر حديث البخاري : « تفرد به البخاري » .

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٣٤ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم ، والطبراني، وابن مردويه .

(١) « أحفاه بالمسألة » ، و « أحفى السؤال » : ألح عليه ، وأكثر الطلب ، واستقصى في السؤال .

(٢) في المطبوعة : « إلا بينته » بالضمير ، كما في صحيح مسلم ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب أيضاً .

(٣) يقال : « أنشأ فلان يفعل كذا » ، أي : أقبل يفعل ، أو ابتدأ يفعل ، وهو هنا في هذا الموضع والذي يليه ، أحسنه أن يفسر : « أقبل » = و « لاحى الرجل أخاه » : إذا نازعه وسابه وشاتمه .

(٤) في المطبوعة : « لم أر في الشر والخير » بزيادة « في » ، كما في مسلم : « لم أر كاليوم قط في الخير والشر » ، واتبعت المخطوطة فحذفت « في » .

(٥) الأثر : ١٢٧٩٥ — « أبو عامر » هو العقدي : « عبد الملك بن عمرو القيسي » ،

١٢٧٩٦ — حدثني محمد بن معمر البحراني قال، حدثنا روح بن عبادة قال ، حدثنا شعبة قال ، أخبرني موسى بن أنس قال ، سمعت أنساً يقول ، قال رجل : يا رسول الله ، من أبي ؟ قال : أبوك فلان ! قال : فنزلت : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم » .(١)

١٢٧٩٧ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة في قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم » ، قال : فحدَّثنا أن أنس بن مالك حدَّثهم : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه حتى أحفَوْه بالمسألة ، فخرج عليهم ذات يوم فصعد المنبر فقال : لا تسألوني اليومَ عن شيء إلاّ بينته لكم ! فأشفقَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه

ثقة مأمون ، مضى مراراً كثيرة جداً .

و « أبو داود » هو الطيالسي .

و « هشام » هو الدستوائي .

وهذا الخبر ، رواه مسلم في صحيحه من طرق (١٥ : ١١٤ ، ١١٥) ، من طريق : يوسف ابن حماد المعني ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، ثم أشار إلى روايته من طريق يحيى بن حبيب الحارثي ، عن خالد بن الحارث، عن هشام = ومن طريق محمد بن بشار ، عن محمد ابن أبي عدي ، عن هشام . وهو مثل طريق أبي جعفر . وسيأتي أيضاً برقم : ١٢٧٩٧ . وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٣٤ ، واقتصر على نسبته لابن جرير ، وابن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، وقصر فلم ينسبه إلى صحيح مسلم .

(١) الأثر : ١٢٧٩٦ — « محمد بن معمر بن ربعي القيسي البحراني » ، شيخ الطبري روى عنه أصحاب الكتب الستة ، ومضى برقم : ٢٤١ ، ٣٠٥٦ ، ٥٣٩٣ .

و « روح بن عبادة القيسي » ، مضى برقم : ٣٠١٥ ، ٣٣٥٥ ، ٣٩١٢ .

و « موسى بن أنس بن مالك الأنصاري » ، تابعي ثقة قليل الحديث ، مضى برقم : ١١٤٧٥ .

وهذا الخبر رواه البخاري في صحيحه من طريقين عن شعبة ، من طريق منذر بن الوليد بن عبد الرحمن الجارودي ، عن أبيه ، عن شعبة (الفتح ٨ : ٢١٠ — ٢١٢) مطولا ، وأشار بعده إلى رواية النضر ، وروح بن عبادة، عن شعبة = ثم رواه من طريق محمد بن عبد الرحيم ، عن روح ، عن شعبة ، مختصراً كالذي هنا (الفتح ١٣ : ٢٣٠) وخرجه الحافظ ابن حجر في الموضعين .

ورواه مسلم في صحيحه (١٥ : ١١٢) ، من طريق محمد بن معمر ، بمثل رواية أبي جعفر .

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٣٤ ، وزاد نسبته إلى الترمذي ، والنسائي ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

وسلم أن يكون بين يديه أمر قد حضر ، فجعلتُ لا ألتفت يميناً ولا شمالاً إلا وجدت كُلاًّ لافًّا رأسه فى ثوبه يبكى .فأنشأ رجلٌ كان يُلاَحى فيدعى إلى غير أبيه ، فقال : يا نبي الله ، من أبى ؟ قال : أبوك حذافة ! قال : ثم قام عمر= (١) أو قال : فأنشأ عمر = فقال : رضينا بالله ربًّا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً ، عائذاً بالله = أو قال : أعوذ بالله = من سوء الفتن ! قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم أر فى الخير والشر كاليوم قط ، صُوِّرت لى الجنة والنارُ حتى رأيتهما دون الحائط . (٢)

١٢٧٩٨ — حدثنا أحمد بن هشام وسفيان بن وكيع قالا ، حدثنا معاذ بن معاذ قال ، حدثنا ابن عون ، قال : سألت عكرمة مولى ابن عباس عن قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم » ، قال : ذاك يوم قام فيهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال : لا تسألونى عن شئ إلا أخبرتكم به ! قال : فقام رجل ، فكره المسلمون مقامه يومئذ ، فقال : يا رسول الله ، من أبى ؟ قال : أبوك حذافة ، قال : فنزلت هذه الآية . (٣)

١٢٧٩٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : نزلت : « لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم

---

(١) فى المطبوعة : « ثم قال عمر » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو الصواب .

(٢) الأثر : ١٢٧٩٧ — هو مكرر الأثر رقم : ١٢٧٩٥ ، بنحو لفظه ، ورواه أبو جعفر هنا من طريق سعيد ، عن قتادة ، وهى طريق مسلم التى رواها فى صحيحه ، كما أشرت إليه فى تخريج الخبر رقم : ١٢٧٩٥ .

(٣) الأثر : ١٢٧٩٨ — « أحمد بن هشام » شيخ أبى جعفر ، لم أستطع أن أحدد من يكون ، وهناك : « أحمد بن هشام بن بهرام » ، « أبو عبد الله المدائنى » مترجم فى تاريخ بغداد ٥ : ١٩٧ .

و « أحمد بن هشام بن حميد » ، « أبو بكر المصرى » ، سكن البصرة ، وحدث بها . مترجم أيضاً فى تاريخ بغداد ٥ : ١٩٨ .

وأما « معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان العنبرى » ، « أبو المثنى » ، الحافظ البصرى ، فقد سلف برقم : ١٠٤٨٢ .

تسؤكم » ، فى رجل قال : يا رسول الله ، من أبى ؟ قال : أبوك فلان .

١٢٨٠٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى سفيان ، عن معمر ، عن قتادة قال : سألوا النبى صلى الله عليه وسلم حتى أكثروا عليه ، فقام مغضباً خطيباً فقال: سلونى ، فوالله لا تسألونى عن شىء ما دمت فى مقامى إلاّ حدثتكم ! فقام رجل فقال : من أبى؟ قال : أبوك حذافة . واشتدّ غضبه وقال : سلونى ! فلما رأى الناس ذلك كثر بكاؤهم،فجثا عمر على ركبتيه فقال : رضينا بالله ربًّا = قال معمر ، قال الزهرى ، قال أنس مثل ذلك : فجثا عمر على ركبتيه =[1] فقال: رضينا بالله ربًّا = وبالإسلام ديناً،وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والذى نفسى بيده ، لقد صُوِّرت لى الجنةُ والنارُ آنفاً فى عرض هذا الحائط ، فلم أر كاليوم فى الخير والشر = قال الزهرى ، فقالت أم عبد الله بن حذافة : ما رأيت ولداً أعقّ منك قط ! أتأمن أن تكون أمك قارفت ما قارفَ أهلُ الجاهلية فتفضحها على رؤوس الناس !! فقال: والله لو ألحقنى بعبدٍ أسود للحقتُه .[2]

٥٣/٧

١٢٨٠١ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » ، قال : غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً من الأيام ، فقام

---

(١) هذه إشارة من سفيان إلى رواية يونس عن الزهرى ، ورواية عبد الرزاق عن معمر ، عن الزهرى : « برك عمر »، أو « فبرك عمر على ركبتيه »، كما فى مسلم ١٥ : ١١٣ ، والبخارى (الفتح ١٣ : ٢٣٠) .

(٢) الأثر : ١٢٨٠٠ — هذا الخبر من رواية سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أنس= ومن روايته عن معمر ، عن الزهرى ، عن أنس . وأخرجه البخارى فى صحيحه (الفتح ١٣ : ٢٣٠) من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى ، وأخرجه مسلم فى صحيحه (١٥ : ١١٢) من طريق يونس ، عن الزهرى ، ثم أشار فى (١٥ : ١١٤) إلى طريق عبد الرزاق، عن معمر . أما خبر قتادة ، عن أنس ، فقد مضى برقم : ١٢٧٩٥ ، ١٢٧٩٧ .

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٢٤٩ .

خطيباً فقال : سلوني ، فإنكم لا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به ! فقام إليه رجل من قريش ،من بني سهم، يقال له « عبد الله بن حذافة » ، وكان يُطْعن فيه ، قال : فقال: يا رسول الله ، من أبي ؟ قال : أبوك فلان ! فدعاه لأبيه . فقام إليه عمر فقبَّل رجله وقال: يا رسولَ الله ، رضينا بالله ربًّا ،وبك نبيًّا ، وبالإسلام ديناً ، وبالقرآن إماماً ، فاعف عنا عفا الله عنك ! فلم يزل به حتى رَضِيَ ، فيومئذ قال : « الولد للفراش وللعاهر الحجر . (١)

١٢٨٠٢ — حدثني الحارث قال،حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا قيس ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان محمارٌّ وجهه! حتى جلس على المنبر ، فقام إليه رجل فقال : أين أبي ؟ قال : في النار ،فقام آخر فقال : من أبي ؟ قال : أبوك حذافة! فقام عمر بن الخطاب فقال: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًّا، وبالقرآن إماماً ، إنا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشِرْك ، والله يعلمُ من آباؤنا! قال: فسكن غضبه، ونزلت : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » . (٢)

* * *

(١) الأثر : ١٢٨٠١ — روى الحاكم في المستدرك ٣ : ٦٣١ من طريق نعيم بن حماد ، عن هشيم ، عن سيار ، عن أبي وائل :

« أن عبد الله بن حذافة بن قيس قال: يا رسول الله ، من أبي ؟ قال : أبوكَ حُذافة ، الولد للفراش وللعَاهر الحجَرُ . قال : لو دعوتني لحبشيّ لاتبعته ! فقالت له أمُّه: لقد عَرَّضتني ! فقال : إنِّي أردتُ أن أستريح ! »

(٢) الأثر : ١٢٨٠٢ — « الحارث » هو « الحارث بن أبي أسامة » منسوباً إلى جده ، وهو « الحارث بن محمد بن أبي أسامة التيمي » ، مضت ترجمته برقم : ١٠٢٩٥ .

و « عبد العزيز » هو« عبد العزيز بن أبان الأموي » ، من ولد سعيد بن العاص ، كان كذاباً يضع الأحاديث ، وذمه يطول . ومضى برقم : ١٠٢٩٥ .

و« قيس » هو « قيس بن الربيع الأسدي » ، وهو ثقة ، ولكنهم ضعفوه ، ومضى أيضاً برقم ١٠٢٩٥ .

وقال آخرون : نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل مسألة سائل سأله عن شيء في أمر الحجّ .

* ذكر من قال ذلك

١٢٨٠٣ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا منصور بن وردان الأسدي قال ، حدثنا علي بن عبد الأعلى قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [سورة آل عمران : ٩٧] ، قالوا : يارسول الله ، أفي كل عام ؟ فسكت . ثم قالوا : أفي كل عام ؟ فسكت . ثم قال : لا ، ولو قلت : « نعم » لوجبت ! فأنزل الله هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » .(١)

و « أبو حصين » هو « عثمان بن عاصم بن حصين الأسدي » ، روى له أصحاب الكتب الستة . مضى برقم : ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٨٩٦١ ، ٨٩٦٢ .

و « أبو صالح » هو « ذكوان السمان » ، من أجل الناس وأوثقهم . سلف مراراً .

وإسناد هذا الخبر إلى « قيس بن الربيع » ، إسناد هالك ، ولكن ابن كثير في تفسيره ٢ : ٢٤٩ ، ساقه عن هذا الموضع من الطبري ثم قال : « إسناده جيد » ، وكيف ، وفيه « عبد العزيز بن أبان » ؟

وذكر هذا الخبر ، الجصاص في أحكام القرآن ٢ : ٤٨٣ ، يقول : « روى قيس بن الربيع عن أبي حصين ، عن أبي هريرة » ، ولم يذكر إسناده .

(١) الأثر : ١٢٨٠٣ — « منصور بن وردان الأسدي » العطار الكوفي ، شيخ أحمد . روى عن فطر بن خليفة ، وعلى بن عبد الأعلى . ذكره ابن حبان في الثقات ، ووثقه أحمد . وقال ابن أبي حاتم : « يكتب حديثه » . مترجم في التهذيب ، والكبير ٣٤٧/١/٤ ، وابن أبي حاتم ١٨٠/١/٤ .

« على بن عبد الأعلى بن عامر الثعلبي » ، أبو الحسن الأحول . وثقة البخاري والترمذي ، وقال الدارقطني : « ليس بالقوي » مترجم ، في التهذيب .

وهذا الخبر ، رواه أحمد في المسند رقم ٩٠٥ ، من طريق منصور بن وردان الأسدي ، عن على بن عبد الأعلى ، عن أبيه ، عن أبي البختري ، عن علي قال ، بمثل ما في رواية أبي جعفر غير موصولة .

ورواه الترمذي في كتاب التفسير عن أبي سعيد ، عن منصور بن وردان ، بإسناده بمثل رواية أحمد ، وقال : « هذا حديث حسن غريب من حديث علي » .

ورواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، من طريق أحمد بن موسى بن إسحق التميمي ، عن مخول بن إبراهيم النهدي ، عن منصور بن وردان . ولم يقل فيه الحاكم شيئاً ، وقال الذهبي

١٢٨٠٤ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان ، عن إبراهيم بن مسلم الهجرى ، عن أبي عياض ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن الله كتب عليكم الحج ! فقال رجل : أفي كل عام يا رسول الله ؟ فأعرض عنه ، حتى عاد مرتين أو ثلاثاً ، فقال : من السائل ؟ فقال : فلان ! فقال : والذى نفسى بيده ، لو قلت « نعم » لوجبت ، ولو وجبت عليكم ما أطقتموه ، ولو تركتموه لكفرتم ! فأنزل الله هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » ، حتى ختم الآية.[1]

١٢٨٠٥ — حدثنى محمد بن على بن الحسن بن شقيق قال ، سمعت أبى قال ، أخبرنا الحسين بن واقد ، عن محمد بن زياد قال : سمعت أبا هريرة يقول : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها الناس ، كتب الله عليكم

فى تعليقه : « مخول : رافضى ، = وعبد الأعلى ، هو ابن عامر ، ضعفه أحمد » .

ورواه ابن ماجة فى السنن رقم : ٢٨٨٤ من طريق محمد بن عبد الله بن نمير ، وعلى بن محمد ، عن منصور بن وردان ، بمثله .

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٣/١٩٥ : ٢٥٠ ، وذكر خبر الترمذى وما قاله ثم قال : « وفيها قال نظر . لأن البخارى قال : لم يسمع أبو البخترى من على » .

وقال أخى السيد أحمد فى شرح المسند (رقم : ٩٠٥) : « إسناده ضعيف ، لانقطاعه ، ولضعف عبد الأعلى بن عامر الثعلبى » .

(١) الأثر : ١٢٨٠٤ — « عبد الرحيم بن سليمان الطائى الرازى » ، الأشل . ثقة مضى برقم : ٢٠٢٨ ، ٢٠٣٠ ، ٢٢٥٤ ، ٨١٥٦ ، ٨١٥٧ ، ٨١٦١ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة «عبد الرحمن بن سليمان» ، والصواب من تفسير ابن كثير .

و « إبراهيم بن مسلم الهجرى » ضعيف ، لين الحديث ، مترجم فى الكبير للبخارى ١/١/٣٢٦ ، وضعفه ، وابن أبى حاتم ١/١/١٣١ ، وميزان الاعتدال للذهبى ١ : ٣١ .

و « أبو عياض » هو : « عمرو بن الأسود العنسى» ، ويقال : « عمير بن الأسود » ، ثقة ، مضى برقم : ١١٢٥٥ . وكان فى المطبوعة : «ابن عياض» ، والصواب من المخطوطة .

وهذا خبر ضعيف إسناده ، لضعف « إبراهيم بن مسلم الهجرى » .

ذكره الجصاص فى أحكام القرآن ٢ : ٤٨٣ ، ونقله ابن كثير فى تفسيره عن هذا الموضع ٣ : ٢٥٠ .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٣٣٥ ، وزاد نسبته إلى الفريابى وابن مردويه .

الحج . فقام مِحْصن الأسدى فقال : أفي كل عام ، يا رسول الله ؟ فقال : أمَا إنيّ لو قلت« نعم » لوجبت ، ولو وجبت ثم تركتم لضللتم ، اسكتوا عني ما سكتُّ عنكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ! فأنزل الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » ، إلى آخر الآية .[1]

---

(١) الأثر : ١٢٨٠٥ — « محمد بن على بن الحسن بن شقيق العبدى » ثقة ، مضى برقم : ١٥٩١ ، ٢٥٧٥ ، ٩٩٥١ .

وأبوه « على بن الحسن بن شقيق » ، ثقة أيضاً ، مضى برقم : ١٥٩١ ، ٢٥٧٥ .

وكان في المطبوعة والمخطوطة : « بن الحسين بن شقيق » ، وهو خطأ .

و « الحسين بن واقد المروزى » ، ثقة ، مضى برقم : ٤٨١٠ ، ٦٣١١ .

و « محمد بن زياد القرشى الجمحى » أبو الحارث ، روى له أصحاب الكتب الستة ، روى عن أبي هريرة وعائشة ، وعبد الله بن الزبير . مترجم في التهذيب ، والكبير ١/١/٨٢ ، وابن أبي حاتم ٣/٢/٢٥٧ .

وهذا الخبر رواه أحمد في مسنده مختصراً ، ومطولا . رواه مختصراً من طريق محمد بن زياد ، عن أبي هريرة ، وليس فيه ذكر الحج ، ولا السؤال ، ولا ذكر السائل، في المسند ٢ : ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، من طريق وكيع ، عن حماد، عن محمد بن زياد . ثم رواه ٢ : ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، من طريق محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن محمد بن زياد . ثم رواه: ٢ : ٤٦٧ ، من طريق عبد الرحمن ابن مهدى ، عن حماد بن سلمة ، عن محمد بن زياد .

ثم رواه مطولا فيه ذكر الحج ، والسؤال عنه ، والسائل « رجل » ، لم يبين في الخبر اسمه (٢ : ٥٠٨) من طريق يزيد بن هرون ، عن الربيع بن مسلم القرشى ، عن محمد بن زياد ، وليس فيه ذكر الآية ونزولها .

ومن هذه الطريق رواه مسلم في صحيحه (٩ : ١٠٠) ، عن زهير بن حرب ، عن يزيد ابن هرون ، بمثله .

ورواه البخارى مختصراً أيضاً (الفتح ١٣ : ٢١٩ — ٢٢٤) من طريق إسماعيل بن أبي أويس ، عن مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة .

ورواه البيهقى في السنن الكبرى ٤ : ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، من طريق عبيد الله بن موسى، عن الربيع ابن مسلم القرشى ، ومن طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل ، عن أبيه ، عن يزيد بن هرون .

وخرجه السيوطى في الدر المنثور ٢ : ٣٣٥ ، وزاد نسبته إلى أبي الشيخ ، وابن مردويه ، بمثل رواية أبي جعفر هنا .

وفي جميع ذلك جاء « فقال رجل » ، مبهماً ، ليس فيه التصريح باسمه ، وقال النووى في شرحه على مسلم (٩ : ١٠١) : « هذا الرجل هو الأقرع بن حابس ، كذا جاء مبيناً في غير هذه الرواية » ، والرواية التي جاء فيها مبيناً هي من حديث ابن عباس، وفيها : «فقام الأقرع بن حابس فقال» ، رواها

١٢٨٠٦ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين بن واقد ، عن محمد بن زياد قال : سمعت أبا هريرة يقول : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم = فذكر مثله ، إلا أنه قال : فقام عُكَّاشة بن محصن الأسدى.(١)

١٢٨٠٧ - حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المصري قال، حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن أبي الغمر قال ، حدثنا أبو مطيع معاوية بن يحيى ، عن صفوان

أحمد فى مسنده من طرق عن ابن شهاب الزهرى ، عن أبى سنان ، عن ابن عباس ، وهى رقم : ٢٣٠٤ ، ٢٦٤٢ ، ٣٣٠٣ ، ٣٥١٠ ، ٣٥٢٠ ، وكذلك رواها البيهقى فى السنن الكبرى ٤ : ٣٢٦ .

وقد أشار الحافظ ابن حجر فى الفتح (١٣ : ٢٢٠) ، إلى حديث مسلم ، وما فيه من زيادة السؤال عن الحج ، ثم قال : « وأخرجه الدارقطنى مختصراً وزاد فيه « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » = وله شاهد عن ابن عباس،عند الطبرى فى التفسير ». قلت : يعنى الأثر السالف رقم : ١٢٧٩٤ ، لا هذا الأثر . ولم يشر الحافظ إلى خبر الحسين بن واقد ، عن محمد بن زياد .

وقد اختلف على « الحسين بن واقد » فى اسم الرجل الذى سأل ، فجاء فى هذا الخبر « محصن الأسدى » ، وفى الذى يليه « عكاشة بن محصن الأسدى »،وقد ذكر ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٢٥٠ ، ٢٥١ ، الخبر السالف رقم ١٢٨٠٤ ، ثم قال : « ثم رواه ابن جرير من طريق الحسين بن واقد ، عن محمد بن زياد ، عن أبى هريرة وقال : فقام محصن الأسدى ، وفى رواية من هذه الطريق : عكاشة بن محصن ، وهو أشبه » ، ولم يزد على ذلك .

وهذا اختلاف فى اسم الرجل « الأقرع بن حابس » ، أو « عكاشة بن محصن الأسدى » ، وأوثقهما أن يكون «الأقرع بن حابس » ، فإنها جاءت بأسانيد صحاح لاشك فى صحتها . أما علة ما جاء فى رواية أبى جعفر ، فذلك أن « الحسين بن واقد المروزى » ، ثقة ، قال النسائى : « لا بأس به » ووثقه ابن معين . ولكن قال ابن حبان : « من خيار الناس ، وربما أخطأ فى الروايات » ، وقال أحمد : « فى أحاديثه زيادة ، ما أدرى أى شىء هى ! ونفض يده » ، وقال الساجى : « فيه نظر ، وهو صدوق ، يهم » .

ورواية الثقات الحفاظ عن « محمد بن زياد ، عن أبى هريرة » ، لم يذكر فيها « عكاشة ابن محصن » ، ولم يبين الرجل ، ولكن الحسين بن واقد ، رواه عن محمد بن زياد ، فبين الرجل ، وخالف البيان الذى روى من طرق صحاح عن ابن عباس أنه « الأقرع بن حابس » ، فهذا من فعل « الحسين بن واقد » ، يؤيد ما قاله أحمد وغيره : أن فى أحاديثه زيادة لا يدرى أى شىء هى ! وكتبه محمود محمد شاكر .

(١) الأثر : ١٢٨٠٦ - هو مكرر الأثر السالف ، وقد ذكرت القول فيه هناك .

ابن عمرو قال ، حدثنى سليم بن عامر قال : سمعت أبا أمامة الباهلى يقول : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس فقال : كتب عليكم الحج ! فقام رجل من الأعراب فقال : أفى كل عام ؟ قال فغَلِقَ كلامُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأسكتَ ،[1] واستغضب ،[2] فمكث طويلاً ثم تكلم فقال : من السائل ؟ فقال الأعرابى : أنا ذا ! فقال : ويحك ! ماذا يُؤْمِنك أن أقول « نعم » ، ولو قلت « نعم » لوجبت ، ولو وجبت لكفرتم ! ألا إنه إنما أهلك الذين قبلكم أئمة الحَرَج ،[3] والله لو أنى أحللت لكم جميع ما فى الأرض ، وحرّمت عليكم منها موضع خُفٍّ ، لوقعتم فيه ! قال : فأنزل الله تعالى عند ذلك : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء » ، إلى آخر الآية .[4]

٥٤/٧

---

(١) فى المطبوعة وابن كثير : « فعلا كلام رسول الله » ، وهو خطأ لا شك فيه . وفى المخطوطة « فعلى » ، كأن آخرها « نون » وهى غير منقوطة . وفى مجمع الزوائد : « فعلق » بالعين المهملة ، وأرجح أن الصواب ما أثبته . يقال : « غلق فلان ، فى حدته » (بفتح الغين وكسر اللام) أى : نشب ، قال شمر : « يقال لكل شىء نشب فى شىء فلزمه : قد غلق » ، ومنه : « استغلق الرجل » : إذا أرتج عليه ولم يتكلم ، يعنى أنه انقطع كلامه . فكأن هذا هو الصواب إن شاء الله .

وقوله بعد : « وأسكت » (بفتح الهمزة وسكون السين وفتح الكاف) بالبناء المعلوم ، فعل لازم ، بمعنى سكت . قال اللحيانى : « يقال تكلم الرجل ثم سكت — بغير ألف — فإذا انقطع كلامه فلم يتكلم قيل : أسكت » ، وقيل : « أسكت » أطرق ، من فكرة أو داء أو فرق . وفسروا الخبر أنه : « أعرض ولم يتكلم » . وبعض الخبر فى اللسان (سكت) .

(٢) فى المطبوعة وابن كثير زيادة : « وأغضب واستغضب » ، لا أدرى من أين جاءا بها . وليست « وأغضب » فى المخطوطة . وقوله : « واستغضب » ضبطت فى المخطوطة بفتحة على الضاد ، وكذلك ضبطت فى لسان العرب (سكت) ، ولم يذكر أصحاب اللغة : « استغضب » لازماً ، بل ذكروا « غضب » و « أغضبته فتغضب » ، ولكن ما جاء هنا له شاهد من قياس اللغة لا يرد . فهذا مما يزاد على نص المعاجم . ولو قرىء : « استغضب » بالبناء للمجهول ، لكان جيداً أيضاً ، وهو قياس محض « استغضب ، فغضب » .

(٣) قوله : « أئمة الحرج » ، يعنى الذين يبتدئون السؤال عن أشياء ، تحرم على الناس من أجل سؤالهم ، فهم كالأئمة الذين تقلدوا الناس ، فألزموهم الحرج . و « الحرج » أضيق الضيق .

(٤) الأثر : ١٢٨٠٧ — « زكريا بن يحيى بن أبان المصرى » ، روى عنه أبو جعفر آنفاً رقم : ٥٩٧٣ ، وقال أخى السيد أحمد هناك : « لم أجد له ترجمة فيما بين يدى من الكتب » ، وصدق ، لم يرد اسمه مبيناً كما جاء هنا وهناك . ولكن قد روى عنه أبو جعفر فى مواضع من تاريخه ١ : ٣٩ قال : « حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المصرى قال ، حدثنا ابن عفير » ، ثم روى عنه

١٢٨٠٨ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ،حدثني أبي ،عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم »،وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذّن في الناس فقال : يا قوم ، كتب عليكم الحجّ ! فقام رجل من بني أسد فقال :

في المنتخب من كتاب «ذيل المذيل» (١٣ : ٣٩) : « حدثني زكرياء بن يحيى بن أبان المصري ، قال، حدثنا أبو صالح كاتب الليث» ، ثم في (١٣ : ٦٣) : « حدثني زكرياء بن يحيى بن أبان المصري قال ، حدثنا أحمد بن أشكاب » ثم في (١٣ : ١٠٩) : « حدثني زكرياء بن يحى قال ، حدثنا أحمد بن يونس » فالذين حدث عنهم كلهم مصريون .

وأخشى أن يكون هو « زكريا بن يحيى الوقار المصري » ، « أبو يحيى » مترجم في لسان الميزان ٢ : ٤٨٥ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٦٠١ ، وميزان الاعتدال ١ : ٣٥٠ ، روى عن عبد الله ابن وهب المصري فمن بعده ، وعن زكريا بن يحيى الأدم المصري ، والقاسم بن كثير المصري . وولد زكريا بن يحيى الوقار سنة ١٧٤ ، ومات سنة ٢٥٤ ، فهو مظنة أن يروي عنه أبو جعفر ، كان من الصلحاء العباد الفقهاء ، ولكن قال ابن عدى : « يضع الحديث ، كذبه صالح جزرة . قال صالح : حدثنا زكريا الوقار ، وكان من الكذابين الكبار » . وقال أيضاً : « رأيت مشايخ مصر يثنون على أبي يحيى في العبادة والاجتهاد والفضل ، وله حديث كثير ، بعضه مستقيم ، وبعضه موضوعات ، وكان هو يتهم بوضعها ، لأنه يروي عن قوم ثقات أحاديث موضوعة . والصالحون قد رموا بهذا : أن يرووا أحاديث موضوعة ، ويتهم جماعة منهم بوضعها» .

وأما « أبو زيد » : « عبد الرحمن بن أبي الغمر » ، المصري الفقيه من شيوخ البخاري روى عنه خارج الصحيح ، مضى برقم : ٤٣٢٩ . وفي المطبوعة : « بن أبي العمر » بالعين المهملة ، وهو خطأ .

و « أبو مطيع » : « معاوية بن يحيى الشامي الأطرابلسي » ، ثقة ، وقال ابن معين : « ليس بذاك القوي » ، وقال الدار قطني : « ضعيف » . مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/١/٣٣٦ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وابن أبي حاتم ٤/١/٣٨٤ ، ووثقه أبو زرعة .

و « صفوان بن عمرو بن هرم السكسكي » ، ثقة مضى برقم : ٧٠٠٩ .

و « سليم بن عامر الكلاعي ، الخبائري » ، ثقة روى عن أبي أمامة ، وغيره من الصحابة ، مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/٢/١٢٦ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٢١١ .

وهذا الخبر خرجه الهيثمي في مجمع الزوائد مختصراً ٣ : ٢٠٤ وقال : « رواه الطبراني في الكبير ، وإسناده حسن جيد» .

ونقله ابن كثير في تفسيره ٣ : ٢٥١ عن هذا الموضع من التفسير ، وقال : « في إسناده ضعف » ، وكأن علة ضعفه عنده ، هو« زكريا بن يحيى بن أبان المصري » ، وفي إسناده في ابن كثير خطأ ، كتب « عبد العزيز بن أبي الغمر » ، وهو خطأ محض .

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٣٥ ، وزاد نسبته لابن مردويه . ثم انظر ما ختم به أبو جعفر فصله هذا ص : ١١٢ ، أن مخرج هذا الأخبار صحاح عنده .

يا رسول الله ، أفي كل عام ؟ فأغْضبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً فقال : والذي نفس محمد بيده ، لو قلت « نعم » لوجبت ، ولو وجبت ما استطعتم ، وإذاً لكفرتم ، فاتركوني ما تركتكم ، فإذا أمرتكم بشيء فافعلوا ، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا عنه ! فأنزل الله تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم »، نهاهم أن يسألوا عن مثل الذي سألت النصارى من المائدة ، فأصبحوا بها كافرين . فنهى الله تعالى ذكره عن ذلك وقال : لا تسألوا عن أشياء إن نزل القرآن فيها بتغليظ ساءكم ذلك ، ولكن انتظروا ، فإذا نزل القرآن فإنكم لا تسألون عن شيء إلا وجدتم تبيانه .[1]

١٢٨٠٩ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح قال ، حدثنا على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم » ، قال : لما أنزلت آية الحج ، نادى النبيّ صلى الله عليه وسلم في الناس فقال : يا أيها الناس ، إن الله قد كتب عليكم الحج فحُجُّوا . فقالوا : يا رسول الله ، أعاماً واحداً أم كل عام ؟ ، فقال : لا ، بل عاماً واحداً ، ولو قلت « كل عام »، لوجبت ، ولو وجبت لكفرتم. ثم قال الله تعالى ذكره :[2] « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » ، قال : سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء ، فوعظهم فانتهوا .

١٢٨١٠ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » ، قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج ، فقيل :

---

(١) الأثر : ١٢٨٠٨ — قد بين أخي السيد أحمد في الخبر رقم : ٣٠٥ ، ضعف هذا هذا الإسناد الدائر في التفسير وقال : « هو إسناد مسلسل بالضعف من أسرة واحدة » ثم شرح الإسناد شرحاً مفصلا .

(٢) في المطبوعة أسقط « ثم » وهي لا غنى عنها في هذا الموضع وهي ثابتة في المخطوطة .

أواجب هو يا رسول الله كل عام ؟ قال : لا ، لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت ما أطقتم ، ولو لم تطيقوا لكفرتم . ثم قال : سلونى ، فلا يسألنى رجل فى مجلسى هذا عن شىء إلاّ أخبرته ، وإن سألنى عن أبيه ! فقام إليه رجل فقال : من أبى ؟ قال : أبوك حذافة بن قيس . فقام عمر فقال : يا رسول الله ، رضينا بالله ربًّا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًّا ، ونعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية من أجل أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البحيرة والسائبة والوَّصيلة والحامى .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٨١١ — حدثنى إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ، حدثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « لا تسألوا عن أشياء » ، قال : هى البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، ألا ترى أنه يقول بعد ذلك « ما جعل الله من كذا ولا كذا » ؟[1] = قال : وأما عكرمة فإنه قال : إنهم كانوا يسألونه عن الآيات ، فنهوا عن ذلك . ثم قال : « قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين » . قال : فقلت قد حدثنى مجاهد بخلاف هذا عن ابن عباس ، فما لك تقول هذا ؟ فقال : هَيْهَ .[2]

١٢٨١٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن ابن عون ،

---

(١) القائل هو « خصيف » .

(٢) قوله : « هيه » هنا بفتح الهاء وسكون الياء وفتح الهاء الآخرة . يقال ذلك للشىء ينحى ويطرد . وأما « هيه » (بكسر الهاء الأولى وكسر الآخرة أو فتحها) فهى مثل « إيه » ، تقال أمراً للرجل ، تستزيده من الحديث المعهود بينكما . وإشارة عكرمة بالطرد والتنحية ، لما كان بين مجاهد وعكرمة وانظر ما سلف من سوء رأى مجاهد فى عكرمة فى التعليق على رقم : ١٠٤٤٥ ، ١٠٤٦٩ .

عن عكرمة قال : هو الذي سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبي = وقال سعيد بن جبير : هم الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البحيرة والسائبة .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب فى ذلك، قولُ من قال : نزلت هذه الآية من أجل إكثار السائلين رسولَ الله صلى الله عليه وسلم المسائلَ، كمسألة ابن حذافة إياه مَن أبوه ، ومسألة سائله إذ قال : « إن الله فرض عليكم الحج » ، أفى كل عام ؟ وما أشبه ذلك من المسائل ، لتظاهر الأخبار بذلك عن الصحابة والتابعين وعامة أهل التأويل .

وأما القول الذى رواه مجاهد عن ابن عباس، فقولٌ غير بعيد من الصواب ، ولكن الأخبارُ المتظاهرة عن الصحابة والتابعين بخلافه ، وكرهنا القولَ به من أجل ذلك . على أنه غير مستنكر أن تكون المسألة عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام كانت فيما سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عنه من المسائل التى كره الله لهم السؤال عنها، كما كره الله لهم المسألة عن الحج : « أكل عام هو ، أم عاماً واحداً » ؟ وكما كره لعبد الله بن حذافة مسألته عن أبيه ، فنزلت الآية بالنهى عن المسائل كلِّها ، فأخبرَ كل مخبر منهم ببعض ما نزلت الآية من أجله ، وأجل غيره .[1]

٧/٥٥

وهذا القول أولى الأقوال فى ذلك عندى بالصحة ، لأن مخارج الأخبار بجميع المعانى التى ذُكرت صحاحٌ ، فتوجيهها إلى الصواب من وجوهها أولى .

* * *

(١) فى المطبوعة : « أو أجل غيره » ، استجلب « أو » مكان « واو » العطف ، فأفسد الكلام إفساداً .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (١٠١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للذين نهاهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما نهاهم عن مسألتهم إياه عنه ، من فرائض لم يفرضها الله عليهم ، وتحليل أمور لم يحلّلها لهم ، وتحريم أشياء لم يحرِّمها عليهم قبلَ نزول القرآن بذلك : أيها المؤمنون السائلون عما سألوا عنه رسولى مما لم أنزل به كتاباً ولا وحياً ، لا تسألوا عنه ، فإنكم إن أظهر ذلك لكم تبيانٌ بوحى وتنزيل ساءكم ، لأن التنزيل بذلك إذا جاءكم إنما يجيئكم بما فيه امتحانكم واختباركم ، إما بإيجاب عمل عليكم ولزوم فرض لكم ، وفى ذلك عليكم مشقة ولزوم مؤونة وكلفة = وإما بتحريم ما لو لم يأتكم بتحريمه وحى ، كنتم من التقدم عليه فى فُسْحة وسَعة = وإما بتحليل ما تعتقدون تحريمه ، وفى ذلك لكم مساءة لنقلكم عما كنتم ترونه حقًّا إلى ما كنتم ترونه باطلاً ، ولكنكم إن سألتم عنها بعد نزول القرآن بها ، وبعد ابتدائكم ببيان أمرها فى كتابى إلى رسولى إليكم ،[1] ليسِّر عليكم ما أنزلته إليه من بيان كتابى ، وتأويل تنزيلى ووحيى [2] .

وذلك نظير الخبر الذى روى عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى : —

١٢٨١٣ — حدثنا به هناد بن السرى قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن داود

---

(١) فى المطبوعة : « وبعد ابتدائكم شأن أمرها فى كتابى » ، وهو كلام بلا معنى ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، لأن فيها : « سان » غير منقوطة ، فقرأها خلطاً .

(٢) فى المطبوعة « بين لكم ما أنزلته إليه من إتيان كتابى » ، وهى أيضاً كلام بلا معنى ، وكان فى المخطوطة هكذا « لسس عليكم ما أنزلته إليه من اساى كتابى » ، وصواب قراءتها إن شاء الله هو ما أثبت .

ابن أبي هند ، عن مكحول ، عن أبي ثعلبة الخشني قال : إن الله تعالى ذكره فرَض فرائض فلا تضيّعوها، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها ، وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها .[1]

١٢٨١٤ — حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن أبي زائدة قال ، أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء قال : كان عبيد بن عمير يقول : إن الله تعالى أحلّ وحرّم ، فما أحلّ فاستحلّوه ، وما حرّم فاجتنبوه ، وترك من ذلك أشياء لم يحلها ولم يحرمها ، فذلك عفو من الله عفاه . ثم يتلو : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » .

١٢٨١٥ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا الضحاك قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، أخبرني عطاء ، عن عبيد بن عمير أنه كان يقول : إنّ الله حرّم وأحلّ ، ثم ذكر نحوه .

* * *

وأما قوله : « عفا الله عنها » ، فإنه يعني به : عفا الله لكم عن مسألتكم عن الأشياء التي سألتم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي كَرِه الله لكم مسألتكم إياه عنها أن يؤاخذكم بها ، أو يعاقبكم عليها ، إذ عرف منها توبتكم وإنابتكم[2] = « والله غفورٌ » ، يقول : والله ساتر ذنوب من تاب منها ، فتارك أن يفضحه في الآخرة = « حليم » [ذو أناة عن] أن يعاقبه بها ، لتغمده التائبَ منها برحمته ، وعفوه عن عقوبته عليها .[3]

* * *

(١) الأثر : ١٢٨١٣ — هذا الخبر ، رواه أبو جعفر موقوفاً على أبي ثعلبة الخشني ؛ وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٣٦ مرفوعاً ، ونسبه لابن المنذر ، والحاكم وصححه . وذكره ابن كثير في تفسيره ٣ : ٢٥٢ فقال : « وفي الحديث الصحيح أيضاً » ، ولم أستطع أن أجده في المستدرك ، أو غيره من الكتب الصحاح .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « إن عرف » ، والسياق يقتضي : « إذ » .

(٣) انظر تفسير « غفور » فيما سلف من فهارس اللغة — وتفسير « حليم » فيما سلف

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، روى الخبر عن ابن عباس الذى ذكرناه آنفاً ، وذلك ما :ـــ

١٢٨١٦ ـــ حدثنى به محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « لا تسألوا عن أشياء » ، يقول : لا تسألوا عن أشياء إن نُزِّل القرآن فيها بتغليظ ساءكم ذلك ، ولكن انتظروا ، فإذا نزل القرآن فإنكم لا تسألون عن شىء إلا وجدتم تبيانه .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَـٰفِرِينَ ﴾ ﴿١٠٢﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قد سأل الآيات قومٌ من قبلكم ، فلما آتاهموها الله أصبحوا بها جاحدين ، منكرين أن تكون دلالة على حقيقة ما احتُجَّ بها عليهم ، وبرهاناً على صحة ما جُعلت برهاناً على تصحيحه = كقوم صالح الذين سألوا الآيةَ ، فلما جاءتهم الناقة آيةً عقروها = وكالذين سألوا عيسى مائدة تنزل عليهم من السماء ، فلما أعطوها كفروا بها ، وما أشبه ذلك .

فحذَّر الله تعالى المؤمنين بنبيه صلى الله عليه وسلم أن يسلكوا سبيل من قبلهم من الأمم التى هلكت بكفرهم بآيات الله لما جاءتهم عند مسألتهموها ، فقال لهم : لا تسألوا الآيات ، ولا تبحثوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ، فقد سأل الآيات من قبلكم قومٌ ، فلما أوتوها أصبحوا بها كافرين ، كالذى :ـــ

٥٦/٧

---

٥ : ١١٧ ، ٧/٥٢١ : ٣٢٧ ، وزدت ما بين القوسين من تفسير أبى جعفر السالف ، فإن الكلام بغير ذلك أو شبهه غير مستقيم كل الاستقامة .

(١) الأثر : ١٢٨١٦ – هو بعض الأثر السالف رقم : ١٢٨٠٨ .

١٢٨١٧ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: «يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم»، نهاهم أن يسألوا عن مثل الذى سألت النصارى من المائدة، فأصبحوا بها كافرين، فنهى الله عن ذلك.(١)

١٢٨١٨ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى: «قد سألها قوم من قبلكم»، قد سأل الآيات قوم من قبلكم، وذلك حين قيل له: غيِّر لنا الصَّفا ذهباً!

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ما بحر الله بحيرة، ولا سيَّب سائبة، ولا وصل وصيلة، ولا حَمَى حامياً = ولكنكم الذين فعلتم ذلك، أيها الكفرة، فحرَّمتموه افتراء على ربكم، كالذى:—

١٢٨١٩ — حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال، حدثني أبي وشعيب بن الليث، عن الليث، عن ابن الهاد = وحدثني يونس قال، حدثنا عبد الله بن يوسف قال، حدثني الليث قال، حدثني ابن الهاد =، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجرُّ قُصْبَه فى النار، وكان أول من سيَّب السُّيَّب.(٢)

---

(١) الأثر: ١٢٨١٧ — هو بعض الأثر السالف رقم: ١٢٨٠٨.

(٢) الأثر: ١٢٨١٩ — رواه أبو جعفر بإسنادين: أولها «محمد بن عبد الله بن عبد الحكم

١٢٨٢٠ — حدثنا هناد بن السري قال ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا

ابن أعين المصري » ، ثقة مضى برقم : ٢٣٧٧ .

وأبوه : « عبد الله بن عبد الحكم بن أعين » ، الفقيه المصري ، ثقة ، مترجم في التهذيب ،
و « شعيب بن الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي المصري » ، ثقة ، مضى برقم : ٣٠٣٤ ، ٥٣١٤ ،

وأبوه « الليث بن سعد » ، الإمام الجليل القدر ، مضى برقم : ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٠٧٢ ، ٢٥٨٤ ، ٩٥٠٧ .

و « ابن الهاد » ، هو : « يزيد بن الهاد » ، منسوباً إلى جده ، وهو : « يزيد بن عبد الله ابن أسامة بن الهاد » ، ثقة ، مضى برقم : ٢٠٣١ ، ٣٠٣٤ ، ٤٣١٤ .

وأما الإسناد الثاني ، فتفسيره :

« يونس » هو « يونس بن عبد الأعلى الصدفي » ثقة مضى برقم : ١٦٧٩ ، ٣٥٠٣ ، وغيرها .

و « عبد الله بن يوسف التنيسي الكلاعي » ، ثقة من شيوخ البخاري . مترجم في التهذيب .

وخبر أبي هريرة هذا ، من طريق الليث بن سعد ، عن يزيد بن الهاد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، رواه أحمد في المسند رقم : ٨٧٧٣ ، وأشار إليه البخاري في صحيحه (الفتح ٨ : ٢١٤) . وقد رواه قبل من طريق صالح بن كيسان عن ابن شهاب ، عن سعيد ، ورواه أحمد قبل ذلك منقطعاً رقم : ٧٦٩٦ ، من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن أبي هريرة ، وقد استوفى أخي السيد أحمد في شرحه بيان ذلك . وأما مسلم فقد رواه في صحيحه ١٧ : ١٨٩ ، من طريق صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب ، عن سعيد .

وذكره ابن كثير في تفسير ٣ : ٢٥٣ ، وذكر رواية البخاري الآنفة : « قال الحاكم : أراد البخاري أن يزيد بن عبد الله بن الهاد ، رواه عن عبد الوهاب بن بخت ، عن الزهري ، هكذا حكاه شيخنا أبو الحجاج المزي في الأطراف ، وسكت ولم ينبه عليه = قال ابن كثير : وفيما قاله الحاكم نظر ، فإن الإمام أحمد ، وأبا جعفر بن جرير ، روياه من حديث الليث بن سعد ، عن ابن الهاد ، عن الزهري نفسه ، والله أعلم » . وتفسير كلام ابن كثير أن ابن الهاد قد ثبت سماعه من الزهري . ولم يبين هو ما أراد أبو الحجاج بما قال ولم يفسره . ولم يشر الحافظ ابن حجر في الفتح (٨ : ٢١٤) إلى شيء مما قاله المزي .

وأما « القصب » (بضم فسكون) : هي الأمعاء كلها . وأما قوله : « سيب السيب » ، فإن « سيب الدابة أو الناقة أو الشيء » : تركه يسيب حيث شاء ، أي يذهب حيث شاء . وأما « السيب » (بضم السين وتشديد الياء المفتوحة) ، فهو جمع « سائبة » ، على مثال « نائحة ونوح » ، و « نائم ونوم » ، كما سلف في تعليقي على الأثر رقم : ١٠٤٤٧ ، وشاهده رواه ابن هشام في سيرته ، هذا البيت (١ : ٩٣) :

حَوْلَ الوَصَائِلِ فِي شُرَيْفٍ حِقَّةٌ وَالحَامِيَاتُ ظُهُورُها وَالسُّيَّبُ

وتجمع « سائبة » أيضاً على « سوائب » ، وهو القياس . وقد جاء في إحدى روايتي صحيح مسلم (١٧ : ١٨٩) : « أول من سيب السيوب » (بضم السين والياء) وقال القاضي عياض في مشارق الأنوار : « أول من سيب السوائب ، وفي الرواية الأخرى : أول من سيب السيوب » ،

محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم بن الجون : يا أكثم ، رأيتُ عمرو بن لحُيّ بن قَمَعَة بن خِنْدِف يجرّ قُصْبه في النار ، فما رأيت رجلاً أشبه برجل منك به ، ولا به منك ! فقال أكثم : عسَى أن يضرّني شبهه ، يا رسول الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، إنك مؤمن وهو كافر ، إنه أوّل من غيَّر دين إسمعيل ، وبحر البحيرة ، وسيَّب السائبة ، وحمى الحامى .[1]

ولم يبين ذلك . وبيانه أن « السيوب » جمع « سيب » (بفتح فسكون) مصدر سميت به « السائبة » ، وقد جاء في حديث عبد الرحمن بن عوف في يوم الشورى : « وإن الحيلة بالنطق أبلغ من السيوب في الكلم » ، وفسروه تفسيرين ، الأول ما في لسان العرب : « السيوب : ما سيب وخلي ، فساب أي ذهب » ، والآخر ما قاله الزمخشري في الفائق : « السيوب ، مصدر : ساب في الكلام ، إذا هضب فيه وخاض بهذر » . فإذا صح ما قاله الزمخشري أن « السيوب » مصدر « ساب » ، كان قياساً جمع « سائب » و « سائبة » ، على « سيوب » ، فإن ما جاء مصدره على « فعول » ، كان جمع « فاعل » منه على « فعول » ، مثل « شاهد ، وشهود » ، و « قاعد ، وقعود » ، و « حاضر وحضور » ، وقد ذكرت ذلك في تعليق سالف ، وانظر شرح الشافية ٢ : ١٥٨ . فهذا تفسير ما أغفله القاضي عياض ، والنووي في شرح صحيح مسلم .

وكان في المطبوعة : « أول من سيب السائبة » ، غير ما في المخطوطة ، وهو اطراح سيء لأمانة العلم !! وكتبه محمود محمد شاكر .

(١) الأثر : ١٢٨٢٠ — « محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي » ، روى له أصحاب الكتب الستة ، تابعي ثقة كثير الحديث ، مضى برقم : ٤٢٤٩ .

و « أبو صالح » هو : « ذكوان السمان » ، تابعي ثقة . مضى مراراً .

وأما « محمد بن إسحق » ، صاحب السيرة ، فقد مضى توثيق أخي السيد أحمد له في رقم : ٢٢١ ، وفي غيره من كتبه .

وهذا الخبر ساقه ابن كثير في تفسيره ٣ : ٢٥٤ ، هو ورقم : ١٢٨٢٢ ، وفي البداية والنهاية ٢ : ١٨٩ ، ثم قال « وليس هذان الطريقان في الكتب من هذا الوجه » ، يعني الصحاح ، وإلا فإن هذا الخبر ثابت بإسناد محمد بن إسحق في سيرة ابن هشام ١ : ٧٨ ، ٧٩ . وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب ، بغير إسناد ص : ٥٥ ، وذكره ابن الأثير بإسناده ١ : ١٢٣ ، ١٢٤ ، وابن حجر في الإصابة (ترجمة : أكثم بن الجون) ، ونسبه لابن أبي عروبة ، وابن مندة من طريق ابن إسحق ، وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٣٨ ، فخلط في تخريجه تخليطاً شديداً ، فقال : « أخرج ابن أبي شيبة ، وابن جرير ، وابن مردويه ، والحاكم وصححه » ، وإنما ذلك رقم : ١٢٨٢٢ ، الآتي بعد . وسيأتي هذا الخبر مطولا من طريق أخرى رقم : ١٢٨٢٧ ، وهو إسناد أبي جعفر الثاني في رواية سيرة ابن إسحق .

١٢٨٢١ — حدثنا هناد قال، حدثنا يونس قال، حدثني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قد عرفت أوّلَ من بَحَرَ البحائر، رجلٌ من مُدْلج كانت له ناقتان، فجدّع آذانهما، وحرّم ألبانَهما وظهورَهما، وقال : هاتان لله! ثم احتاج إليهما، فشرب ألبانهما، وركب ظهورهما. قال : فلقد رأيته في النار يؤذي أهل النار ريح قُصْبه.[1]

١٢٨٢٢ — حدثنا هناد قال، حدثنا عَبْدة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عُرِضت عليّ النار، فرأيت فيها عمرو بن فلان بن فلان بن خندف يجرّ قصْبه في النار، وهو أوّل من غيَّر دين إبراهيم، وسيب السائبة، وأشبه من رأيت به أكثم بن الجون! فقال أكثم : يا رسول الله، أيضرني شبهه؟ قال : لا، لأنك مُسلم، وإنه كافر.[2]

وقوله : « عسى أن يضرني شبهه »، يعني : لعله يضرني شبهه، يتخوف أن يكون ذلك. وفي المطبوعة : « أخشى أن يضرني شبهه »، وهو مخالف للرواية، وإنما اختلط عليه خط ناسخ المخطوطة، إذ كتبها مختلطة : « تحتى »، كأنه أراد أن يكتب شيئاً، ثم عاد عليه حتى صار « عسى » منقوطة، وبمثل ما في المطبوعة، جاءني في الدر المنثور. وكثرة مثل ذلك دلتني على أن هذه النسخة المخطوطة، التي ننشرها هي التي وقعت في يد السيوطي، والصواب ما أثبته من السيرة، ومن نقل عنها.

وكان في المخطوطة أيضاً : « وحمى الحمى »، وهو خطأ محض، صوابه من مراجع هذا الخبر.

(١) الأثر : ١٢٨٢١ — « هشام بن سعد المدني »، « يتيم زيد بن أسلم »، كان من أوثق الناس عن زيد، وهو ثقة، وتكلم فيه بعضهم، مضى برقم : ٥٤٩٠. وهذا خبر مرسل.

وسيأتي من طريق معمر، عن زيد بن أسلم برقم : ١٢٨٢٤.

(٢) الأثر : ١٢٨٢٢ — « عبدة »، هو « عبدة بن سليمان الكلابي »، ثقة، مضى قريباً برقم : ١٢٧٢٩. وكان في المطبوعة والمخطوطة : « عبيدة »، وهو خطأ، صوابه في تفسير ابن كثير.

و « محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي »، و « أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف »، مضيا أيضاً في مثل هذا الإسناد رقم : ١٢٧٢٩. وهذا إسناد رجاله ثقات.

وهذا الخبر رواه الحاكم في المستدرك ٤ : ٦٠٥، من طريق أبي حاتم الرازي، عن محمد ابن عبد الله الأنصاري، عن محمد بن عمرو، وفيه « فرأيت فيها عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف »، مصرحاً، ثم قال : « وهذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه »، ووافقه الذهبي.

١٢٨٢٣ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال : رأيت عمرو بن عامر الخزاعيّ يجرّ قُصْبه فى النار ، وهو أوّل من سيّب السوائب .[1]

١٢٨٢٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن زيد بن أسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لأعرف أوّل من سيب السوائب، وأوّل من غيَّر عهد إبراهيم ! قالوا : من هو ، يا رسول الله ؟ قال : عمرو بن لُحَيّ أخو بنى كعب، لقد رأيته يجرّ قُصْبه فى النار ، يؤذى ريحه أهل النار . وإنى لأعرف أوّل من بحر البحائر ! قالوا : من هو ، يا رسول الله ؟ قال : رجل من بنى مدلج ، كانت له ناقتان ، فجدع آذانهما ، وحرّم ألبانهما ، ثم شرب ألبانهما بعدَ ذلك ، فلقد رأيته فى النار هو ، وهما يعضّانه بأفواههما ، ويخبطانه بأخفافهما .[2]

* * *

وقد مر بك أن ابن كثير قال فى تفسيره ٣ : ٢٥٤، والبداية والنهاية ٢ : ١٨٩، أنه ليس فى الكتب ، يعنى الصحاح ، ولم يزد .

وأما الحافظ ابن حجر، فخرجه فى الإصابة (ترجمة أكثم بن الجون) ، من طريق أحمد بن حنبل ، عن محمد بن بشر العبدى ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، بمثله ، ثم أشار إلى طريق الحاكم فى المستدرك . ولكن أعيانى أن أجد خبر أحمد فى المسند .

وأما الإمام الحافظ أبو محمد بن حزم ، فقد رواه فى كتاب جمهرة الأنساب ص : ٢٢٣ من طريق على بن عمر الدارقطنى ، عن الحسين بن إسماعيل القاضى المحاملى ، عن سعيد بن يحيى الأموى ، عن أبيه ، عن محمد بن عمرو . ثم قال أبو محمد بعد سياقه أحاديث البخارى ومسلم ، وهذا الحديث ، وهى أربعة هذا ثالثها : « أما الحديث الأول والثالث والرابع ، ففى غاية الصحة والثبات »، فحكم لهذا الخبر بالصحة .

وفى المطبوعة هنا : « عمرو بن فلان بن فلان بن فلان بن خندف »، « فلان » ثلاث مرات ، وهو مخالف لما فى المخطوطة ، وخطأ بعد ذلك ، فإن ما بين « عمرو » و « خندف » اثنان لا ثلاثة . وهكذا فى المخطوطة والمطبوعة : « لا ، لأنك مسلم » ، ولولا اتفاقهما لرجحت أن تكون : « لا ، إنك مسلم » ، كما فى رواية غيره .

(١) الأثر : ١٢٨٢٣ — هذا خبر مرسل كما ترى ، لم يرفعه عبد الرزاق .

(٢) الأثر : ١٢٨٢٤ — هذا أيضاً خبر مرسل ، وهو طريق أخرى للخبر السالف رقم : ١٢٨٢١ . وقد ذكره الحافظ ابن حجر فى الفتح (٨ : ٢١٤ ، ٢١٥) ثم قال : « والأول أصح » ، يعنى ذكر هذا الرجل من بنى مدلج ، أنه أول من بحر البحائر ، وأن الصواب ما جاء فى الأخبار الصحاح قبل ، أنه عمرو بن لحى .

و « البحيرة » « الفعيلة » من قول القائل : « بَحَرْتُ أُذن هذه الناقة » ، إذا شقها ، « أبحرُها بحراً » ، والناقة « مبحورة » ، ثم تصرف « المفعولة » إلى « فعيلة » ، فيقال : « هي بحيرة » . وأما « البَحِرُ » من الإبل فهو الذى قد أصابه داءٌ من كثرة شرب الماء ، يقال منه : « بَحِرَ البعيرُ يبحر بَحَراً » ، [1] ومنه قول الشاعر : [2]

لَأَعْلِطَنَّــهُ وَسْمًا لا يُفَارِقُهُ كَمَا يُحَزُّ بِحَمْىِ المِيسَمِ البَحِرُ [3]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى معنى « البحيرة » ، جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٢٨٢٥ — حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ، أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسمعيل بن أبى خالد ، عن أبى إسحق ، عن أبى الأحوص ، عن أبيه قال : دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم [4] : أرأيت

٥٧/٧

و « بنو مدلج » هم بنو مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن اليأس ابن مضر بن نزار بن معد ، ليسوا من قريش . وكانت فيهم القيافة والعيافة ، منهم « مجزز المدلجى » الذى سر النبى صلى الله عليه وسلم بقيافته (جمهرة الأنساب : ١٧٦ ، ١٧٧) .

(١) هذه على وزن « فرح يفرح فرحاً » .

(٢) أعيانى أن أجد قائله .

(٣) سيأتى فى التفسير ٢٩ : ١٩ (بولاق) ، لسان العرب (بحر) . « علط البعير يعلطه علطاً » ، وسمه بالعلاط . و « العلاط » (بكسر العين) : سمة فى عرض عنق البعير ، فإذا كان فى طول العنق ، فهو « السطاع » ، (بكسر السين) . هذا تفسير اللغة أنه فى العنق ، وأما أبو جعفر الطبرى فقد قال فى تفسيره (٢٩ : ١٩) . « والعرب تقول : والله لأسمنك وسماً لا يفارقك ، يريدون الأنف » ثم ذكر البيت وقال : « والنجر » : داء يأخذ الإبل فتكوى على أنوفها . وذكر هناك بالنون والجيم ، كما أثبته ، وله وجه سيأتى ، إلا أنى أخشى أن يكون الصواب هناك ، كما هو هنا بالباء والحاء ، وقوله : « بحمى الميسم » . يقال : « حمى المسمار حمياً ، وحموا » : سخن فى النار ، و « أحميت المسمار فى النار إحماء » . و « الميسم » المكواة التى يوسم بها الدواب . وأما « البحر » فقد فسره أبو جعفر ، ولكن الأزهرى قال : « الداء الذى يصيب البعير فلا يروى من الماء ، هو النجر ، بالنون والجيم ، والبجر ، بالباء والجيم ، وأما البحر : فهو داء يورث السل » .

وهذا البيت فى هجاء رجل وإيعاده بالشر شراً يبقى أثره .

وكان فى المطبوعة : « لأعلطنك » بالكاف فى آخره ، والصواب من المخطوطة ، ومما سيأتى فى المطبوعة من التفسير (٢٩ : ١٩) ، ومن لسان العرب .

(٤) فى المطبوعة ، أسقط « له » ، وهى ثابتة فى المخطوطة : وهى صواب .

إبلك، ألست تَنتِجُها مسلَّمةً آذانُها، فتأخذ الموسى فتجدَعها، تقول: «هذه بحيرة»، وتشقون آذانها، تقولون: «هذه صَرْم»؟ قال: نعم! قال: فإن ساعدَ الله أشدّ، وموسى الله أحدّ! كلّ مالك لك حلالٌ، لا يحرَّم عليك منه شيء. (١)

١٢٨٢٦ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن أبي إسحق قال، سمعت أبا الأحوص، عن أبيه قال: أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هل تُنتَجُ إبل قومك صحاحاً آذانُها، فتعمد إلى الموسى فتقطع آذانها فتقول: «هذه بُحُرٌ»، وتشقها أو تشق جلودها فتقول: «هذه صُرُمٌ»، فتحرّمها عليك وعلى أهلك؟ قال: نعم! قال: فإن ما آتاك الله لك حِلٌّ، وساعد الله أشدّ، وموسى الله أحدّ = وربما قال: ساعدُ الله أشد من ساعدك، وموسى الله أحدّ من موساك. (٢)

* * *

(١) الأثر: ١٢٨٢٥ — هذا الخبر، رواه أبو جعفر بإسنادين، هذا والذي يليه.
«عبد الحميد بن بيان القناد»، شيخ أبي جعفر، مضى مراراً.
و«محمد بن يزيد الكلاعي»، الواسطي، وثقه أحمد، وهو من شيوخه، مضى برقم: ١١٤٠٨.
و«إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي»، ثقة مضى برقم: ٥٦٩٤، ٥٧٧٧.
و«أبو إسحق»، هو السبيعي الإمام. مضى مراراً.
و«أبو الأحوص» هو: «عوف بن مالك بن نضلة الجشمي»، تابعي ثقة، مضى برقم: ٦١٧٢.
وأبوه: «مالك بن نضلة بن خديج الجشمي»، ويقال: «مالك بن عوف بن نضلة»، وبهذا ترجمه ابن سعد في الطبقات ٦: ١٧. وأما في التاريخ الكبير للبخاري ٤/١/٣٠٣، فإني رأيت فيه: «مالك بن يقظة الخزاعي، والدأبي الأحوص، له صحبة». و«أبو الأحوص» المشهور، هو «عوف بن مالك بن نضلة»، فظني أن الذي في التاريخ خطأ، فإني لم أجد هذا الاسم في الصحابة، فيكون فيه خطأ في «يقظة»، وهو «نضلة»، وفي «الخزاعي»، وهو: «الجشمي»، والله أعلم.
وهذا الخبر جاء في المخطوطة كما أثبته، وفي المطبوعة: «وتشق آذانها وتقول» بالإفراد، فأثبت ما في المخطوطة.
وقوله: «مسلمة آذانها»، أي: سليمة صحاحاً. وسأشرح ألفاظه في آخر الخبر الآتي، وما كان من الخطأ في المطبوعة والمخطوطة في «صرم»، بعد تخريجه هناك.
(٢) الأثر: ١٢٨٢٦ — هذا الخبر، مكرر الذي قبله.

وأما «السائبة» ، فإنها المسيَّبة المخلاَّة . وكانت الجاهلية يفعل ذلك أحدهم ببعض مواشيه ، فيحرِّم الانتفاع به على نفسه ، كما كان بعض أهل الإسلام يعتق عبدَه سائبةً ، فلا ينتفع به ولا بولائه .(١)

رواه من طريق شعبة ، عن أبي إسحق ، مطولا ، أبو داود الطيالسي في مسنده : ١٨٤ ، رقم : ١٣٠٣ .

ورواه أحمد في المسند عن طريق محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن أبي إسحق = ثم من طريق عفان ، عن شعبة ، في المسند ٣ : ٤٧٣ .

ورواه البيهقي في السنن الكبرى ١٠ : ١٠ ، من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أبي إسحق .

وخرجه ابن كثير في تفسيره من رواية ابن أبي حاتم ٣ : ٢٥٦ ، مطولا ، ولم ينسبه إلى غيره .

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٣٧ ، مطولا جداً ، ونسبه إلى أحمد ، وعبد بن حميد ، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الأسماء والصفات . أما لفظه عند السيوطي فلا أدري لفظ من يكون ، فإنه ليس لفظ من ذكرت آنفاً تخريج الخبر من كتبهم .

ثم رواه أحمد في المسند ٤ : ١٣٦ ، ١٣٧ من طريق سفيان بن عيينة ، عن أبي الزعراء عمرو ابن عمرو ، عن عمه أبي الأحوص ، عن أبيه ، بلفظ آخر مختلف كل الاختلاف .

وهذا شرح غريب هذين الخبرين . « نتج الناقة ينتجها نتجاً » (على وزن : ضرب) : إذا تولى نتاجها ، أي ولادها . وأما قوله في الخبر الثاني : « هل تنتج إبل قومك » ، فهو بالبناء للمجهول . يقال : « نتجت الناقة تنتج » (بالبناء للمجهول) : إذا ولدت .

و « جدع الأنف والأذن والشفة » : إذا قطع بعض ذلك . وأما قوله : « هذه صرم » ، فقد كتبت في المخطوطة والمطبوعة في الخبرين « حرم » بالحاء ، وكذلك وقع في تفسير ابن كثير ، والصواب من المراجع التي ذكرتها ، ومن بيان كتب اللغة في تفسير هذا الخبر .

وتقرأ « صرم » في الخبر الأول بفتح فسكون ، و « الصرم » القطع ، سماها المصرومة بالمصدر ، كما يدل على صواب ذلك من قراءته ، ما جاء في شرح اللفظ في لسان العرب مادة (صرب) . وأما في الخبر الثاني فإن قوله : « هذه بحر » (بضم الباء والحاء) جمع « بحيرة » ، وقوله : « هذه صرم » (بضم الصاد والراء) جمع « صريمة » ، وهي التي قطعت أذنها وصرمت . وهذا صريح ما قاله صاحب اللسان في مادتي « صرم » و « صرب » ، والزمخشري في الفائق « صرب » . وروى أحمد في المسند ٤ : ١٣٦ ، ١٣٧ : « صرماء » ، ولم تشر إليها كتب اللغة . وأما الزمخشري وصاحب اللسان فقد رويا : « وتقول : صربى » (على وزن سكرى) . وقال في تفسيرها : كانوا إذا جدعوا البحيرة أعفوها من الحلب إلا الضيف ، فيجتمع اللبن في ضرعها ، من قولهم : « صرب اللبن في الضرع » : إذا حقنه لا يحلبه . ورويا أنه يقال إن الباء مبدلة من الميم ، كقولهم « ضربة لازم ، ولازب » ، وأنه أصح التفسيرين .

(١) انظر تفسير « السائبة » فيما سلف ٣ : ٣٨٦ ، تعليق : ١ .

وأخرجت «المسيَّبة» بلفظ «السائبة»، كما قيل : «عيشة راضية»، بمعنى : مرضية .

* * *

وأما «الوصيلة»، فإن الأنثى من نَعَمهم في الجاهلية كانت إذا أتأمت بطناً بذكر وأنثى ، قيل : «قد وصلت الأنثى أخاها»، بدفعها عنه الذبح ، فسمَّوها «وَصيلة» .

* * *

وأما «الحامى»، فإنه الفحل من النعم يُحْمَى ظهره من الركوب والانتفاع ، بسبب تتابُعِ أولادٍ تحدُثُ من فِحلْته .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى صفات المسميات بهذه الأسماء ، وما السبب الذى من أجله كانت تفعل ذلك .

* ذكر الرواية بما قيل فى ذلك :

١٢٨٢٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة بن الفضل ، عن ابن إسحق ، [١] عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمىّ : أن أبا صالح السمان حدّثه : أنه سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم بن الجون الخزاعىّ : يا أكثم ، رأيت عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف يجرّ قُصْبه فى النار ، فما رأيت من رجل أشبه برجل منك به ، ولا به منك ! [٢] فقال أكثم : أيضرّنى شبهه يا نبيّ الله ؟ قال : لا ، إنك مؤمن وهو كافر ، [٣] وإنه كان أوّل من غيَّر دين إسمعيل ، ونصب الأوثان ، وسيَّب السائبَ فيهم . [٤]

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : «عن أبى إسحق»، وهو خطأ محض ، كما ترى فى تخريجه .

(٢) مضى فى الأثر : ١٢٨٢٠ ، «فما رأيت رجلا»، وهذه رواية أخرى .

(٣) فى المطبوعة : «لا ، لأنك مسلم»، غيرها ، وهى فى المخطوطة ، وابن هشام كما أثبتها .

(٤) فى المطبوعة : «سيب السوائب فيهم»، وأثبت ما فى المخطوطة ، وإن كان الناسخ

= وذلك أن الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس فيهن ذكر ، [١] سُيِّبت فلم يركب ظهرها ، ولم يجزّ وبرها ، ولم يشرَب لبنها إلا ضيف . فما نتجت بعد ذلك من أنثى شُقّ أذنها ، ثم خلَّى سبيلها مع أمها فى الإبل ، فلم يركب ظهرها ، ولم يجزّ وبرها ، ولم يشرب لبنها إلاّ ضيف كما فعل بأمها ، فهى « البحيرة » ابنة « السائبة » .

و « الوصيلة » ، أن الشاة إذا نَتَجت عشر إناث متتابعات فى خمسة أبطن ليس فيهن ذكر ، جعلت « وصيلة » ، قالوا : « وصلت » ، فكان ما وَلدت بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم ، [٢] إلا أن يموت منها شىء فيشتركون فى أكله ، ذكورُهم وإناثهم .

و « الحامى » أنّ الفحل إذا نُتِج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكرٌ ، حمى ظهره ولم يركب ، ولم يجزّ وبره ، ويخلَّى فى إبله يضرب فيها ، لا ينتفع به بغير ذلك . يقول الله تعالى ذكره : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام » إلى قوله : « ولا يهتدون » . [٣]

كتب « السائب فيهم » ، وصوابه من سيرة ابن هشام .

وهذا الشطر من الخبر ، هو حديث أبى هريرة ، وقد مضى آنفاً برقم : ١٢٨٢٠ ، ومضى تخريجه هناك . أما الشطر الثانى الذى وضعته فى أول السطر ، فإنه من كلام ابن إسحق نفسه ، كما سترى فى التخريج .

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « إذا تابعت ثنتى عشرة إناثاً ، ليس فيها ذكر » ، إلا أن فى المخطوطة : « ليس فيهم » ، وهما خطأ محض ، وصواب هذه العبارة ، هو ما أثبته من سيرة ابن هشام وغيرها ، إلا أننى جعلت « فيهن » مكان « بينهن » فى سيرة ابن هشام ، لما سيأتى بعد فى الخبر « فيهن » ، مكان « بينهن » فيما يقابلها من سيرة ابن هشام .

(٢) فى المطبوعة : « لذكورهم دون إناثهم » ، وفى المخطوطة : « للذكور بينهم » ، غير منقوطة ، والصواب من سيرة ابن هشام .

(٣) الأثر : ١٢٨٢٧ — صدر هذا الخبر ، إلى قوله : « سيب السائب فيهم » ، هو حديث أبى هريرة السالف رقم : ١٢٨٢٠ ، وهو فى سيرة ابن هشام ١ : ٧٨ ، ٧٩ ، وقد خرجته هناك .

١٢٨٢٨ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق فى هذه الآية: «ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام» = قال : أبو جعفر : سقط علىّ فيما أظنّ كلام منه = قال : فأتيت علقمة فسألته، فقال : ما تريد إلى شىء كان يَصنعه أهل الجاهلية.[1]

١٢٨٢٩ — حدثني يحيى بن إبراهيم المسعوديّ قال، حدثنا أبى، عن أبيه، عن جدّه، عن الأعمش، عن مسلم قال : أتيت علقمة، فسألته عن قول الله تعالى : «ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام»، فقال : وما تصنع بهذا؟ إنما هذا شىء من فعل الجاهلية! قال : فأتيت مسروقاً فسألته، فقال : «البحيرة»، كانت الناقة إذا ولدت بطناً خمساً أو سبعاً شقوا أذنها، وقالوا : «هذه بحيرة» = قال : «ولا سائبة»، قال : كان الرجل يأخذ بعضَ ماله فيقول : «هذه سائبة» = قال : «ولا وصيلة»، قال : كانوا إذا ولدت الناقة الذكر أكله الذكور دون الإناث، وإذا ولدت ذكراً وأنثى فى بطن قالوا : «وصلت أخاها»، فلا يأكلونهما. قال : فإذا مات الذكر أكله الذكور دون الإناث = قال : «ولا حام»، قال : كان البعير إذا وَلَد وولد ولده، قالوا : «قد قضى هذا الذى عليه»، فلم ينتفعوا بظهره، قالوا : «هذا حمًى».[2]

٥٨/٧

وأما الشطر الثانى إلى آخر الخبر، فهو من كلام ابن إسحق، وهو فى سيرة ابن هشام ١ : ٩١، ٩٢.

(١) فى المطبوعة : «كانت تصنعه»، والصواب من المخطوطة.

(٢) الأثر : ١٢٨٢٩ — «يحيى بن إبراهيم المسعودى» شيخ الطبرى، هو : «يحيى ابن إبراهيم بن محمد بن أبى عبيدة المسعودى»، مضى برقم : ٨٤، ٥٣٧٩، ٨٨١١، ٩٧٤٤.

وأبوه : «إبراهيم بن محمد بن أبى عبيدة المسعودى»، مضى برقم : ٨٤، ٥٣٧٩، ٨٨١١، ٩٧٤٤.

وأبوه «محمد بن أبى عبيدة المسعودى»، مضى فى ذلك أيضاً.

١٢٨٣٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن عبيد، عن الأعمش، عن مسلم بن صبيح قال: سألت علقمة عن قوله: «ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة»، قال: ما تصنع بهذا؟ هذا شيء كان يفعله أهل الجاهلية.

١٢٨٣١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان، ويحيى بن آدم، عن إسرائيل، عن أبي إسحق، عن أبي الأحوص: «ما جعل الله من بحيرة»، قال: البحيرة التي قد ولدت خمسة أبطن ثم تركت.

١٢٨٣٢ — حدثنا ابن حميد قال: حدثنا جرير بن عبد الحميد، عن مغيرة، عن الشعبي: «ما جعل الله من بحيرة»، قال: البحيرة، المخضرمة [1] = «ولا سائبة»، والسائبة ماسُيِّب للعِدَى [2] = و «الوصيلة»، إذا ولدت بعد أربعة أبطن = فيما يرى جرير = ثم ولدت الخامس ذكراً وأنثى، وصلتْ أخاها = و «الحام»، الذى قد ضرب أولادُ أولاده فى الإبل.

١٢٨٣٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير، عن مغيرة، عن الشعبي، بنحوه = إلا أنه قال: و «الوصيلة» التي ولدت بعد أربعة أبطن ذكراً وأنثى، قالوا: «وصلت أخاها»، وسائر الحديث مثل حديث ابن حميد.

وجده «أبو عبيدة بن معن المسعودى»، مضى أيضاً.

وكان فى المطبوعة هنا: «هذا حام»، وأثبت ما فى المخطوطة.

(١) «المخضرمة» من النوق والشاء، المقطوعة نصف الأذن، أو طرف الأذن، أو المقطوعة إحدى الأذنين، وهى سمة الجاهلية. وفى الحديث: «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر على ناقة مخضرمة».

(٢) «العدى» (بكسر العين ودال مفتوحة): الغرباء، يعنى الأضياف كما جاء فى سائر الأخبار. هكذا هى فى المخطوطة «العدى»، أما المطبوعة ففيها: «الهدى»، وهو تحريف وخطأ محض. ولو كان فى كتابة الناسخ خطأ، فأقرب ذلك أن تكون «المعترى». يقال: «عراه يعروه، واعتراه» إذا غشيه طالباً معروفه. ويقال: «فلان تعروه الأضياف وتعتريه»، أى تغشاه، وبذلك فسروا قول النابغة:

أَتَيْتُكَ عَارِيًا خَلَقًا ثِيَابِى ... عَلَى خَوْفٍ تُظَنُّ بِىَ الظُّنُونُ

أى: ضيفاً طالباً لرفدك.

١٢٨٣٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا إسحق الأرزق، عن زكريا، عن الشعبي : أنه سئل عن « البحيرة » ، فقال : هي التي تجدع آذانها . وسئل عن « السائبة » ، فقال : كانوا يهدون لآلهتهم الإبل والغنم فيتركونها عند آلهتهم ، فتذهب فتختلطُ بغنم الناس ، [1] فلا يشرب ألبانها إلاّ الرجال ، فإذا مات منها شيء أكله الرجال والنساء جميعاً .

١٢٨٣٥ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره : « ما جعل الله من بحيرة » وما معها : « البحيرة » ، من الإبل يحرّم أهل الجاهلية وَبرها وظهرها ولحمها ولبنها إلاّ على الرجال ، فما ولدت من ذكر وأنثى فهو على هيئتها ، وإن ماتت اشترك الرجال والنساء في أكل لحمها . فإذا ضَرَبَ الجمل من ولد البحيرة ، [2] فهو « الحامي » . و « الحامي » ، اسمٌ . [3] « والسائبة » من الغنم على نحو ذلك ، إلاّ أنها ما ولدت من ولد بينها وبين ستة أولاد ، كان على هيئتها . فإذا ولدت في السابع ذكراً أو أنثى أو ذكرين ، ذبحوه ، فأكله رجالهم دون نسائهم . وإن توأمت أنثى وذكراً فهي « وصيلة » ، [4] لترك ذبح الذكر بالأنثى . [5] وإن كانتا أنثيين تركتا .

١٢٨٣٦ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ،

---

(١) في المطبوعة : « . . . عند آلهتهم لتذبح ، فتخلط بغنم الناس » ، غير ما في المخطوطة فأفسد الكلام إفساداً . وقوله : « فتذهب فتختلط » ، ذكرت في ٧ : ٤٥٧ ، تعليق : ٦ ، أن العرب تجعل « ذهب » من ألفاظ الاستعانة التي تدخل على الكلام طلباً لتصوير حركة أو بيان فعل ، مثل قولهم : « قعد فلان لا يمر به أحد إلا سبه » ، لا يراد بهما معنى « الذهاب » و « القعود » ، ومثلهما كثير في كلامهم . ثم انظر هذا ص : ٢٥٠ ، ٢٥١ ، تعليق : ١ .

(٢) « ضرب » ، من « الضراب » (بكسر الضاد) ، وهو سفاد الجمل الناقة ونزوه عليها .

(٣) في المطبوعة ، حذف قوله : « والحامي اسم » ، لظنه أنه زيادة لا معنى لها . ولكنه أراد أن « الحامي » اسم لهذا الجمل من ولد البحيرة ، وليس باسم فاعل .

(٤) قوله : « توأمت » ، هكذا جاء في المطبوعة والمخطوطة ، ولم أجدهم قالوا في ذلك المعنى إلا : « أتأمت المرأة ، وكل حامل » : إذا ولدت اثنين في بطن واحد . فهذا حرف لا أدري ما أقول فيه إلا أنه هكذا جاء هنا .

(٥) في المطبوعة والمخطوطة : « ترك » بغير لام ، والذي أثبته أشبه عندي بالصواب .

حدثني أبي عن أبيه، عن ابن عباس : « ما جعل الله من بحيرة »، فالبحيرة، الناقة، كان الرجل إذا ولدت خمسة أبطن فيعمد إلى الخامسة ما لم تكن سَقْباً، [1] فيبتك آذانها، ولا يجزّ لها وبراً، ولا يذوق لها لبناً، فتلك « البحيرة » = « ولا سائبة »، كان الرجل يسيِّب من ماله ما شاء = « ولا وصيلة »، فهي الشاة إذا ولدت سبعاً، عمد إلى السابع، فإن كان ذكراً ذبح، وإن كان أنثى تركت، وإن كان في بطنها اثنان ذكر وأنثى فولدتهما، قالوا : « وصلت أخاها »، فيتركان جميعاً لا يذبحان. فتلك « الوصيلة » = وقوله : « ولا حام »، كان الرجل يكون له الفحل، فإذا لقح عشراً قيل : « حام، فاتركوه ».

١٢٨٣٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنا معاوية ابن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة »، ليسيِّبوها لأصنامهم = « ولا وصيلة »، يقول : الشاة = « ولا حام » يقول : الفحلُ من الإبل.

١٢٨٣٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام »، تشديدٌ شدّده الشيطانُ على أهل الجاهلية في أموالهم، وتغليظ عليهم، فكانت « البحيرة » من الإبل، [2] إذا نتج الرجلُ خمساً من إبله، نظر البطن الخامس، فإن كانت سقباً ذبح فأكله الرجال دون النساء، وإن كان ميتة اشترك فيه ذكرُهم وأنثاهم، وإن كانت حائلاً = وهي الأنثى = تركت، فبتكت أذنها، فلم يجزّ لها وَبرٌ، ولم يشرب لها لبن، ولم يركب لها ظهرٌ، ولم يذكر لله عليها اسم.

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « فما لم يكن سقباً »، وصواب ذلك ما أثبت. و « السقب »، الذكر من ولد الناقة. قال الأصمعي : إذا وضعت الناقة ولدها، فولدها ساعة تضعه « سليل »، قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى. فإذا علم، فإن كان ذكراً فهو « سقب ».

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « مثل الإبل »، وهو خطأ لا شك فيه.

وكانت « السائبة » ، يسيبون ما بدا لهم من أموالهم ، فلا تُمنع من حوض أن تشرع فيه ، [1] ولا من حمىً أن ترتع فيه = وكانت « الوصيلة » من الشاء، من البطن السابع ، إذا كان جدياً ذبح فأكله الرجال دون النساء . وإن كانت ميتة اشترك فيه ذكرهم وأنثاهم. وإن جاءت بذكر وأنثى قيل : « وصلت أخاها فمنعته الذبح » = و« الحام » ، كان الفحل إذا ركب من بنى بنيه عشرة ، أو ولد ولده ، قيل : « حام حمى ظهره » ، فلم يزَمّ ولم يخطم ولم يركب .

١٢٨٣٩ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال حدثنا أسباط ،عن السدى : « ما جعل الله من بحيرة ولاسائبة ولا وصيلة ولا حام » ، فالبحيرة من الإبل ، كانت الناقة إذا أنتجت خمسة أبطن ، إن كان الخامس سقباً ذبحوه فأهدوه إلى آلهتهم ،وكانت أمه من عُرْض الإبل . وإن كانت رُبَعة استحيوها ، [2] وشقوا أذن أمِّها، وجزّوا وبرها ، وخلوها فى البطحاء فلم تجزْ لهم فى دية ، ولم يحلبوا لها لبناً، ولم يجزّوا لها وبراً، ولم يحملوا على ظهرها، وهى من الأنعام التى حرمت ظهورها = وأما « السائبة » ، فهو الرجل يسيِّب من ماله ما شاء على وجه الشكر إن كثر ماله أو برأ من وَجع ، أو ركب ناقة فأنجح ، فإنه يسمى « السائبة » ، [3] يرسلها فلا يعرض لها أحدٌ من العرب إلا أصابته عقوبة فى الدنيا = وأما « الوصيلة » ، فمن الغنم ، هى الشاة إذا ولدت ثلاثة أبطن أو خمسة ، فكان آخر ذلك جدياً، ذبحوه وأهدوه لبيت الآلهة ، وإن كانت عناقاً استحيوها ، [4] وإن كانت جدياً وعناقاً استحيوا الجدى من أجل العَنَاق ، فإنها وصيلة وصلت

٧/٥٩

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فلا تمتنع » ، والصواب ما أثبت .

(٢) « الربع » (بضم الراء وفتح الباء) : الفصيل الذى ينتج فى الربيع ، وهو أول النتاج ، والأنثى « ربعة » .

(٣) هكذا فى المخطوطة والمطبوعة : « يسمى السائبة » ، وأرجح أن الصواب : « يسيب السائبة » ،

(٤) « العناق » (بفتح العين) : الأنثى من ولد المعز .

أخاها = وأما « الحام »، فالفحل يضرب في الإبل عشرَ سنين= ويقال : إذا ضرب ولد ولده = قيل : « قد حمى ظهره »، فيتركونه لا يمسُّ ولا ينحرُ أبداً ، ولا يمنع من كلأ يريده ، وهو من الأنعام التي حُرِّمت ظهورها .

١٢٨٤٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن ابن المسيب في قوله : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام »، قال: « البحيرة » من الإبل، التي يمنح درّها للطواغيت[1] = و « السائبة » من الإبل ، كانوا يسيِّبونها لطواغيتهم = و « الوصيلة » ، من الإبل ، كانت الناقة تبتكر بأنثى ، ثم تثنى بأنثى ،[2] فيسمونها « الوصيلة » ، يقولون : « وصلت أنثيين ليس بينهما ذكر » ، فكانوا يجدعونها لطواغيتهم = أو : يذبحونها ، الشك من أبي جعفر = و « الحام » ، الفحل من الإبل ، كان يضربُ الضرابَ المعدودة .[3] فإذا بلغ ذلك قالوا: « هذا حام، قد حمى ظهره »، فترك ، فسموه « الحام » = قال معمر قال قتادة ، إذا ضرب عشرة .

١٢٨٤١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : « البحيرة » من الإبل ، كانت الناقة إذا نُتِجت خمسة أبطن ، فإن كانت الخامسة ذكراً ،[4] كان للرجال دون النساء ، وإن كانت أنثى ، بتكوا آذانها ثم أرسلوها ، فلم ينحروا لها ولداً ، ولم يشربوا لها لبناً ، ولم يركبوا لها ظهراً = وأما « السائبة » فإنهم كانوا يسيِّبون بعض إبلهم ، فلا تُمنع حوضاً أن تشرع فيه ، ولا مرعًى أن ترتع فيه = « والوصيلة » ، الشاة كانت إذا

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « يمنع » بالعين ، وصوابه بالحاء .

(٢) في المطبوعة : « تبكر » ، والصواب من المخطوطة . ويقال : « ابتكرت الحامل » ، إذا ولدت بكرها ، و « أثنت » في الثاني ، و « ثلثت » في الثالث .

(٣) في المطبوعة : « المعدود » بغير تاء في آخره ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب .

(٤) في المطبوعة : « فإن كان الخامس » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب .

ولدت سبعة أبطن ، فإن كان السابع ذكراً ، ذبح وأكله الرجال دون النساء ، وإن كانت أنثى تركت .

١٢٨٤٢ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ الفضل ابن خالد قال ، حدثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام »، أما « البحيرة » فكانت الناقة إذا نَتَجُوها خمسة أبطن نحروا الخامس إن كان سقباً ، وإن كان رُبَعة شقُّوا أُذنها واستحيوها ، وهي « بحيرة » ، وأما السَّقب فلا يأكل نساؤهم منه ، وهو خالص لرجالهم ، فإن ماتت الناقة أو نَتَجوها ميْتاً ، فرجالهم ونساؤهم فيه سواءٌ، يأكلون منه = وأما « السائبة »، فكان يسيِّب الرجل من ماله من الأنعام، فيُهْمَل في الحمى، فلا ينتفع بظهره ولا بولده ولا بلبنه ولا بشعره ولا بصوفه = وأما « الوصيلة » ، فكانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن ذبحُوا السابع إذا كان جدياً، وإن كان عناقاً استحيوه، وإن كان جدياً وعناقاً استحيوهما كليهما ، وقالوا : « إن الجدي وصلته أخته فحرَّمته علينا » = وأما « الحامي»، فالفحل إذا ركبوا أولاد ولده قالوا: « قد حمى هذا ظهره ، وأحرزه أولاد ولده »، [1] فلا يركبونه ، ولا يمنعونه من حِمى شجر ، ولا حوض مَّا شرع فيه، وإن لم يكن الحوض لصاحبه . وكانت من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها في شيء من شأنهم : لا إن ركبوا ، ولا إن حملوا ، ولا إن حلبوا ، ولا إن نتجوا ، ولا إن باعوا . ففي ذلك أنزل الله تعالى ذكره: « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة » ، إلى قوله : « وأكثرهم لا يعقلون » .

١٢٨٤٣ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام »، قال: هذا شيء كان يعمل به أهل الجاهلية ، [2] وقد ذهب . قال : « البحيرة » ، كان الرجل

(١) في المطبوعة : « وأحرز أولاد ولده » ، صوابه من المخطوطة . « أحرزه » : صانه وحفظه ووقاه .

(٢) في المطبوعة : «كانت تعمل به» ، وأثبت ما في المخطوطة .

يجدع أذنى ناقته ، ثم يعتقها كما يعتق جاريته وغلامه ، لا تحلب ولا تركب = و« السائبة » ، يسيبها بغير تجديع = و« الحام » إذا نتج له سبع إناث متواليات ، قد حمى ظهره، ولا يركب ، ولا يعمل عليه = و« الوصيلة »، من الغنم إذا ولدت سبع إناث متواليات ، حمت لحمها أن يؤكل . ٦٠/٧

١٢٨٤٤ — حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنا عبد الله ابن يوسف قال ، حدثنا الليث بن سعد قال ، حدثنى ابن الهاد ، عن ابن شهاب قال ، قال سعيد بن المسيب : « السائبة » التى كانت تسيَّب فلا يحمل عليها شيء = و« البحيرة » ، التى يمنح دَرُّها للطواغيت فلا يحلبها أحد[1] = و« الوصيلة »، الناقة البكر تبتكر أوّل نتاج الإبل بأنثى ،[2] ثم تثنى بعد بأنثى ، وكانوا يسمُّونها للطواغيت ، يدعونها « الوصيلة » ، أنْ وصلت أخواتها إحداهما بالأخرى[3] = « والحامى » ، فحل الإبل ، يضرب العَشْر من الإبل . فإذا نفضَ ضرابه[4] يدعونه للطواغيت ، وأعفوه من الحمل فلم يحملوا عليه شيئاً ، وسموه « الحامى » .

* * *

قال أبو جعفر : وهذه أمور كانت فى الجاهلية فأبطلها الإسلام ، فلا نعرف قوماً يعملون بها اليوم .

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « يمنع درها » ، والصواب ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة هنا « تبكر » ، وانظر ما سلف ص : ١٣١ تعليق : ٢ .

(٣) حذف فى المطبوعة : « أخواتها » ، ولا ضرورة لحذفها ، فالكلام مستقيم .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « نقص ضرابه » ، وهو لا معنى له ، والصواب : « نفض » بالنون والفاء والضاد . يقال : « نفضت الإبل وأنفضت » : نتجت كلها . قال ذو الرمة :

كِلاَ كَفْأَتَيْهَا تُنْفِضَانِ ، وَلَمْ يَجِدْ لَهَا ثِيلَ سَقْبٍ فِى النِّتَاجَيْنِ لاَمِسُ

يعنى : أن كل واحد من الكفأتين (يعنى النتاجين) تلق ما فى بطنها من أجنتها ، فتوجد إناثاً ليس فيها ذكر . وقوله : « نفض ضرابه » ، لم تذكر كتب اللغة هذه العبارة ، ولكن هذا هو تفسيرها : أن تلك النوق التى ضربها إناثاً متتابعات ليس بينهن ذكر ، كما سلف فى الآثار التى رواها أبو جعفر .

فإذ كان ذلك كذلك = وكانَ ما كانت الجاهلية تعمل به لا يوصل إلى علمه [(١)] = إذ لم يكن له فى الإسلام اليوم أثر ، ولا فى الشرك ، نعرفه = إلا بخبر ، [(٢)] وكانت الأخبار عما كانوا يفعلون من ذلك مختلفة الاختلافَ الذى ذكرنا ، فالصواب من القول فى ذلك أن يقال : أما معانى هذه الأسماء فما بيّنّا فى ابتداء القول فى تأويل هذه الآية ، وأما كيفية عمل القوم فى ذلك ، فما لا علم لنا به . وقد وردت الأخبار بوصف عملهم ذلك على ما قد حكينا ، وغير ضائر الجهلُ بذلك إذا كان المرادُ من علمه المحتاجُ إليه ، موصولاً إلى حقيقته ، [(٣)] وهو أن القوم كانوا يحرّمون من أنعامهم على أنفسهم ما لم يحرمه الله ، [(٤)] اتباعاً منهم خطوات الشيطان ، فوبّخهم الله تعالى ذكره بذلك ، وأخبرهم أن كل ذلك حلال . فالحرام من كل شيء عندنا ما حرَّم الله تعالى ذكره ورسوله صلى الله عليه وسلم بنصٍّ أو دليل ، والحلال منه ما حلّله الله ورسوله كذلك . [(٥)]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (١٠٣)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بـ « الذين كفروا » فى هذا الموضع ، والمراد بقوله : « وأكثرهم لا يعقلون » .

فقال بعضهم : المعنىّ بـ « الذين كفروا » اليهود ، وبـ « الذين لا يعقلون » ، أهل الأوثان .

---

(١) كان فى المطبوعة : « لا توصل إلى عمله » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة .

(٢) السياق : « لا يوصل إلى علمه . . . إلا بخبر » .

(٣) فى المطبوعة : « موصلا إلى حقيقته » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب المعنى .

(٤) فى المطبوعة : « كانوا محرمين من أنعامهم » ، والجيد من المخطوطة .

(٥) فى المطبوعة : « ما أحله الله » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

• ذكر من قال ذلك :

١٢٨٤٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة، عن سفيان، عن داود ابن أبي هند ، عن محمد بن أبي موسى : « ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب» ، قال : أهل الكتاب = « وأكثرهم لا يعقلون »، قال: أهل الأوثان .[1]

* * *

وقال آخرون : بل هم أهل ملّة واحدة ، ولكن « المفترين » ، المتبوعون و« الذين لا يعقلون » ، الأتباع .

• ذكر من قال ذلك :

١٢٨٤٦ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا خارجة ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي في قوله : « ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون »، هم الأتباع= وأما « الذين افتروا » ، فعقلوا أنهم افتروا .[2]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال : إن المعنيين بقوله : « ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب » ، الذين بحروا البحائر ، وسيّبوا السوائب ، ووصلوا الوصائل، وحموا الحوامي، مثل عمرو بن لحي وأشكاله ممن سنّ لأهل الشرك السنن الرديئة، وغيّر دين الله دين الحق ،[3] وأضافوا إلى الله تعالى ذكره : أنه هو الذي حرّم ما حرّموا ، وأحلّ ما أحلوا ، افتراءً على الله الكذب وهم يعلمون، واختلاقاً عليه الإفك وهم يفهمون ،[4] فكذبهم الله تعالى ذكره في

---

(١) الأثر : ١٢٨٤٥ — « محمد بن أبي موسى » ، مضى برقم : ١٠٥٥٦ .

(٢) في المطبوعة : « يعقلون أنهم افتروا » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) في المطبوعة : « ممن سنوا لأهل الشرك ، . . . وغيروا » بالجمع ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب محض ، لا يرده أنه قال بعده « وأضافوا » بالجمع .

(٤) في المطبوعة : « وهم يسمهون » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو الصواب .

قيلهم ذلك، وإضافتهم إليه ما أضافوا من تحليل ما أحلوا وتحريم ما حرموا، فقال تعالى ذكره: ما جعلت من بحيرة ولا سائبة ، ولكن الكفار هم الذين يفعلون ذلك، ويفترون على الله الكذب .

=[1] وأن يقال، إن المعنيين بقوله : « وأكثرهم لا يعقلون » ، هم أتباع من سنّ لهم هذه السنن من جهلة المشركين ، فهم لا شك أنهم أكثر من الذين سنوا ذلك لهم ، فوصفهم الله تعالى بأنهم لا يعقلون ، لأنهم لم يكونوا يعقلون أن الذين سنوا لهم تلك السنن وأخبروهم أنها من عند الله ، كذبةٌ في أخبارهم ، أفكَةٌ ، بل ظنوا أنهم فيما يقولون محقّون ، وفي أخبارهم صادقون. وإنما معنى الكلام: وأكثرهم لا يعقلون أن ذلك التحريم الذي حرّمه هؤلاء المشركون وأضافوه إلى الله تعالى ذكره كذب وباطل.[2]

٦١/٧ وهذا القول الذي قلنا في ذلك ، نظير قول الشعبي الذي ذكرنا قبلُ.[3] ولا معنى لقول من قال : « عنى بالذين كفروا أهل الكتاب » ، وذلك أن النكير في ابتداء الآية من الله تعالى ذكره على مشركي العرب ، فالختم بهم أولى من غيرهم ، إذ لم يكن عرض في الكلام ما يُصرف من أجله عنهم إلى غيرهم .

* * *

وبنحو ذلك كان يقول قتادة :

١٢٨٤٧ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وأكثرهم لا يعقلون » ، يقول : تحريمُ الشيطان الذي حرّم عليهم ،[4] إنما كان من الشيطان ، ولا يعقلون .

* * *

(١) قوله : « وأن يقال » ، معطوف على قوله في أول الفقرة : « وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال . . . » .

(٢) انظر تفسير « افترى » فيما سلف ٦ : ٢٩٢ / ٨ : ٤٥١ .

(٣) في المطبوعة ، أسقط « قبل » ، لسوء كتابتها في المخطوطة .

(٤) في المطبوعة : « يقول : لا يعقلون تحريم الشيطان الذي يحرم عليهم » ، زاد وغير ، فأفسد الجملة إفساداً ، وهو يظن أنه يصلحها .

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (١٠٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء الذين يبحرون البحائر ويسيّبون السوائب؟ الذين لا يعقلون أنهم بإضافتهم تحريم ذلك إلى الله تعالى ذكره يفترون على الله الكذب : تعالوا إلى تنزيل الله وآي كتابه وإلى رسوله ، ليتبين لكم كذبُ قيلكم فيما تضيفونه إلى الله تعالى ذكره من تحريمكم ما تحرِّمون من هذه الأشياء [١] = أجابوا من دعاهم إلى ذلك بأن يقولوا: حسبنا ماوجدنا عليه من قبلنا آباءَنا يعملون به ، ويقولون : « نحن لهم تبع وهم لنا أئمة وقادة ، قد اكتفينا بما أخذنا عنهم ، ورضينا بما كانوا عليه من تحريم وتحليل » . [٢] قال الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أوَ لو كان آباءنا هؤلاء القائلين هذه المقالة لا يعلمون شيئاً ؟ يقول : لم يكونوا يعلمون أنّ ما يضيفونه إلى الله تعالى ذكره من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، كذبٌ وفريةٌ على الله، لا حقيقة لذلك ولا صحة ، لأنهم كانوا أتباع المفترين الذين ابتدأوا تحريم ذلك ، افتراءً على الله بقيلهم ما كانوا يقولون من إضافتهم إلى الله تعالى ذكره ما يضيفون = ولا كانوا فيما هم به عاملون من ذلك على استقامة وصواب ، [٣] بل كانوا على ضلالة وخطأ .

* * *

(١) انظر تفسير « تعالوا » فيما سلف ٦ : ٤٧٤ ، ٤٨٣ ، ٨/٤٨٥ : ٥١٣ .

(٢) انظر تفسير « حسب » فيما سلف ٤ : ٧/٢٤٤ : ٤٠٥ .

(٣) في المطبوعة : « ما كانوا فيما هم به عاملون » ، وفي المخطوطة : « كانوا » بغير « ما » ، والسياق يقتضي ما أثبت ، لأنه معطوف على قوله آنفاً : « يقول : لم يكونوا يعلمون . . . »

القول فى تأويل قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم فأصلحوها ، واعملوا فى خلاصها من عقاب الله تعالى ذكره ، وانظروا لها فيما يقرِّبها من ربها ، فإنه « لا يضركم من ضَلّ » ، يقول : لا يضركم من كفر وسلك غير سبيل الحق ، إذا أنتم اهتديتم وآمنتم بربكم ، وأطعمتوه فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه ، فحرمتم حرامه وحللتم حلاله .

* * *

ونصب قوله : « أنفسكم » بالإغراء ، والعرب تغرى من الصفات بـ « عليك » و « عندك » ، و « دونك » ، و « إليك » .[١]

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم معناه : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم » ، إذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يُقبل منكم .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٨٤٨ — حدثنا سوَّار بن عبد الله قال ، حدثنا أبى قال ، حدثنا أبو الأشهب ، عن الحسن : أن هذه الآية قرئت على ابن مسعود : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضَلّ إذا اهتديتم » ، فقال ابن مسعود : ليس هذا بزمانها ، قولوها ما قُبلت منكم ، فإذا رُدّت عليكم فعليكم أنفسكم » .[٢]

---

(١) « الصفات » حروف الجر ، والظروف ، كما هو بين من سياقها . وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

(٢) الأثر : ١٢٨٤٨ — « سوار بن عبد الله بن سوار العنبرى » ، القاضى ، شيخ الطبرى . ثقة ، مترجم فى التهذيب .

١٢٨٤٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة، عن أبي الأشهب ، عن الحسن قال: ذكر عند ابن مسعود[1] : « يا أيها الذين آمنوا » ، ثم ذكر نحوه .

١٢٨٥٠ — حدثنا يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن يونس ، عن الحسن قال : قال رجل لابن مسعود : ألم يقل الله : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضَلّ إذا اهتديتم » ؟ قال: ليس هذا بزمانها ، قولوها ما قُبلت منكم ، فإذا رُدَّت عليكم فعليكم أنفسكم .[2]

١٢٨٥١ — حدثنا الحسن بن عرفة قال، حدثنا شبابة بن سوّار قال ، حدثنا الربيع بن صبيح ، عن سفيان بن عقال قال : قيل لابن عمر : لو جلست في هذه الأيام فلم تأمر ولم تنه ، فإن الله تعالى ذكره يقول: « عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » ؟ فقال ابن عمر : إنها ليست لي ولا لأصحابي، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « ألا فليبلّغ الشاهد الغائبَ » ، فكنّا نحن الشهودَ وأنتم الغَيَبَ ،[3] ولكن هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا ، إن قالوا لم يقبل منهم .[4]

وأبوه : « عبد الله بن سوار العنبرى » القاضى ، ثقة . مترجم فى التهذيب .

و « أبو الأشهب » هو : « جعفر بن حيان السعدى العطاردى » ، ثقة ، روى له الستة ، مضى برقم : ١١٤٠٨ .

وسيأتى تخريج الأثر فى التعليق على رقم : ١٢٨٥٠ .

(١) فى المطبوعة : « ذكر ابن مسعود » ، بإسقاط « عند » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٢٨٤٨ — ١٢٨٥٠ — خبر الحسن ، عن ابن مسعود ، خرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ١٩ ، وقال : « رواه الطبرانى ، ورجاله رجال الصحيح ، إلا أن الحسن البصرى لم يسمع من ابن مسعود » .

(٣) « الغيب » (بفتح الغين والياء) جمع « غائب » ، مثل « خادم » و « خدم » .

(٤) الأثر : ١٢٨٥١ — « الحسن بن عرفة العبدى البغدادى » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ٩٣٧٣ .

و « شبابة بن سوار الفزارى » ، مضى برقم : ٣٧ ، ٦٧٠١ ، ١٠٠٥١ .

و « الربيع بن صبيح السعدى » ، مضى برقم : ٦٤٠٣ ، ٦٤٠٤ ، ١٠٥٣٣ .

و « سفيان بن عقال » ، مترجم فى الكبير ٢/٢/٩٤ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٢١٩ ، وكلاهما قال : « روى عن ابن عمر ، روى عنه الربيع » ، ولم يزيدا .

وخرجه فى الدر المنثور ٢ : ٣٤٠ ، وزاد نسبته لابن مردويه .

١٢٨٥٢ — حدثنا أحمد بن المقدام قال، حدثنا المعتمر بن سليمان قال ، سمعت أبي قال ، حدثنا قتادة ، عن أبي مازن قال : انطلقت على عهد عثمان إلى المدينة ، فإذا قومٌ من المسلمين جلوس ، فقرأ أحدهم هذه الآية : « عليكم أنفسكم » ، فقال أكثرهم : لم يجئْ تأويل هذه الآية اليوم .[1]

١٢٨٥٣ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عمرو بن عاصم قال ، حدثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن قتادة ، عن أبي مازن ، بنحوه .[1]

٦٢/٧

١٢٨٥٤ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر وأبو عاصم قالا ، حدثنا عوف ، عن سوّار بن شبيب قال : كنت عند ابن عمر ، إذ أتاه رجل جليدٌ في العين ،شديد اللسان، فقال: يا أبا عبد الرحمن، نحن ستة كلهم قد قرأ القرآن فأسرع فيه ،[2] وكلهم مجتهد لا يألو ، وكلهم بغيضٌ إليه أن يأتي دناءةً ،[3]وهم في ذلك يشهد بعضهم على بعض بالشرك ! فقال رجل من القوم : وأيَّ دناءة تريد ، أكثرَ من أن يشهد بعضهم على بعض بالشرك ![4] قال : فقال الرجل : إني لستُ إيّاك أسأل ، أنا أسأل الشيخ ! فأعاد على عبد الله

---

(١) الأثر : ١٢٨٥٢ ، ١٢٨٥٣ — « أبو مازن الأزدي الحداني » ، كان من صلحاء الأزد ، قدم المدينة في زمن عثمان رضي الله عنه . روى قتادة ، عن صاحب له ، عنه . هكذا قال ابن أبي حاتم ٤/٢/٤٤ . ولم يرد في هذين الإسنادين ذكر « الرجل » الذي روى عنه قتادة ، كما قال أبو حاتم . وسيأتي في الإسناد رقم : ١٢٨٥٦ « عن قتادة ، عن رجل قال : كنت في خلافة عثمان بالمدينة » ، فهذا « الرجل » هو « أبو مازن » ، ولا شك . ثم يأتي في رقم : ١٢٨٥٧ « عن قتادة ، حدثنا أبو مازن ، رجل من صالحي الأزد ، من بني الحدان » ، فصرح قتادة في هذا الخبر بالتحديث عنه ، ليس بينهما « رجل » كما قال أبو حاتم . فأخشى أن يكون في كلام أبي حاتم خطأ .

وهذا الخبر خرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٤٠ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وأبي الشيخ .

(٢) في المطبوعة : « قد قرأوا » بالجمع ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو الصواب .

(٣) في ابن كثير ٣ : ٢٥٩ ، رواه عن هذا الموضع من التفسير ، وزاد فيه هنا : « . . . أن يأتي دناءة ، إلا الخير » ، وليست في مخطوطتنا .

(٤) في المطبوعة : « وأي دناءة تزيد » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

الخبيث ، فقال عبد الله بن عمر : لعلك ترى لا أبالك ، أنى سآمرك أن تذهب أن تقتلهم ! [(١)] عظهم وانههم ، فإن عصوك فعليك بنفسك ، فإن الله تعالى يقول: « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون » . [(٢)]

١٢٨٥٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن : أن ابن مسعود سأله رجل عن قوله : « عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » ، قال : إن هذا ليس بزمانها ، إنها اليوم مقبولة ، [(٣)] ولكنه قد أوشك أن يأتي زمانٌ تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا = أو قال : فلا يقبل منكم = فحينئذ : « عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ » . [(٤)]

١٢٨٥٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة ، عن رجل قال : كنت في خلافة عثمان بالمدينة ، في حلقة فيهم أصحابُ النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا فيهم شيخ يُسْنِدون إليه ، [(٥)] فقرأ رجل : «عليكم

---

(١) في المطبوعة ، وابن كثير : « فتقتلهم » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب قديم .

(٢) الأثر : ١٢٨٥٤ — « سوار بن شبيب السعدي الأعرجي » ، و « بنو الأعرج » ، حي من بني سعد . و « الأعرج » هو « الحارث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم » ، قطعت رجله يوم « تياس » ، فسمي « الأعرج » . وهو ثقة ، كوفي ، روى عن ابن عمر ، روى عنه عوف ، وعكرمة بن عمار . مترجم في الكبير ١٦٨/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ٢٧٠/١/٢ .

وهذا الخبر نقله ابن كثير في تفسيره ٣ : ٢٥٩ ، وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٤١ ، واقتصر على نسبته إلى ابن مردويه .

(٣) قوله : « إنها اليوم مقبولة » ، يعني : كلمة الحق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(٤) الأثر : ١٢٨٥٥ — انظر التعليق على الآثار : ١٢٨٤٨ — ١٢٨٥٠ .

وكان في المطبوعة هنا : « . . . من ضل إذا اهتديتم » ، بالزيادة ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٥) قوله : « يسندون إليه » أي : ينتهون إلى علمه ومعرفته وفقهه ، ويلجأون إليه في فهم ما يشكل عليهم . ويقال: « أسندت إليه أمري » ، أي : وكلته إليه ، واعتمدت عليه . وقال الفرزدق :

أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » ، فقال الشيخ : إنما تأويلها آخرَ الزمان .

١٢٨٥٧ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال ، حدثنا أبو مازن ، رجل من صالحى الأزد من بنى الحُدّان ، [1] قال : انطلقت فى حياة عثمان إلى المدينة ، فقعدت إلى حلقة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،[2] فقرأ رجل من القوم هذه الآية : « لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » ، قال فقالَ رجلٌ من أسنّ القوم : دَعْ هذه الآية ، فإنما تأويلها فى آخر الزمان .[3]

١٢٨٥٨ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا ابن فضالة ، عن معاوية بن صالح ، عن جبير بن نفير قال : كنت فى حلقة فيها أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنى لأصغر القوم ، فتذاكروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فقلت أنا : أليس الله يقول فى كتابه: « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » ؟ فأقبلوا علىّ بلسان واحد وقالوا: أتنتزع آية من القرآن لا تعرفها ،[4] ولا تدرى ما تأويلها !! حتى تمنيت أنى لم أكن تكلمت . ثم أقبلوا يتحدثون، فلما حضر قيامهم قالوا : « إنك غلام

إِلَى الأَبْرَشِ الكَلْبِيِّ أَسْنَدْتُ حَاجَةً تَوَاكَلَهَا حَيَّا تَمِيمٍ وَوَائِلِ

وهذا كله مما ينبغى تقييده فى كتب اللغة ، فهو فيها غير بين .

(١) فى المطبوعة : « بنى الجدان » بالجيم ، وهو خطأ .

(٢) فى المطبوعة : « فيها أصحاب رسول الله » ، وفى المخطوطة : « فيها من أصحاب رسول الله » ، فضرب بالقلم على « فيها » فأثبتها على الصواب .

(٣) الأثران : ١٢٨٥٦ ، ١٢٨٥٧ — انظر التعليق على الأثرين السالفين رقم : ١٢٨٥٢ ، ١٢٨٥٣ .

(٤) فى المطبوعة : « تنزع بآية من القرآن » ، غير ما فى المخطوطة ، وما غيره صواب . ولكن يقال : « انتزع معنى جيداً ، ونزعه » ، أى : استخرجه واستنبطه ويقال : « انتزع بالآية والشعر » ، أى : تمثل به .

حدَثُ السن ، وإنك نزعت بآية لا تدرى ما هى ، وعسى أن تدرك ذلك الزمان، إذا رأيت شحًّا مطاعاً ، وهوًى متبعاً ، وإعجابَ كل ذى رأى برأيه ، فعليك بنفسك ، لا يضرك من ضل إذا اهتديت .[1]

١٢٨٥٩ — حدثنا هناد قال ، حدثنا ليث بن هرون قال ، حدثنا إسحق الرازى ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، عن عبد الله بن مسعود فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون » ، قال : كانوا عند عبد الله بن مسعود جُلوساً ، فكان بين رجلين ما يكون بين الناس، حتى قام كل واحد منهما إلى صاحبه ، فقال رجل من جلساء عبد الله : ألا أقوم فآمرُهما بالمعروف وأنهاهما عن المنكر ؟ فقال آخر إلى جنبه : عليك بنفسك ، فإن الله تعالى يقول : « عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » ! قال : فسمعها ابن مسعود فقال: مَهْ ،[2] لَمَّا يجىء تأويل هذه بعد![3] إن القرآن أنزل حيث أنزل ، ومنه آيٌ قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ، ومنه ما وقع تأويلهن

---

(١) الأثر : ١٢٨٥٨ — « ابن فضالة » هو : « مبارك بن فضالة بن أبى أمية » ، أبو فضالة البصرى . وفى تفسير ابن كثير : « حدثنا أبو فضالة » ، ومضى برقم : ١٥٤ ، ٥٩٧ ، ٦١١ ، ١٩٠١ .

و « معاوية بن صالح بن حدير الحضرمى » ، أحد الأعلام ، مضى مراراً منها : ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٠٧٢ ، ٨٤٧٢ ، ١١٢٥٥ ، ولم تذكر لمعاوية بن صالح ، رواية عن جبير بن نفير ، بل روى عن ابنه عبد الرحمن بن جبير .

و « جبير بن نفير » إسلامى جاهلى ، مضى برقم : ٦٦٥٦ ، ٧٠٠٩ .

وهذا الخبر منقطع الإسناد ، ونقله ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٢٦٠ ، والسيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٣٤٠ ، ولم ينسبه لغير ابن جرير .

(٢) « مه » ، هكذا فى المطبوعة ، وابن كثير ، والدر المنثور و « مه » كلمة زجر بمعنى : كف عن هذا . وفى المخطوطة مكانها : « مهل » ، وأخشى أن تكون خطأ من الناسخ ، ولو كتب « مهلا » ، لكان صواباً ، يقال : « مهلا يا فلان » أى : رفقاً وسكوناً ، لا تعجل .

(٣) فى المطبوعة : « لم يجئ » ، ومثلها فى ابن كثير والدر المنثور ، وأثبت ما فى المخطوطة.

على عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ومنه آيٌ وَقع تأويلهن بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم بيسير ،[1] ومنه آى يقع تأويلهن بعد اليوم ، ومنه آى يقع تأويلهنّ عند الساعة على ما ذكر من الساعة ،[2]ومنه آى يقع تأويلهن يوم الحساب على ما ذكر من الحساب والجنة والنار ، [3] فما دامت قلوبكم واحدة ، وأهواؤكم واحدة، لم تُلبَسوا شيعاً ، ولم يَذُق بعضكم بأس بعض ، فأمروا وانهوا . فإذا اختلفت القلوب والأهواء، وأُلبستم شيعاً ، وذاق بعضكم بأس بعض ، فامرؤ ونفسه ، فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية .[4]

٦٣/٧

١٢٨٦٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن أبي جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن ابن مسعود : أنه كان بين رجلين بعض ما يكون بين الناس ، حتى قام كل واحد منهما إلى صاحبه ، ثم ذكر نحوه .[5]

١٢٨٦١ — حدثني أحمد بن المقدام قال ، حدثنا حرمى. . . . . . قال : سمعت الحسن يقول : تأوّل بعضُ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » ، فقال بعض

---

(١) فى المطبوعة : « آى قد وقع » بالزيادة ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « على ما ذكر من أمر الساعة » ، بزيادة « أمر » ، وفى المخطوطة أسقط الناسخ « على » ، وإثباتها هو الصواب .

(٣) فى المطبوعة : « من أمر الحساب » بالزيادة ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) الأثر : ١٢٨٥٩ — « ليث بن هرون » ، لم أجد له ترجمة ولا ذكراً .

و « إسحق الرازى » ، هو : « إسحق بن سليمان الرازى » ، مضى برقم : ٦٤٥٦ ، ١٠٢٣٨ ، ١١٢٤٠ . وانظر الإسناد الآتى رقم : ١٢٨٦٦ .

وهذا الخبر نقله ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، والسيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، ونعيم بن حماد فى الفتن ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الشعب .

وسيأتى بإسناد آخر فى الذى يليه .

(٥) الأثر : ١٢٨٦٠ — انظر الأثر السالف .

أصحابه : دعوا هذه الآية ، فليست لكم .[١]

١٢٨٦٢ — حدثني إسمعيل بن إسرائيل اللآل الرّملى قال ، حدثنا أيوب ابن سويد قال ، حدثنا عتبة بن أبى حكيم ، عن عمرو بن جارية اللخمى ، عن أبى أمية الشعبانى قال : سألت أبا ثعلبة الخشنى عن هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم » ، فقال : لقد سألت عنها خبيراً ، سألتُ عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أبا ثعلبة ، ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، فإذا رأيتُ دنيا مؤثَرة ، وشحًّا مطاعاً ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك نفسك ! إنّ من بعدكم أيام الصبر ، [٢] للمتمسك يومئذ بمثل الذى أنتم عليه كأجر خمسين عاملاً ! قالوا : يا رسول الله ، كأجر خمسين عاملاً منهم ؟ قال : لا ، كأجر خمسين عاملاً منكم .[٣]

---

(١) الأثر : ١٢٨٦١ — هذا إسناد ناقص لاشك فى ذلك .

« أحمد بن المقدام بن سليمان العجل » ، أبو الأشعث . روى عنه البخارى والترمذى والنسائى ، وغيرهم . صالح الحديث . ولد فى نحو سنة ١٥٦ ، وتوفى سنة ٢٥٣ .

و « حرمى بن عمارة بن أبى حفصة العتكى » ، مضى برقم : ٨٥١٣ . ومات سنة ٢٠١ ، ومحال أن يكون أدرك الحسن وسمع منه . فإن « الحسن البصرى » مات فى نحو سنة ١١٠ فالإسناد مختل ، ولذلك وضعت بينه وبين الحسن نقطاً ، دلالة على نقص الإسناد .

(٢) فى المطبوعة : « أرى من بعدكم » ، والصواب من المخطوطة . وفى المخطوطة : « المتمسك » بغير لام الجر ، وكأن الصواب ما فى المطبوعة .

(٣) الأثر : ١٢٨٦٢ — سيأتى بإسناد آخر فى الذى يليه .

« إسماعيل بن إسرائيل اللآل الرملى » ، مضى برقم : ١٠٢٣٦ ، ١٢٢١٣ ، وذكرنا هناك أنه فى ابن أبى حاتم « السلال » ، ومضى هناك : ١٠٢٣٦ « الدلال » ، وجاء هنا « اللآل » ، صانع اللؤلؤ وبائعه . ولا نجد ما يرجح واحدة من الثلاث .

و « أيوب بن سويد الرملى » ، ثقة متكلم فيه . مضى برقم : ١٢٢١٣ .

و « عتبة بن أبى حكيم الشعبانى الهمدانى ، ثم الأردنى » ، ثقة ، ضعفه ابن معين . مضى برقم : ١٢٢١٣ .

و « عمرو بن جارية اللخمى » ، ثقة ، مترجم فى التهذيب . وكان فى المطبوعة « عمرو بن خالد » وهو خطأ محض . وفى المخطوطة كتب « خالد » ثم جعلها « جارية » ، وهو الصواب .

و « أبو أمية الشعبانى » اسمه « يحمد » (بضم الياء وكسر الميم) وقيل : اسمه « عبد الله بن أخامر » . ثقة . مترجم فى التهذيب .

١٢٨٦٣ — حدثنا على بن سهل قال، أخبرنا الوليد بن مسلم، عن ابن المبارك وغيره، عن عتبة بن أبى حكيم، [عن عمرو بن جارية اللخمى]، عن أبى أمية الشعبانى قال: سألت أبا ثعلبة الخشنى: كيف تصنع بهذه الآية: «يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم»؟ فقال أبو ثعلبة: سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحًّا مطاعاً، وهوًى متبعاً، وإعجاب كل ذى رأى برأيه، فعليك بخُوَيصة نفسك،[1] وذَرْ عوامَّهم، فإن وراءكم أياماً أجر العامل فيها كأجر خمسين منكم.[2]

* * *

وقال آخرون: معنى ذلك أنّ العبد إذا عمل بطاعة الله لم يضره من ضَلّ بعده وهلك.

و «أبو ثعلبة الخشنى» اختلف فى اسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً. صحابى.

وسيأتى تخريجه فى الذى يليه.

(١) «خويصة» تصغير «خاصة».

(٢) الأثر: ١٢٨٦٣ — «عتبة بن أبى حكيم»، فى المخطوطة: «عبدة بن أبى حكيم»، وهو خطأ ظاهر.

وفى المخطوطة والمطبوعة، أسقط: [عن عمرو بن جارية اللخمى]، فوضعتها بين قوسين. وهذا هو نفسه إسناد الترمذى.

وهذا الخبر، رواه الترمذى فى كتاب التفسير من طريق سعيد بن يعقوب الطالقانى، عن عبد الله ابن المبارك، عن عقبة بن أبى حكيم، بنحو لفظه هنا. ثم قال الترمذى: «قال عبد الله بن المبارك: وزادنى غير عتبة = قيل: يا رسول الله، أجر خمسين رجلا منا أو منهم؟ قال: لا، بل أجر خمسين رجلا منكم». ثم قال الترمذى: «هذا حديث حسن غريب».

وأخرجه ابن ماجة فى سننه رقم: ٤٠١٤ من طريق هشام بن عمار، عن صدقة بن خالد، عن عتبة بن أبى حكيم، بنحو لفظه.

ورواه أبو داود فى سننه ٤: ١٧٤، رقم: ٤٣٤١، من طريق أبى الربيع سليمان بن داود العتكى، عن ابن المبارك، بمثله.

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٣: ٢٥٨، والسيوطى فى الدر المنثور ٢: ٣٣٩، وزاد نسبته إلى البغوى فى معجمه، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والطبرانى، وأبى الشيخ، وابن مردويه، والبيهقى فى الشعب، والحاكم فى المستدرك وصححه.

• ذكر من قال ذلك :

١٢٨٦٤ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمى قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ » ، يقول : إذا ما العبد أطاعني فيما أمرته من الحلال والحرام ، فلا يضرُّه من ضل بعدُ ، إذا عمل بما أمرته به .

١٢٨٦٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ابن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » ، يقول : أطيعوا أمرى ، واحفظوا وصيّتى .

١٢٨٦٦ — حدثنا هناد قال ، حدثنا ليث بن هرون قال ، حدثنا إسحق الرازى ، عن أبي جعفر الرازى ، عن صفوان بن الجون قال : دخل عليه شابٌّ من أصحاب الأهواء ، فذكر شيئاً من أمره ، فقال صفوان : ألا أدلك على خاصة الله التى خصّ بها أولياءه؟ : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل » ، الآية .[1]

١٢٨٦٧ — حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير قال ، حدثنا أبو المطرف المخزومى قال ، حدثنا جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : « عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » ، ما لم يكن سيف أو سوط .[2]

---

(١) الأثر : ١٢٨٦٦ — « ليث بن هرون » ، لم أجده ، وانظر الإسناد السالف رقم ١٢٨٥٩ .

و « إسحق » ، هو : « إسحق بن سليمان الرازى » ، وانظر رقم : ١٢٨٥٩ .

وأما « صفوان بن الجون » ، فهو هكذا فى المخطوطة أيضاً ، ولم أجد له ترجمة . وفى الدر المنثور ٢ : ٣٤١ ، « عن صفوان بن محرز » ، ونسبه لابن جرير وابن أبي حاتم .

و « صفوان بن محرز بن زياد المازنى ، أو الباهلى » . روى عن ابن عمر ، وابن مسعود ، وأبي موسى الأشعرى . روى عنه جامع بن شداد ، وعاصم الأحول ، وقتادة . كان من العباد ، اتخذ لنفسه سرباً يبكى فيه . مات سنة ٧٤ ، مترجم فى التهذيب . ومضى برقم : ٦٤٩٦ .

(٢) الأثر : ١٢٨٦٧ — « عبد الكريم بن أبي عمير » ، مضى برقم : ٧٥٧٨ ، ١١٣٦٨ و « أبو المطرف المخزومى » ، لم أجد له ذكراً .

١٢٨٦٨ — حدثنا على بن سهل قال، حدثنا ضمرة بن ربيعة قال، تلا الحسن هذه الآية: « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم »، فقال الحسن : الحمد لله بها ، والحمد لله عليها ، ما كان مؤمن فيما مضى ، ولا مؤمن فيما بقى ، إلا وإلى جانبه منافق يكرّه عمله .[1]

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم »، فاعملوا بطاعة الله = « لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » ، فأمرتم بالمعروف ، ونهيتم عن المنكر .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٨٦٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام بن سلم ، عن عنبسة ، عن سعد البقال، عن سعيد بن المسيب : « لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » ، قال : إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر، لا يضرك من ضل إذا اهتديت .

١٢٨٧٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن أبى العميس، عن أبى البخترى ، عن حذيفة : « عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » ، قال : إذا أمرتم ونهيتم .

٧/٦٤ ١٢٨٧١ — حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى = عن ابن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم قال ، قال أبو بكر : تقرأون هذه الآية: « لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم »، وإن الناس إذا رأوا الظالم = قال ابن وكيع = فلم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمّهم الله بعقابه .[2]

(١) الأثر : ١٢٨٦٨ — « ضمرة بن ربيعة الفلسطيني الرملي » ، ثقة ، مضى برقم : ٧١٣٤ . وكان فى المطبوعة : « مرة بن ربيعة » ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

وهذه الكلمة التى قالها الحسن ، لو خفيت على الناس قديماً ، فإن مصداقها فى زماننا هذا يراه المؤمن عياناً فى حيث يغدو ويروح .

(٢) الأثر : ١٢٨٧١ — خبر قيس بن أبى حازم ، عن أبى بكر ، رواه أبو جعفر

١٢٨٧٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير وابن فضيل، عن بيان ، عن قيس قال ، قال أبو بكر : إنكم تقرأون هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » ، وإن القوم إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، يعمُّهم الله بعقابه .(١)

١٢٨٧٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن إسمعيل ، عن قيس ، عن أبي بكر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه .

١٢٨٧٤ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » ، يقول : مُروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، قال أبو بكر ابن أبي قحافة : يا أيها الناس لا تغترُّوا بقول الله : « عليكم أنفسكم » ، فيقول أحدكم : عليَّ نفسي ، والله لتأمرن بالمعروف وتَنهوُنَّ عن المنكر ، أو ليَستعملن عليكم شراركم ، فليسومنّكم سوء العذاب ، ثم ليدعوا الله خياركم ، فلا يستجيب لهم.

بأسانيد ، من رقم : ١٢٨٧١ — ١٢٨٧٨ ، موقوفاً على أبي بكر ، إلا رقم : ١٢٨٧٦ ، ١٢٨٧٨ ، فرواها متصلين مرفوعين ، وإلا رقم : ١٢٨٧٤ ، فهو مرسل . وأكثر طرق أبي جعفر طرق ضعاف .

ورواه من طريق « إسماعيل بن أبي خالد » ، عن قيس بن أبي حازم برقم : ١٢٨٧١ ، ١٢٨٧٣ . فن هذه الطريق رواه أحمد في مسنده رقم : ١ ، ١٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٥٣ ، متصلا مرفوعاً . وقال ابن كثير في تفسيره ٣ : ٢٥٨ : « وقد روى هذا الحديث أصحاب السنن الأربعة ، وابن حبان في صحيحه ، وغيرهم ، من طرق كثيرة ، عن جماعة كثيرة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، به متصلا مرفوعاً . ومنهم من رواه عنه به موقوفاً على الصديق . وقد رجح رفعه الدارقطني وغيره » .

و « إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي » ، ثقة . مضى برقم : ٥٦٩٤ ، ٥٧٧٧ .

و « قيس بن أبي حازم الأحمسي » ، ثقة ، روى له الستة ، روى عن جماعة من الصحابة ، وهو متقن الرواية . مترجم في التهذيب .

وهذا إسناد صحيح .

(١) الأثر : ١٢٨٧٢ — « ابن فضيل » هو : « محمد بن فضيل بن غزوان الضبي » ، مضى مراراً كثيرة .

و « بيان » هو : « بيان بن بشر الأحمسي » ، ثقة ، مضى برقم ٦٥٠١ .
وقد مضى تخريج الخبر في الذي قبله ، وسيأتي من هذه الطريق أيضاً برقم : ١٢٨٧٥ .
وهو إسناد صحيح .

١٢٨٧٥ — حدثنا أبو هشام الرفاعي قال، حدثنا ابن فضيل قال، حدثنا بيان، عن قيس بن أبي حازم قال، قال أبو بكر وهو على المنبر : يا أيها الناس، إنكم تقرأون هذه الآية على غير موضعها : « لا يضركم من ضلَّ إذا اهتديتم »، وإن الناس إذا رأوا الظلم فلم يأخذوا على يديه، عَمَّهم الله بعقابه.

١٢٨٧٦ — حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثني عيسى ابن المسيب البجلي، حدثنا قيس بن أبي حازم قال : سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يقرأ هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم »، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا رأى الناسُ المنكر فلم يغيِّروه، والظالم فلم يأخذوا على يديه، فيوشك أن يعمهم الله منه بعقاب.[1]

١٢٨٧٧ — حدثنا الربيع قال، حدثنا أسد بن موسى قال، حدثنا سعيد ابن سالم قال، حدثنا منصور بن دينار، عن عبد الملك بن ميسرة، عن قيس بن أبي حازم قال : صَعد أبو بكر المنبرَ منبرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس، إنكم لتتلون آية من كتاب الله وتعدُّونها رُخصة، والله ما أنزل الله في كتابه أشدَّ منها : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلَّ إذا اهتديتم »، والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر،

---

(١) الأثر : ١٢٨٧٦ — « الحارث » هو : « الحارث بن محمد بن أبي أسامة »، مضى مراراً، آخرها رقم : ١٠٥٥٣، وترجمته في رقم : ١٠٢٩٥.

و « عبد العزيز »، هو : « عبد العزيز بن أبان الأموي »، مضت ترجمته برقم : ١٠٢٩٥، قال ابن معين : « كذاب خبيث، يضع الأحاديث ».

و « عيسى بن المسيب البجلي »، قاضي الكوفة. وكان شاباً ولاه خالد بن عبد الله القسري. ضعيف متكلم فيه، حتى قال ابن حبان : « كان قاضي خراسان، يقلب الأخبار، ولا يفهم، ويخطىء، حتى خرج عن حد الاحتجاج به ». مترجم في ابن أبي حاتم ٣/١/٢٨٨، وميزان الاعتدال ٢ : ٣١٧، وتعجيل المنفعة : ٣٢٨، ولسان الميزان ٤ : ٤٠٥.

فهذا إسناد هالك، مع روايته من طرق صحاح عن قيس، عن أبي بكر.

أو ليعمنكم الله منه بعقاب[1] .

١٢٨٧٨ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا إسحق بن إدريس قال ، حدثنا سعيد بن زيد قال ، حدثنا مجالد بن سعيد ، عن قيس بن أبي حازم قال : سمعت أبا بكر يقول وهو يخطب الناس : يا أيها الناس ، إنكم تقرأون هذه الآية ولا تدرون ما هي ؟ : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » ، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيِّروه ، عمَّهم الله بعقاب .[2]

* * *

وقال آخرون : بل معنى هذه الآية : لا يضركم من حاد عن قصد السبيل وكفر بالله من أهل الكتاب .

---

(١) الأثر : ١٢٨٧٧ — « أسد بن موسى المرداني » ، « أسد السنة » ، مضى برقم : ٢٣ ، ٢٥٣٠ .

و « سعيد بن سالم القداح » ، متكلم فيه ، وثقه ابن معين ، غير أن ابن حبان قال : « يهم في الأخبار حتى يجيء بها مقلوبة ، حتى خرج عن حد الاحتجاج به » . مترجم في التهذيب .

و « منصور بن دينار التميمي الضبي » ، ضعفوه . مترجم في الكبير ٣٤٧/١/٤ ، وابن أبي حاتم ١٧١/١/٤ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٢٠١ ، وتعجيل المنفعة : ٤١٢ ، ولسان الميزان ٦ : ٩٥ .

و « عبد الملك بن ميسرة الهلالي الزراد » ، ثقة ، من صغار التابعين مضى برقم : ٥٠٣ ، ٥٠٤ فهذا خبر ضعيف الإسناد ، مع روايته من طرق صحاح عن قيس ، عن أبي بكر .

(٢) الأثر : ١٢٨٧٨ — « محمد بن بشار » ، هو « بندار » ، مضى مئات من المرات . وكان في المطبوعة هنا « محمد بن سيار » ، أساء قراءة المخطوطة .

« إسحق بن إدريس الأسواري البصري » ، منكر الحديث ، تركه الناس ، قال ابن معين : « كذاب ، يضع الحديث » . وقال ابن حبان : « كان يسرق الحديث » . مترجم في الكبير ٣٨٢/١/١ ، وابن أبي حاتم ٢١٣/١/١ ، وميزان الاعتدال ١ : ٨٦ ، ولسان الميزان ١ : ٣٥٢ .

و « سعيد بن زيد بن درهم الجهضمي » ، ثقة ، متكلم فيه ، حتى ضعفوا حديثه . مضى برقم : ١١٨٠١ .

و « مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني » ، قال أحمد : « يرفع حديثاً لا يرفعه الناس » ، وهو ثقة ، متكلم فيه . ومضى برقم : ١٦١٤ ، ٢٩٨٧ ، ٢٩٨٨ ، ١١١٥٦ .
وهذا أيضاً إسناد ضعيف .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٨٧٩ — حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد ابن جبير في قوله : « لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » ، قال : يعني من ضلّ من أهل الكتاب .

١٢٨٨٠ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير في هذه الآية : « لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » ، قال : أنزلت في أهل الكتاب .

* * *

وقال آخرون : عني بذلك كل من ضل عن دين الله الحق .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٨٨١ — حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضَلّ إذا اهتديتم » ، قال : كان الرجل إذا أسلم قالوا له : سفَّهت آباءك وضللتهم ، وفعلت وفعلت ، وجعلت آباءك كذا وكذا! كان ينبغي لك أن تنصرهم ، وتفعل ! فقال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال وأصحّ التأويلات عندنا بتأويل هذه الآية ، ما روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فيها ، وهو : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم » ، الزموا العملَ بطاعة الله وبما أمركم به ، وانتهوا عما نهاكم الله عنه = « لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » ، يقول : فإنه لا يضركم ضلال من ضل إذا أنتم لزمتم العمل بطاعة الله ، [1] وأدَّيتم فيمن ضل من الناس ما ألزمكم

٧/٦٤

(١) في المطبوعة : « إذا أنتم رمتم العمل بطاعة الله » ، وهو لا معنى له ، أساء قراءة ما في المخطوطة ، لسوء كتابتها .

الله به فيه ، من فرض الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى يركبه أو يحاول ركوبه ، والأخذ على يديه إذا رام ظلماً لمسلم أو معاهد ومنعه منه فأبى النزوع عن ذلك ، ولا ضير عليكم فى تماديه فى غيِّه وضلاله ، إذا أنتم اهتديتم وأديتم حق الله تعالى ذكره فيه .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات فى ذلك بالصواب ، لأن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين أن يقوموا بالقسط ، ويتعاونوا على البر والتقوى . ومن القيام بالقسط ، الأخذ على يدى الظالم . ومن التعاون على البر والتقوى ، الأمر بالمعروف . وهذا مع ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمره بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . ولو كان للناس تركُ ذلك ، لم يكن للأمر به معنىً ، إلا فى الحال التى رخَّص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تركَ ذلك ، وهى حال العجز عن القيام به بالجوارح الظاهرة ، فيكون مرخصاً له تركه ، إذا قام حينئذ بأداء فرض الله عليه فى ذلك بقلبه .

وإذا كان ما وصفنا من التأويل بالآية أولى ، فبيِّنٌ أنه قد دخل فى معنى قوله : «إذا اهتديتم » ، ما قاله حذيفة وسعيد بن المسيب من أن ذلك : «إذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر » ، ومعنى ما رواه أبو ثعلبة الخشنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٠٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده : اعملوا ، أيها المؤمنون ، بما أمرتكم به ، وانتهوا عما نهيتكم عنه ، ومروا أهل الزَّيغ والضلال ومن حاد عن

سبيلى بالمعروف ، وانهوهم عن المنكر . فإن قبلوا، فلهم ولكم ، وإن تمادَوْا فى غيهم وضلالهم ، فإن إلىّ مرجع جميعكم ومصيركم فى الآخرة ومصيرهم ، [1]وأنا العالم بما يعمل جميعكم من خير وشر ، فأخبر هناك كلَّ فريق منكم بما كان يعمله فى الدنيا ،[2] ثم أجازيه على عمله الذى قدِم به علىّ جزاءه حسب استحقاقه ، فإنه لا يخفى علىّ عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به : « يا أيها الذين آمنوا شهادةُ بينكم » ، يقول : ليشهد بينكم = « إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية » ، يقول : وقت الوصية = « اثنان ذوا عدل منكم »، يقول: ذوا رشد وعقل وحِجًى من المسلمين ، [3] كما : —

١٢٨٨٢ — حدثنا محمد بن بشار وعبيد الله بن يوسف الجبيرى قالا ، حدثنا مؤمل بن إسمعيل قال ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب فى قوله : ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنكُمْ ﴾ ، [سورة الطلاق : ٢] ، قال : ذَوَى عقل . [4]

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « ذوا عدل منكم » .

فقال بعضهم : عنى به : من أهل ملتكم .

---

(١) انظر تفسير « المرجع » فيما سلف ٦ : ٤٦٤ / ١٠ : ٣٩١ ، تعليق : ٢ .
(٢) انظر تفسير « أنبأ » فيما سلف من فهارس اللغة (نبأ) .
(٣) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فيما سلف من فهارس اللغة .
(٤) الأثر : ١٢٨٨٢ — « عبيد الله بن يوسف الجبيرى » ، « أبو حفص البصرى » ،

* ذكر من قال ذلك :

١٢٨٨٣ — حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب قال : شاهدان « ذوا عدل منكم » ، من المسلمين.

١٢٨٨٤ — حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ، حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال ، حدثنا إسحق بن سويد ، عن يحيى بن يعمر في قوله : « اثنان ذوا عدل منكم » ، من المسلمين .

١٢٨٨٥ — حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ، حدثنا ابن أبي عدى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب في قوله : « اثنان ذوا عدل منكم » ، قال : اثنان من أهل دينكم .

١٢٨٨٦ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن أشعث ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة قال : سألته عن قول الله تعالى ذكره : « اثنان ذوا عدل منكم » ، قال : من الملة .

١٢٨٨٧ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، بمثله = إلا أنه قال فيه : من أهل الملة .

١٢٨٨٨ — حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن هشام ، عن ابن سيرين قال : سألت عبيدة عن هذه الآية : « اثنان ذوا عدل منكم » ، قال : من أهل الملة .

١٢٨٨٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، مثله .

شيخ الطبري ، ثقة . روى له ابن ماجة . مترجم في التهذيب . وفي المخطوطة : « عبد الله بن يوسف » ، وهو خطأ . ومضى في رقم : ١٠٩ ، ولم يترجم هناك .

وهذا الخبر في تفسير الآية الثانية من « سورة الطلاق » ، ولم يذكره أبو جعفر هناك في تفسير الآية . فهذا من ضروب اختصاره تفسيره .

١٢٨٩٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حسين ، عن زائدة ، عن هشام ، عن ابن سيرين قال : سألت عبيدة ، فذكر مثله .

١٢٨٩١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن مهدى، عن حماد ، عن ابن أبى نجيح = وقال ، حدثنا مالك بن إسمعيل ، عن حماد بن زيد ، عن ابن أبى نجيح = عن مجاهد ، مثله .

٧/٦٦

١٢٨٩٢ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ذوا عدل منكم » ، قال : ذوا عدل من أهل الإسلام .

١٢٨٩٣ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ذوا عدل منكم » ، قال : من المسلمين .

١٢٨٩٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان سعيد بن المسيب يقول : « اثنان ذوا عدل منكم » ، أى : من أهل الإسلام .

* * *

وقال آخرون :عنى بذلك : ذوا عدل من حَىِّ الموصِى . وذلك قول روى عن عكرمة وعبيدة وعدّة غيرهما .

* * *

واختلفوا فى صفة « الاثنين » اللذين ذكرهما الله فى هذه الآية ، ما هى ، وما هما ؟

فقال بعضهم : هما شاهدان يشهدان على وصية الموصى .

* * *

وقال آخرون : هما وصيان

* * *

وتأويل الذين زعموا أنهما شاهدان . قولَه :« شهادة بينكم »، ليشهد شاهدان

ذوا عدل منكم/على وصيتكم .

* * *

وتأويل الذين قالوا: «هما وصيان لا شاهدان» قولَه: «شهادة بينكم»، بمعنى الحضور والشهود لما يوصيهما به المريضُ، من قولك : «شهدت وصية فلان» ، بمعنى حضرته .[1]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بقوله : «اثنان ذوا عدل منكم» ، تأويلُ من تأوّله بمعنى أنهما من أهل الملة ، دون من تأوّله أنهما من حيّ الموصى

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية ، لأن الله تعالى ذكره ، عم المؤمنين بخطابهم بذلك في قوله : «يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم» فغير جائز أن يصرف ما عمّه الله تعالى ذكره إلى الخصوص إلا بحجة يجب التسليم لها . وإذ كان ذلك كذلك ، فالواجب أن يكون العائدُ من ذكره على العموم ،[2] كما كان ذكرهم ابتداءً على العموم .

* * *

وأولى المعنيين بقوله: «شهادة بينكم» اليمين ، لا «الشهادة» التي يقوم بها مَنْ عنده شهادة لغيره ، لمن هي عنده ، على مَن هي عليه عند الحكام .[3] لأنا لا نعلم لله تعالى ذكره حكماً يجب فيه على الشاهد اليمين ، فيكون جائزاً صرفُ «الشهادة» في هذا الموضع ، إلى «الشهادة» التي يقوم بها بعض الناس عند الحكام والأئمة .

---

(١) انظر تفسير «شهد» فيما سلف من فهارس اللغة ، واختلاف معانيها .

(٢) في المطبوعة : «من ذكرهم» ، وما في المخطوطة صواب محض .

(٣) كان صدر هذه العبارة في المخطوطة : «شهادة بينكم ، لأن الشهادة . . .» ، أسقط لفظ «اليمين» ، وجعل «لا الشهادة» ، «لأن الشهادة» ، وهو فاسد ، والذي في المطبوعة هو الصواب المحض إن شاء الله ، وهو مطابق لما رواه القرطبي في تفسيره ٦ : ٣٤٨ ، عن أبي جعفر الطبري .

وفى حكم الآية فى هذه ، اليمينَ على ذوى العدل = وعلى من قام مقامهم ، باليمين بقوله[1] : « تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله » = أوضحُ الدليل على صحة ما قلنا فى ذلك ، من أن « الشهادة » فيه : الأيمان ، دون الشهادة التى يقضَى بها للمشهود له على المشهود عليه = وفسادِ ما خالفه .

* * *

فإن قال قائل : فهل وجدتَ فى حكم الله تعالى ذكره يميناً تجب على المدَّعى ، فتوجه قولك فى الشهادة فى هذا الموضع إلى الصحة ؟

فإن قلتَ : « لا » ، تبين فساد تأويلك ذلك على ما تأوّلت ، لأنه يجب على هذا التأويل أن يكون المقسمان فى قوله : « فإن عثر على أنهما استحقا إثماً فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحقّ من شهادتهما » ، هما المدعيين .

وإن قلت : « بلى » ، قيل لك : وفى أىّ حكم الله تعالى ذكره وجدتَ ذلك؟

قيل : وجدنا ذلك فى أكثر المعانى . وذلك فى حكم الرجل يدَّعى قِبَل رجل مالاً فيقرّ به المدّعَى عليه قِبَله ذلك ، ويدّعى قضاءه . فيكون القول قول ربّ الدين =[2] والرجل يعرّف فى يد الرجل السلعةَ ، فيزعم المعرَّف فى يده أنه اشتراها من المدّعِى ، أو أنّ المدعى وهبها له ، وما أشبه ذلك مما يكثر إحصاؤه . وعلى هذا الوجه أوجبَ الله تعالى ذكره فى هذا الموضع ليمين على المدعيين اللذين عثرا على الخائنين فيما خانا فيه .[3]

* * *

(١) فى المطبوعة هنا « فى اليمين بقوله » غير ما فى المخطوطة ، وأفسد الكلام . والسياق « وفى حكم الآية . . . باليمين . . . أوضح الدليل . . . »

(٢) قوله : « والرجل يعرف » ، معطوف على قوله : « فى حكم الرجل . . . » . وكان فى المطبوعة هنا « والرجل يعترف . . . فيزعم المعترفة » ، وهو خطأ ، وصوابه ما أثبت كما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « . . . على الجانيين فيما جنيا فيه » ، وهو لا معنى له هنا . وفى المخطوطة : « على الحاسن فيما صاها فيه » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

قال أبو جعفر : واختلف أهل العربية في الرافع قولَه . « شهادة بينكم » ، وقولَه : « اثنان ذوا عدل منكم » .

فقال بعض نحويي البصرة : معنى قوله : « شهادة بينكم » ، شهاده اثنين ذوى عدل ، ثم ألقيت « الشهادة » ، وأقيم « الاثنان » مقامها ، فارتفعا بما كانت « الشهادة » به مرتفعة لو جعلت في الكلام .[1] قال : وذلك = في حذف ما حذف منه ، وإقامة ما أقيم مقام المحذوف = نظيرُ قوله : ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [سورة يوسف : ٨٢] ، وإنما يريد : واسأل أهل القرية ، وانتصبت « القرية » بانتصاب « الأهل » ، وقامت مقامه ، ثم عطف قوله : « أو آخران » على « الاثنين » .

* * *

وقال بعض نحويي الكوفة : رفع « الاثنين » بـ « الشهادة » ، أى : ليشهدكم اثنان من المسلمين ، أو آخران من غيركم .

* * *

وقال آخر منهم : رفعت « الشهادة » ، بـ « إذا حضر » . وقال : إنما رفعت بذلك ، لأنه قال : « إذا حضر » فجعلها « شهادة » محذوفة مستأنفة ، ٦٧/٧ ليست بالشهادة التي قد رفعت لكل الخلق ، لأنه قال تعالى ذكره : « أو آخران من غيركم » ، وهذه شهادة لا تقع إلا في هذا الحال ، وليست مما يثبت .[2]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال في ذلك عندى بالصواب ، قولُ من قال : « الشهادة » مرفوعة بقوله : « إذا حضر » ، لأن قوله : « إذا حضر » ،

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « بما كانت الشاهدة به مرتفعة » ، وهو خطأ لا شك فيه ، صوابه ما أثبت .

(٢) في المطبوعة : « مما ثبت » ، وأثبت ما في المخطوطة .

بمعنى : عند حضور أحدكم الموت ، و« الاثنان » مرفوع بالمعنى المتوهَّم ، وهو : أن يشهد اثنان = فاكتفى من قيل : « أن يشهد » ، بما قد جرى من ذكر « الشهادة » فى قوله : « شهادة بينكم » .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن « الشهادة » مصدر فى هذا الموضع ، و« الاثنان » اسم ، والاسم لا يكون مصدراً . غير أن العرب قد تضع الأسماء مواضع الأفعال .[1] فالأمر وإن كان كذلك ، فصرْفُ كل ذلك إلى أصح وُجوهه ما وجدنا إليه سبيلاً ، أولى بنا من صرفه إلى أضعفها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين : ليشهد بينكم إذا حضر أحدكم الموت ، عدلان من المسلمين ، أو آخران من غير المسلمين .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « أو آخران من غيركم » .

فقال بعضهم : معناه : أو آخران من غير أهل ملتكم ، نحو الذى قلنا فيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٨٩٥ — حدثنا حميد بن مسعدة وبشر بن معاذ قالا ،[2] حدثنا يزيد ابن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب : « أو آخران من غيركم » ، من أهل الكتاب .

---

(١) « الأفعال » : المصادر . وانظر فهارس المصطلحات فيما سلف .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « يونس بن معاذ » ، وهو خطأ محض . و « بشر بن معاذ » عن يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة « إسناد دائر فى أكثر صفحات هذا التفسير .

١٢٨٩٦ - حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة قال ، سمعت قتادة يحدث ، عن سعيد بن المسيب : « أو آخران من غيركم » ، من أهل الكتاب .

١٢٨٩٧ - حدثني أبو حفص الجبيري ، عبيد الله بن يوسف قال ، حدثنا مؤمل بن إسمعيل قال ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، مثله .(١)

١٢٨٩٨ - حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا ابن أبي عدى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد ، مثله .

١٢٨٩٩ - حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم وسليمان التيمى ، عن سعيد بن المسيب : أنهما قالا في قوله : « أو آخران من غيركم » ، قالا : من غير أهل ملتكم .

١٢٩٠٠ - حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة قال ، حدثني من سمع سعيد بن جبير يقول ، مثل ذلك .

١٢٩٠١ - حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا التيمى ، عن أبي مجلز قال : من غير أهل ملتكم .

١٢٩٠٢ - وحدثنا ابن بشار قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، مثله .

١٢٩٠٣ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : إن كان قُرْبَه أحدٌ من المسلمين أشهدهم ، وإلا أشهد رجلين من المشركين .

١٢٩٠٤ - حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا أبو قتيبة قال ، حدثنا هشيم ، عن المغيرة ، عن إبراهيم وسعيد بن جبير في قوله : « أو آخران من غيركم » ، قالا :

---

(١) الأثر : ١٢٨٩٧ - « أبو حفص الجبيرى » ، « عبيد الله بن يوسف » ، مضى قريباً رقم : ١٢٨٨٢ .

من غير أهل ملتكم.[١]

١٢٩٠٥ — حدثنا عمرو قال، حدثنا يحيى بن سعيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن سعيد: «أو آخران من غيركم»، قال: من أهل الكتاب.

١٢٩٠٦ — حدثنا عمرو قال، حدثنا محمد بن سواء قال، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، مثله.[٢]

١٢٩٠٧ — حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع= وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي= عن شعبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، مثله.

١٢٩٠٨ — حدثنا عمران بن موسى قال، حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال، حدثنا إسحق بن سويد، عن يحيى بن يعمر في قوله: «اثنان ذوا عدل منكم»، من المسلمين، فإن لم تجدوا من المسلمين، فمن غير المسلمين.

١٢٩٠٩ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا داود، عن عامر، عن شريح في هذه الآية: «يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموتُ حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم»، قال: إذا كان الرجل بأرض غُرْبة ولم يجد مسلماً يشهده على وصيته، فأشهد يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً، فشهادتهم جائزة.[٣] فإن جاء رجلان مسلمان فشهدا بخلاف شهادتهما، أجيزت شهادة المسلمين، وأبطلت شهادة الآخرَيْن.[٤]

---

(١) الأثر: ١٢٩٠٤ — «أبو قتيبة» هو «سلم بن قتيبة الشعيري الفريابي». مضى برقم: ١٨٩٩، ١٩٢٤، ٦٣٩٥، ٩٧١٤. وكان في المطبوعة: «قتيبة»، غير كنية، والصواب من المخطوطة.

(٢) الأثر: ١٢٩٠٦ — «عمرو» هو «عمرو بن علي الفلاس»، مضى مراراً. و «محمد بن سواء بن عنبر السدوسي العنبري». صدوق، ثقة، متكلم فيه. مترجم في التهذيب. وكان في المطبوعة: «محمد بن سوار» وهو خطأ، وفي المخطوطة: «محمد بن سوا»، وأساء الناشر قراءته.

(٣) في المطبوعة: «فشهادتهما»، وأثبت ما في المخطوطة، وهو الصواب، وسيأتي كذلك في رقم: ١٢٩٧٤.

(٤) الأثر: ١٢٩٠٩ — في المخطوطة والمطبوعة: «حدثني المثنى». والصواب ما أثبته،

١٢٩١٠ - حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن شريح : أنه كان لا يجيز شهادة اليهود والنصارى على مسلم إلا في الوصية ، ولا يجيز شهادتهما على الوصية إلا إذا كانوا في سفر .

١٢٩١١ - حدثنا عمرو بن علي قال ، حدثنا أبو معاوية ووكيع قالا ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن شريح قال : لا تجوز شهادة اليهودي والنصراني إلا في سفر ، ولا تجوز في سفر إلا في وصية .[1] ٧ / ٦٨

١٢٩١٢ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن شريح ، نحوه .

١٢٩١٣ - حدثنا عمرو بن علي قال ، حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدي قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : كتب هشام بن هُبَيرة لمسلمة عن شهادة المشركين على المسلمين ، فكتب : « لا تجوز شهادة المشركين على المسلمين إلا في وصية ، ولا تجوز في وصية إلا أن يكون الرجل مسافراً » .

١٢٩١٤ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن أشهب ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة قال : سألته عن قول الله تعالى ذكره : « أو آخران من غيركم » ، قال : من غير الملة .

١٢٩١٥ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، بمثله .

١٢٩١٦ - حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن هشام ، عن ابن سيرين قال : سألت عبيدة عن ذلك فقال : من غير أهل الملة .

١٢٩١٧ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن هشام ، عن ابن

وسيأتي هذا الخبر في موضعين بهذا الإسناد على الصواب ، وذلك رقم : ١٢٩٤٣ ، ١٢٩٧٤ ، ولذلك رددته إلى الصواب .

(١) في المطبوعة : « اليهود والنصارى » ، وأثبت ما في المخطوطة .

سيرين ، عن عبيدة قال : من غير أهل الصلاة .

١٢٩١٨ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن إدريس ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة قال : من غير أهل دينكم .

١٢٩١٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حسين ، عن زائدة ، عن هشام ، عن ابن سيرين، عن عبيدة قال : من غير أهل الملة .

١٢٩٢٠ — حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا أبو داود قال، حدثنا أبو حرّة ، عن محمد بن سيرين، عن عبيدة : « أو آخران من غيركم » ، قال : من غير أهل ملتكم .

١٢٩٢١ — حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا عبد الرحمن بن عثمان قال ، حدثنا هشام بن محمد قال : سألت سعيد بن جبير عن [قول الله : « أو آخران من غيركم » ، قال : من غير أهل ملتكم] .(١)

١٢٩٢٢ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا مالك بن إسمعيل ، عن حماد ابن زيد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد، مثله .

١٢٩٢٣ — حدثنا عمرو قال، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا حماد بن زيد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : من غير أهل ملتكم .

١٢٩٢٤ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « أو آخران من غيركم » ، من غير أهل الإسلام .

١٢٩٢٥ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر بن عياش قال ، قال أبو إسحق : « أو آخران من غيركم » ، قال : من اليهود والنصارى = قال

---

(١) الأثر : ١٢٩٢١ — انتهى هذا الأثر في المخطوطة عند قوله : « . . . سعيد بن جبير عن » ووضع الناسخ في المخطوطة حرف (ط) بالأحمر في الهامش ، دلالة على الخطأ والشك . أما المطبوعة ، فزادت ما وضعته بين القوسين ، وهو صواب في المعنى إن شاء الله .

قال شريح: لا تجوز شهادة اليهودىّ والنصرانى إلا فى وصية، ولا تجوز فى وصية إلا فى سفر .

١٢٩٢٦ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا زكريا ، عن الشعبي : أن رجلاً من المسلمين حضرته الوفاة بدَقوقا هذه .[1] قال : فحضرته الوفاة ولم يجد أحداً من المسلمين يشهد على وصيته ، فأشهد رجلين من أهل الكتاب ، فقدما الكوفة ، فأتيا الأشعرىّ فأخبراه ، وقدِما بتركته ووصيته ، فقال الأشعري : هذا أمر لم يكن بعدَ الذى كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فأحلفهما وأمضى شهادتهما .[2]

١٢٩٢٧ — حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا شعبة ، عن مغيرة الأزرق ، عن الشعبي : أن أبا موسى قضى بها بدَقوقا .

١٢٩٢٨ — حدثنا عمرو قال ، حدثنا عثمان بن الهيثم قال ، حدثنا عوف ، عن محمد : أنه كان يقول فى قوله : « اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم » ، شاهدان من المسلمين وغير المسلمين .

١٢٩٢٩ — حدثنى يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « أو آخران من غيركم » ، من غير أهل الإسلام .

١٢٩٣٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن سعد قال ، أخبرنا أبو حفص ، عن ليث ، عن مجاهد قال : من غير أهل الإسلام .

---

(١) « دقوقا » و « دقوقاء » ، مقصوراً وممدوداً ، مدينة بين إربل وبغداد معروفة ، لها ذكر فى الأخبار والفتوح ، كان بها وقعة للخوارج ، وكثر ذكرها فى بعض أشعار الخوارج .

وكان فى المطبوعة : « . . . بدقوقا ، ولم يجد أحداً من المسلمين » ، حذف ما أثبته من المخطوطة وأساء . وظاهر من الخبر أن الشعبى قال هذا ، وهو يومئذ بدقوقا . وهو أيضاً ثابت فى سنن أبى داود .

(٢) الأثر : ١٢٩٢٦ — رواه أبو داود فى سننه ٣ : ٤١٧ رقم : ٣٦٠٥ .

١٢٩٣١ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني عبد الله ابن عياش قال: قال زيد بن أسلم في هذه الآية : « شهادة بينكم » الآية كلها ، قال : كان ذلك في رجل تُوُفِّيَ وليس عنده أحد من أهل الإسلام، وذلك في أوّل الإسلام، والأرض حرب ، والناس كفار ، إلاّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالمدينة، وكان الناس يتوارثون بالوصية ، ثم نُسِخت الوصية وفرضت الفرائض ، وعمل المسلمون بها .(١)

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك: أو آخران من غير حيِّكم وعشيرتكم .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٩٣٢ — حدثنا عمرو بن علي قال ، حدثنا عثمان بن الهيثم بن الجهم قال ، حدثنا عوف ، عن الحسن في قوله : « اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم » ، قال : شاهدان من قومكم ومن غير قومكم .(٢) ٧ / ٦٩

١٢٩٣٣ — حدثنا عمرو قال، حدثنا أبو داود قال ،حدثنا صالح بن أبي الأخضر ، عن الزهري قال : مضت السُّنة أن لا تجوز شهادة كافر في حضر ولا سفر ، إنما هي في المسلمين .(٣)

١٢٩٣٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان الحسن يقول : « اثنان ذوا عدل منكم »، أي : من عشيرته = « أو آخران من غيركم » ، قال : من غير عشيرته .

---

(١) الأثر : ١٢٩٣١ — « عبد الله بن عياش بن عباس القتباني » ، « أبو حفص » المصري . مضى برقم : ١٢١٧٧ . وكان في المطبوعة : « عبد الله بن عباس » ، وهو خطأ ، وهو على الصواب في المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٢٩٣٢ — « عثمان بن الهيثم بن الجهم بن عيسى العصري العبدي » ، وهو « الأشج العصري » ثقة . علق عنه البخاري . يروي عن عوف الأعرابي ، مترجم في التهذيب .

(٣) الأثر : ١٢٩٣٣ — « صالح بن أبي الأخضر اليمامي » ، خادم الزهري ، مضى برقم : ٩٣١٢ .

١٢٩٣٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة، عن ثابت بن زيد، عن عاصم ، عن عكرمة : « أو آخران من غيركم » ، قال : من غير أهل حيكم .

١٢٩٣٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن مهدى ،عن ثابت بن زيد، عن عاصم ، عن عكرمة : « أو آخران من غيركم » ، قال : من غير حيكم .

١٢٩٣٧ — حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا ثابت ابن زيد ،عن عاصم الأحول،عن عكرمة فى قول الله تعالى ذكره : « أو آخران من غيركم » ، قال : من غير أهل حيه = يعنى : من المسلمين .

١٢٩٣٨ — حدثنى الحارث بن محمد قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا مبارك ، عن الحسن : « أو آخران من غيركم » ، قال : من غير عشيرتك ، ومن غير قومك ، كلهم من المسلمين .

١٢٩٣٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة قوله : « أو آخران من غيركم »، قال : مسلمين من غير حيكم .

١٢٩٤٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى الليث قال ، حدثنى عقيل قال : سألت ابن شهاب عن قول الله تعالى ذكره : «يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت» ، إلى قوله : « والله لا يهدى القوم الفاسقين » ، قلت : أرأيت الاثنين اللذين ذكر الله ، من غير أهل المرء الموصى ، أهما من المسلمين ، أم هما من أهل الكتاب ؟ وأرأيت الآخرين اللذين يقومان مقامهما، أتراهما من [غير] أهل المرء الموصى ،[1] أم هما من غير

(١) الزيادة التى بين القوسين لابد منها . وفى المخطوطة كما كانت فى المطبوعة، إلا أن الناسخ وضع فى الهامش علامة الشك ، وهى هكذا (١) ، فأثبت الصواب إن شاء الله .

المسلمين ؟ قال ابن شهاب : لم نسمع فى هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا عن أئمة العامة ، سنة أذكرها ، وقد كنا نتذاكرها أناساً من علمائنا أحياناً ، فلا يذكرون فيها سُنة معلومة ، ولا قضاءً من إمام عادل ، ولكنه يختلف فيها رأيهم . وكان أعجبهم فيها رأياً إلينا ، الذين كانوا يقولون : هى فيما بين أهل الميراث من المسلمين ، يشهد بعضهم الميت الذى يرثونه ، ويغيب عنه بعضهم ، ويشهد من شهده على ما أوصى به لذوى القربى ، فيخبرون من غاب عنه منهم بما حضرُوا من وصية . فإن سلّموا جازت وصيته ، وإن ارتابوا أن يكونوا بدّلوا قولَ الميت ، وآثروا بالوصية من أرادوا ممن لم يوص لهم الميت بشىء ، حَلَفَ اللذان يشهدان على ذلك بعد الصلاة ، وهى صلاة المسلمينُ ، فيقسمان بالله : « إن ارتبتم لا نشترى به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذاً لمن الآثمين » . فإذا أقسما على ذلك جازت شهادتهما وأيمانهما ، ما لم يعثر على أنهما [استحقا إثماً فى شىء من ذلك ، فإن عُثر على أنهما استحقا إثماً فى شىء من ذلك] ، [1] قام آخران مقامهما من أهل الميراث ، من الخصم الذين ينكرون ما شهد به عليه الأوّلان المستحلفان أول مرة ، فيقسمان بالله لشهادتنا [أحق من شهادتكما] ، [2] على تكذيبكما أو إبطال ما شهدتما به = « وما اعتدينا إنا إذاً لمن الظالمين » = « ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم » ، الآية .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين فى ذلك عندنا بالصواب ، تأويل من تأوّله : أوآخران من غير أهل الإسلام . وذلك أن الله تعالى عرّف عباده المؤمنين عند

---

(١) هذه الجملة التى بين القوسين ، ليست فى المخطوطة ، ووضع فى المطبوعة مكانها : « فإن عثر » ، واقتصر على ذلك ، واستظهرت الجملة من سياق أبى جعفر .

(٢) هذه الزيادة بين القوسين لا بد منها ، استظهرتها من الآية والسياق .

الوصية ، شهادة اثنين من عدول المؤمنين ، أو اثنين من غير المؤمنين . ولا وجه لأن يقال فى الكلام صفة شهادة مؤمنين منكم ، أو رجلين من غير عشيرتكم ، وإنما يقال : صفة شهادة رجلين من عشيرتكم أو من غير عشيرتكم = أو رجلين من المؤمنين أو من غير المؤمنين .

فإذ كان لا وجه لذلك فى الكلام ، فغير جائز صرف معنى كلام الله تعالى ذكره إلا إلى أحسن وجوهه .(١)

وقد دللنا قبل على أن قوله تعالى : « ذوا عدل منكم » ، إنما هو من أهل دينكم وملتكم ، بما فيه كفاية لمن وفق لفهمه .

وإذ صح ذلك بما دللنا عليه ، فمعلوم أن معنى قوله : « أو آخران من غيركم » ، إنما هو : أو آخران من غير أهل دينكم وملتكم . وإذ كان ذلك كذلك ، فسواء كان الآخران اللذان من غير أهل ديننا ، يهوديين كانا أو نصرانيين أو مجوسيين أو عابدَىْ وثَن ، أو على أىّ دين كانا . لأنّ الله تعالى ذكره لم يخصص ٧٠/٧ آخرين من أهل ملة بعينها دونَ ملة ، بعد أن يكونا من [غير] أهل الإسلام .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين : صفة شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموتُ وقتَ الوصية ، أن يشهد اثنان ذوا عدل منكم ، أيها المؤمنون ، أو رجلان آخران من غير أهل ملتكم ، إن أنتم سافرتم ذاهبين وراجعين فى الأرض .

* * *

(١) فى المطبوعة : « صرف مغلق كلام الله » ، وفى المخطوطة : « معلق » ، وصواب قراءتها « معنى » .
(٢) هذه الزيادة بين القوسين ، لا بد منها ، وإلا فسد الكلام .

وقد بينا فيما مضى السبب الذى من أجله قيل للمسافر : «الضارب فى الأرض» .[1]

* * *

= « فأصابتكم مصيبة الموت » ، يقول : فنزل بكم الموت .[2]

* * *

ووجَّه أكثر أهل التأويل هذا الموضع إلى معنى التعقيب دون التخيير ، وقالوا : معناه : شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية ، اثنان ذوا عدل منكم إن وجدا ، فإن لم يوجدا فآخران من غيركم = وإنما فعل ذلك من فعله ، لأنه وجَّه معنى « الشهادة » فى قوله : « شهادة بينكم » ، إلى معنى الشهادة التى توجب للقوم قيامَ صاحبها عند الحاكم ، أو يُبطلها.

* ذكر بعض من تأول ذلك كذلك :

١٢٩٤١ — حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ، حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال ، حدثنا إسحق بن سويد ، عن يحيى بن يعمر فى قوله : « ذوا عدل منكم » ، من المسلمين . فإن لم تجدوا من المسلمين ، فمن غير المسلمين .

١٢٩٤٢ — حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ، حدثنا ابن أبى عدى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب فى قوله : « اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم » ، قال : اثنان من أهل دينكم = « أو آخران من غيركم » ، من أهل الكتاب ، إذا كان ببلادٍ لا يجد غيرهم .

١٢٩٤٣ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن عامر ، عن شريح فى هذه الآية : « شهادة بينكم » إلى قوله : « أو آخران من غيركم » ، قال : إذا كان الرجل بأرض غربة ولم يجد مسلماً يشهده على وصيته ، فأشهد يهودياً أو نصرانياً ، أو مجوسياً ، فشهادتهم جائزة .

---

(١) انظر تفسير « الضرب فى الأرض » فيما سلف ٥ : ٥٩٣/٧ : ٣٣٢/٩ : ١٢٣ .

(٢) انظر تفسير « الإصابة » فيما سلف ٨ : ٥١٤ ، ٥٣٨ ، ٥٥٥/١٠ : ٣٩٣ ، ٤٠٤

١٢٩٤٤ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم » ، قال : هذا فى الحضر = « أو آخران من غيركم » ، فى السفر = « إن أنتم ضربتم فى الأرض فأصابتكم مصيبة الموت » ، هذا، الرجل يدركه الموت فى سفره وليس بحضرته أحد من المسلمين ، [1] فيدعو رجلين من اليهود والنصارى والمجوس ، فيوصى إليهما .

١٢٩٤٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم وسعيد بن جبير أنهما قالا فى هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم » الآية ، قال : إذا حضر الرجلَ الوفاةُ فى سفر ، فيشهد رجلين من المسلمين . فإن لم يجد رجلين من المسلمين ، فرجلين من أهل الكتاب .

١٢٩٤٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم » إلى قوله : « ذوا عدل منكم » ، فهذا لمن مات وعنده المسلمون ، فأمره الله أن يشهد على وصيته عَدْلين من المسلمين . ثم قال : « أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم فى الأرض فأصابتكم مصيبة الموت » ، فهذا لمن مات وليس عنده أحد من المسلمين ، فأمره الله تعالى ذكره بشهادة رجلين من غير المسلمين .

* * *

ووجَّه ذلك آخرون إلى معنى التخيير ، وقالوا : إنما عنى بالشهادة فى هذا الموضع ، الأيمان على الوصية التى أوصى إليهما ، وائتمانَ الميت إياهما على ما ائتمنهما عليه من مال ليؤدِّياه إلى ورثته بعد وفاته ، إن ارتيب بهما . قالوا : وقد

---

(١) فى المطبوعة : « هذا فى الرجل » ، زاد « فى » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وسيأتى على الصواب فى رقم : ١٢٩٥٤ .

يَتَّمِن الرجلُ على ماله من رآه موضعاً للأمانة من مؤمن وكافر فى السفر والحضر.[١]
وقد ذكرنا الرواية عن بعض من قال هذا القول فيما مضى ، وسنذكر بقيته إن شاء
الله تعالى بعد .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله : شهادة بينكم إذا
حضر أحدكم الموت ، إن شهد اثنان ذوا عدل منكم ، أو كان أوصى إليهما = أو
آخران من غيركم إن كنتم فى سفر فحضرتكم المنيّة ، فأوصيتم إليهما ، ودفعتم
إليهما ما كان معكم من مال وتركة لورثتكم . فإذا أنتم أوصيتم إليهما ودفعتم إليهما
ما كان معكم من مال ، فأصابتكم مصيبة الموت ، فأدَّيا إلى ورثتكم ما اتَّمنتموهما
٧ / ٧١ وادَّعوا عليهما خيانة خاناها مما اتُّمنا عليه ،[٢] فإن الحكم فيهما حينئذ أن تحبسوهما
= يقول : تستوقفونهما بعد الصلاة . وفى الكلام محذوف اجتزىء بدلالة ما ظهر منه
على ما حذف ، وهو : « فأصابتكم مصيبة الموت ، وقد أسندتم وصيتكم إليهما ، ودفعتم
إليهما ما كان معكم من مال » ، فإنكم تحبسونهما من بعد الصلاة = « فيقسمان بالله إن
ارتبتم » ، يقول : فيحلفان بالله إن اتهمتموهما بخيانة فيما اتُّمنا عليه من تغيير وصية
أوصى إليهما بها أو تبديلها = و« الارتياب » ، هو الاتهام[٣] = « لا نشترى به ثمناً » ،

---

(١) فى المطبوعة : « وقد يأمن الرجل على ماله » ، وفى المخطوطة : « سمى الرجل » غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت . « أمن الرجل على كذا ، وائتمنه ، واتّمنه » (الأخيرة ، مشددة التاء) . وانظر ما سلف ٥ : ٢٩٨ ، تعليق : ٤ .

(٢) فى المطبوعة فى المواضع كلها « ائتمن » مكان « اتّمن » ، وانظر التعليق السالف .

(٣) انظر تفسير « الارتياب » فيما سلف ٦ : ٧٨ ، وتفسير « الريب » فيما سلف ٨ : ٥٩٢ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

يقول : يحلفان بالله لا نشترى بأيماننا بالله ثمناً ، يقول : لا نحلف كاذبين على عوض نأخذه عليه ، وعلى مال نذهب به ،[1] أو لحق نجحده لهؤلاء القوم الذين أوصى إلينا وليُّهم وميتُهم .[2]

* * *

و « الهاء » فى قوله : « به » ، من ذكر « الله » ، والمعنىّ به الحلف والقسم ، ولكنه لما كان قد جرى قبل ذلك ذكر القسم به ، فعُرِف معنى الكلام ، اكتفى به من إعادة ذكر القسم والحلف .[3]

* * *

= « ولو كان ذا قربى » ، يقول : يقسمان بالله لا نطلب بأقسامنا بالله عوضاً فنكذب فيها لأحد ، ولو كان الذي نقسم به له ذا قرابة منا .[4]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك روى الخبر عن ابن عباس .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٩٤٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم فى الأرض فأصابتكم مصيبة الموت » ، فهذا لمن مات وليس عنده أحد من المسلمين ، فأمره الله بشهادة رجلين من غير المسلمين . فإن ارتيب فى شهادتهما ، استحلفا بعد الصلاة بالله : لم نشتر بشهادتنا ثمناً قليلاً .

* * *

وقوله : « تحبسونهما من بعد الصلاة » ، من صلاة الآخرين . ومعنى الكلام :

---

(١) انظر تفسير « الاشتراء » و « الثمن » فيما سلف من فهارس اللغة (شرى) و (ثمن) .

(٢) فى المطبوعة : « أوصى إلينا وإليهم وصيهم » ، غير ما فى المخطوطة مع وضوحه !!

(٣) فى المطبوعة : « فيعرف من معنى الكلام ، واكتفى به . . . » ، وفى المخطوطة : « فيعرف معنى الكلام » ، والصواب ما أثبت ، بجعل « فيعرف » « فعرف » ، وحذف « من » ، وحذف الواو من « واكتفى » .

(٤) انظر تفسير « ذو القربى » فيما سلف ٢ : ٢٩٢/٣ : ٣٤٤/٨ : ٣٣٤ .

أو آخران من غيركم تحبسونهما من بعد الصلاة ،إن ارتبتم بهما ، فيقسمان بالله لا نشترى به ثمناً ولو كان ذا قربى.

* * *

واختلفوا فى « الصلاة » التى ذكرها الله تعالى فى هذه الآية، فقال: « تحبسونهما من بعد الصلاة » .

فقال بعضهم : هى صلاة العصر .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٩٤٨ — حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا زكريا عن الشعبى : أن رجلاً من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا ، فلم يجد أحداً من المسلمين يشهده على وصيته ، فأشهد رجلين من أهل الكتاب. قال : فقدما الكوفة ، فأتيا الأشعرى فأخبراه ، وقدما بتركته ووصيته ، فقال الأشعرى : هذا أمر لم يكن بعد الذى كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال : فأحلفهما بعد العصر : بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدّلا ولا كتما ، ولا غيّرا، وإنها لوصية الرجل وتركته . قال : فأمضى شهادتهما .[1]

١٢٩٤٩ — حدثنا ابن بشار وعمرو بن على قالا ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير : « أو آخران من غيركم»، قال : إذا كان الرجل بأرض الشرك، فأوصى إلى رجلين من أهل الكتاب ، فإنهما يحلفان بعد العصر .

١٢٩٥٠ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، بمثله .

١٢٩٥١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة

(١) الأثر ١٢٩٤٨ — انظر الأثر السالف رقم : ١٢٩٢٦ ، والتعليق عليه . والأثر التالى رقم : ١٢٩٥٣ .

قوله: « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم » إلى « فأصابتكم مصيبة الموت » ، فهذا رجل مات بغُرْبة من الأرض ، وترك تركته، وأوصى بوصيته ، وشهد على وصيته رجلان . فإن ارتيب فى شهادتهما ، استحلفا بعد العصر . وكان يقال : عندها تصير الأيمان .

١٢٩٥٢ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى هشيم قال ، أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم وسعيد بن جبير : أنهما قالا فى هذه الآية: «يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم » ، قالا : إذا حضر الرجل الوفاة فى سفر ، فليشهد رجلين من المسلمين . فإن لم يجد فرجلين من أهل الكتاب . فإذا قدما بتركته ، فإن صدّقهما الورثة قُبِل قولهما، وإن اتهموهما أحلفا بعد صلاة العصر : بالله ما كذبنا ولا كتمنا ولا خُنّا ولا غيَّرنا .

١٢٩٥٣ — حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا يحيى القطان قال ، حدثنا زكريا قال، حدثنا عامر : أن رجلاً توفى بدَقُوقا ، فلم يجد من يشهده على وصيته إلا رجلين نصرانيين من أهلها . فأحلفهما أبو موسى دُبُر صلاة العصر فى مسجد الكوفة : بالله ما كتما ولا غيرا ، وأن هذه الوصية . فأجازها .[1]

* * *

وقال آخرون : بل يستحلفان بعد صلاة أهل دينهما وملتهما .

• ذكر من قال ذلك :

١٢٩٥٤ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم » إلى قوله : « ذوا عدل منكم » ، قال : هذا فى الوصية عند الموت ، يوصى ويشهد رجلين من المسلمين على ما لَهُ وعليه ، قال : هذا فى الحضر = « أو آخران من غيركم » فى السفر= « إن أنتم ضربتم فى الأرض فأصابتكم مصيبة الموت » ، هذا ، الرجل

٧ / ٧٢

(١) الأثر : ١٢٩٥٣ — انظر التعليق على رقم : ١٢٩٤٨ .

يدركه الموت فى سفره وليس بحضرته أحد من المسلمين ، فيدعو رجلين من اليهود والنصارى والمجوس ، فيوصى إليهما ، ويدفع إليهما ميراثه . فيقبلان به . فإن رضى أهل الميت الوصية وعرفوا مالَ صاحبهم ، تركوا الرجلين . وإن ارتابوا ، رفعوهما إلى السلطان . فذلك قوله : « تحبسونهما من بعد الصلاة إن ارتبتم » . قال عبد الله ابن عباس : كأنى أنظر إلى العِلْجين حين انتُهِى بهما إلى أبى موسى الأشعرى فى داره ، [1] ففتح الصحيفة ، فأنكر أهل الميت ، وخوّنوهما . فأراد أبو موسى أن يستحلفهما بعد العصر ، فقلت له : « إنهما لا يباليان صلاة العصر ، ولكن استحلفهما بعد صلاتهما فى دينهما ، فيوقف الرجلان بعد صلاتهما فى دينهما ، ويحلفان بالله : لانشترى به ثمناً قليلاً ولوكان ذا قربى ولانكتم شهادة الله إنّا إذاً لمن الآثمين ، أنّ صاحبهم لبهذا أوصى ، وأنّ هذه لتركته . فيقول لهما الإمام قبل أن يحلفا : إنكما إن كتمتما كتمتما أو خنتما فضحتكما فى قومكما ، ولم تجز لكما شهادة ، وعاقبتكما ! فإذا قال لهما ذلك ، فإن ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب عندنا ، قولُ من قال : « تحبسونهما من بعد صلاة العصر » . لأن الله تعالى عرّف « الصلاة » فى هذا الموضع بإدخال « الألف واللام » فيها ، ولا تدخلهما العرب إلاّ فى معروف ، إما فى جنس ، أو فى واحد معهود معروف عند المتخاطبين . فإذ كان كذلك ، وكانت « الصلاة » فى هذا الموضع مجمعاً على أنه لم يُعْنَ بها جميع الصلوات ، لم يجز أن يكون مراداً بها صلاة المستحلَف من اليهود والنصارى ، لأن لهم صلوات ليست واحدة ، فيكون معلوماً أنها المعنيّة بذلك . فإذْ كان ذلك كذلك ، صح أنها صلاة بعينها من صلوات المسلمين . وإذ كان ذلك كذلك ، وكان النبى صلى الله عليه

---

(١) « العلج » (بكسر العين وسكون اللام) : الرجل من كفار العجم .

وسلم صحيحاً عنه أنه إذْ لاعَنَ بين العَجْلانيين، لاعَن بينهما بعد العصر دون غيره من الصلوات [1] = كان معلوماً أنّ التي عنيت بقوله : « تحبسونهما من بعد الصلاة »، هي الصلاة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخيَّرها لاستحلاف من أراد تغليظَ اليمين عليه . هذا مع ما عند أهل الكفر بالله من تعظيم ذلك الوقت، وذلك لقربه من غروب الشمس .

* * *

وكان ابن زيد يقول في قوله : « لا نشترى به ثمناً »، ما : —

١٢٩٥٥ — حدثني به يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « لا نشترى به ثمناً »، قال : نأخذ به رشوة .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

قال أبو جعفر : اختلفتِ القرأة في قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الأمصار : ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ ﴾، بإضافة « الشهادة » إلى « الله »، وخفض اسم الله تعالى = يعني : لا نكتم شهادة الله عندنا .

* * *

ذكر عن الشعبي أنه كان يقرؤه كالذى : —

١٢٩٥٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة، عن ابن عون، عن عامر : أنه كان يقرأ: ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةً آللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴾ = بقطع « الألف »، وخفض اسم الله = هكذا حدثنا به ابن وكيع .

* * *

وكأن الشعبي وجَّه معنى الكلام إلى : أنهما يقسمان بالله لا نشترى به ثمناً ،

---

(١) انظر خبر العجلانيين في السنن الكبرى للبيهقي ٧ : ٣٩٨ ، وما بعدها .

ولا نكتم شهادةً عندنا . ثم ابتدأ يميناً باستفهام : بالله أنهما إن اشتريا بأيمانهما ثمناً أو كتما شهادته عندهما ، لمن الآثمين .

* * *

وقد روى عن الشعبي فى قراءة ذلك رواية تخالف هذه الرواية ، وذلك ما : —

١٢٩٥٧ — حدثنى أحمد بن يوسف التغلبى قال، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنا عباد بن عباد ، عن ابن عون ، عن الشعبى : أنه قرأ : ﴿ وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةً آللهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الآثِمِينَ ﴾ =[1] قال أحمد: قال أبوعبيد: ينوّن « شهادة » ويخفض « الله » على الاتصال . قال : وقد رواها بعضهم بقطع « الألف » على الاستفهام .[2]

* * *

قال أبو جعفر : وحفظى أنا لقراءة الشعبى بترك الاستفهام .[3]

* * *

وقرأها بعضهم: ﴿ وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةً اللهَ ﴾ ، بتنوين «الشهادة» ، ونصب اسم « الله » بمعنى : ولا نكتم الله شهادةً عندنا .

* * *

/٧٣ قال أبو جعفر : وأولى القراءات فى ذلك عندنا بالصواب ، قراءة من قرأ: ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ ﴾، بإضافة «الشهادة» إلى اسم «الله» ، وخفض اسم «الله» لأنها القراءة المستفيضة فى قرأة الأمصار التى لا تتناكر صحتَها الأمة .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « شهادة لله » ، هو خطأ ، صوابه فى المخطوطة . وقراءة الشعبى أو قراءاته التى رويت عنه — مذكورة فى تفسير أبى حيان ٤ : ٤٤ ، والمحتسب لابن جنى ، فراجعها هناك .

(٢) الأثر : ١٢٩٥٧ — « أحمد بن يوسف التغلبى الأحول » ، مضى برقم : ٥٩١٩ ، ٥٩٥٤ ، ٧٦٦٤ ، وكان فى المطبوعة هنا « الثعلبى » ، وهو خطأ بيناه هناك .

و « عباد بن عباد الرملى الأرسوفى » ، « أبو عتبة الخواص » . روى عن ابن عون . مترجم فى التهذيب .

(٣) فى المطبوعة : « وخفض إنا لقراءة الشعبى » ، وهو خلط لا معنى له ، صوابه من المخطوطة .

وكان ابن زيد يقول فى معنى ذلك : ولا نكتم شهادة الله، وإن كان بعيداً.[١]

١٢٩٥٨ — حدثنى بذلك يونس قال ، أخبرنا ابن زيد ، عنه .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فإن عُثِر » ، فإن اطُّلع منهما أو ظهر.[٢]

وأصل « العثر » ، الوقوع على الشيء والسقوط عليه ، ومن ذلك قولهم : « عثرت إصبع فلان بكذا » ، إذا صدمته وأصابته ووقعت عليه ، ومنه قول الأعشى ميمون ابن قيس :

بِذَاتِ لَوْثٍ عَفَرْنَاةٍ إِذَا عَثَرَتْ فَالتَّعْسُ أَدْنَى لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ لَعَا[٣]

---

(١) فى المطبوعة : « وإن كان صاحبها بعيداً » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وأنا فى شك منه على كل حال ، أخشى أن يكون سقط من الكلام شيء . ولم أجد مقالة ابن زيد فيما بين يدى من الكتب .

(٢) فى المطبوعة : « فيهما » ، والصواب « منهما » .

(٣) ديوانه : ٨٣ ، من قصيدته فى هوذة بن على الحنفى ، وقد مضى خبرها ٢ : ٩٤ ، تعليق : ١ ، ومضى منها أبيات فى ١ : ١٠٦/٢ : ٥٤٠ ، وقبل البيت فى ذكر أرض مخوفة الليل ، وهى « البلدة » المذكورة فى البيت التالى :

وَبَلْدَةٍ يَرْهَبُ الجَوَّابُ دُلْجَتَهَا حَتَّى تَرَاهُ عَلَيْهَا يَبْتَغِى الشِّيَعَا

لاَ يَسْمَعُ المَرْءُ فِيهَا مَا يُؤَنِّسُهُ بِاللَّيْلِ إِلَّا نَئِيمَ البُومِ وَالضُّوَعَا

كَلَّفْتُ مَجْهُولَهَا نَفْسِى ، وَشَايَعَنِى هَمِّى عَلَيْهَا ، إِذَا مَا آلُهَا لَمَعَا

« الدلجة » : سير الليل . و « الشيع » الأصحاب . و « النئيم » : صوت البوم ، أو الصوت الضعيف من صوته . و « الضوع » ، طائر من طيور الليل ، إذا أحس بالصباح صدح ، وقيل هو : « الكروان » . و « الآل » السراب ، و « اللوث » : القوة ، يصف ناقته أنها ذات لحم وشحم ، قوية على السير . وقوله : « بذات لوث » ، متعلق بقوله : « كلفت » و « عفرناة » (بفتح العين والفاء) صفة الناقة بأنها قوية كأنها من نشاطها مجنونة . و « التعس » ؛ الانحطاط والعثور . وقوله : « لعاً » ، كلمة تقال للعاثر ، يدعى له بأن ينتعش من عثرته ، ومعناها الارتفاع ،

يعني بقوله : « عثرت » ، أصاب منسِمُ خُفِّها حجراً أو غيرَه .[١] ثم يستعمل ذلك في كل واقع على شيء كان عنه خفيًّا ، كقولهم : ﴿عَثَرْتُ على الغَزْلِ بأَخَرَةٍ فلم تَدَعْ بنَجْدٍ قَرَدَةً﴾ ، بمعنى : وقعت .[٢]

* * *

وأما قوله : « على أنهما استحقا إثماً » ، فإنه يقول تعالى ذكره : فإن اطلع من الوصيين اللذين ذكر الله أمرهما في هذه الآية = بعد حلفهما بالله لا نشتري بأيماننا ثمناً ولو كان ذا قربى ، ولا نكتم شهادة الله = « على أنهما استحقا إثماً » ، يقول : على أنهما استوجبا بأيمانهما التي حلفا بها إثماً ، وذلك أن يطلع على أنهما كانا كاذبين في أيمانهما بالله ما خُنّا ولا بدّلنا ولا غيّرنا . فإن وجدا قد خانا من مال الميت شيئاً ، أو غيرا وصيته ، أو بدّلا ، فأثما بذلك من حلفهما بربهما[٣] = « فآخران يقومان مقامهما » ، يقول ، يقوم حينئذ مقامهما من ورثة الميت ، الأوليان الموصَى إليهما .

* * *

« لعا لفلان » أي أقامه الله من عثرته . لما وصف الأعشى ناقته بالقوة والنشاط ، أنكر أن يكون لها عثرة في سرعتها ، فإذا عثرت ، كان الدعاء عليها بأن يكبها الله لمنخريها ، أولى به من أن يدعو بإقالة عثرتها .

(١) في المطبوعة : « ميسم خفها حجر أو غيره » ، والصواب ما أثبت . و « المنسم » (بفتح فسكون فكسر) : طرف خف البعير ، والنعامة والفيل . و « منسما البعير » ظفراه اللذان في يديه ، وهما له كالظفر للإنسان .

(٢) هذا مثل . مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١٨١ ، الأمثال للميداني ١ : ٣٩٥ ، والأمثال لأبي هلال العسكري : ١٤٢ . قوله « بأخرة » (بفتح الألف والخاء والراء) أي : أخيراً . تقول : « ما عرفته إلا بأخرة » ، أي : أخيراً . و « نجد » ، هي الأرض المعروفة . « قردة » . وجمعها « قرد » (كله بفتحات) ، هو : ما تمعط من الوبر والصوف وتلبد ، وهو نفاية الصوف . وأصله أن المرأة تترك الغزل وهي تجد ما تغزل من قطن أو كتان ، حتى إذا فاتها ، تتبعت القرد (نفاية الصوف) في القمامات ، ملتقطة لتغزله . ويضرب مثلا في التفريط مع الإمكان ، ثم الطلب مع الفوت . قال أبو هلال : « وهذا مثل قول العامة : نعوذ بالله من الكسلان إذا نشط » . وروى هذا المثل صاحب لسان العرب في (قرد) ، ونصه « عكرت على الغزل . . . » ، وفسره « عكرت » ، أي : عطفت » . وهو بهذه الرواية لا شاهد فيه .

(٣) قوله « فأثما . . . بربهما » ، انظر ما قلت في « أثم بربه » فيما سلف ٤ : ٥٣٠ تعليق : ٣ ، / ثم ٦ : ٩٢ ، تعليق : ٢ ، وبيانه هناك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

١٢٩٥٩ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير : « أو آخران من غيركم » ، قال : إذا كان الرجل بأرض الشرك ، فأوصى إلى رجلين من أهل الكتاب ، فإنهما يحلفان بعد العصر . فإذا اطُّلع عليهما بعد حلفهما أنهما خانا شيئاً ، حلف أولياء الميت أنه كان كذا وكذا ، ثم استحقوا .

١٢٩٦٠ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، بمثله .

١٢٩٦١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله : « أو آخران من غيركم » ، من غير المسلمين = « تحبسونهما من بعد الصلاة » ، فإن ارتيب فى شهادتهما استحلفا بعد الصلاة بالله : ما اشترينا بشهادتنا ثمناً قليلاً . فإن اطلع الأولياء على أن الكافرين كذبا فى شهادتهما ، قام رجلان من الأولياء فحلفا بالله : « إن شهاده الكافرين باطلة ، وإنا لم نعتد » . فذلك قوله : « فإن عثر على أنهما استحقا إثماً » ، يقول : إن اطلع على أنّ الكافرَيْن كذبا = « فآخران يقومان مقامهما » ، يقول : من الأولياء ، فحلفا بالله : « إن شهادة الكافرين باطلة ، وإنا لم نعتد » ، فتردّ شهادة الكافرين ، وتجوز شهادة الأولياء .

١٩٢٦٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فإن عثر على أنهما استحقا إثماً » ، أى : اطلع منهما على خيانة أنهما كذبا أو كتما .

* * *

واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى له حكَمَ اللهُ تعالى ذكره على الشاهدين

بالأيمان فنقلها إلى الآخرين ،[1] بعد أن عثر عليهما أنهما استحقا إثماً .

فقال بعضهم : إنما ألزمهما اليمين ، إذا ارتيب فى شهادتهما على الميت فى وصيته أنه أوصى بغير الذي يجوز فى حكم الإسلام .[2] وذلك أن يشهد أنه أوصى بماله كله ، أو أوصى أن يفضل بعض ولده ببعض ماله .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٩٦٣ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت » إلى قوله : « ذوا عدل منكم » ، من أهل الإسلام = « أو آخران من غيركم » ، من غير أهل الإسلام = « إن أنتم ضربتم فى الأرض » إلى : « فيقسمان بالله » ، يقول :فيحلفان بالله بعد الصلاة ، فإن حلفا على شىء يخالف ما أنزل الله تعالى ذكره من الفريضة ،[3] يعنى اللذين ليسا من أهل الإسلام = « فآخران يقومان مقامهما » ، من أولياء الميت ، فيحلفان بالله : « ما كان صاحبنا ليوصى بهذا » ، أو : « إنهما لكاذبان ، ولشهادتنا أحق من شهادتهما » .

٧٤/٧

١٢٩٦٤ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدىّ قال : يوقف الرجلان بعد صلاتهما فى دينهما ، يحلفان بالله : « لا نشترى به ثمناً ولو كان ذا قربى ولانكتم شهادة الله إنا إذاً لمن الآثمين » ، إن صاحبكم لبهذا أوصى ، وإنّ هذه لتركته : فإذا شهدا ، وأجاز الإمام شهادتهما على ما شهدا ، قال لأولياء الرجل : اذهبوا فاضربوا فى الأرض واسألوا عنهما ، فإن أنتم وجدتم عليهما خيانة ، أو أحداً يطعُن عليهما ، رددنا شهادتهما . فينطلق الأولياء فيسألون ، فإن وجدوا أحداً يطعُن عليهما ، أو هما غير

---

(١) فى المخطوطة : « فن نقلها » ، والصواب ما فى المطبوعة ، أو شبيه بالصواب .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « لغير الذى يجوز » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٣) « الفريضة » ، يعنى المواريث .

مرضيين عندهم ، أو اطُّلع على أنهما خانا شيئاً من المال وجدُوه عندهما ، أقبل الأولياء فشهدوا عند الإمام ،[1] وحلفوا بالله : « لشهادتنا أنهما لخائنان متهمان فى دينهما مطعون عليها ، أحق من شهادتهما بما شهدا ، وما اعتدينا » . فذلك قوله : « فإن عُثر على أنهما استحقا إثماً فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان » .

* * *

وقال آخرون : بل إنما ألزم الشاهدان اليمين ، لأنهما ادَّعيا أنه أوصى لهما ببعض المال . وإنما ينقل إلى الآخرين من أجل ذلك ، إذا ارتابوا بدعواهما .[2]

* ذكر من قال ذلك :

١٢٩٦٥ — حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ، حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال ، حدثنا إسحق بن سويد ، عن يحيى بن يعمر فى قوله : « تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله » ، قال : زعما أنه أوصى لهما بكذا وكذا = « فإن عثر على أنهما استحقا إثماً » . أى : بدعواهما لأنفسهما = « فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان » ، أنّ صاحبنا لم يوص إليكما بشىء مما تقولان .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا ، أنّ الشاهدين ألزما اليمينَ فى ذلك باتهام ورثة الميت إياهما فيما دفع إليهما الميت من ماله ، ودعواهم قبلهما خيانةَ مالٍ معلوم المبلغ ، ونقلت بعد إلى الورثة عند ظهور الريبة التى كانت من الورثة فيهما ، وصحة التهمة عليهما بشهادة شاهد عليهما أو على أحدهما ، فيحلف الوارث حينئذ مع شهادة الشاهد عليهما ،أو على أحدهما ،إنما صحح دعواه إذ حُقِّق حقه = أو : الإقرار يكون من الشهود ببعض ما ادَّعى عليهما الوارث أو بجميعه ، ثم

(١) فى المطبوعة : « فأقبل الأولياء فشهدوا » ، وفى المخطوطة : « فأقبل الأولياء شهدوا » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٢) فى المخطوطة : « إذا ارتابا » .

دعواهما فى الذى أقرّا به من مال الميت مالا يقبل فيه دعواهما إلا ببينة ، ثم لا يكون لهما على دعواهما تلك بيِّنة ، فينقل حينئذ اليمين إلى أولياء الميت .

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال فى ذلك بالصحة ، لأنا لا نعلم من أحكام الإسلام حكماً يجب فيه اليمين على الشهود، ارتيب بشهادتهما أو لم يُرْتَبْ بها ، فيكون الحكم فى هذه الشهادة نظيراً لذلك = ولا — إذ لم نجد ذلك كذلك — صحّ بخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ،[1] ولا بإجماع من الأمة . لأن استحلاف الشهود فى هذا الموضع من حكم الله تعالى ذكره ، فيكون أصلاً مسلَّماً . والقول إذا خرج من أن يكون أصلاً أو نظيراً لأصل فيما تنازعت فيه الأمة ، كان واضحاً فسادُه .

وإذا فسد هذا القول بما ذكرنا ، فالقول بأن الشاهدين استحلفا من أجل أنهما ادّعيا على الميت وصية لهما بمال من ماله ، أفسد[2] = من أجل أن أهل العلم لا خلاف بينهم فى أنّ من حكم الله تعالى ذكره أن مدّعياً لو ادّعى فى مال ميت وصية ، أنّ القول قولُ ورثة المدعى فى ماله الوصية مع أيمانهم ، دون قول مدعى ذلك مع يمينه ، وذلك إذا لم يكن للمدعى بينة . وقد جعل الله تعالى اليمين فى هذه الآية على الشهود إذا ارتيب بهما ، وإنما نُقِل الأيمانُ عنهم إلى أولياء الميت ، إذا عثر على أن الشهود استحقوا إثماً فى أيمانهم . فمعلوم بذلك فساد قول من قال : « ألزم اليمينَ الشهودُ ، لدعواهم لأنفسهم وصية أوصى بها لهم الميت من ماله » .

على أن ما قلنا فى ذلك عن أهل التأويل هو التأويل الذى وردت به الأخبارُ عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن رسول الله صل الله عليه وسلم قَضَى به حين نزلت هذه الآية ، بين الذين نزلت فيهم وبسببهم .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المطبوعة : « فلم نجد ذلك كذلك صح ... » ، وأثبت ما فى المخطوط ، وسياقه « ولا . . . صح بخبر عن الرسول » ، وقوله : « إذ لم نجد ذلك كذلك » اعتراض .

(٢) السياق : « فالقول بأن الشاهدين . . . . أفسد » ، يعنى : أفسد من القول السابق .

١٢٩٦٦ — حدثني ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن يحيى بن أبي زائدة ، عن محمد بن أبي القاسم ، عن عبد الملك بن سعيد بن جبير ، عن أبيه ، ٧٥/٧ عن ابن عباس قال : خرج رجل من بني سهم مع تميم الداريّ وعديّ بن بدّاء ، فمات السَّهمى بأرض ليس فيها مسلم . فلما قدِما بتركته ، فقدوا جاماً من فضة مخوَّصاً بالذهب ، [1] فأحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم وُجِد الجام بمكة ، فقالوا : اشتريناه من تميم الداريّ وعديّ بن بدّاء ! فقام رجلان من أولياء السهمى فحلفا : « لشهادتنا أحق من شهادتهما » ، وأنّ الجام لصاحبهم . قال : وفيهم أنزلت : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم ». [2]

---

(١) « الجام » : إناء من فضة ، وهو عربي صحيح . « مخوص بالذهب » : عليه صفائح من ذهب على هيئة خوص النخل ، وهو ورقه . و « التخويص » : أن يجعل على الشيء صفائح من الذهب ، على قدر عرض خوص النخل .

(٢) الأثر : ١٢٩٦٦ — « محمد بن أبي القاسم » ، الطويل ، الكوفي . روى عن أبيه ، وعبد الله وعبد الملك ، ابني سعيد بن جبير ، وعن عكرمة . وروى عنه يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، وأبو أسامة ، وحماد بن أسامة . وثقه ابن معين ، وأبو حاتم . وقال البجيرى وقال البخارى : « لا أعرف محمد بن أبي القاسم كما أشتهى ، وكان على بن عبد الله يستحسن هذا الحديث (يعني حديث تميم الداري) قيل له : رواه غير محمد بن أبي القاسم ؟ قال : لا . قال : وروى عنه أبو أسامة ، إلا أنه غير مشهور » . وقال الحافظ ابن حجر ، بعد ذكر محمد بن أبي القاسم : « وما له في البخاري ، ولا لشيخه عبد الملك بن سعيد بن جبير ، غير هذا الحديث الواحد . ورجال الإسناد ، ما بين على بن عبد الله المديني (شيخ البخاري) ، وابن عباس ، كوفيون » .

و « عبد الملك بن سعيد بن جبير الأسدي » ، الكوفي ، عزيز الحديث ، ثقة . مضى برقم : ١٢٧٧٦ .

و « تميم الداري » ، هو « تميم بن أوس بن خارجة اللخمي » ، منسوب إلى جده « الدار بن هانىء ابن حبيب بن نمارة بن لخم » ، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سنة تسع وأسلم . وكان نصرانيا ، وهو الذي قال لرسول الله : « ألا أعمل لك منبراً كما رأيت يصنع بالشام ! » فصنع المنبر . وكان عابداً .

وأما « عدى بن بداء » (بتشديد الدال) ، فكان نصرانيا ، ذكر أنه أسلم ، ولكن صحح ابن حجر في ترجمته في الإصابة أنه مات نصرانياً .

وهذا الحديث ، رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٥ : ٣٠٧ — ٣٠٩) ، وفي التاريخ الكبير

١٢٩٦٧ — حدثنا الحسن بن أحمد بن أبي شعيب الحرانى قال ، حدثنا محمد بن سلمة الحرانى قال ، حدثنا محمد بن إسحق ، عن أبي النضر ، عن باذان مولى أم هانئ ابنة أبي طالب ، عن ابن عباس ، عن تميم الدارىّ فى هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت » ، قال : برئ الناس منها غيرى وغير عدىّ بن بدّاء = وكانا نصرانيّين يختلفان إلى الشأم قبل الإسلام . فأتيا الشأم لتجارتهما ، وقدم عليهما مولى لبنى سهم يقال له بريل بن أبي مريم بتجارة ، ومعه جامُ فضة يريد به الملك ، وهو عُظم تجارته ،[1] فمرض ، فأوصى إليهما ، وأمرهما أن يُبلغا ما ترك أهله . قال تميم : فلما مات أخذنا ذلك الجامَ فبعناه بألف درهم ، فقسمناه أنا وعدىّ بن بدّاء ، [فلما قدمنا إلى أهله ، دفعنا إليهم ما كان معنا ، وفقدوا الجام ، فسألوا عنه] ،[2] فقلنا : ما ترك غيرَ هذا ، وما دفع إلينا غيره : قال تميم : فلما أسلمتُ بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، تأثّمت من ذلك ،[3] فأتيت أهله فأخبرتهم الخبر ، وأدّيت إليهم خمسمئة درهم ، وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها ! فوثبوا إليه ،[4] فأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١/١/٢١٥ ، وأبو داود فى سننه ٣ : ٤١٨ ، ورقم : ٣٦٠٦ ، والبيهقى فى السنن الكبرى ١٠ : ١٦٥ ، وأبو جعفر النحاس فى الناسخ والمنسوخ : ١٣٣ ، وأحكام القرآن للجصاص ٢ : ٤٩٠ ، والترمذى فى سننه (فى كتاب التفسير) ، وقال : « هذا حديث حسن غريب ، وهو حديث ابن أبي زائدة » .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٢٦٦ ، نقلا عن الطبرى ، ولم يذكر روايته فى صحيح البخارى . وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٣٤٢ ، فقصر فى نسبته إلى البخارى فى صحيحه ، ونسبه إليه فى التاريخ ، ثم زاد نسبته إلى ابن المنذر ، والطبرانى ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(١) فى المخطوطة : « وهى عظم » ، وأثبت ما فى المطبوعة ، لمطابقته لما فى المراجع الأخرى . وقوله : « عظم تجارته » ، أى : معظمها ، يعنى أن الجام كان أنفس ما معه وأغلاه ثمناً .

(٢) هذه الجملة التى بين القوسين ، ليست فى المخطوطة ولا المطبوعة ، وهى ثابتة فى المراجع الأخرى ، وأثبتها من نص الناسخ والمنسوخ .

(٣) « تأثم من الشىء » ، تحرج منه ، ووجده إثماً يريد البراءة منه .

(٤) قوله : « فوثبوا إليه » ، حذفها ناشر المطبوعة ، وهى ثابتة فى المخطوطة ، وفى الناسخ والمنسوخ .

فسألهم البينة ، فلم يجدوا . فأمرهم أن يستحلفوه بما يُعَظَّم به على أهل دينه ، فحلف ، فأنزل الله تعالى ذكره : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم » إلى قوله : « أن ترد أيمان بعد أيمانهم » ، فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا ،[1] فنزعتُ الخمسمئة من عدى بن بدَّاء .[2]

---

(١) فى المخطوطة : « حلفا » ، بغير فاء ، وأثبت ما فى المطبوعة والمراجع .

(٢) الأثر : ١٢٩٦٧ – « الحسن بن أحمد بن أبى شعيب الحرانى » ، « أبو مسلم الحرانى » ، ثقة مأمون ، مضت ترجمته برقم : ١٠٤١١ ، وكان فى المطبوعة هنا : « الحسن بن أبى شعيب » أسقط « بن أحمد » ، مع ثبوتها فى المخطوطة ، وعذره أنه رأى الناسخ كتب « الحسن بن يحيى أحمد قال ابن أبى شعيب » ، وضرب على « يحيى » وعلى « قال » ، فضرب هو أيضا على « بن أحمد » فحذفها ! ! وهو تساهل ردىء .

و « محمد بن سلمة الحرانى الباهلى » ، ثقة ، مضت ترجمته برقم : ١٧٥ ، وقد ورد فى إسناد محمد ابن إسحق ، مئات من المرات .

و « أبو النضر » هو « محمد بن السائب الكلبى » ، ضعيف جداً ، رمى بالكذب . وقد روى الثورى عن الكلبى نفسه أنه قال : « ما حدثت عنى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، فهو كذب ، فلا ترووه » . مضت ترجمته برقم : ٧٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ .

وأما « باذان ، مولى أم هانئ » ، أو « باذام » فهو « أبو صالح » ، ثقة ، مضى برقم : ١١٢ ، ١٦٨ وغيرها . وهو مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/١٤٤ ، وابن أبى حاتم ١/١/٤٣١ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة ، والناسخ والمنسوخ جميعاً « زاذان ، مولى أم هانئ » ، وهذا شىء لم يقله أحد ، ولذلك غيرته إلى الصواب الذى أجمعوا عليه ، وكأنه خطأ من الناسخ .

وأما « تميم الدارى » ، و « عدى بن بداء » فقد سلفا فى الأثر السابق .

وأما « بريل بن أبى مريم » ، مولى بنى سهم ، أو مولى عمرو بن العاص السهمى ، صاحب هذه التجارة ، فقد ترجم له ابن حجر فى الإصابة فى « بديل » بالدال ، وكذلك ابن الأثير فى أسد الغابة . وكان بديل مسلماً من المهاجرين .

يقال فى اسمه « بديل بن أبى مريم » ، و « بديل بن أبى مارية » ، ثم اختلف فى « بديل » ، فروى بالدال ، وروى « بريل » بالراء ، وروى « بزيل » بالزاى ، وروى « برير » ، وقال ابن الأثير : « والذى ذكره الأئمة فى كتبهم : بزيل ، بضم الباء وبالزاى ، ونحن نذكره فى موضعه إن شاء الله تعالى » . هكذا قال ووعد ، ثم لم أجد له ذكراً فى كتابه بعد ذلك ، فلا أدرى أنسى ابن الأثير ، أم فى كتابه خرم أو نقص ! !

وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ٥ : ٣٠٨ ، ما لم يذكره فى الإصابة ، فقال : « بزيل ، بموحدة ، وزاى ، مصغر . وكذا ضبطه ابن ماكولا ، ووقع فى رواية الكلبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، عن تميم نفسه عند الترمذى والطبرى (يعنى هذا الخبر) : بديل ، بدال ، بدل الزاى . ورأيته فى نسخة صحيحة من تفسير الطبرى : بريل ، براء بغير نقطة . ولابن منده من طريق

١٢٩٦٨ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة وابن سيرين وغيره = قال : وحدثنا الحجاجُ ،عن ابن جريج ، عن عكرمة = دخل حديث بعضهم فى بعض : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم » الآية، قال : كان عدى وتميم الدارى ،وهما من لَخْمٍ، نصرانيَّان، يتَّجران إلى مكة فى الجاهلية . فلما هاجرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حوَّلا متجرهما إلى المدينة ، فقدم ابن أبى مارية ، مولى عمرو بن العاص المدينة ، وهو يريد الشأم تاجراً ، فخرجوا جميعاً ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، مرض ابن أبى مارية ، فكتب وصيَّته بيده ثم دسَّها فى متاعه، ثم أوصى إليهما . فلما مات فتحا متاعه ، فأخذا ما أرادا ، ثم قدما على أهله فدفعا ما أرادا ، ففتح أهله متاعه ، فوجدوا كتابه وعهده وما خرج به ، وفقدوا شيئاً ، فسألوهما عنه ، فقالوا : هذا الذى قبضنا له ودفع إلينا . قال لهما أهله : فباع شيئاً أو ابتاعه ؟ قالا : لا ! قالوا : فهل استهلك من متاعه شيئاً ؟ [1] قالا : لا ! قالوا : فهل تَجَرَ

السدى ، عن الكلبى : بديل بن أبى مارية » . ثم قال : « ووهم من قال فيه : بديل بن ورقاء ، فإنه خزاعى ، وهذا سهمى ، وكذا وهم من ضبطه بذيل ، بالذال المعجمة » .

وكان فى المطبوعة « بديل » ، ولكنى أثبت ما فى المخطوطة ، وأخشى أن تكون مخطوطتنا هذه ، هى « النسخة الصحيحة من تفسير الطبرى» التى ذكرها الحافظ ابن حجر ، أو هى منقولة عن النسخة التى ذكرها ووصفها وصححها .

وهذا الخبر ، رواه أبو جعفر النحاس فى الناسخ والمنسوخ : ١٣٢ ، والترمذى فى سننه فى كتاب التفسير ؛ بهذا الإسناد نفسه . وقال الترمذى : « هذا حديث غريب ، وليس إسناده بصحيح . وأبو النضر ، الذى روى عنه محمد بن إسحق هذا الحديث ، هو عندى : محمد بن السائب الكلبى ، يكنى أبا النضر ، وقد تركه أهل العلم بالحديث ، وهو صاحب التفسير . سمعت محمد بن إسماعيل. يقول : محمد بن سائب الكلبى ، يكنى أبا النضر ، ولا نعرف لسالم أبى النضر المدينى رواية عن أبى صالح (باذان) مولى أم هانئ . وقد روى عن ابن عباس شىء من هذا على الاختصار ، عن غير هذا الوجه » ، ثم ساق الترمذى الأثر السالف بإسناده .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٣٤١ ، وزاد نسبته إلى ابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه ، وأبى نعيم فى المعرفة .

(١) قولهم : « فهل استهلك من متاعه شيئاً » ، أى : أضاعه وافتقده ، وهذا حرف لم تقيده كتب اللغة ، استظهرت معناه من السياق . وقد جاء فى حديث عائشة (صحيح مسلم ٢ : ٥٩ ،

تجارة ؟[1] قالا : لا ! قالوا : فإنا قد فقدنا بعضَه ! فاتُّهما ، فرفعوهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت » إلى قوله : « إنا إذا لمن الآثمين » . قال : فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستحلفوهما في دُبُر صلاة العصر : « بالله الذي لا إله إلاّ هو ، ما قبضنا له غيرَ هذا ، ولا كتمنا » . قال : فمكثنا ما شاء الله أن نمكث ،[2] ثم ظُهِرَ معهما على إناء من فضةٍ منقوش مموَّه بذهب ،[3] فقال أهله : هذا من متاعه ؟ قالا : نعم ، ولكنا اشترينا منه ، ونسينا أن نذكره حين حلفنا ، فكرهنا أن نكذِّب أنفسنا ![4] فترافعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت الآية الأخرى : « فإن عثر على أنهما استحقا إثماً فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان » ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين من أهل الميت أن يحلفا على ما كتما وغيَّبا ويستحقّانه . ثم إنّ تميماً الداري أسلم وبايع النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول : صدق الله ورسوله : أنا أخذت الإناء ![5]

وتفسير الطبري رقم : ٩٦٤٠) أن عائشة : « استعارت من أسماء قلادة فهلكت » ، أي : ضاعت ، كما فسرته فيما سلف ٨ : ٤٠٤ ، رقم : ٢ . فقوله : « استهلك » هنا ، من معنى هذا الحرف الذي لم تقيده كتب اللغة ببيان واضح ، وهو « استفعل » ، بمعنى : وجده قد ضاع . وهو من صحيح القياس وجيده ، وهذا شاهده إن شاء الله .

(١) « تجر يتجر تجراً وتجارة » (على وزن : نصر ينصر) : باع وشرى . وأرادوا به هنا معنى الشراء بالعوض ، فيما أستظهر ، فإنهم قد سألوه قبل عن البيع والابتياع .

(٢) في المطبوعة : « فمكثنا ما شاء الله أن نمكث » ، غير الناشر ما في المخطوطة ، وأفسد .

(٣) « ظهر » (بالبناء للمجهول) ، أي : عثر معها على إناء .

(٤) في المخطوطة : « نفسا » غير منقوطة ، ولو شئت قرأتها : « نفسينا » ، مكان « أنفسنا » ، وهما صواب .

(٥) الأثر : ١٢٩٦٨ — « أبو سفيان » هو : المعمري ، « محمد بن حميد اليشكري » ، مضى برقم : ١٧٨٧ ، ٨٨٢٩ .

و « الحسين » الراوي عنه ، هو « سنيد بن داود » ، مضى مراراً .

و « ابن أبي مارية » ، هو « بديل بن أبي مارية » ، وقد بينت ذلك في التعليق على الأثر السالف .

وهذا الخبر خرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٤٢ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

٧٦/٧ ١٢٩٦٩ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم » ، الآية كلها . قال : هذا شيء [كان] حين لم يكن الإسلام إلا بالمدينة ، (١) وكانت الأرض كلها كفراً، (٢) فقال الله تعالى ذكره: « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم » ، من المسلمين = « أو آخران من غيركم » ، من غير أهل الإسلام = « إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت » ، قال : كان الرجل يخرج مسافراً ، والعرب أهلُ كفر ، فعسى أن يموت في سفره ، فيُسند وصيته إلى رجلين منهم = « فيقسمان بالله إن ارتبتم » ، في أمرهما . إذا قال الورثة : كان مع صاحبنا كذا وكذا ، فيقسمان بالله ما كان معه إلاّ هذا الذي قلنا = « فإن عثر على أنهما استحقا إثماً » ، أنما حلفا على باطل وكذب = « فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان » بالميت= « فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا إنا إذاً لمن الظالمين» ، ذكرنا أنه كان مع صاحبنا كذا وكذا، قال هؤلاء: لم يكن معه ! قال : ثم عثر على بعض المتاع عندهما ، فلما عثر على ذلك رُدّت القسامة على وارثه، (٣) فأقسما، ثم ضمن هذان . قال الله تعالى: « ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم »، (٤) فتبطل أيمانهم = « واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدى القوم الفاسقين » ، الكاذبين ، الذين يحلفون على الكذب. وقال ابن زيد: قدم تميمٌ الداريّ وصاحب له ، وكانا يومئذ مشركين ، ولم يكونا أسلما، فأخبرا أنهما أوصى إليهما رجلٌ، وجاءا بتركته . فقال أولياء الميت :

(١) الزيادة بين القوسين ، لا بد منها للسياق ، وكان في المخطوطة : « . . . لم يكن السلام »، والصواب ما في المطبوعة .

(٢) في المطبوعة : « كفر » بالرفع ، وأخشى أن يكون الأصل : « وكانت الأرض كلها دار كفر » ، أو ما أشبه ذلك ، وتركت ما في المطبوعة على حاله ، وهو صواب أيضاً .

(٣) « القسامة » (بفتح القاف) ، أراد بها هنا : اليمين .

(٤) قوله تعالى : « بعد أيمانهم » لم تكن في المخطوطة ولا المطبوعة ، والصواب إثباتها .

كان مع صاحبنا كذا وكذا ، وكان معه إبريق فضة ! وقال الآخران : لم يكن معه إلاّ الذي جئنا به ! فحلفا خلْف الصلاة ، ثم عثر عليهما بعدُ والإبريق معهما . فلما عثر عليهما، رُدَّت القسامة على أولياء الميت بالذي قالوا مع صاحبهم، ثم ضمنهما الذي حلف عليه الأوليان .

١٢٩٧٠ — حدثنا الربيع قال، حدثنا الشافعي قال ، أخبرنا أبو سعيد معاذ ابن موسى الجعفري ، عن بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان = قال بكير ، قال مقاتل : أخذت هذا التفسير عن مجاهد والحسن والضحاك = في قول الله : « اثنان ذوا عدل منكم » ، أن رجلين نصرانيين من أهل دارين، أحدهما تميمي ، والآخر يماني ، صاحبهما مولًى لقريش في تجارة ، فركبوا البحر ، ومع القرشي مال معلومٌ قد علمه أولياؤه ،من بين آنية وبزّ ورِقَة .[1] فمرض القرشي ، فجعل وصيته إلى الداريّين ، فمات ، وقبض الداريّان المال والوصية ، فدفعاه إلى أولياء الميت ، وجاءا ببعض ماله . وأنكر القوم قلّة المال ، فقالوا للداريّين : إن صاحبنا قد خرج معه بمال أكثر مما أتيتمونا به ، فهل باع شيئاً أو اشترى شيئاً ، فوُضِع فيه ،[2] وهل طال مرضه فأنفق على نفسه ؟ قالا : لا ! قالوا: فإنكما خنتمانا ! فقبضوا المال ، ورفعوا أمرهما إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم » إلى آخر الآية . فلما نزل : أن يُحْبسا من بعد الصلاة ، أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقاما بعد الصلاة ، فحلفا بالله رب السموات : « ما ترك مولاكم من المال إلاّ ما أتيناكم به ، وإنا لا نشتري بأيماننا

---

(١) « البز » : الثياب ، أو ضروب منها ، وبائعها يقال له : « البزاز » . و « الرقة » (بكسر الراء وفتح القاف) : الفضة ، وأصلها « الورق » (بفتح الواو وكسر الراء) ، ثم حذفت الواو ، وجعلت الهاء في آخرها عوضاً عن الواو .

(٢) يقال : « وضع في تجارته يوضع ضعة ، ووضيعة » فهو موضوع فيها » ويقال : « أوضع » (كلاهما بالبناء للمجهول) ، ويقال : « وضع في تجارته وضعاً » (مثل : فرح فرحاً) : غبن فيها ، وخسر من رأس المال .

ثمناً قليلاً من الدنيا، ولو كان ذا قربى ،ولا نكتم شهادة الله إنا إذاً لمن الآثمين » .
فلما حلفا خلَّى سبيلهما. ثم إنهم وجدوا بعد ذلك إناءً من آنية الميت، فأُخذ الداريَّان ،فقالا : اشتريناه منه فى حياته ! وكذبا، فكلِّفا البينة ، فلم يقدرا عليها .
فرفعوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى ذكره : «فإن عثر »، يقول: فإن اطُّلع= « على أنهما استحقا إثماً»، يعنى الداريين ،إن كتما حقًّا = « فآخران »، من أولياء الميت= « يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان » ، فيقسمان بالله : « إنّ مال صاحبنا كان كذا وكذا، وأن الذى يُطلب قبل الداريين لحقٌّ، وما اعتدينا إنا إذاً لمن الظالمين »، هذا قول الشاهدين أولياء الميت = « ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها»، يعنى : الداريَّين والناس، أن يعودوا لمثل ذلك .[1]

* * *

قال أبو جعفر : فقيما ذكرنا من هذه الأخبار التى روينا ، دليلٌ واضح على صحة ما قلنا ، من أنّ حكم الله تعالى ذكره باليمين على الشاهدين فى هذا الموضع، إنما هو من أجل دعوى ورثته على المسنَد إليهما الوصية ، خيانةً فيما دفع الميت من ماله إليهما، أو غير ذلك مما لا يبرأ فيه المدعى ذلك قِبَله إلا بيمين = وأن نقل اليمين إلى ورثة الميت بما أوجبه الله تعالى ذكره، بعد أن عثر على الشاهدين [أنهما استحقا إثماً] ،فى أيمانهما،[2] ثم ظُهِر على كذبهما فيها، إن القوم ادَّعوا

٧٧/٧

(١) الأثر : ١٢٩٧٠ — « معاذ بن موسى الجعفرى » ، « أبو سعيد » ، لم أجد له ترجمة إلا فى تعجيل المنفعة : ٤٠٦ ، لم يزد على أن قال : « معاذ بن موسى ، عن بكير بن معروف . وعنه الشافعى ، رحمه الله تعالى » . وكان فى المطبوعة : « سعيد بن معاذ بن موسى » وهو خطأ ، يخالف المخطوطة .

و « بكير بن معروف الأسدى » ، « أبو معاذ النيسابورى ، الدامغانى » صاحب التفسير ، وهو صاحب مقاتل . قال ابن عدى : « ليس بكثير الرواية ، وأرجو أنه لا بأس به ، وليس حديثه بالمنكر جداً » ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/١١٧ ، وابن أبى حاتم ١/١/٤٠٦ . وكان فى المطبوعة : « بكر » ، وهو خطأ صرف .

وهذا الخبر رواه البيهقى فى السنن الكبرى ١٠ : ١٦٤ من طريق إسماعيل بن قتيبة ، عن أبى خالد يزيد بن صالح ، عن بكير بن معروف ، عن مقاتل بن حيان . ثم رواه (١٠ : ١٦٥) من طريق أبى العباس الأصم ، عن الربيع بن سليمان ، عن الشافعى ، ثم أحال لفظه على الذى قبله .

(٢) هذه الزيادة بين القوسين ، لابد منها ، استظهرتها من نص الآية .

فيما صح أنه كان للميت دعوًى من انتقال ملك عنه إليهما ببعض ما تزول به الأملاك = إنما يكون اليمينُ فيها على ورثة الميت دون المدَّعَى ، وتكون البينة فيها على المدعي = وفسادِ ما خالف في هذه الآية ما قلنا من التأويل .[1]

وفيها أيضاً ،[2] البيانُ الواضح على أن معنى « الشهادة » التي ذكرها الله تعالى في أول هذه القصة إنما هي اليمين ، كما قال الله تعالى في مواضع أُخر : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ، [سورة النور : ٦]. فالشهادة في هذا الموضع ، معناها القَسم ، من قول القائل : « أشهد بالله إني لمن الصادقين » ،[3] وكذلك معنى قوله : « شهادة بينكم » إنما هو : قسَم بينكم = « إذا حضر أحدكم الموتُ حين الوصية » ، أن يقسم اثنان ذوا عدل منكم ، إن كانا اتُّمنا على مال فارتيب بهما ، أو اتُّمِنَ آخران من غير المؤمنين فاتُّهما .[4] وذلك أن الله تعالى ذكره ، لما ذكر نقل اليمين من اللذين ظُهر على خيانتهما إلى الآخرين ، قال : « فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما » . ومعلومٌ أنّ أولياء الميت المدعين قِبل اللذين ظُهر على خيانتهما ، غير جائز أن يكونا شهداء ، بمعنى الشهادة التي يؤخذ بها في الحكم حق مدعًى عليه لمدّع . لأنه لا يعلم لله تعالى ذكره حكم قضى فيه لأحد بدعواه ويمينه على مدعًى عليه بغير بينة ولا إقرار من المدعَى عليه ولا برهان .

فإذ كان معلوماً أن قوله : « لشهادتنا أحق من شهادتهما » ، إنما معناه : قسمُنا أحق من قَسَمهما = وكان قسم اللذين عُثر على أنهما أثِما ، هو الشهادة التي ذكر

---

(١) في المطبوعة : « مما قلنا من التأويل » ، وفي المخطوطة : « ما قبلنا من التأويل » ، وصواب القراءة ما أثبت .

(٢) قوله : « وفيها أيضاً » ، الضمير عائد على قوله في أول الفقرة السالفة : « ففيما ذكرنا من هذه الأخبار التي روينا » ، وهي عطف عليه .

(٣) في المطبوعة : « إنه لمن الصادقين » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٤) انظر ما كتبته في « اتمن » فيما سلف ص : ١٧٢ ، تعليق : ١ ، ٢

الله تعالى ذكره فى قوله : « أحق من شهادتهما » = صحّ أن معنى قوله : «شهادة بينكم » ، بمعنى : « الشهادة » فى قوله : « لشهادتنا أحق من شهادتهما » ، وأنها بمعنى القسم .

* * *

قال أبو جعفر : واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « من الذين استحق عليهم الأوليان » .

فقرأ ذلك قرأة الحجاز والعراق والشأم : ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ﴾ ، بضم « التاء » .

* * *

وروى عن على ، وأبىّ بن كعب ، والحسن البصرى أنهم قرأوا ذلك : ﴿ مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ﴾ ، بفتح « التاء » .

* * *

واختلفت أيضاً فى قراءة قوله : « الأوليان » .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة والشأم والبصرة : ﴿ الأَوْلَيَانِ ﴾ .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة أهل الكوفة : ﴿ الأَوَّلِينَ ﴾ .

* * *

وذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ ذلك : ﴿ مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوَّلاَنِ ﴾ .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب فى قوله : « من الذين استحق عليهم » ، قراءة من قرأ بضم « التاء » ، لإجماع الحجة من القرأة عليه ، مع مشايعة عامة أهل التأويل على صحة تأويله ،[1] وذلك إجماع عامتهم على أن تأويله : فآخران من أهل الميت ، الذين استحق المؤتمنان على مال الميت الإثم فيهم ،

(١) فى المطبوعة : « مع مساعدة أهل التأويل » ، وفى المخطوطة : « مع مساعه » غير منقوطة ، وآثرت قراءتها كما كتبتها . و « المشايعة » ، الموافقة والمتابعة .

يقومان مقام المستحقَّىْ الإثم فيهما، بخيانتهما ما خانَا من مال الميت .

وقد ذكرنا قائلى ذلك ، أو أكثر قائليه ، فيما مضى قبل ، ونحن ذاكرو باقيهم إن شاء الله ذلك:

١٢٩٧١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره : « شهادة بينكم »، أن يموت المؤمن فيحضر موته مسلمان أو كافران، لا يحضُره غير اثنين منهم . فإن رضى ورثته ما عاجل عليه من تركته فذاك ، وحلف الشاهدان إن اتُّهما : إنهما لصادقان = «فإن عثر» وُجد . . . . ،[1] حلف الاثنان الأوليان من الورثة ،فاستحقا وأبطَلا أيمانَ الشَّاهدين .

* * *

وأحسب أن الذين قرأوا ذلك بفتح « التاء » ، أرادوا أن يوجهوا تأويلَه إلى : «فآخران يقومان مقامهما » ، مقام المؤتمنين الذين عُثِر على خيانتهما فى القَسَم، و« الاستحقاق به عليهما » ،دعواهما قِبَلهما = من « الذين استحقَّ »على المؤتمنين على المالِ علىخيانتهما القيامَ مقامهما فى القَسَم والاستحقاق، الأوليانبالميت.[2]

وكذلك كانت قراءة من رُوِيت هذه القراءةعنه ، فقرأ ذلك: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ ﴾ بفتح « التاء » = و« الأوليان » ،[3] على معنى : الأوليان بالميت وماله . ٧٨/٧

وذلك مذهبٌ صحيحٌ، وقراءةٌ غير مدفوعة صحّتها ، غير أنا نختار الأخرى ،

---

(١) فى المطبوعة : « فإن عثر ، وجد لطخ حلف الاثنان . . . » ، وقوله : « لطخ » هنا من عجائب الكلام ، وفى المخطوطة بعد : « فإن عثر وجد » بياض إلى آخر السطر ، مع علامات بعد الكلام بالحمرة . والظاهر أن النسخة التى نقل عنها ناشر المطبوعة ، كان فيها فى هذا الموضع حرف (ط) دلالة على الخطأ ، فكتب مكانها ما كتب . ووضعت أنا مكان البياض فى المخطوطة نقطاً ، والظاهر أن سياق الكلام كان : « فإن عثر ، وجد أنهما استحقا إثماً » حلف الاثنان . . . » ، ولكنى آثرت ترك البياض كما هو فى المخطوطة ، والمعنى ظاهر .

(٢) فى المطبوعة : « فى الأوليان » بزيادة « فى » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الصواب .

(٣) فى المطبوعة ، حذف قوله : « والأوليان » ، وساق الكلام على سياق واحد . وأثبت ما فى المخطوطة .

لإجماع الحجة من القرأة عليها ، مع موافقتها التأويل الذى ذكرْنا عن الصحابة والتابعين .

١٢٩٧٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيي بن آدم ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن أبى عبد الرحمن وكريب ، عن على : أنه كان يقرأ : ﴿ مِنَ الَّذِينَ اُسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ ﴾.(١)

١٢٩٧٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا مالك بن إسمعيل ، عن حماد بن زيد ، عن واصل مولى أبى عُيينة ، عن يحيى بن عقيل ، عن يحيي بن يعمر ، عن أبىّ بن كعب : أنه كان يقرأ: ﴿ مِنَ الَّذِينَ اُسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ ﴾.(٢)

* * *

قال أبو جعفر : وأما أولى القراءات بالصَّواب فى قوله : « الأوليان » عندى ،

---

(١) الأثر : ١٢٩٧٢ — «أبو إسحق» ، هو السبيعى .
و «أبو عبد الرحمن» هو «السلمى» القارئ ، «عبد الله بن حبيب» مضى برقم : ٨٢ .
و «كريب» هو «كريب بن أبى كريب» ، روى عن على . وروى عنه أبو إسحق ، مترجم فى الكبير ٤/١/٢٣١ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/١٦٨ ، ولم يذكرا فيه جرحا . وترجمه فى لسان الميزان ، وقال : «يروى المقاطيع ، من ثقات ابن حبان» .

(٢) الأثر : ١٢٩٧٣ — «مالك بن إسماعيل بن درهم النهدى» ، «أبو غسان» ، مضى برقم : ٢٩٨٩ ، ٤٤٣٣ ، ٤٩٢٦ ، ٨٢٩٢ . وأخشى أن يكون راوى هذا الخبر هو «مؤمل ابن إسماعيل العدوى» ، لا «مالك بن إسماعيل» ، ولكن هكذا ثبت فى المخطوطة .
و «حماد بن زيد بن درهم الأزدى» ، مضى برقم : ٨٥٦ ، ١٦٨٢ ، ٥٤٥٤ .
و «واصل مولى أبى عيينة بن المهلب بن أبى صفرة» ، ثقة ، روى عن يحيى بن عقيل الخزاعى ، والحسن البصرى ، ورجاء بن حيوة ، وأبى الزبير المكى . روى عنه هشام بن حسان من أقرانه ، ومهدى بن ميمون ، وحماد بن زيد ، وغيرهم . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/١٧٢ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٣٠ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : «وائل بن أبى عبيد» ، وهو خطأ لاشك فيه ، بيانه فى التاريخ الكبير للبخارى .
و «يحيى بن عقيل الخزاعى البصرى» ، روى عن يحيى بن يعمر ، وابن أبى أوفى ، ذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال ابن معين : «ليس به بأس» ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٢٩٢ وابن أبى حاتم ٤/٢/١٧٦ .
وأما «يحيى بن يعمر القيسى الجدلى» ، فهو ثقة جليل ، يروى عن الصحابة والتابعين . كان نحوياً صاحب علم بالعربية والقرآن ، وهو أول من نقط المصاحف . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٣١١ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/١٩٦ .

فقراءة من قرأ ﴿ الأَوْلَيَانِ ﴾ لصحة معناها.[1] وذلك لأن معنى : « فآخران يقومان مقامهما من الذين استُحِقَّ [عليهم الأوليان » : فآخران يقومان مقامهما من الذى استُحِقّ] فيهم الإثم ،[2] ثم حذف « الإثم » ، وأقيم مقامه « الأوليان » ، لأنهما هما اللذان ظَلَمَا وأثِما فيهما ، بما كان من خيانة اللذين استحقا الإثم ، وعُثِر عليهما بالخيانة منهما فيما كان ائتُمنهما عليه الميت ،[3] كما قد بينا فيما مضى من فعل العرب مثل ذلك ، من حذفهم الفعل اجتزاء بالاسم ،[4] وحذفهم الاسم اجتزاء بالفعل .[5] ومن ذلك ما قد ذكرنا فى تأويل هذه القصة ، وهو قوله : « شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان » ، ومعناه : أن يشهد اثنان ، وكما قال : « فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشترى به ثمناً » ، فقال : « به » ، فعاد بالهاء على اسم الله ، وإنما المعنى : لا نشترى بقسمنا بالله ، فاجتزئ بالعود على اسم الله بالذكر ، والمراد به : « لا نشترى بالقسم بالله » ، استغناء بفهم السامع بمعناه عن ذكر اسم القسم . وكذلك اجتزئ ، بذكر « الأوليين » من ذكر « الإثم » الذى استحقه الخائنان لخيانتهما إيّاهما ، إذ كان قد جرى ذكر ذلك بما أغنى السامع عند سماعه إياه عن إعادته ، وذلك قوله : « فإن عثر على أنَّهما استحقا إثماً » .

* * *

وأما الذين قرأو ذلك ﴿ الأَوَّلِينَ ﴾ ، فإنهم قصدوا فى معناه إلى الترجمة به عن « الذين » ، فأخرجوا ذلك على وجه الجمع ، إذْ كان « الذين » جميعاً ،[6] وخفضاً ،

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « بصحة معناها » بالباء ، والصواب ما أثبته .

(٢) الذى وضعته بين الأقواس ، هو حق السياق والمعنى ، فإن السياق يقتضى أن يذكر الآية ، ثم يذكر تأويلها ، وهكذا فعلت ، وهو الصواب إن شاء الله .

(٣) فى المطبوعة : « ائتمنهما » ، وانظر ما كتبته سالفاً ص : ١٧٢ ، تعليق ١ ، ٢ ، وص : ١٩٣ تعليق : ٤

(٤) « الفعل » ، هو المصدر ، كما سلف مراراً ، وانظر فهارس المصطلحات .

(٥) انظر ما سلف ص : ١٦٠

(٦) فى المطبوعة : « جمعا » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

إذ كان « الذين » مخفوضاً ، وذلك وجه من التأويل ، غير أنه إنما يقال للشيء « أوّل » ، إذا كان له آخر هو له أوّل . وليس للذين استحق عليهم الإثم ، آخر هم له أوّل . بل كانت أيمان اللذين عثر على أنهما استحقّا إثماً قبل أيمانهم ، فهم إلى أن يكونوا = إذ كانت أيمانهم آخراً = أولى أن يكونوا « آخرين » ، من أن يكونوا « أوّلين » ، وأيمانهم آخرة لأولى قبلها .

* * *

وأما القراءة التي حكيت عن الحسن ، فقراءةٌ عن قراءَة الحجة من القرأة شاذة ، وكفى بشذوذها عن قراءتهم دليلاً على بُعدها من الصواب .

* * *

واختلف أهل العربية في الرافع لقوله : « الأوليان » ، إذا قرئ كذلك .

فكان بعض نحويي البصرة[1] يزعم أنه رفع ذلك، بدلاً من : « آخران » في قوله : « فآخران يقومان مقامهما » . وقال : إنما جاز أن يبدل « الأوليان » ، وهو معرفة ، من « آخران » وهو نكرة ، لأنه حين قال : « يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم » ، كان كأنه قد حدّهما حتى صارا كالمعرفة في المعنى ، فقال : « الأوليان » ، فأجرى المعرفة عليهما بدلاً . قال : ومثل هذا = مما يجرى على المعنى = كثير ، واستشهد لصحة قوله ذلك بقول الراجز :[2]

عَلَيَّ يَوْمَ يَمْـلِكُ الأُمُورَا صَوْمُ شُهُورٍ وَجَبَتْ نُذُورَا
وَبَادِنًا مُقَلَّدًا مَنْحُورَا[3]

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « فقال بعض نحويي . . . » ، والصواب ما أثبت .

(٢) لم أعرف قائله .

(٣) « البادن » : الضخم السمين المكتنز ، ولم أجدهم قالوا : « البادن » وأرادوا به « البدنة » (بفتح الباء والدال) ، وهي الناقة التي كانوا يسمنونها ثم تهدى إلى البيت ، ثم تنحر عنده . ولعل الراجز استعملها على الصفة ، ومع ذلك فهي عندي غريبة تقيد . و « المقلد » ، الذي وضعت عليه القلائد ، إشعاراً بأنه هدى يساق إلى الكعبة . ذكر الراجز ما نذره إذا ولي هذا الرجل أمور الناس .

قال : فجعله: علىّ واجب ، لأنه فى المعنى قد أوجب .(١)

* * *

وكان بعض نحويى الكوفة ينكر ذلك ويقول : لا يجوز أن يكون « الأوليان » بدلاً من : « آخران »، من أجل أنه قد نَسَق « فيقسمان » على « يقومان » فى قوله (٢): « فآخران يقومان » ، فلم يتمّ الخبر بعد « مِنْ » .(٣) قال: ولا يجوز الإبدال قبل إتمام الخبر . (٤) وقال : غير جائز : « مررت برجل قام زيدٌ وقَعَد » ، و « زيد » بدل من « رجل » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : « الأوليان » مرفوعان بما لم يسمّ فاعله ، وهو قوله : ﴿ اسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ ﴾ وأنهما وُضِعا موضع الخبر عنهما ،(٥) فعمل فيهما ما كان عاملاً فى الخبر عنهما . وذلك أن معنى الكلام: « فآخران يقومان مقامهما من الذين استُحِقّ عليهم الإثم بالخيانة»، فوضع « الأوليان » موضع « الإثم »، كما قال تعالى ذكره فى موضع آخر :﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾، [سورة التوبة : ١٩] ، ومعناه: أجعلتم سقاية الحاجّ وعمارةَ المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر ٧٩/٧

(١) تركت هذه الجملة كما هى فى المخطوطة والمطبوعة . وإن كنت أرجح أنه استشهد بالرجز على أنه نصب « صوم شهور » ، وعطف عليه « وبادناً مقلداً منحوراً » ، على معنى : قد أوجبت على نفسى صوم شهور ، وبادناً مقلداً منحوراً . فإن صح ذلك فيكون صواب هذه العبارة : « فجعله : على واجب = لأنه فى المعنى : قد أوجبتُ » .

(٢) « نسق » ، أى : عطف .

(٣) فى المطبوعة : « فلم يتم الخبر عند من قال . . . » ، غير ما فى المخطوطة ، وهذا خطأ محض . الصواب ما فى المخطوطة ، يريد : بعد « من الذين استحق عليهم الأوليان » .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « قال » بغير واو ، والصواب إثباتها كما يدل عليه السياق . ثم كتب فى المطبوعة بعد ذلك « كما قال : غير جائز . . . » ، بزيادة « كما » ، وهى فى المخطوطة ، مكتوبة متصلة بالراء ، فآثرت قراءتها « وقال » ، لأنه حق السياق .

(٥) فى المطبوعة : « وأنهما موضع الخبر » أسقط « وضعا » ، وهى ثابتة فى المخطوطة .

= وكما قال : ﴿وَأُشْرِبُوا فِى قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ ، [سورة البقرة: ٩٣] ، وكما قال بعض الهذليين .[1]

يُمَشِّى بَيْنَنَا حَانُوتُ خَمْرٍ مِنَ الْخُرْسِ الصَّرَاصِرَةِ الْقِطَاطِ[2]

وهو يعنى : صاحب حانوت خمر ، فأقام « الحانوت » مقامه ، لأنه معلوم أن « الحانوت » ، لا يمشى ! ولكن لما كان معلوماً عنده أنَّه لا يخفى على سامعه ما قصد إليه من معناه ، حذف « الصاحب » ، واجتزأ بذكر « الحانوت » منه . فكذلك قوله : « من الذين استُحِقَّ عليهم الأوليان » ، إنما هو من الذين استُحِقَّ فيهم خيانتهما ، فحذفت « الخيانة » وأقيم « المختانان » ، مقامهما . فعمل فيهما ما كان يعمل فى المحذوف لو ظهر .

* * *

وأما قوله : « عليهم » فى هذا الموضع ، فإن معناها : فيهم ، كما قال تعالى : ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ ، [سورة البقرة: ١٠٢] ، يعنى : فى

(١) هو المتنخل الهذلى .

(٢) ديوان الهذليين ٢ : ٢١ ، والمعانى الكبير : ٤٧٢ . واللسان (حنت) (قطط) (خرص) ، من قصيدة له طويلة ، يذكر مواضى أيامه ، ثم يقول بعد البيت فى صفة الخمر :

رَكُودٍ فى الإنَاءِ لَهَا حُمَيَّا تَلَذُّ بِأَخْذِهَا الأَيْدِى السَّوَاطِى
مُشَعْشَعَةٍ كَعَيْنِ الدِّيكِ ، لَيْسَتْ ، إِذَا ذِيقَتْ ، مِنَ الْخَلِّ الْخِمَاطِ

وقوله : « الخرس » ، جمع « أخرس » ، وهو الذى ذهب كلامه عياً أو خلقة . ويعنى به : خدماً من العجم لا يفصحون ، فلذلك سماهم « خرساً » . وروى بعضهم « من الخرص » ، وهو خطأ ، نبه عليه الأزهرى رحمه الله .

و « الصراصرة » ، نبط الشأم . وعندى أنهم سموا بذلك ، لشىء كان فى أصواتهم وهم يتكلمون ، فى أصواتهم صياح وارتفاع وامتداد ، كأنه صرصرة البازى . و « القطاط » جمع « قطط » (بفتحتين) و « قط » (بفتح وتشديد) : وهو الرجل الشديد جعودة شعر الرأس . وقوله : « ركود فى الإناء » ، يعنى أنها صافية ساكنة . و « حميا الخمر » ، سورتها وأخذها بالبدن . و « الأيدى السواطى » ، التى تسطو إليها ، أى : تتناولها معجلة شديدة الرغبة فيها . و « مشعشعة » : قد أرقها مزجها بالماء . و « الخماط » من الخمر : التى أصابتها ريح ، فلم تستحكم ولم تبلغ الحموضة .

ملك سليمان ، وكما قال : ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [سورة طه : ٧١] .

« فى » توضع موضع « على » ، و « على » فى موضع « فى » ، كل واحدة منهما تعاقب صاحبتها فى الكلام ، [١] ومنه قول الشاعر : [٢]

مَتَى مَا تُنْكِرُوهَا تَعْرِفُوهَا عَلَى أَقْطَارِهَا عَلَقٌ نَفِيثُ [٣]

* * *

وقد تأوّلت جماعة من أهل التأويل قول الله تعالى ذكره : « فإن عثر على أنهما استحقا إثماً فآخران يقومان مقامهما من الذين استحقّ عليهم الأوليان » ، أنهما رجلان آخران من المسلمين ، أو رجلان أعدل من المقسمين الأوّلَيْن .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٩٧٤ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود بن أبى هند ، عن عامر ، عن شريح فى هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم » ، قال : إذا كان الرجل بأرض غُرْبة ولم يجد مسلماً يشهده على

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٩٩/٢ : ٤١١ ، ٤١٢ ، وغيرها من المواضع فى باب تعاقب الحروف .

(٢) هو أبو المثلم الهذلى .

(٣) ديوان الهذليين ٢ : ٢٢٤ ، مشكل القرآن : ٢٩٥ ، ٤٣٠ ، والمعانى الكبير : ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، والاقتضاب : ٤٥١ ، والجواليقى : ٣٧٣ ، واللسان (نفث) وغيرها . من أبيات فى ملاحاة بينه وبين صخر الغى ، من جراء دم كان أبو المثلم يطلب عقله ، أى ديته ، وقبل البيت :

لَحَقٌّ بَنِي شُغَارَةَ أَنْ يَقُولُوا لِصَخْرِ الغَيِّ : مَاذَا تَسْتَبِيثُ ؟

أى : ماذا تستثير ؟ وإنما أراد الحرب ، فقال له بعد : « متى ما تنكروها . . . » ، أى : إذا جاءت الحرب أنكرتموها ، ولكن ما تكادون تنكرونها ، حتى تروا الدم يقطر من نواحيها ، يعنى كتائب المحاربين . و « العلق » : الدم ، و « الأقطار » : النواحى . و « النفيث » ، الدم الذى تنفثه القروح والجروح .

وقد خلط البطليوسى فى شرح هذا الشعر ، فزعم أن الضمير فى قوله : « متى ما تنكروها » ، عائد « إلى المقالة » ، يعنى هذا الهجاء بينهما ، وأتى فى ذلك بكلام لا خير فيه ، أراد به الإغراب كعادته .

وصيته ، فأشهد يهوديًّا ، أو نصرانيًّا ، أو مجوسيًّا ، فشهادتهم جائزة. فإن جاء رجلان مسلمان فشهدا بخلاف شهادتهم ، أجيزت شهادة المسلمين ، وأبطلت شهادة الآخرين .(١)

١٢٩٧٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فان عثر » ، أى : اطلع منهما على خيانة ، على أنهما كذبا أو كتما ، فشهد رجلان هما أعدل منهما بخلافِ ما قالا ، أجيزت شهادة الآخرين ، وأبطلت شهادة الأوَّلين .

١٢٩٧٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن عبد الملك ، عن عطاء قال : كان ابن عباس يقرأ : ﴿ مِنَ الَّذِينَ اسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ الأَوَّلَيْنِ ﴾ وقال: كيف يكون « الأوليان » ، أرأيت لو كان الأوليان صغيرين ؟

١٢٩٧٧ — حدثنا هناد وابن وكيع قالا ، حدثنا عبدة، عن عبد الملك، عن عطاء، عن ابن عباس قال: كان يقرأ: ﴿ مِنَ الَّذِينَ اسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ الأَوَّلَيْنِ ﴾ قال ، وقال : أرأيت لو كان الأوليان صغيرين ، كيف يقومان مقامهما ؟

* * *

قال أبو جعفر : فذهب ابن عباس ، فيما أرى ، إلى نحو القول الذى حكيتُ عن شريح وقتادة ، من أنّ ذلك رجلان آخران من المسلمين ، يقومان مقام النَّصرانيين ، أو عَدْلان من المسلمين هما أعدل وأجوزُ شهادة من الشاهدين الأولين أو المقسمين .

وفى إجماع جميع أهل العلم على أنْ لا حكم لله تعالى ذكره يجب فيه على شاهدٍ يمينٌ فيما قام به من الشهادة، دليلٌ واضح على أنّ غير هذا التأويل = الذى قاله الحسن ومن قال بقوله فى قول الله تعالى ذكره : «فآخران يقومان مقامهما» =أولى به .

* * *

(١) الأثر : ١٢٩٧٤ — مضى هذا الخبر برقم : ١٢٩٠٩ ، ١٢٩٤٣ ، وانظر التعليق على رقم : ١٢٩٠٩ .

وأما قوله: « الأوليان »، فإن معناه عندنا: الأَوْلَى بالميت من المقسمين الأولين فالأولى.[1] وقد يحتمل أن يكون معناه: الأولى باليمين منهما فالأولى = ثم حذف « منهما »،[2] والعرب تفعل ذلك فتقول: « فلان أفضل »، وهي تريد: « أفضل منك »، وذلك إذا وضع « أفعل » موضع الخبر. وإن وقع موقع الاسم وأدخلت فيه « الألف واللام »، فعلوا ذلك أيضاً، إذا كان جواباً لكلام قد مضى، فقالوا: « هذا الأفضل، وهذا الأشرف »، يريدون: هو الأشرف منك.

* * *

وقال ابن زيد: معنى ذلك: الأوليان بالميت.

١٢٩٧٨ — حدثني يونس، عن ابن وهب، عنه.

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٠٧)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: فيقسم الآخران اللذان يقومان مقام اللّذين عثر على أنهما استحقا إثماً بخيانتهما مالَ الميت، الأَوْليان باليمين والميِّت من الخائنين: = « لشهادتنا أحقُّ من شهادتهما »، يقول: لأيماننا أحقُّ من أيمان المقسمَين المستحقَّين الإثم، وأيمانِهما الكاذبة = في أنَّهما قد خانا في كذا وكذا من مال ميِّتنا، وكذا في أيمانِهما التي حلفا بها = « وما اعتدينا »، يقول: وما تجاوزنا الحقَّ في أيماننا. ٨٠/٧

* * *

وقد بينا أن معنى « الاعتداء »، المجاوزة في الشيء حدَّه.[3]

* * *

(١) السياق: « الأولى بالميت ... فالأولى ».
(٢) في المطبوعة: « ثم حذف فيهما »، وهو خطأ صرف، وهي في المخطوطة غير منقوطة.
(٣) انظر تفسير « الاعتداء » فيما سلف من فهارس اللغة (عدا).

« إنا إذا لمن الظالمين » يقول : إنّا إن كنا اعتدينا فى أيماننا ، فحلفنا مبطلين فيها كاذبين= «لمن الظالمين»، يقول : لِمَنْ عِدَادِ مَنْ يأخذ ما ليس له أخذه ،[1] ويقتطع بأيمانه الفاجرة أموال الناس .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ذلك » ، هذا الذي قلت لكم فى أمر الأوصياء = إذا ارتبتم فى أمرهم ، واتهمتموهم بخيانة لمالِ من أوصى إليهم ، من حبسهم بعد الصلاة ، واستحلافكم إيَّاهم على ما ادَّعى قِبَلَهم أولياء الميت= « أدنى » لهم « أن يأتوا بالشهادة على وجهها» ، يقول : هذا الفعل ، إذا فعلتم بهم ، أقربُ لهم أن يصدُقوا فى أيمانهم ،[3] ولا يكتموا ، ويقرُّوا بالحق ولا يخونوا[4] = « أو يخافوا أن تردّ أيمان بعد أيمانهم » ، يقول : أو يخاف هؤلاء الأوصياء إن عثر عليهم أنهم استحقُّوا إثماً فى أيمانهم بالله ، أن تردّ أيمانهم على أولياء الميت ، بعد أيمانهم التى عُثِر عليها أنها كذب ، فيستحقُّوا بها ما ادّعوا قِبَلَهم من حقوقهم ، فيصدقوا حينئذٍ فى أيمانهم وشهادتهم ، مخافةَ الفضيحة على أنفسهم ، وحذراً أن يستحقّ عليهم ما خانُوا فيه أولياء الميِّت وورثته .

* * *

(١) فى المطبوعة : « لمن عدا ومن يأخذ » ، غير ما فى المخطوطة ، وأساء أقبح الإساءة .

(٢) انظر تفسير « الظلم » ، فيما سلف من فهارس اللغة .

(٣) انظر تفسير « أدنى » فيما سلف ٦ : ٧٨/٧ : ٥٤٨ .

(٤) انظر تفسير « على وجهه » فيما سلف ٢ : ٥١١ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل . وقد تقدّمت الروايةُ بذلك عن بعضهم ، ونحن ذاكرو الرواية فى ذلك عن بعضِ من بَقِىَ منهم .

١٢٩٧٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « فإن عُثِرَ على أنهما استحقّا إثماً » ، يقول : إن اطُّلِع على أنّ الكافرين كذبَا = « فآخران يقومان مقامهما» ، يقول : من الأولياء ، فحلفا بالله أنّ شهادة الكافرين باطلة ، وأنا لم نعتد ، فتردّ شهادة الكافرين ، وتجوز شهادة الأولياء . يقول تعالى ذكره : ذلك أدنى أن يأتى الكافرون بالشهادة على وجهها ، أو يخافوا أن تردّ أيمان بعد أيمانهم . وليس على شُهود المسلمين أقْسام ، وإنما الأقسام إذا كانوا كافرين .

١٢٩٨٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة » الآية، يقول : ذلك أحرَى أن يصدقوا فى شهادتهم ، وأن يخافوا العَقِب .[1]

١٢٩٨١ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « أو يخافوا أن تردَّ أيمان بعد أيمانهم » ، قال : فتبطل أيمانهم ، وتؤخذ أيمانُ هؤلاء .

* * *

وقال آخرون : [معنَى ذلك تحبسونهما من بعد الصلاة . ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ، على أنهما استحقا إثماً، فآخران يقومان مقامهما] .[2]

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المطبوعة : « وأن يخافوا العقاب » ، والصواب ما فى المخطوطة و « العقب » (بفتح فكسر) : العاقبة ، وذلك عاقبة أمرهما فى بطلان أيمانهم ، وعاقبة رد الفضيحة على أنفسهم .

(٢) هذه الجملة كلها مضطربة المعنى ، ولا تطابق الأثر التالى ، وظنى أن فى الكلام سقطاً ، أسقط الناسخ سطراً أو نحوه ، وتركتها على حالها فى المخطوطة والمطبوعة ، ولكنى وضعتها بين قوسين ، شكاً منى فى صحتها .

١٢٩٨٢ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدي قال: يوقف الرجلان بعد صلاتهما في دينهما، فيحلفان بالله: «لا نشتري به ثمناً قليلاً ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذاً لمن الآثمين، أنّ صاحبكم لبهذا أوصى، وأنّ هذه لتركته». فيقول لهما الإمام قبل أن يحلفا: «إنكما إن كتمتما أو خنتما، فضحتكما في قومكما، ولم أجز لكما شهادة، وعاقبتكما». فإن قال لهما ذلك، فإنّ ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها.

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (١٠٨)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وخافوا الله، أيها الناس، وراقبوه في أيمانكم أن تحلفوا بها كاذبةً، وأن تُذْهبوا بها مال من يَحْرُم عليكم ماله، وأن تخونوا من ائتمنكم[1] = «واسمعوا»، يقول: اسمعوا ما يقال لكم وما توعظون به، فاعملوا به، وانتهوا إليه = «والله لا يهدي القوم الفاسقين»، يقول: والله لا يوفِّق من فَسَق عن أمر ربّه، فخالفه وأطاع الشيطانَ وعصى ربّه.

* * *

وكان ابن زيد يقول: «الفاسق»، في هذا الموضع، هو الكاذب.[2]

١٢٩٨٣ — حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: «والله لا يهدي القومَ الفاسقين»، الكاذبين، يحلفون على الكذب.

* * *

(١) انظر ما كتبته في «ائتمن» فيما سلف ص: ١٩٧، تعليق: ٣

(٢) انظر تفسير «الفاسق» بهذا المعنى من تفسير ابن زيد، فيما سلف رقم: ١٢١٠٣ في الجزء ١٠: ٣٧٦. ثم انظر تفسير «الفسق» فيما سلف من فهارس اللغة (فسق).

وليس الذى قال ابن زيد من ذلك عندي بمدفُوعٍ ، إلا أن الله تعالى ذكره عَمّ الخبر بأنه لا يهدى جميع الفسّاق ، ولم يخصص منهم بعضاً دون بعض بخبر ولا عقلٍ ، فذلك على معانى «الفسق» كلها ، حتى يخصِّص شيئاً منها ما يجب التسليمُ له ، فيُسلَّم له . ٨١/٧

* * *

ثم اختلف أهل العلم فى حكم هاتين الآيتين ، هل هو منسوخ ، أو هو مُحكَم ثابت ؟

فقال بعضهم : هو منسوخ

* ذكر من قال ذلك :

١٢٩٨٤ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن رجل قد سماه ، عن حماد ، عن إبراهيم قال : هى منسوخة .

١٢٩٨٥ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : هى منسوخة = يعنى هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم » ، الآية .

* * *

وقال جماعة : هى محكمة وليست بمنسوخة . وقد ذكرنا قولَ أكثرهم فيما مضى .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن حكم الآية غيرُ منسوخ .[1] وذلك أن من حكم الله تعالى ذكره الذى عليه أهل الإسلام ، من لدن بعث الله تعالى ذكره نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا ، أنّ من ادُّعِى عليه

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « أن حكم الآية منسوخ » ، وهو خطأ فاحش ، فإن أبا جعفر يقول بعد ذلك أنها غير منسوخة ، كما سترى ، فالصواب ما أثبته .

دَعْوى ممَّا يملكه بنو آدم ، أنّ المدَّعَى عليه لا يبرئه مما ادُّعِي عليه إلا اليمين ، إذا لم يكن للمدَّعِي بيّنة تصحح دَعواه= وأنه إن اعترف فى يَدِ المدَّعى [عليه] سلعةً له ، (١) فادَّعَى أنها له دون الذى فى يده ، فقال الذى هى فى يده : « بل هى لى ، اشتريتها من هذا المدَّعِى » ، أنّ القول قول من زَعَمَ الذى هى فى يده أنه اشتراها منه ، دون من هى فى يده مع يمينه ، إذا لم يكن للذى هى فى يده بيّنة تحقق به دعواه الشراءَ منه .

فإذا كان ذلك حكم الله الذى لا خلافَ فيه بين أهل العلم ، وكانت الآيتان اللتان ذكر الله تعالى ذكره فيهما أمرَ وصية الموصِى إلى عدلين من المسلمين ، أو إلى آخرين من غيرهم ، إنما ألزَم النبى صلى الله عليه وسلم ، فيما ذكر عنه ، الوصيَّين اليمينَ حين ادَّعَى عليهما الورثة ما ادَّعوا ، ثم لم يلزم المدَّعَى عليهما شيئاً إذ حلفا ، حتى اعترفت الورثة فى أيديهما ما اعترفُوا من الجام أو الإبريق أو غير ذلك من أموالهم ، فزعما أنهما اشترياه من ميتهم ، فحينئذ ألزم النبىُّ صلى الله عليه وسلم ورثةَ الميِّت اليمين ، لأن الوصيين تحوَّلا مُدَّعِيين بدعواهما ما وجدَا فى أيديهما من مال الميِّت أنه لهما ، اشتريَا ذلك منه ، فصارَا مُقِرَّين بالمال للميِّت ، مدَّعيين منه الشراء ، فاحتاجا حينئذ إلى بيِّنةٍ تصحِّح دعواهما ، وصارتْ ورثة الميتِ ربِّ السلعة ، (٢) أولى باليمين منهما . فذلك قوله تعالى ذكره : « فإن عثر على أنهما استحقا إثماً فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما » ، الآية .

---

(١) فى المطبوعة : « وأنه إن اعترف وفى يدى المدعى سلعة » ، غير ما فى المخطوطة ، وفيها : « وأنه إن اعترف فى يد المدعى سلعة » ، فأثبت ذلك ، وهو الصواب ، وزدت « عليه » بين القوسين ، لأنه حق المعنى .

وقوله : « اعترف » بمعنى : عرفها وميزها ، كما سيأتى فى سائر الفقرة .

(٢) فى المطبوعة : « . . . تصحح دعواهما ، وورثة الميت رب السلعة » ، حذف قوله « وصارت » ، مع أن الكلام لا يستقيم إلا بها ، وهى فى المخطوطة ثابتة ، إلا أن الناسخ أساء كتابتها .

فإذ كان تأويل ذلك كذلك، فلا وجه لدعوَى مدَّعٍ أن هذه الآية منسوخة، لأنه غير جائز أن يُقْضَى على حُكم من أحكام الله تعالى ذكره أنه منسوخ، إلا بخبرٍ يقطع العذرَ: إمّا من عند الله، أو من عند رسوله صلى الله عليه وسلم، أو بورود النَّقل المستفيض بذلك. فأمّا ولا خبر بذلك، ولا يدفع صحته عقل، فغير جائز أن يقضى عليه بأنه منسوخ.

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ (١٠٩)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: واتقوا الله، أيها الناس. واسمعوا وَعْظه إياكم وتذكيرَه لكم، واحذروا يَوْمَ يَجْمَعُ الله الرسل = ثم حذف « واحذروا »، واكتفى بقوله: « واتقوا الله واسمعوا »، عن إظهاره، كما قال الراجز:

عَلَفْتُهَا تِبْناً وَمَاءً بَارِدًا حَتَّى شَتَتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا[1]

يريد: « وسقيتها ماء بارداً »، فاستغنى بقوله: « علفتها تبناً » من إظهار « سقيتها »، إذ كان السامع إذا سمعه عرف معناه. فكذلك فى قوله: « يوم يجمع الله الرسل »، حذف « واحذروا » لعلم السامع معناه، اكتفاءً بقوله: « واتقوا الله واسمعوا »، إذ كان ذلك تحذيراً من أمر الله تعالى ذكره، خلقَه عقابَه على معاصيه.

* * *

وأما قوله: « ماذا أُجبتم »، فإنه يعنى به: ما الذى أجابتكم به أممكم،[2] حين

(١) مضى تخريج البيت وتفسيره فيما سلف ١ : ٢٦٤، وكان فى المطبوعة هنا: « حتى غدت همالة »، غير ما فى المخطوطة.

(٢) انظر تفسير « ماذا » فيما سلف ٤ : ٢٩٢، ٣٤٦، ٨/٣٤٧ : ٣٥٩.

دعوتموهم إلى توحيدى ، والإقرار بى ، والعمل بطاعتى ، والانتهاء عن معصيتى ؟=
« قالوا لا علم لنا » .

* * *

فاختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى قولهم : « لا علم لنا » ، لم يكن ذلك من الرسل إنكاراً أن يكونوا كانوا عالمين بما عملت أممهم ، ولكنهم ذَهِلوا عن الجواب من هَوْلِ ذلك اليوم ، ثم أجابوا بعد أن ثَابَتْ إليهم عقولهم بالشَّهادة على أممهم .

٨٢/٧ * ذكر من قال ذلك :

١٢٩٨٦ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل ، قال ، حدثنا أسباط ، عن السدىّ : « يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا » ، قال : فذلك أنهم نزلوا منزلاً ذَهِلت فيه العقول ،[١] فلما سئلوا قالوا : « لا علم لنا » ، ثم نزلوا منزلاً آخر ، فشهدوا على قومهم .

١٢٩٨٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة . . . . . . قال : سمعت الحسن يقول فى قوله : « يوم يجمع الله الرسل » ، الآية ، قال : من هول ذلك اليوم .[٢]

١٢٩٨٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن الأعمش ، عن مجاهد فى قوله : « يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم » ، فيفزعون ، فيقول : ماذا أجبتم ؟ فيقولون : لا علم لنا !

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا .

---

(١) فى المطبوعة : « ذلك أنهم لما نزلوا » ، وفى المخطوطة : « فذلك أنهم لما نزلوا » وأثبت ما فى المخطوطة ، وحذفت « لما » لأنه لا موضع لها هنا ، وكأنها زيادة من عجلة الناسخ .

(٢) الأثر : ١٢٩٨٧ — هذا إسناد ناقص بلا شك ، بين « عنبسة » ، و « الحسن البصرى » فوضعت مكانه النقط ، وقد أعجلت أن أجد مثله فيما سلف ، فتركته حتى أجد تمامه .

ذكر من قال ذلك :

١٢٩٨٩ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ،عن مجاهد فى قوله: «يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم» ، فيقولون := لا علم لنا إلاّ ما علمتنا = «إنك أنتَ علام الغيوب» .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : قالوا لا علم لنا ، إلا علمٌ أنت أعلَمُ به منّا .

ذكر من قال ذلك :

١٢٩٩٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : «يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا» ، إلا علم أنت أعلم به منا .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : «ماذا أجبتم» ، ماذا عملوا بعدكم ؟ وماذا أحدثوا ؟

ذكر من قال ذلك :

١٢٩٩١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : «يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم» ، ماذا عملوا بعدكم ؟ وماذا أحدثوا بعدكم؟ = «قالوا لاعلم لنا إنك أنت علام الغيوب» .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب ، قولُ من قال : «معناه : لا علم لنا، إلاّ علم أنت أعلم به منّا» ، لأنه تعالى ذكره أخبر عنهم أنهم قالوا: «لا علم لنا إنّك أنتَ علام الغيوب» ، أى: إنك لا يخفى عليك ما عندنا من علم ذلك ولا غيره من خفىِّ العلوم وجليِّها . فإنما نَفى القومُ أن يكون لهم بما سُئلوا عنه من ذلك علم لا يعلمه هو تعالى ذكره= لا أنّهم نَفَوا أن يكونوا علموا ما شاهدُوا . وكيف يجوز أن يكون ذلك كذلك، وهو تعالى ذكره يخبر عنهم أنّهم يُخْبِرون بما أجابتهم به الأمم،

وأنهم يستشهدون على تبليغهم الرسالة شهداء ، (١) فقال تعالى ذكره : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [سورة البقرة : ١٤٣] .

* * *

وأما الذى قاله ابن جريج ، من أن معناه : « ماذا عملت الأمم بعدكم ؟ وماذا أحدثوا ؟ » ، فتأويل لا معنًى له . لأن الأنبياء لم يكن عندها من العلم بما يَحدُث بعدها إلاّ ما أعلمها الله من ذلك ، وإذا سئلت عمَّا عملت الأمم بعدها والأمر كذلك ، فإنما يقال لها : ماذا عرَّفناك أنه كائن منهم بعدك ؟ وظاهرُ خبر الله تعالى ذكره عن مسألته إيّاهم ، يدلّ على غير ذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لعباده : احذروا يومَ يجمع الله الرسلَ فيقول لهم : ماذا أجابتكم أممكم فى الدنيا = « إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس » .

* * *

فـ « إذْ » من صلة « أجبتم » ، كأنّ معناها : ماذا أجابت عيسى الأمم التى أرسل إليها عيسى .

* * *

(١) فى المطبوعة : « سيشهدون على تبليغهم » ، حرف ما فى المخطوطة وأساء .

فإن قال قائل : وكيف سئلت الرسل عن إجابة الأمم إيَّاها فى عهد عيسى ، ولم يكن فى عهد عيسى من الرُّسل إلا أقلُّ ذلك ؟ (١)

قيل : جائزٌ أن يكون الله تعالى ذكره عنى بقوله : « فيقول ماذا أجبتم » ، الرسلَ الذين كانوا أرسلوا فى عهد عيسى ، فخرَج الخبر مخرج الجميع ، والمراد منهم من كان فى عهد عيسى ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ [سورة آل عمران : ١٧٣] ، والمراد واحدٌ من الناس، وإن كان مخرج الكلام على جميع الناس . (٢)

* * *

قال أبو جعفر : ومعنى الكلام : « إذ قال الله » ، حين قال = « يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس » ، يقول : ياعيسى اذكر أيادىّ عندك وعند والدتك، (٣) إذ قوّيتك برُوح القُدس وأعنتُك به. (٤)

* * *

وقد اختلف أهل العربية فى « أيدتك » ، ما هو من الفعل .

فقال بعضهم : هو « فعّلتك » ، [« من « الأيد »] ، كما قولك : « قوّيتك » « فعّلت » من « القوّة » . (٥)

* * *

وقال آخرون : بل هو « فاعلتك » من « الأيد » .

---

(١) فى المطبوعة : « إلا أقل من ذلك » ، زاد « من » ، فأفسد الكلام ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٢) انظر ما سلف ٧ : ٤٠٥ - ٤١٣ .

(٣) انظر تفسير « النعمة » فيما سلف من فهارس اللغة (نعم) .

(٤) انظر تفسير « أيد » فيما سلف ٢ : ٣١٩/٥ : ٣٧٩/٦ : ٢٤٢ .

(٥) الزيادة بين القوسين ، لا بد منها . وفى المطبوعة : « كما فى قولك » بزيادة « فى » ، والصواب ما فى المخطوطة بحذفها .

وروى عن مجاهد أنه قرأ : ﴿ إِذْ آيَدْتُكَ ﴾، بمعنى « أفعلتك »، من القوّة والأيد . (١)

* * *

٨٣/٧ وقوله : « بروح القدس » ، يعنى : بجبريل . يقول : إذ أعنتك بجبريل .

* * *

وقد بينت معنى ذلك ، وما معنى « القدس » ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . (٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (١١٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره، مخبراً عن قيله، لعيسى : « اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس »، فى حال تكليمك الناسَ فى المهدِ وكهلاً .

* * *

وإنما هذا خبر من الله تعالى ذكره: أنه أيده بروح القدس صغيراً فى المهد ،

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٢٥ . وهذا الذى ذكره هنا فى « أيدتك » تفصيل أغفله فى بيانه السالف فى ٢ : ٣١٩ ، وهذا من ضروب اختصاره فى التفسير ، وهو دال أيضاً على طريقته فى تأليف هذا التفسير .

(٢) انظر تفسير « روح القدس » فيما سلف ٢ : ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٥/٣٧٩ : ٣٧٩ .

وكهلاً كبيراً = فردّ « الكهل » على قوله « فى المهد » ، لأن معنى ذلك : صغيراً ، كما قال الله تعالى ذكره : ﴿ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ﴾ ، [سورة يونس : ١٢] .

* * *

وقوله : « وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل » ، يقول : واذكر أيضاً نعمتى عليك « إذ علمتك الكتاب » ، وهو الخطّ = « والحكمة » ، وهى الفهم بمعانى الكتاب الذى أنزلته إليك ، وهو الإنجيل = « وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير » ، يقول : كصورة الطير . . . .[1] = « بإذنى » ، يعنى بقوله : « تخلق » تعمل وتصلح — « من الطين كهيئة الطير بإذنى » ، يقول : بعونى على ذلك ، وعلمٍ منّى به = « فتنفخ فيها » ، يقول : فتنفخ فى الهيئة ، فتكون الهيئة والصورة طيراً بإذنى = « وتبرئ الأكمه » ، يقول : وتشفى « الأكمهَ » ، وهو الأعمى الذى لا يبصر شيئاً ، المطموس البصر = « والأبرص بإذنى » .

* * *

وقد بينت معانى هذه الحروف فيما مضى من كتابنا هذا ، مفسراً بشواهده ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[2]

* * *

(١) مكان هذه النقط بياض فى المخطوطة ، وفى هامشها حرف (ط) ، دلالة على موضع خطأ . فأثبتها كذلك . وإن كنت أرجح أن سياق أبى جعفر يقتضى أن تكون عبارته هكذا :

﴿ وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير ، يعنى بقوله : « تخلق » ، تعمل وتصلح « من الطين كهيئة الطير » ، يقول : كصورة الطير : « بإذنى » ، يقول : بعونى على ذلك . . . ﴾

ومع ذلك ، فقد تركت ما فى المخطوطة على ما هو عليه .

(٢) انظر تفسير « المهد » فيما سلف ٦ : ٤١٧ = وتفسير « الكهل » ٦ : ٤١٧ ، ٤١٨ = وتفسير « الكتاب » ، و « الحكمة » فيما سلف من فهارس اللغة (كتب) و (حكم) = وأما تفسير « خلق » و « هيأة » بهذا المعنى ، فلم يذكره فيما سلف ، وإن كان ذلك مضى فى ٦ : ٤٢٤ وتفسير « أبرأ » ٦ : ٤٢٨ = وتفسير « الأكمه » ٦ : ٤٢٨ — ٤٣٠ = وأما « الأبرص » فلم يفسره = وتفسير « الإذن » فيما سلف ١٠ : ١٤٥ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

وقوله : « وإذ كففت بنى إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات » ، يقول : واذكر أيضاً نعمتى عليك بكفِّى عنك بنى إسرائيل إذ كففتهم عناك ،[1] وقد هموا بقتالك = « إذ جئتهم بالبينات »، يقول : إذ جئتهم بالأدلة والأعلام المعجزة على نبوّتك ،[2] وحقيقة ما أرسلتك به إليهم [3] = « فقال الذين كفروا منهم » ، يقول تعالى ذكره: فقال الذين جحدُوا نبوَّتك وكذبوك من بنى إسرائيل = « إن هذا إلا سحر مبين » .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته قرأة أهل المدينة وبعض أهل البصرة: « ﴿ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ » يعنى : يبين عمّا أتى به لمن رآه ونظر إليه ، أنه سحر لا حقيقةَ له .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفة : ﴿ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سَاحِرٌ مُبِينٌ ﴾ ، بمعنى : « ما هذا » ، يعنى به عيسى ، « إلا ساحر مبين » ، يقول: يبين بأفعاله وما يأتى به من هذه الأمور العجيبة عن نفسه ، أنه ساحرٌ لا نبىٌّ صادق .[4]

* * *

قال أبو جعفر : الصواب من القول فى ذلك أنّهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، متفقتان غير مختلفتين . وذلك أن كل من كان موصوفاً بفعل « السحر » ، فهو موصوف بأنه « ساحر» . ومن كان موصوفاً بأنه « ساحر »، فإنه موصوف بفعل

---

(١) انظر تفسير « الكف » فيما سلف ٨ : ٥٤٨ ، ٩/٥٧٩ : ١٠/٢٩ : ١٠١

(٢) انظر تفسير « البينات » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

(٣) فى المطبوعة : « وحقية ما أرسلتك » ، غيرها كما فعل مراراً كثيرة فيما سلف ، والصواب ما فى المخطوطة ، وانظر ما سلف ١٠ : ٢٤٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « مبين » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

« السحر » . فالفعل دالٌّ على فاعله، والصفة تدلُّ على موصوفها، والموصوف يدل على صفته ، والفاعلُ يدلُّ على فعله . فبأى ذلك قرأ القارئُ فمصيبٌ الصوابَ فى قراءته .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ (١١١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: واذكر أيضاً، يا عيسى ،إذ ألقيت[1] = « إلى الحواريين » ، وهم وزراء عيسى على دينه .

* * *

وقد بينا معنى ذلك، ولم قيل لهم « الحواريون » ،فيما مضى ،بما أغنى عن إعادته .[2]

* * *

وقد اختلفت ألفاظ أهل التأويل فى تأويل قوله : « وإذ أوحيت » ، وإن كانت متفقة المعانى .

فقال بعضهم، بما : —

١٢٩٩٢ — حدثنى به محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل،

(١) انظر تفسير « أوحى » فيما سلف ٦ : ٤٠٥ ، ٩/٤٠٦ : ٣٩٩ .
(٢) انظر تفسير « الحواريون » فيما سلف ٦ : ٤٤٩ — ٤٥١ .

قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإذا أوحيت إلى الحواريين » ، يقول : قذفت فى قلوبهم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ألهمتهم .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : وإذْ ألقيتُ إلى الحواريين أنْ صدّقوا بى وبرسولى عيسى ، فقالوا : « آمنا » ، أى : صدقنا بما أمرتنا أن نؤمنَ يا ربنا = « واشهد » علينا « بأننا مسلمون » ، يقول : واشهد علينا بأننا خاضِعُون لك بالذّلة ، سامعون مطيعُون لأمرك .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١١٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : واذكر ، يا عيسى ، أيضاً نعمتى عليك ، إذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى ، إذ قالوا لعيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء — فـ« إذ » ، الثانية من صلة « أوحيت » . ٨٤/٧

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « يستطيع ربك »

فقرأ ذلك جماعة من الصحابة والتابعين : ﴿ هَلْ تَسْتَطِيعُ ﴾ بالتاء ﴿ رَبَّكَ ﴾ بالنصب ، بمعنى : هل تستطيع أن تسأل ربك ؟ أو : هل تستطيع أن تدعوَ ربّك ؟

أو : هل تستطيع وترى أن تدعوه ؟ وقالوا : لم يكن الحواريون شاكّين أن الله تعالى ذكره قادرٌ أن ينزل عليهم ذلك ، وإنما قالوا لعيسى : هل تستطيع أنت ذلك ؟(١)

١٢٩٩٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن بشر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن أبي مليكة قال : قالت عائشة : كان الحواريون لا يشكّون أن الله قادر أن ينزل عليهم مائدة ، ولكن قالوا : يا عيسى هَل تَسْتطيع ربَّك ؟

١٢٩٩٤ — حدثني أحمد بن يوسف التَّغْلبيّ قال، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنا ابن مهدى، عن جابر بن يزيد بن رفاعة، عن حسّان بن مخارق ، عن سعيد بن جبير : أنه قرأها كذلك : ﴿هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ﴾، وقال : تستطيع أن تسأل ربَّك . وقال : ألا ترى أنهم مؤمنون؟ (٢)

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة المدينة والعراق : ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾ بالياء ﴿رَبُّكَ﴾، بمعنى : أن ينزل علينا ربُّك ، كما يقول الرجل لصاحبه : « أتستطيع أن تنهض معنا في كذا »؟ وهو يعلم أنه يستطيع ، ولكنه إنما يريد : أتنهض معنا فيه؟ وقد يجوز أن يكون مرادُ قارئه كذلك : هل يستجيبُ لك ربك ويُطيعك أنْ تنزل علينا ؟

* * *

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٢٥ .

(٢) الأثر : ١٢٩٩٤ — « أحمد بن يوسف التغلبى » ، مضى قريباً برقم : ١٢٩٥٧ ، وكان فى المطبوعة هنا أيضاً : « الثعلبى » ، وهو خطأ .

و « جابر بن يزيد بن رفاعة العجلى » ، ثقة عزيز الحديث . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢١٠/٢/١ ، وابن أبى حاتم ٤٩٨/١/١ .

« حسان بن مخارق » . قال البخارى : « أراه : الشيبانى » ، مترجم فى الكبير ٣١/١/٢ ، وابن أبى حاتم ٢٣٥/٢/١ ، وقال المعلق على تاريخ البخارى : « فى الثقات رجلان ، أحدهما فى التابعين : حسان بن مخارق الكوفى ، يروى عن أم سلمة . روى عنه أبو إسحق الشيبانى = والآخر فى أتباع التابعين : حسان بن مخارق الشيبانى ، وقد قيل : حسان بن أبى المخارق ، أبو العوام ، يروى عن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ : هل تستطيع ربك . روى عنه جابر بن يزيد ، وجعلهما ابن أبى حاتم واحداً » .

وكان فى المطبوعة : « حيان بن مخارق » حرف ما هو صواب فى المخطوطة .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين عندى بالصواب ، قراءة من قرأ ذلك : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ ﴾ بالياء ﴿ رَبُّكَ ﴾ برفع « الربّ » ، بمعنى : هل يستجيب لك إن سألته ذلك ويطيعك فيه ؟

وإنما قلنا ذلك أولى القراءتين بالصواب ، لما بيّنّا قبلُ من أن قوله : « إذ قال الحواريون » ، من صلة : « إذ أوحيت » ، وأنّ معنى الكلام : وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى ، إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربّك ؟ فبيِّنٌ ، إذ كان ذلك كذلك ، أن الله تعالى ذكره قد كره منهم ما قالوا من ذلك واستعظمه ، وأمرهم بالتوبة ومراجعة الإيمان من قيلهم ذلك ، والإقرارِ لله بالقدرة على كل شىء ، وتصديقِ رسوله فيما أخبرهم عن ربّهم من الأخبار . وقد قال عيسى لهم ، عند قيلهم ذلك له ، استعظاماً منه لما قالوا : « اتقوا الله إن كنتم مؤمنين » . فنى استتابة الله إيّاهم ، ودعائه لهم إلى الإيمان به وبرسوله صلى الله عليه وسلم عند قيلهم ما قالوا من ذلك ، واستعظام نبىِّ الله صلى الله عليه وسلم كلمتهم =[1] الدلالةُ الكافيةُ من غيرها على صحة القراءة فى ذلك بالياء ورفع « الرب » ، إذ كان لا معنى فى قولهم لعيسى ، لو كانوا قالوا له : « هل تستطيع أن تسأل ربّك أن ينزل علينا مائدة من السماء » ؟ أن يُستكبر هذا الاستكبار .

فإن ظنّ ظانّ أنّ قولهم ذلك له إنما استُعظِمَ منهم ،[2] لأنّ ذلك منهم كان مسألة آيةٍ ، [فقد ظنّ خطأً] .[3] فإن الآيةَ ، إنّما يسألها الأنبياء مَنْ كان بها مكذّباً

---

(١) السياق : « . . . فنى استتابة الله إياهم . . . الدلالة الكافية . . . » ، وما بينهما عطوف .

(٢) فى المطبوعة : « إنما هو استعظام منهم » ، غير ما فى المخطوطة وزاد على نصها ، فضرّب على الكلام فساداً لا يفهم ! ! و « استعظم » بالبناء المجهول .

(٣) هذه الزيادة بين القوسين ، لابد منها ، لا أشك أن الناسخ قد أسقطها غفلة ، فاضطرب سياق الكلام ، وسياق حجة أبى جعفر ، فاضطر الناشر أن يعبث بكلمات أبى جعفر لكى تستقيم معه ، فأفسد الكلام إفساداً بيناً لا يحل له . وقد رددت الكلام إلى أصله ، كما سترى فى التعليقات التالية .

ليتقرَّر عنده حقيقةُ ثبوتها وصحّةُ أمرها، كما كانت مسألة قريش نبيَّنا محمداً صلى الله عليه وسلم أن يحوِّل لهم الصَّفَا ذهباً، ويفجر فجاج مكة أنهاراً ، مَنْ سأله من مشركي قومه = وكما كانت مسألة صالح الناقةَ من مكذِّبي قومه = ومسألة شُعَيْب أن يسقط كِسْفاً من السماء ، من كفّار من أرسل إليه .[1]

فإنْ كان الذين سألوا عيسى أن يسأل ربه أن ينزّل عليهم مائدة من السماء،[2] على هذا الوجه كانت مسألتهم، فقد أحلّهم الذين قرأوا ذلك بـ « التاء » ونصب « الرب » محلاًّ أعظم من المحلِّ الذى ظنوا أنَّهم يحيدون بهم عنه[3]= أو يكونوا سألوا ذلك عيسى وهم موقنون بأنه لله نبي مبعوث ورسول مرسلٌ ، وأن الله تعالى ذكره على ما سألوا من ذلك قادر .

فإن كانوا سألوا ذلك وهم كذلك ، وإنما كانت مسألتهم إيَّاه ذلك على نحو ما يسأل أحدُهم نبيَّه إذا كان فقيراً، أن يسأل له ربه أن يُغْنيه = وإن عرضتْ له حاجة،[4] أن يسأل له ربه أن يقضيَها، فليسَ ذلك من مسألة الآية في شيء،[5] بل ذلك سؤال ذي حاجة عرضت له إلى ربه، فسأل نبيَّه مسألةَ ربه أن يقضيها له .

وخبر الله تعالى ذكره عن القوم ، ينبئ بخلاف ذلك . وذلك أنهم قالوا لعيسى ،إذ قال لهم: « اتقوا الله إن كنتم مؤمنين » = «نرُيد أن نأكل منها وتطمئنَّ

---

(١) في المطبوعة : « من أرسل إليهم » ، وأثبت ما في المخطوطة ، فهو صواب محض .

(٢) في المطبوعة : « وكان الذين سألوا . . . » ، حذف « فإن » ، وعطف الكلام بعضه على بعض فاضطرب اضطراباً فاحشاً .

(٣) في المطبوعة : « الذى ظنوا أنهم نزهوا ربهم عنه » ، سبحانه وتعالى ، ولكن ما فعله الناشر بنص المخطوطة جعل هذا الكلام كله لامعنى له . وكان في المخطوطة : « « يحدوا ربهم » ، مضطربة الكتابة ، فأساء الناشر قراءتها ، وأبلغ في الإساءة حين غير الكلام على الوجه الذى نشره به .

(٤) في المطبوعة والمخطوطة : « إن عرضت به حاجة » ، وهو غير عربي ، عربيته ما أثبت .

(٥) في المطبوعة : « فأي ذلك من مسألة الآية » ، وفي المخطوطة : « فإن ذلك » وصواب ذلك ما أثبت .

٨٥/٧ قلوبنا ونعلم أنْ قد صدقتنا» . فقد أنبأ هذا من قِيلهم،(١) أنهم لم يكونوا يعلمون أن عيسى قد صدّقهم ، ولا اطمأنت قلوبهم إلى حقيقة نبوّته . فلا بيان أبين من هذا الكلام، فى أن القوم كانوا قد خالط قلوبَهم مرضٌ وشك فى دينهم وتصديق رسولهم، وأنهم سألوا ما سألوا من ذلك اختباراً .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٩٩٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ليث ، عن عقيل ، عن ابن عباس : أنه كان يحدِّث عن عيسى صلى الله عليه وسلم : أنه قال لبنى إسرائيل: هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يوماً ، ثم تسألوه فيعطيكم ما سألتم ؟ فان أجرَ العامل على من عمل له ! ففعلوا ، ثم قالوا: يا معلّم الخير ، قلت لنا : « إن أجر العامل على من عمل له » ، وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يوماً ، ففعلنا ، ولم نكن نعمل لأحدٍ ثلاثين يوماً إلاّ أطعمنا حين نفرُغ طعاماً ، فهل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال عيسى : « اتقوا الله إن كنتم مؤمنين » = « قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبُنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين » ، إلى قوله: « لا أعذبه أحداً من العالمين » . قال : فأقبلت الملائكة تطير بمائدةٍ من السماء عليها سبعةُ أحواتٍ وسبعة أرغفة، حتى وضعتها بين أيديهم ، فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أوّلهم .

١٢٩٩٦ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء » ، قالوا : هل يطيعك ربُّك ، إن سألته ؟ فأنزل الله عليهم مائدة من السماء فيها جميع الطّعام إلاّ اللحم ، فأكلوا منها .

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فقد أنبأ هذا عن قيلهم » ، وهو خطأ محض ، مخل بالسياق .

وأما « المائدة » فإنها « الفاعلة » من : « ماد فلان القوم يَميدهم مَيْداً » ، إذا أطعمهم ومارهم ، ومنه قول رؤبة :

نُهْدِي رُؤُوسَ الْمُتْرَفِينَ الأَنْدَادْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُمْتَادْ[1]

يعني بقوله : « الممتاد » المستعْطَى . فـ « المائدة » المطعِمة ، سميت « الخوان » بذلك ، لأنها تطعم الآكل ممّا عليها . و « المائد » ، المُدار به في البحر ، يقال : « مادَ يَميدُ مَيْداً » .

* * *

وأما قوله : « قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين » ، فإنه يعني : قال عيسى للحواريّين القائلين له : « هل يستطيع ربك أن ينزّل علينا مائدة من السماء » = راقبوا الله ، أيها القوم ، وخافوه ،[2] أن يَنْزل بكم من الله عقوبة على قولكم هذا ، فإن الله لا يعجزه شيء أراده . وفي شكّكم في قدرة الله على إنزال مائدة من السماء ، كفرٌ به ، فاتقوا الله أن يُنْزِل بكم نقمته = « إن كنتم مؤمنين » ، يقول : إن كنتم مصدِّقِيَّ على ما أتوعدكم به من عقوبة الله إياكم على قولكم : « هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء » ؟

* * *

(١) ديوانه : ٤٠ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١٨٣ ، واللسان (ميد) ، وسيأتي في التفسير ١٢ : ٨٤ (بولاق) ، من رجز تمدح فيه بنفسه ، ومدح قومه تميما وسعداً وخندفاً . ثم قبله في آخرها يذكر قومه :

نَكْفِي قُرَيْشاً مَنْ سَعَى بِالإِفْسَادْ مِنْ كُلِّ مَرْهُوبِ الشِّقَاقِ جَحَّادْ
وَمُلْحِدٍ خَالَطَ أَمْرَ الإِلْحَادْ

وقوله : « نهدي » بالنون ، لا بالتاء كما في لسان العرب ، وكما كان في المطبوعة هنا . و « المترفون » : المتنعمون المتوسعون في لذات الدنيا وشهواتها . و « الأنداد » جمع « ند » (بكسر النون) وهو هنا بمعنى « الضد » ، يقال للرجل إذا خالفك ، فأردت وجهاً تذهب إليه ، ونازعك في ضده : « هو ندي ، ونديدي » . ويأتي أيضاً بمعنى « المثل والشبيه » . ورواية الديوان ، ورواية أبي جعفر في المكان الآتي بعد : « الصداد » ، جمع « صاد » ، وهو المعرض المخالف . يقول : نقتل الخارجين على أمير المؤمنين ، ثم نهدي إليه رؤوسهم ، وهو المسئول دون الناس .

(٢) في المطبوعة : و « خافوا » ، وأثبت ما في المخطوطة .

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّٰهِدِينَ ﴾ (١١٣)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : قال الحواريون مجيبى عيسى على قوله لهم : « اتقوا الله إن كنتم مؤمنين » ، فى قولكم لى : « هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء » = : إنا إنما قلنا ذلك، وسألناك أن تسأل لنا ربك لنأكل من المائدة، فنعلم يقيناً قدرته على كل شيء =«وتطمئن قلوبنا »، يقول : وتسكن قلوبنا ، وتستقرّ على وحدانيته وقدرته على كل ما شاء وأراد[1] = « ونعلم أن قد صدقتنا » ، ونعلم أنك لم تكذبنا فى خبرك أنك لله رسول مرسل ونبىّ مبعوث = « ونكونَ عليها » ، يقول : ونكون على المائدة = « من الشاهدين » ، يقول : ممن يشهد أن الله أنزلها حجةً لنفسه علينا فى توحيده وقدرته على ما شاء ، ولك على صدقكَ فى نبوّتك .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ (١١٤)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم، أنه أجاب القوم إلى ما سألوه من مسألة ربه مائدةً تنزل عليهم من السماء .

* * *

(١) انظر تفسير « الاطمئنان » فيما سلف ٥ : ٤٩٢/٩ : ١٦٥ .

(٢) انظر تفسير « الشاهد » فيما سلف من فهارس اللغة (شهد) .

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا » .

فقال بعضهم : معناه : نتخذ اليومَ الذى نزلت فيه عيداً نُعَظِّمه نحن ومن بعدَنا .

• ذكر من قال ذلك :

١٢٩٩٧ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا » ، يقول : نتخذ اليوم الذى نزلت فيه عيداً نعظِّمه نحن ومن بعدنا . ٨٦/٧

١٢٩٩٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « تكون لنا عيداً لأوّلنا وآخرنا » ، قال : أرادوا أن تكون لعَقِبهم من بعدهم .

١٢٩٩٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا » ، قال : الذين هم أحياء منهم يومئذ = « وآخرنا » ، من بعدهم منهم .

١٣٠٠٠ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، قال سفيان : « تكون لنا عيداً » ، قالوا : نصلى فيه . قال نزلت مرتين .

* * *

وقال آخرون : معناه : نأكل منها جميعاً .

• ذكر من قال ذلك :

١٣٠٠١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ليث ، عن عقيل ، عن ابن عباس أنه قال : أكل منها = يعنى : من المائدة = حين وضعت بين أيديهم ، آخر الناس ، كما أكل منها أولهم .

* * *

وقال آخرون : معنى قوله : « عيداً » ، عائدة من الله تعالى ذكره علينا ، وحجة وبرهاناً .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب ، قولُ من قال : « معناه : تكون لنا عيداً ، نعبد ربنا فى اليوم الذى تنزل فيه ، ونصلى له فيه ، كما يعبد الناس فى أعيادهم » ، لأن المعروف من كلام الناس المستعمل بينهم فى « العيد » ، ما ذكرنا ، دون القول الذى قاله من قال : « معناه : عائدة من الله علينا » . وتوجيه معانى كلام الله إلى المعروف من كلام من خوطب به ، أولى من توجيهه إلى المجهول منه ، ما وجد إليه السبيل .

* * *

وأما قوله : « لأولنا وآخرنا » ، فإن الأولى من تأويله بالصواب ، قولُ من قال : « تأويله : للأحياء منا اليوم ، ومن يجىء بعدنا منا » ، للعلة التى ذكرناها فى قوله : « تكون لنا عيداً » ، لأن ذلك هو الأغلب من معناه .

* * *

وأما قوله : « وآية منك » ، فإن معناه : وعلامةً وحجة منك يا رب ، على عبادك فى وحدانيتك ، وفى صدقى على أنىّ رسولٌ إليهم بما أرسلتنى به[1] = « وارزقنا وأنت خير الرازقين » ، وأعطنا من عطائك ، فإنك يا رب خير من يعطى ، وأجود من تفضَّل ، لأنه لا يدخل عطاءه منٌّ ولا نكَد .[2]

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى « المائدة » ، هل أنزلت عليهم ، أم لا ؟ وما كانت ؟

فقال بعضهم : نزلت ، وكانت حوتاً وطعاماً ، فأكل القوم منها ، ولكنها رفعت بعد ما نزلت بأحداثٍ منهم أحدثوها فيما بينهم وبين الله تعالى ذكره .

ذكر من قال ذلك :

١٣٠٠٢ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا

(١) انظر تفسير « آية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيي) .
(٢) وانظر تفسير « الرزق » فيما سلف من فهارس اللغة (رزق) .

شعبة ، عن أبي إسحق ، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : نزلت المائدة ، خبزاً وسمكاً .

١٣٠٠٣ — حدثني الحسين بن على الصدائي قال، حدثنا أبي، عن الفضيل ، عن عطية قال : « المائدة » ، سمكة فيها طعم كلّ طعام

١٣٠٠٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله ، عن فضيل ، عن مسروق ، عن عطية قال : « المائدة » ، سمك فيه من طعم كل طعام .

١٣٠٠٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن أبي عبد الرحمن قال : نزلت المائدة خبزاً وسمكاً .

١٣٠٠٦ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : نزلت على عيسى بن مريم والحواريين ، خِوانٌ عليه خبز وسمك ، يأكلون منه أينما نزلوا إذا شاؤوا .

١٣٠٠٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا المنذر بن النعمان : أنه سمع وهب بن منبه يقول في قوله : « أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً » ، قال : نزل عليهم قرصة من شعير وأحوات = قال الحسن ، قال أبو بكر :[1] فحدّثت به عبد الصمد بن معقل فقال : سمعت وهباً ، وقيل له : وما كان ذلك يُغْني عنهم ؟ فقال : لا شيء ، ولكن الله حثَا بين أضعافهن البركة ، فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ، ويجيء آخرون فيأكلون ثم يخرجون ، حتى أكل جميعهم وأفضَلُوا .

١٣٠٠٨ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل، عن أبي يحيى ، عن مجاهد قال : هو الطعام ينزل عليهم حيث نزلوا .

١٣٠٠٩ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

---

(١) « أبو بكر » هو « عبد الرزاق » ، وهو : « عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري » .

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره : « مائدة من السماء » ، قال : مائدة عليها طعام ، أُتوا بها ؛ حين عرض عليهم العذاب إن كفروا . ألوان من طعام ينزل عليهم .[(١)]

١٣٠١٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن إسحق بن عبد الله : أن المائدة نزلت على عيسى بن مريم ، ٨٧/٧ عليها سبعة أرغفة وسبعة أحْوات ، يأكلون منها ما شاؤوا . قال : فسرق بعضهم منها وقال : « لعلها لا تنزل غداً ! » ، فرفعت .

١٣٠١١ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن سماك بن حرب ، عن رجل من بني عجل قال : صليت إلى جنب عمار بن ياسر ، فلما فرغ قال : هل تدرى كيف كان شأن مائدة بني إسرائيل ؟ قال فقلت : لا ! قال : إنهم سألوا عيسى بن مريم مائدة يكون عليها طعام يأكلون منه لا ينفد . قال : فقيل لهم : فإنها مقيمة لكم ما لم تخبأوا ، أو تخونوا ، أو ترفعوا ، فإن فعلتم فإني أعذبكم عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين ! قال : فما تمّ يومهم حتى خبأوا ورَفعوا وخانوا ، فعذبوا عذاباً لم يعذبه أحد من العالمين . وإنكم معشر العرب ، كنتم تتْبعون أذنابَ الإبل والشاء ، فبعث الله فيكم رسولاً من أنفسكم ، تعرفون حسبه ونسبه ، وأخبركم على لسان نبيكم أنكم ستظهرون على العرَب ، ونهاكم أن تكنزوا الذهبَ والفضة . وايمْ الله . لا يذهبُ الليلُ والنهارُ حتى تكنزوها ، ويعذّبكم عذاباً أليماً .

١٣٠١٢ — حدثنا الحسن بن قزعة البصرى قال ، حدثنا سفيان بن حبيب قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن خلاس بن عمرو ، عن عمار بن ياسر

---

(١) في المطبوعة، غير هذه العبارة تغيراً شاملاً مزيلاً لمعناها ، فكتب : مائدة عليها طعام ، أبوها حين عرض عليهم العذاب إن كفروا ، فأبوا أن تنزل عليهم » ، وأثبت ما في المخطوطة .
أما المعنى الذي صحح الناشر الأول عليه هذا الأثر ، فهو مخالف لهذا كل المخالفة ، لأنه من قول من قال : « لم تنزل على بني إسرائيل مائدة » ، وهو قول مروى عن مجاهد فيما سيأتي رقم : ١٣٠٢١ .

قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نزلت المائدة خبزاً ولحماً ، وأُمروا أن لا يخونوا ولا يدّخروا ولا يرفعوا لغدٍ ، فخانوا وادّخروا ورفعوا ، فسخوا قردة وخنازير.(١)

١٣٠١٣ — حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع قال، حدثنا يوسف بن خالد قال ، حدثنا نافع بن مالك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في المائدة قال : كانت طعاماً ينزل عليهم من السماء حيثما نزلوا .

* * *

وقال آخرون : كانت المائدة تنزل وعليها ثمرٌ من ثمار الجنة .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠١٤ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن خلاس بن عمرو ، عن عمار قال : نزلت المائدة وعليها ثمرٌ من ثمر الجنة ، فأمروا أن لا يخبأوا ولا يخونوا ولا يدخروا ، قال : فخان القوم وخبأوا وادّخروا ، فحوّلهم الله قردة وخنازير.(٢)

١٣٠١٥ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذُكر لنا أنها كانت مائدة ينزل عليها الثمرُ من ثمار الجنة ، وأمروا أن لا

---

(١) الأثر : ١٣٠١٢ — «الحسن بن قزعة بن عبيد الهاشمي البصري» ، ثقة . مضى برقم : ٨٢٨١ .

و «سفيان بن حبيب البصري» ، ثقة ، مضى برقم : ١١٣٠٢ ، ١١٣٢١ .

و «خلاس بن عمرو الهجري» ، مضى مراراً ، منها : ٤٥٥٧ ، ٥١٣٤ ، وغيرها . وكان في المطبوعة : «جلاس بن عمرو» ، وهو خطأ .

وهذا الخبر ، رواه الترمذي في كتاب التفسير من سننه ، بإسناده عن الحسن بن قزعة ، ثم قال : «هذا حديث رواه أبو عاصم وغير واحد ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن خلاس ، عن عمار ، موقوفاً . ولا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قزعة = حدثنا حميد بن مسعدة ، حدثنا سفيان بن حبيب ، عن سعيد بن أبي عروبة، نحوه، ولم يرفعه . وهذا أصح من حديث الحسن ابن قزعة ، ولا نعرف للحديث المرفوع أصلاً» .

وانظر الأثر التالي رقم : ١٣٠١٤ ، وهو الخبر الموقوف .

(٢) الأثر : ١٣٠١٤ — انظر التعليق على رقم : ١٣٠١٢ ، وكان في المطبوعة هنا أيضاً «جلاس بن عمرو» وهو خطأ .

يخبأوا ولا يخونوا ولا يدخروا لغد ، بلاء ابتلاهم الله به ،[1] وكانوا إذا فعلوا شيئاً من ذلك ، أنبأهم به عيسى ، فخان القوم فيه فخبأوا وادّخروا لغد .

* * *

وقال آخرون : كان عليها من كلّ طعام إلا اللحم .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠١٦ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن ميسرة قال : كانت إذا وضعت المائدة لبنى إسرائيل ، اختلفت عليها الأيدى بكل طعام .

١٣٠١٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن عطاء ، عن ميسرة وزاذان قالا : كانت الأيدى تختلف عليها بكل طعام .

١٣٠١٨ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان الثورى ، عن عطاء بن السائب ، عن زاذان وميسرة ، فى : « هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدةً من السماء » ، قالا : رأوا الأيدى تختلف عليها بكل شىء إلاّ اللحم .[2]

* * *

وقال آخرون : لم ينزل الله على بنى إسرائيل مائدة .

* * *

ثم اختلف قائلو هذه المقالة .

فقال بعضهم : إنما هذا مثل ضربه الله تعالى ذكره لخلقه ، نهاهم به عن مسألة نبيّ الله الآيات .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠١٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ،

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « أبلاهم الله به » ، وهو لا يصح ، صواب قراءته ما أثبت .

(٢) الأثران : ١٣٠١٧ ، ١٣٠١٨ — « زاذان الكندى الضرير » ، مضى برقم : ٩٥٠٨ .

عن ليث، عن مجاهد في قوله : « أنزل علينا مائدة من السماء » ، قال : مثل ضُرب ، لم ينزل عليهم شيء .

* * *

وقال آخرون : إنّ القوم لما قيل لهم : « فمن يكفر بعدُ منكم فإني أعذّبه عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين» ، استعفَوْا منها فلم تنزل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٢٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان الحسن يقول : لما قيل لهم: « فمن يكفر بعد منكم » ، إلى آخر الآية ، قالوا : لا حاجة لنا فيها ! فلم تنزل .

١٣٠٢١ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن منصور بن زاذان ، عن الحسن: أنه قال في المائدة : لم تنزل .[1]

١٣٠٢٢ — حدثني الحارث قال، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : مائدة عليها طعام ، أبوها حين عرض عليهم العذاب إن كفروا ، فأبوا أن تَنْزِل عليهم .

* * *

٨٨/٧ قال أبو جعفر : والصواب من القول عندنا في ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أنزل المائدة على الذين سألوا عيسى مسألتَه ذلك ربَّه .

وإنما قلنا ذلك ، للخبر الذي روينا بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأهل التأويل من بعدهم ، غير من انفرد بما ذكرنا عنه .

وبعدُ ، فإن الله تعالى ذكره لا يخلف وعدَه ، ولا يقع في خبره الخُلْف ، وقد قال تعالى ذكره مخبراً في كتابه عن إجابة نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم حين سأله ما سأله من ذلك: « إني منزّلها عليكم » ، وغير جائز أن يقول تعالى ذكره :

---

(١) الأثر : ١٣٠٢١ — «منصور بن زاذان الثقفي الواسطي» ، أبو المغيرة . ثقة ، روى عن أبي العالية ، وعطاء بن أبي رباح ، والحسن ، وابن سيرين . مترجم في التهذيب .

« إنى منزلها عليكم » ، ثم لا ينزلها، لأن ذلك منه تعالى ذكره خبر ، ولا يكون منه خلاف ما يخبر . ولو جاز أن يقول : « إنى منزلها عليكم » ، ثم لا ينزلها عليهم ، جاز أن يقول : « فمن يكفر بعد منكم فإنىّ معذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين » ، ثم يكفر منهم بعد ذلك، فلا يعذّبه، فلا يكون لوعده ولا لوعيده حقيقة ولا صحة . وغير جائز أن يوصف ربنا تعالى ذكره بذلك .

* * *

وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة، فأن يقال : كان عليها مأكول . وجائز أن يكون كان سمكاً وخبزاً ، وجائزٌ أن يكون كانَ ثمراً من ثمر الجنة ، وغيرُ نافع العلم به ، ولا ضارّ الجهل به ، إذا أقرّ تالى الآية بظاهر ما احتمله التنزيل .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١١٥)

قال أبو جعفر : وهذا جواب من الله تعالى ذكره القومَ فيما سألوا نبيّهم عيسى مسألةَ ربهم، من إنزاله مائدة عليهم . فقال تعالى ذكره : إنى منزلها عليكم ، أيها الحواريون ، فمطعمكموها = « فمن يكفر بعد منكم » ، يقول : فمن يجحد بعد إنزالها عليكم ، وإطعاميكموها — منكم رسالتى إليه ، وينكر نبوة نبيِّى عيسى صلى الله عليه وسلم ، ويخالفْ طاعتى فيما أمرته ونهيته = « فإنى أعذبه عذاباً لا أعذبه أحد من العالمين » ، من عالمى زمانه . ففعل القوم ، فجحدوا وكفروا بعد ما أنزلت عليهم ، فيما ذكر لنا ، فعذبوا ، فيما بلغنا، بأن مُسِخوا قردة وخنازير ، كالذى :—

١٣٠٢٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إنى منزلها عليكم » الآية ، ذكر لنا أنهم حوّلوا خنازير .

١٣٠٢٥ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الوهاب ومحمد بن أبي عدى ، ومحمد بن جعفر ، عن عوف ، عن أبي المغيرة القوّاس ، عن عبد الله بن عمرو قال : إن أشدّ الناس عذاباً ثلاثة : المنافقون ، ومن كفر من أصحاب المائدة ، وآل فرعون .(١)

١٣٠٢٦ — حدثنا الحسن بن عرفة قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن عوف قال : سمعت أبا المغيرة القوّاس يقول : قال عبد الله بن عمرو : إنّ أشد الناس عذاباً يوم القيامة : من كفر من أصحاب المائدة ، والمنافقون ، وآل فرعون .(١)

١٣٠٢٧ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « فمن يكفر بعد منكم » ، بعد ما جاءته المائدة = « فإنى أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين » ، يقول : أعذبه بعذاب لا أعذبه أحداً من العالمين غير أهل المائدة .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم » ، « وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمىَ إلهين من دون الله » .

* * *

(١) الأثران : ١٣٠٢٥ ، ١٣٠٢٦ — « أبو المغيرة القواس » ، روى عن عبد الله ابن عمرو . روى عنه عوف . وسئل أبو زرعة عن اسمه فقال : « لا أعلم أحداً يسميه » . ضعفه سليمان التيمى ، ووثقه ابن معين . مترجم فى الكنى للبخارى : ٧٠ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٤٣٩ .

وقيل : إن الله قال هذا القولَ لعيسى حين رفعه إليه فى الدنيا .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٢٨ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله » ، قال : لما رفع الله عيسى بن مريم إليه ، قالت النصارى ما قالت ، وزعموا أنّ عيسى أمرّهم بذلك ، فسأله عن قوله فقال : « سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب » إلى قوله : « وأنت على كل شىء شهيد » .

* * *

وقال آخرون : بل هذا خبر من الله تعالى ذكره عن أنه يقول لعيسى ذلك فى القيامة .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٢٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « وإذا قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله » ، قال : والناس يسمعون ، فراجعه بما قد رأيت ، وأقرّ له بالعبودية على نفسه ، فعلم من كان يقول فى عيسى ما يقول : أنه إنما كان يقول باطلاً .

٨٩/٧

١٣٠٣٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن ميسرة قال : قال الله : يا عيسى ، أأنت قلت للناس اتخذونى وأمّى إلهين من دون الله ؟ فأُرْعِدت مفاصله ، وخشى أن يكون قد قال ، فقال : سبحانك ، إن كنت قلته فقد علمته = الآية .

١٣٠٣١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ،

عن قتادة فى قوله : « يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله » ، متى يكون ذلك؟ قال : يوم القيامة ، ألا ترى أنه يقول : « هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم » ؟

* * *

= فعلى هذا التأويل الذى تأوّله ابن جريج ، يجب أن يكون « وإذ » بمعنى : و« إذا » ، كما قال فى موضع آخر : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا ﴾ ، [سورة سبأ : ٥١] ، بمعنى : يفزعون ، وكما قال أبو النجم :

ثُمَّ جَزَاهُ اللهُ عَنَّا إِذْ جَزَى ... جَنَّاتِ عَدْنٍ فِى العَلاَلِيِّ العُلَى (١)

والمعنى : إذا جزى ، وكما قال الأسود : (٢)

فَالآنَ ، إِذْ هَازَلْتُهُنَّ ، فَإِنَّمَا ... يَقُلْنَ : أَلاَ لَمْ يَذْهَبِ الشَّيْخُ مَذْهَبَا !! (٣)

بمعنى : إذا هازلتهن .

---

(١) الأضداد لابن الأنبارى : ١٠٢ ، والصاحبى : ١١٢ ، واللسان (طها) وسيأتى بعد قليل فى هذا الجزء ص : ٢١٧ ، بزيادة بيت . وقوله : « العلالى » ، جمع « علية » (بكسر العين ، وتشديد اللام المكسورة ، والياء المشددة) : وهى الغرفة العالية من البيت . وأراد بذلك : « فى عليين » ، المذكورة فى القرآن . وقد قال هدبة بن خشرم أيضاً ، فتصرف :

كَأَنَّ حَوْطاً ، جزاهُ اللهُ مَغْفِرَةً ... وَجَنَّةً ذَاتَ عِلِّيٍّ وأَشْرَاعِ

و « الأشراع » ، السقائف .

(٢) هو الأسود بن يعفر النهشلى ، أعشى بنى نهشل .

(٣) ديوان الأعشين : ٢٩٣ ، والأضداد لابن الأنبارى : ١٠١ ، من قصيدة له ، ذهب أكثرها فلم يوجد منها فى الكتب المطبوعة ، غير هذا البيت ، وخمسة أبيات أخرى ، فى ديوانه ، وفى العينى (هامش خزانة الأدب ٤ : ١٠٣) ، وهى أبيات جياد :

صَحَا سَكْرٌ مِنْهُ طَوِيلٌ بِزَيْنَبَا ... تَعَاقَبَهُ لَمَّا اسْتَبَانَ وَجَرَّبَا

وَأَحْكَمَهُ شَيْبُ القَذَالِ عَنِ الصِّبَا ... فَكَيْفَ تَصَابِيهِ وَقَدْ صَارَ أَشْيَبَا ؟

وَكَانَ لَهُ ، فِيمَا أَفَادَ ، خَلاَئِلٌ ... عَجِلْنَ ، إِذَا لاَقَيْنَهُ ، قُلْنَ : مَرْحَبَا !!

فَأَصْبَحْنَ لاَ يَسْأَلْنَهُ عَنْ بِمَا بِهِ ... أَصَعَّدَ فِى عُلْوِ الهَوَى أَم تَصَوَّبَا ؟

طَوَامِحُ بِالأَبْصَارِ عَنْهُ ، كَأَنَّمَا ... يَرَيْنَ عَلَيْهِ جُلَّ أَدْهَمَ أَجْرَبَا

وكأنّ من قال فى ذلك بقول ابن جريج هذا ، وجّه تأويل الآية إلى : « فمن يكفر بعدُ منكم فإنّى أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين » فى الدنيا = وأعذبه أيضاً فى الآخرة : « إذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين عندنا بالصواب فى ذلك ، قولُ من قال بقول السدى ، وهو أن الله تعالى ذكره قال ذلك لعيسى حين رفعه إليه = وأن الخبرَ خبرٌ عما مضى ، لعلّتين :

إحداهما : أن « إذْ » إنما تصاحب = فى الأغلب من كلام العرب المستعمل بينها = الماضىَ من الفعل ، وإن كانت قد تدخلها أحياناً فى موضع الخبر عما يحدث ، إذا عرف السامعون معناها . وذلك غير فاشٍ ، ولا فصيح فى كلامهم ،[1] وتوجيه معانى كلام الله تعالى إلى الأشهر الأعرف ما وجد إليه السبيل ،[2] أولى من توجيهها إلى الأجهل الأنكر .

والأخرى : أن عيسى لم يشك هو ولا أحد من الأنبياء ، أن الله لا يغفر لمشرك مات على شركه ، فيجوز أن يُتَوهم على عيسى أن يقول فى الآخرة مجيباً لربه تعالى ذكره : إن تعذّب من اتخذنى وأمى إلهين من دونك فإنّهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم .

* * *

فإن قال قائل : وما كان وجه سؤال الله عيسى : « أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله » ، وهو العالم بأن عيسى لم يقل ذلك ؟

قيل : يحتمل ذلك وجهين من التأويل :

---

(١) انظر ما سلف من القول فى « إذ » و « إذا » ١ : ٤٣٩ - ٤٤٤ ، ٤٩٣/٣ : ٩٢ ، ٩٨/٦ : ٤٠٧ ، ٥٥٠/٧ : ٣٣٣/٩ : ٦٢٧ . وانظر ما سيأتى ص : ٣١٧

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « فتوجيه » بالفاء ، والجيد ما أثبت .

أحدهما : تحذير عيسى عن قيل ذلك ونهيُه ، كما يقول القائل لآخر : « أفعلت كذا وكذا » ؟ مما يعلم المقولُ له ذلك أن القائل يستعظم فعل ما قال له : « أفعلته » ، على وجه النهي عن فعله ، والتهديد له فيه .

والآخر : إعلامه أنّ قومه الذين فارقهم قد خالفوا عهده ، وبدّلوا دينهم بعده . فيكون بذلك جامعاً إعلامَه حالَهم بعده ، وتحذيراً له قيله .[1]

* * *

قال أبو جعفر : وأما تأويل الكلام ، فإنه : « أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين » ، أى : معبودين تعبدونهما من دون الله . قال عيسى : تنزيهاً لك يا رب وتعظيماً أن أفعل ذلك أو أتكلم به[2] =« ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق »، يقول : ليس لى أن أقول ذلك ، لأنى عبد مخلوق ، وأمى أمَةٌ لك، وكيف يكون للعبد والأمة ادّعاء ربوبية؟ =[3] « إن كنت قلته فقد علمته » ، يقول : إنك لا يخفى عليك شىء ، وأنت عالم أنى لم أقل ذلك ولم آمرهم به .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ (١١٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، مخبراً عن نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم: أنه يبرأ إليه مما قالت فيه وفى أمه الكفرةُ من النصارى ، أن يكون دعاهم إليه أو أمرهم به ، فقال : « سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت

(١) فى المطبوعة : « وتحذيره » ، غير ما كان فى المخطوطة لغير طائل .

(٢) انظر تفسير « سبحان » فيما سلف ١ : ٤٧٤ - ٤٧٦ ، ٢/٤٩٥ : ٦/٥٣٧ : ٤٢٣.

(٣) فى المطبوعة : « فهل يكون العبد » ، وفى المخطوطة : « فيكون نكون العبد » ، هكذا . ورجحت قراءتها كما أثبتها .

قلته فقد علمته » . ثم قال : « تعلم ما فى نفسى » ، يقول : إنك ، يا رب ، لا يخفى عليك ما أضمرته نفسى مما لم أنطق به ولم أظهره بجوارحى ، فكيف بما قد نطقتُ به وأظهرته بجوارحى ؟ يقول : لو كنت قد قلت للناس : « اتخذونى وأمى إلهين من دون الله » ، كنت قد علمته ، لأنك تعلم ضمائر النفوس مما لم تنطق به ، فكيف بما قد نطقت به ؟ = « ولا أعلم ما فى نفسك » ، يقول : ولا أعلم أنا ما أخفيته عنى فلم تطلعنى عليه ، لأنى إنما أعلم من الأشياء ما أعلمتنيه = « إنك أنت علّام الغيوب » ، يقول : إنك أنت العالم بخفيّات الأمور التى لا يطلع عليها سواك ، ولا يعلمها غيرك .[1]

٩٠/٧

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١١٧)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قول عيسى ، يقول : ما قلت لهم إلا الذى أمرتنى به من القول أن أقوله لهم ، وهو أن قلت لهم : « اعبدوا الله ربى وربكم » = « وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم » ، يقول : وكنت على ما يفعلونه وأنا بين أظهرهم شاهداً عليهم وعلى أفعالهم وأقوالهم[2] = « فلما توفيتنى » ،

---

(١) انظر تفسير « علام الغيوب » فيما سلف قريباً : ٢١١ = وتفسير « الغيب » ١ : ٢٣٦ ، ٦/٢٣٧ : ١٠/٤٠٥ : ٥٨٥ .

(٢) انظر تفسير : « شهيد » فيما سلف من فهارس اللغة (شهد) = وتفسير « ما دام » فيما سلف ١٠ : ١١/١٨٥ : ٧٤ .

يقول : فلما قبضتني إليك[1] = «كنت أنت الرقيب عليهم»، يقول: كنت أنت الحفيظ عليهم دوني، [2] لأني إنما شهدت من أعمالهم ما عملوه وأنا بين أظهرهم.

وفي هذا تبيانٌ أن الله تعالى ذكره إنما عرّفه أفعالَ القوم ومقالتهم بعد ما قبضه إليه وتوفاه بقوله : «أأنت قلت للناس اتخذوني وأميَّ إلهين من دون الله».

= «وأنت على كل شيء شهيد» يقول : وأنت تشهد على كل شيء، لأنه لايخفى عليك شيء. وأما أنا، فإنما شهدت بعض الأشياء، وذلك ما عاينت وأنا مقيم بين أظهر القوم، فإنما أنا أشهد على ذلك الذي عاينت ورأيتُ وشهدت.

* * *

وبنحو الذي قلنا في قوله : «كنت أنت الرقيب عليهم»، قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٣٢ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدي : «كنت أنت الرقيب عليهم»، أما «الرقيب»، فهو الحفيظ.

١٣٠٣٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج : «كنت أنت الرقيب عليهم»، قال : الحفيظ.

* * *

وكانت جماعة من أهل العلم تقول : كان جواب عيسى الذي أجاب به ربَّه، من الله تعالى، توقيفاً منه له فيه.[3]

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٣٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن يمان، عن سفيان، عن معمر،

---

(١) انظر تفسير «توفاه» فيما سلف ٦ : ٤٥٥ – ٤٦١/٨ : ٩/٧٣ : ١٠٠ .

(٢) انظر تفسير «الرقيب» فيما سلف ٧ : ٥٢٣ .

(٣) في المطبوعة والمخطوطة : «توفيقاً» (بالفاء قبل القاف)، في هذا الموضع وما يليه. وهو خطأ من الناسخ والناشر لاشك فيه، صوابه ما أثبت. يقال : «وقفت الرجل على الكلمة توقيفاً»، إذا علمته الكلمة لم يكن يعلمها، أو غابت عنه. أي أنها كانت من تعليم الله إياه، لم يقلها من عند نفسه.

عن ابن طاوس ، عن أبيه : « أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق » ، قال : الله وقَّفَه .[1]

١٣٠٣٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو داود الحفرى قال ، قرئْ على سفيان ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه طاوس قال : احتج عيسى ، والله وقّفه : « أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله » ، الآية .

١٣٠٣٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن ميسرة قال : قال الله تعالى ذكره : « يا عيسى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله » ؟ قال : فأُرعدت مفاصله ، وخشى أن يكون قد قالها ، فقال : « سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (١١٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إنْ تعذب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة ، بإماتتك إياهم عليها = « فإنهم عبادك » ، مستسلمون لك ، لا يمتنعون مما أردت بهم ، ولا يدفعون عن أنفسهم ضرًّا ولا أمرًا تنالهم به = « وإن تغفر لهم » ، بهدايتك إياهم إلى التوبة منها ، فتستر عليهم = « فإنك أنت العزيز » ،[2] فى

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « الله وفقه » ، وانظر التعليق السالف ، وكذلك ما سيأتى فى الأثر التالى .

(٢) انظر تفسير « العباد » ، و « المغفرة » ، و « العزيز » ، و « الحكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (عبد) ، (غفر) ، (عزز) ، (حكم) .

انتقامه ممن أراد الانتقام منه، لا يقدر أحدٌ يدفعه عنه = « الحكيم » ، فى هدايته من هدى من خلقه إلى التوبة ، وتوفيقه من وفّق منهم لسبيل النجاة من العقاب ، كالذى : —

١٣٠٣٧ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فى قوله : « إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم » ، فتخرجهم من النصرانية ، وتهديهم إلى الإسلام = « فإنك أنت العزيز الحكيم » . وهذا قول عيسى فى الدنيا .

١٣٠٣٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » ، قال : والله ما كانوا طعّانين ولا لعّانين .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة قوله : « هذا يوم ينفع الصادقين » .

فقرأ ذلك بعض أهل الحجاز والمدينة : ﴿ هٰذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ ﴾ ، بنصب « يوم » . ٩١/٧

* * *

وقرأه بعض أهل الحجاز وبعض أهل المدينة ، وعامة قرأة أهل العراق : ﴿ هٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ ﴾ ، برفع « يوم » . فمن رفعه رفعه بـ « هذا » ، وجعل « يوم » اسماً ، وإن كانت إضافته غير محضة ، لأنه قد صار كالمنعوت .[١]

* * *

(١) فى المطبوعة : « لأنه صار » ، أسقط « قد » .

وكان بعض أهل العربية يزعم أن العرب يعملون فى إعراب الأوقات مثل « اليوم » و« الليلة » ، عملهم فيما بعدها . إن كان ما بعدها رفعاً رفعوها ، كقولهم : « هذا يومُ يركب الأمير » و « ليلةُ يصدر الحاج » و « يومُ أخوك منطلق » . وإن كان ما بعدها نصباً نصبوها ، وذلك كقولهم : « هذا يومَ خرج الجيش ، وسار الناس » ، و« ليلةَ قتل زيد » ، ونحو ذلك ، وإن كان معناها فى الحالين « إذ » و « إذا » .

* * *

وكأن من قرأ هذا هكذا رفعاً ، وجَّه الكلام إلى أنه من قيل الله يوم القيامة .

* * *

وكذلك كان السدى يقول فى ذلك .

١٣٠٣٩ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال الله : « هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم » ، هذا فصل من كلام عيسى ، وهذا يوم القيامة .

* * *

يعنى السدى بقوله : « هذا فصل من كلام عيسى » : أن قوله : « سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق » إلى قوله : « فإنك أنت العزيز الحكيم » ، من خبر الله عز وجل عن عيسى أنه قاله فى الدنيا بعد أن رفعه إليه ، وأن ما بعد ذلك من كلام الله لعباده يوم القيامة .

* * *

وأما النصب فى ذلك ، فإنه يتوجه من وجهين :

أحدهما : أن إضافة « يوم » ما لم تكن إلى اسم ، تجعله نصباً ، لأن الإضافة غير محضة . وإنما تكون الإضافة محضة ، إذا أضيف إلى اسم صحيح . ونظير « اليوم » فى ذلك : « الحين » و« الزمان » ، وما أشبههما من الأزمنة ، كما قال النابغة :

عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصِّبَا وَقُلْتُ: أَلَمَّا تَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ؟[1]

والوجه الآخر : أن يكون مراداً بالكلام : هذا الأمر وهذا الشأن ، يومَ ينفع الصادقين = فيكون « اليوم » حينئذ منصوباً على الوقت والصفة ، بمعنى : هذا الأمر فى يوم ينفع الصادقين صدقهم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب : ﴿ هَٰذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ ﴾ ، بنصب « اليوم » ، على أنه منصوب على الوقت والصفة . لأن معنى الكلام : إنّ الله جل وتعالى ذكره ، أجاب عيسى حين قال : « سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته » ، إلى قوله : « فإنك أنت العزيز الحكيم » ، فقال له عز وجل : هذا القولُ النافعُ = أو هذا الصدق النافع = يوم ينفع الصادقين صدقهم . فـ « اليوم » وقت القول والصدق النافع .

* * *

فإن قال قائل : فما موضع « هذا » ؟

قيل : رفع .

فإن قال : فأين رافعه ؟

---

(١) ديوانه : ٣٨ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٣٢٧ ، وسيبويه ١ : ٣٦٩ ، والخزانة ٣ : ١٥١ والعينى (هامش الخزانة) ٣ : ٤٠٦/٤ : ٣٥٧ ، وسيأتى فى هذا التفسير ١٩ : ٨٨/ثم ٣٠ : ٥٧ ، (بولاق) ، ورواية أبى جعفر هنا « ألما تصح » كرواية الفراء ، وفى سائر المراجع « ألما أصح » . وهما روايتان صحيحتا المعنى .

وهذا البيت من قصيدته التى قالها معتذرا إلى النعمان بن المنذر ، متنصلاً مما قذفه به مرة بن ربيعة عند النعمان ، يقول قبله :

فَكَفْكَفْتُ مِنِّى عَبْرَةً فَرَدَدْتُهَا عَلَى النَّحْرِ ، مِنْهَا مُسْتَهِلٌّ وَدَامِعُ

يقول : عاتبت نفسى على تشوقها إلى ما فات من صباى ، فقد شبت وشابت لداتى ، وقلت لنفسى : ألم تفق بعد من سكرة الصبا ، وعهد الناس بالمشيب أنه يكف من غلواء الشباب !

قيل: مضمر. وكأنه قال: قال الله عز وجل: هذا ، هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ، كما قال الشاعر :(١)

أَمَا تَرَى السَّحَابَ كَيْفَ يَجْرِى ؟ هذا ، وَلَا خَيْلُكَ يَا ابْنَ بِشْرِ

يريد : هذا هذا ، ولا خيلك .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام ، إذ كان الأمر على ما وصفنا لما بينا : قال الله لعيسى : هذا القول النافع فى يوم ينفع الصادقين فى الدنيا صدقهم ذلك ، فى الآخرة عند الله = « لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار » ، يقول : للصادقين فى الدنيا ، جنات تجرى من تحتها الأنهار فى الآخرة ، ثواباً لهم من الله عز وجل على ما كان من صدقهم الذى صدقوا الله فيما وعدوه ، فوفوا به لله ، فوفى الله عز وجل لهم ما وعدهم من ثوابه = « خالدين فيها أبداً » ، يقول : باقين فى الجنات التى أعطاهموها = « أبداً » ، دائماً ، لهم فيها نعيم لا ينتقل عنهم ولا يزول .(٢)

* * *

وقد بينا فيما مضى أن معنى « الخلود » ، الدوام والبقاء .(٣)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (١١٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : رضى الله عن هؤلاء الصادقين الذين

---

(١) لم أعرف هذا الراجز .
(٢) انظر تفسير « أبداً » فيما سلف ٩ : ٢٢٧/١٠ : ١٨٥ .
(٣) انظر فهارس اللغة فيما سلف (خلد) .

صدقوا فى الوفاء له بما وعدوه ، من العمل بطاعته واجتناب معاصيه = « ورضوا عنه »، يقول : ورضوا هم عن الله تعالى ذكره فى وفائه لهم بما وعدهم على طاعتهم إياه فيما أمرهم ونهاهم، من جزيل ثوابه[1] =« ذلك الفوز العظيم»، يقول: هذا الذي أعطاهم الله من الجنات التى تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها مرضيًّا عنهم وراضين عن ربهم ، هو الظفر العظيم بالطَّلِبة ،[2] وإدراك الحاجة التى كانوا يطلبونها فى الدنيا، ولها كانوا يعملون فيها ، فنالوا ما طلبوا، وأدركوا ما أمَّلوا . ٩٢/٧

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٢٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أيها النصارى ، « لله ملك السموات والأرض »، يقول: له سلطان السموات والأرض[3] = « وما فيهن »، دون عيسى الذي تزعمون أنه إلهكم ، ودون أمه ، ودون جميع من فى السموات ومن فى الأرض، فإن السموات والأرض خلق من خلقه وما فيهن ، وعيسى وأمُّه من بعض ذلك بالحلول والانتقال ، يدلاَّن بكونهما فى المكان الذي هما فيه بالحلول فيه والانتقال ، أنهما عبدان مملوكان لمن له ملك السموات والأرض وما فيهن. ينبِّههم وجميعَ خلقه على موضع حجته عليهم ، ليدَّبروه ويعتبروه فيعقلوا عنه = « وهو على كل شيء

---

(١) انظر تفسير « الرضى » فيما سلف ٦ : ٩/٢٦٢ : ١٠/٤٨٠ : ١٤٤ .

(٢) انظر تفسير « الفوز » . فيما سلف ٧ : ٤٥٢ ، ٨/٤٧٢ : ٧١ .

(٣) انظر تفسير « الملك » فيما سلف ٨ : ٤٨٠ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

قدير » ،[1] يقول تعالى ذكره: والله الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن، قادرٌ على إفنائهن وعلى إهلاكهن ، وإهلاك عيسى وأمه ومن فى الأرض جميعاً كما ابتدأ خلقهم ، لا يعجزه ذلك ولا شيء أراده ، لأن قدرته القدرةُ التى لا تشبهها قدرة، وسلطانه السلطان الذي لا يشبهه سلطان ولا مملكة .

* * *

﴿ آخر تفسير سورة المائدة ﴾[2]

(١) انظر تفسير «قدير» فيما سلف من فهارس اللغة (قدر) .

(٢) عند هذا الموضع انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت عنه نسختنا ، وفيها ما نصه :

« آخر تفسير سورة المائدة

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً

وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

يَتْلُوهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ، تَفْسِيرُ سُورَةِ الأَنْعَامِ

الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ »

تفسير

سُورَةِ الأنْعَامِ

﴿ القول فى تفسير السورة التى يُذكر فيها الأنعام ﴾

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

رَبِّ يَسِّرْ

القول فى تأويل قوله ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « الحمد لله » ، الحمدُ الكامل لله وحده لا شريك له دون جميع الأندادِ والآلهة، ودون ما سواه مما تعبده كَفَرَةُ خلْقه من الأوثان والأصنام .

وهذا كلام مخرجه مَخرج الخبر ، يُنْحَى به نحو الأمر . يقول : أخلصوا الحمد والشكر للذى خلَقَكم، أيها الناس، وخلق السموات والأرض ، ولا تشركوا معه فى ذلك أحداً أو شيئاً ،[1] فإنه المستوجب عليكم الحمدَ بأياديه عندكم ونعمه عليكم ، لا من تعبدونه من دونه ، وتجعلونه له شريكاً من خلْقه .

* * *

وقد بينا الفصل بين معنى « الحمد » و « الشكر » بشواهده فيما مضى قبل .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمٰتِ وَالنُّورَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : الحمد لله الذى خلق السموات والأرض ، وأظلم الليلَ ، وأنارَ النَّهار ، كما : —

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « أحدا شيئاً » ، والسياق يقتضى ما أثبت .
(٢) انظر تفسير « الحمد » فيما سلف ١ : ١٣٥ - ١٤١ .

١٣٠٤٠ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وجعل الظلمات والنور » ، قال : الظلمات ظلمة الليل ، والنور نورُ النهار .

١٣٠٤١ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : أمّا قوله : « الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور » ، فإنه خلق السّموات قبل الأرض ، والظلمةَ قبل النور ، والجنّة قَبل النار .

* * *

فإن قال قائل : فما معنى قوله إذاً : « جعل » .

قيل : إن العرب تجعلها ظرفاً للخبرِ والفِعْل فتقول : « جعلت أفعل كذا » ، و « جعلت أقوم وأقعد » ، تدل بقولها « جعلت » على اتصال الفعل ، كما تقول « علقت أفعل كذا » = لا أنها فى نفسها فِعْلٌ . يدلُّ على ذلك قول القائل : « جعلت أقوم » ، وأنه لا جَعْلَ هناك سوى القيام ، وإنما دَلّ بقوله : « جعلت » على اتّصال الفعل ودوامه ، [1] ومن ذلك قول الشاعر : [2]

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ سَوْفَ تَسْلُكُ فَارِداً ... وَالْمَوْتُ مُكْتَنِعٌ طَرِيقَىْ قَادِرِ

فَاجْعَلْ تَحَلَّلْ مِنْ يَمِينِكَ إِنَّمَا ... حِنْثُ الْيَمِينِ عَلَى الأَثِيمِ الْفَاجِرِ [3]

---

(١) انظر ما كتبته على الأثر رقم : ٨٣١٧ ، ج ٧ : ٥٤٧ ، تعليق : ٦/ثم الأثر : ١٢٨٣٤ ، ج : ١١ : ١٢٨ ، تعليق : ١ ، فى قوله : « فذهب يزل » وقوله : « تذهب فتختلط » ، وقد سميتها هناك ألفاظ الاستعانة . وقد أجاد أبو جعفر العبارة عن هذا المعنى ، فقيده وحفظه .

(٢) لم أعرف قائله .

(٣) لم أجد البيتين فيما بين يدى من الكتب ، وإن كنت أذكر أنى قرأتهما قبل ، ثم لا أدرى أين ؟ وكان البيت الأول فى المطبوعة :

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ سَوفَ تَسْلُكُ قَادِراً ... وَللوتُ مُتَّسِعٌ طَرِيقى قادِرِ

وهو كلام صفر من المعنى . وكان فى المخطوطة هكذا

يقول : « فاجعل تحلّل » ، بمعنى : تحلل شيئاً بعد شيء = لا أن هناك جَعْلاً من غير التحليل . فكذلك كل « جَعْلٍ » فى الكلام ، إنما هو دليل على فعلٍ له اتصال ، لا أن له حظاً فى معنى الفعْل .

* * *

فقوله : « وجعل الظلمات والنور » ، إنما هو : أظلم ليلَهما ، وأنارَ نهارَهما .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، معجِّباً خلقَه المؤمنين من كفَرة عباده ، ومحتجاً على الكافرين : إنَّ الإله الذى يجبُ عليكم ، أيها الناس ، حمدُه ، هو الذى خلَق السموات والأرض ، الذى جعل منهما معايشَكم وأقواتكم ، وأقواتَ أنعامكم التى بها حياتكم . فمن السموات ينزل عليكم الغيثُ ، وفيها تجرى الشمس والقمر باعتِقابٍ واختلاف لمصالحكم . ومن الأرض ينبُتُ الحبُ الذى به غذاؤكم ، والثمارُ التى فيها ملاذُّكم ، مع غير ذلك من الأمور التى فيها مصالحكم ومنافعكم بها = والذين يجحدون نعمة الله عليهم بما أنعم به عليهم من خلق ذلك لهم ولكم ،

٩٣/٧

وزعمتَ أنك سوف تسلك مالِ را الموت ملسع طريق قادرِ

وريحت قراءته كما أثبته ، وكما أتوهم أنى أذكر من معنى الشعر ، وأظنه من كلام شاعر يقوله لأخيه أو صاحبه ، أراد أن ينفرد فى طريقه وحلف ليفعلن ذلك ، فسخر منه ، وقال له ما قال . وقوله : « فارد » ، أى منفرداً منقطعاً عن رفيقك وصاحبك . وقوله : « والموت مكتنع » ، أى : دان قد أشرف عليك . يقال « كنع الموت واكتنع » دنا وقرب ، قال : الراجز :

* وَاكْتَنَعَتْ أُمُّ اللُّهَيْمِ وَاكْتَنَعْ *

و « أم اللهيم » ، كنية الموت ، لأنه يلتهم كل شىء .
هذا اجتهادى فى تصحيح الشعر ، حتى يوجد فى مكان غيره .

أيها الناس= «بربهم» ، الذى فعل ذلك وأحدثه = «يعدلون» ، يجعلون له شريكاً فى عبادتهم إياه ، فيعبدون معه الآلهة والأنداد والأصنام والأوثانَ ، وليس منها شىء شركه فى خلق شىء من ذلك، ولا فى إنعامه عليهم بما أنعم به عليهم، بل هو المنفرد بذلك كله ، وهم يشركون فى عبادتهم إيّاه غيره . فسبحان الله ما أبلغها من حجة، وأوجزها من عظة، لمن فكّر فيها بعقل، وتدبّرها بفهم !

* * *

ولقد قيل : إنها فاتحة التوارة

ذكر من قال ذلك :

١٣٠٤٢ — حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العَمّى ، عن أبى عمران الجونى، عن عبد الله بن رباح ، عن كعب قال : فاتحة التوارة فاتحة «الأنعام» : «الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجَعَل الظلمات والنور ثم الذين كَفَروا بربّهم يعدلون» . (١)

١٣٠٤٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا زيد بن حباب ، عن جعفر بن سليمان ، عن أبى عمران الجونى ، عن عبد الله بن رباح ، عن كعب ، مثله = وزاد فيه : وخاتمة التوراة خاتمة «هود» .

* * *

يقالُ من مساواة الشىء بالشىء : «عدلتُ هذا بهذا» ، إذا ساويته به ، «عَدْلاً» . وأما فى الحكم إذا أنصفت فيه ، فإنك تقول : «عَدَلت فيه أعدلُ عَدْلاً» . (٢)

* * *

(١) الأثر : ١٣٠٤٢ — «عبد العزيز بن عبد الصمد العمى» ، «أبو عبد الصمد» ، ثقة حافظ ، من شيوخ أحمد ، روى له أصحاب الكتب الستة . مترجم فى التهذيب .
و «أبو عمران الجونى» هو «عبد الملك بن حبيب الأزدى» ، ثقة ، مضى برقم : ٨٠ .
و «عبد الله بن رباح الأنصارى» ، ثقة ، مضى برقم : ٤٨١٠ .
و «كعب» ، هو كعب الأحبار المشهور بأخباره الإسرائيلية .

(٢) انظر تفسير «العدل فيما سلف ٢ : ٣٥/١١ : ٤٢ ، ٤٤

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله : « يعدلون » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٤٤ — حدثنى بن محمد عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « يعدلون » ، قال : يشركون .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فيمن عُنى بذلك :

فقال بعضهم : عُنى به أهل الكتاب .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٤٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب القمى ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن ابن أبزي قال : جاءه رجل من الخوارج يقرأ عليه هذه الآية : « الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربّهم يعدِلون » ، قال له : أليس الذين كفروا بربّهم يعدلون ؟ قال : بلى ! قال : وانصرف عنه الرجل ، فقال له رجل من القوم : يا ابن أبزى ، إن هذا قد أراد تفسيرَ هذه غير هذا! إنه رجلٌ من الخوارج! فقال ردّوه علىّ . فلما جاءه قال : هل تدرى فيمن نَزَلت هذه الآية ؟ قال : لا ! قال : إنها نزلت فى أهل الكتاب ، اذهبْ ، ولا تضعها على غير حدّها .(١)

* * *

(١) الأثر : ١٣٠٤٥ — « يعقوب القمى » ، هو « يعقوب بن عبد الله الأشعرى القمى » ، ثقة ، مضى برقم : ٦١٧ ، ٧٢٦٩ ، ٨١٥٨ .

و « جعفر بن أبى المغيرة الخزاعى القمى » ، ثقة ، مضى برقم : ٨٧ ، ٦١٧ ، ٤٣٤٧ ، ٧٢٦٩ .

و « ابن أبزى » هو : « سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى الخزاعى » ، ثقة ، مضى برقم : ٩٦٥٦ ، ٩٦٥٧ ، ٩٦٧٢ .

وأراد السائل من الخوارج بسؤاله ، الاستدلال بالآية على تكفير أهل القبلة ، فى أمر تحكيم على بن أبى طالب . وذلك هو رأى الخوارج .

وقال آخرون : بل عُنِىَ بها المشركون من عبدة الأوثان .

ذكر من قال ذلك :

١٣٠٤٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة: «ثم الذين كفروا بربهم يعدلون»، قال: [هؤلاء: أهل صراحيه]. (١)

١٣٠٤٧ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » ، قال : هم المشركون .

١٣٠٤٨ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » ، قال : الآلهة التى عبَدوها ، عدلوها بالله. قال: وليس لله عِدْلٌ ولا نِدٌّ، وليس معه آلهة، ولا اتخذ صاحبةً ولا ولداً.

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى أن يقال : إنّ الله تعالى ذكره أخبر أنّ الذين كفروا بربهم يعدلون، فعمّ بذلك جميع الكفّار ، ولم يخصص منهم بعضاً دون بعض. فجميعهم داخلون فى ذلك: يهودهم، ونصاراهم، ومجوسهم ، وعبدة الأوثان منهم ومن غيرهم من سائر أصناف الكفر .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « هو الذى خلقكم من طين » ، أن الله الذى خلق السموات والأرض، وأظلم ليلهما وأنار نهارهما، ثم كفر به مع

---

(١) فى المطبوعة : « هؤلاء أهل صراحة » ، وهو كلام لا معنى له ، وفى المخطوطة ما أثبته بين القوسين ، لم أستطع أن أحل رموزه ، فلعله يوجد بعد فى كتاب غير الكتب التى فى أيدينا ، فتبين صحته .

إنعامه عليهم الكافرون ، (١) وعدلوا به من لا ينفعهم ولا يضرُّهم ، هو الذى خلقكم ، أيها الناس، من طين . وإنما يعنى بذلك تعالى ذكره : أنَّ الناس وَلَدُ مَنْ خلقه من طين ، فأخرج ذلك مخرج الخطاب لهم ، إذ كانوا وَلَدَه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٤٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « هو الذى خلقكم من طين » ، بدءُ الخلق ، خلقَ الله آدم من طين . ٧/٩٤

١٣٠٥٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « هو الذى خلقكم من طين » ، قال : هو آدم .

١٣٠٥١ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أمّا « خلقكم من طين » ، فآدم .

١٣٠٥٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنا أبو تميلة ، عن عبيد بن سليمان ، عن الضحاك بن مزاحم قال : خلق آدم من طين، وخلق الناس من سُلالةٍ من ماءٍ مَهِين .

١٣٠٥٣ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « خلقكم من طين »، قال : خلق آدم من طين ، ثم خلقنا من آدم حين أخذنا من ظهره .

* * *

(١) فى المطبوعة : « فكفر به » ، أما المخطوطة ، ففيها الذى أثبته إلا أنه كتب « مكفر به » ووصل « ثم » بقوله : « كفر » ، وهذا من عجب الكتابة ولطائف النساخ .

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى قوله : « ثم قضى أجلاً » ، ثم قضى لكم ، أيها الناس، « أجلاً » . وذلك ما بين أن يُخْلق إلى أن يموت = « وأجل مسمى عنده »، وذلك ما بين أن يموت إلى أن يبعث .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٥٤ — حدثنا ابن وكيع وهناد بن السرى قالا، حدثنا وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن أبى بكر الهذلى ، عن الحسن فى قوله : « قضى أجلاً » ، قال : ما بين أن يخلق إلى أن يموت= «وأجل مسمى عنده»، قال: ما بين أن يموت إلى أن يبعث .(١)

١٣٠٥٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ثم قضى أجلاً وأجلٌ مسمى عنده » ، كان يقول : أجل حياتك إلى أن تموت، وأجل موتك إلى أن تُبْعث . فأنت بين أجلين من الله تعالى ذكره .

١٣٠٥٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو تميلة ، عن عبيد بن سليمان ، عن الضحاك بن مزاحم : « قضى أجلاً وأجل مسمى عنده »، قال : قضى أجل الموت، وكل نفسٍ أجلها الموت . قال : ولن يؤخر الله نفساً

---

(١) الأثر : ١٣٠٥٤ — « وكيع » هو « وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسى » .
وأبوه : « الجراح بن مليح الرؤاسى » ، مضيا فى مواضع مختلفة .
و « أبو بكر الهذلى » مختلف فى اسمه قيل هو : « سلمى بن عبد الله بن سلمى » ، وقيل : « روح بن عبد الله » . ومضى برقم : ٥٩٧ ، ٨٣٧٦ ، وهو ضعيف .

إذا جاء أجلها = « وأجل مسمى عنده » ، يعني : أجل الساعة ، ذهاب الدنيا ، والإفضاءُ إلى الله .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ثم قضى الدنيا، وعنده الآخرة .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٥٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قوله : « أجلاً » ، قال : الدنيا = « وأجل مسمى عنده » ، الآخرة .

١٣٠٥٨ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو عاصم ، عن زكريا بن إسحق، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد : « قضى أجلاً »، قال : الآخرة عنده = « وأجل مسمى »، الدنيا .

١٣٠٥٩ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أجلاً » ، قال : الآخرة عنده = « وأجل مسمًّى »، قال : الدنيا .

١٣٠٦٠ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أجلاً » ، قال : الآخرة عنده = « وأجل مسمى » ، قال : الدنيا .

١٣٠٦١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والحسن : « ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده » ، قالا : قضى أجل الدنيا ، من حين خلقك إلى أن تموت = « وأجل مسمى عنده » ، يوم القيامة .

١٣٠٦٢ — حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ،

عن مجاهد وعكرمة : « ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده » ، قال : قَضَى أجل الدنيا = « وأجل مسمى عنده » ، قال : هو أجل البعث .

١٣٠٦٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة : « ثم قضى أجلاً » ، قال : الموت = « وأجل مسمى عنده » ، الآخرة .

١٣٠٦٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة والحسن في قوله : « قضى أجلاً وأجل مسمى عنده » ، قالا : قضى أجل الدنيا ، منذ يوم خلقت إلى أن تموت = « وأجل مسمى عنده » ، يوم القيامة .

١٣٠٦٥ — حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد : « قضى أجلاً » ، قال : أجل الدنيا = « وأجل مسمى عنده » ، قال : البعث .

١٣٠٦٦ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « ثم قضى أجلاً وأجلٌ مسمى عنده » ، يعني أجل الموت = « والأجل المسمى » ، أجلُ الساعة والوقوفِ عند الله .

١٣٠٦٧ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « قضى أجلاً » ، قال : أمّا « قضى أجلاً » ، فأجل الموت = « وأجل مسمى عنده » ، يوم القيامة .

* * *

وقال آخرون في ذلك بما : —

٩٥/٧ ١٣٠٦٨ — حدثني به محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله : « ثم قضى أجلاً وأجل

مسمى عنده »، قال : أمّا قوله : « قضى أجلاً »، فهو النومُ، تُقْبض فيه الروح، ثم ترجع إلى صاحبها حين اليقظة = « وأجل مسمى عنده »، هو أجل موت الإنسان .

* * *

وقال آخرون بما : —

١٣٠٦٩ — حدثني به يونس قال، أخبرنا ابن وهب فى قوله : « هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون »، قال : خلق آدم من طين، ثم خلقنا من آدم، أخذنا من ظهره، ثم أخذ الأجل والميثاق فى أجلٍ واحدٍ مسمًّى فى هذه الحياة الدنيا .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب، قولُ من قال : معناه : ثم قضى أجلَ الحياة الدنيا = « وأجلٌ مسمى عنده »، وهو أجل البعْث عنده .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأنه تعالى ذكره نبَّه خلقَه على موضع حُجَّته عليهم من أنفسهم فقال لهم : أيها الناس، إن الذى يعدِلُ به كفارُكم الآلهةَ والأندادَ، هو الذى خلقكم فابتدأكم وأنشأكم من طين، فجعلكم صوراً أجساماً أحياءً، بعد إذ كنتم طيناً جماداً، ثم قضى آجال حياتكم لفنائكم ومماتكم، ليعيدكم تراباً وطيناً كالذى كنتم قبل أن ينشئكم ويخلقكم = وأجل مسمى عندَه لإعادتكم أحياءً وأجساماً كالذى كنتم قبل مماتكم.[1] وذلك نظير قوله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾، [سورة البقرة : ٢٨].

* * *

(١) انظر تفسير « الأجل » فيما سلف ٥ : ٧/٦ : ٤٣، ٧٦/٨ : ٥٤٨ .
= وتفسير « مسمى » فيما سلف ٦ : ٤٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ (٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ثم أنتم تَشكُّون فى قدرة من قَدَر على خلق السموات والأرض ، وإظلام الليل وإنارة النهار ، وخلقكم من طين حتى صيَّركم بالهيئة التى أنتم بها = على إنشائه إياكم من بعد مماتكم وفنائكم ،[١] وإيجاده إيَّاكم بعد عدمكم .

* * *

و« المرية » فى كلام العرب ، هى الشك . وقد بيَّنت ذلك بشواهده فى غير هذا الموضع فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته .[٢]

* * *

وقد : —

١٣٠٧٠ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « ثم أنتم تمترون » ، قال : الشك . قال : وقرأ قول الله : ﴿ فِى مِرْيَةٍ مِنْهُ ﴾ [سورة هود : ١٧] ، قال : فى شكٍّ منه .

١٣٠٧١ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ثم أنتم تمترون » ، بمثله .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « وعلى إنشائه » بزيادة الواو ، وهى مفسدة وهى خطأ صرف ، لم يفهم سياق أبى جعفر ، فإن قوله : « على إنشائه إياكم » متعلق بقوله : « ثم أنتم تشكون فى قدرة من قدر . . . » ، أى : تشكون فى قدرة من فعل ذلك ، على إنشائه إياكم .

(٢) انظر تفسير « الامتراء » فيما سلف ٣ : ١٩٠ ، ٦/١٩١ : ٤٧٢ .

القول في تأويل قوله ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ (٣)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره : إن الذى له الألوهةُ التى لا تنبغى لغيره، المستحقَّ عليكم إخلاصَ الحمد له بآلائه عندكم، أيها الناس، الذى يعدِل به كفاركم مَن سواه، هو الله الذى هو فى السموات وفى الأرض يعلم سِرَّكم وجَهْرَكم، فلا يخفى عليه شىء . يقول : فربكم الذى يستحقُّ عليكم الحمدَ، ويجب عليكم إخلاصُ العبادة له ، هو هذا الذى صفته = لا من لا يقدر لكم على ضرّ ولا نفع ، ولا يعمل شيئاً، ولا يدفع عن نفسه سُوءاً أريد بها .

* * *

وأما قوله : « ويعلم ما تكسبون » ، يقول: ويعلم ما تَعمَلون وتجرَحُون، فيحصى ذلك عليكم ليجازيكم به عند معادكم إليه .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ (٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وما تأتى هؤلاء الكفار الذين بربهم يعدِلون أوثانَهم وآلهتهم = « آية من آيات ربهم » ، يقول : حجةٌ وعلامة ودلالة من حُجج ربهم ودلالاته وأعلامه على وحدانيته ، وحقيقة نبوتك ، يا محمد ، وصدق ما أتيتَهم به من عندى[2] = « إلا كانوا عنها معرضين » ، يقول : إلا

(١) انظر تفسير « كسب » فيما سلف ١٠ : ٢٩٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيى) .

أعرضوا عنها ، يعني عن الآية ، فصدّوا عن قَبُولها، والإقرار بما شهدت على حقيقته ودلّت على صحته ، جهلاً منهم بالله ، واغتراراً بحلمه عنهم .[١]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَـٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ⑤

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فقد كذب هؤلاء العادلون بالله ، الحقَّ لما جاءهم ، وذلك «الحق» ، هو محمد صلى الله عليه وسلم[٢] : كذّبوا به ، وجحدوا نبوّته لما جاءهم . قال الله لهم متوعّداً على تكذيبهم إياه وجحودِهم نبوّته : سوف يأتي المكذّبين بك، يا محمد، من قومِك وغيرهم = «أنْباء ما كانوا به يستهزئون»، يقول : سوف يأتيهم أخبارُ استهزائهم بما كانوا به يستهزئون من آياتي وأدلّتي التي آتيتهم .[٣] ثم وفى لهم بوعيده لمّا تمادَوا في غيِّهم، وعتَوْا على ربهم، فقتلتهم يوم بدرٍ بالسَّيف . ٩٦/٧

* * *

(١) انظر تفسير «الإعراض» فيما سلف ٩ : ٣١٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك

(٢) انظر تفسير «الحق» فيما سلف ١٠ : ٣٧٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك

(٣) انظر تفسير «النبأ» فيما سلف ١٠ : ٣٩١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك

= وتفسير «الاستهزاء» فيما سلف ١ : ٣٠١ - ٣٠٣

القول فى تأويل قوله ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمدٍ صلى الله عليه وسلم : ألم يرَ هؤلاء المكذبون بآياتى ، الجاحدون نبوّتك ، كثرةَ من أهلكت من قبلهم من القُرون = وهم الأمم = الذين وطّأت لهم البلادَ والأرض توطئة لم أوطِّئها لهم ،[1] وأعطيتهم فيها ما لم أعطهم ؟ كما : —

١٣٠٧٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم » ، يقول : أعطيناهم ما لم نعطكم .

* * *

قال أبو جعفر : أمطرت فأخرجت لهم الأشجارُ ثمارها ، وأعطتهم الأرض رَيْع نَبَاتها ، وجابوا صخورَ جبالها ، ودرَّت عليهم السماء بأمطارها ، وتفجرت من تحتهم عيون المياه بينابيعها بإذنى ، فغمَطُوا نعمة ربهم ، وعصوا رسولَ خالقهم ، وخالفوا أمرَ بارئهم ، وبغَوْا حتى حقَّ عليهم قَوْلى ، فأخذتهم بما اجترحوا من ذنوبهم ، وعاقبتهم بما اكتسبت أيديهم ، وأهلكت بعضهم بالرَّجفة ، وبعضهم بالصيحة ، وغير ذلك من أنواع العذاب .

* * *

ومعنى قوله : « وأرسلنا السماء عليهم مدراراً » ، المطرَ . ويعنى بقوله : « مدراراً » ، غزيرة دائمةً = « وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين » ، يقول : وأحدثنا من بعد

(١) فى المطبوعة : « وطأة لم أوطئها » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

الذين أهلكناهم قرناً آخرين، فابتدأنا سواهم .

* * *

فإن قال قائل: فما وجهُ قوله: « مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم » ؟ ومن المخاطب بذلك؟ فقد ابتدأ الخبر فى أول الآية عن قوم غيَّبٍ بقوله : « ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن » ؟

قيل : إن المخاطب بقوله : « ما لم نمكن لكم » ، هو المخبر عنهم بقوله : «ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن » ، ولكن فى الخبر معنى القول = ومعناه : قُلْ ، يا محمد ، لهؤلاء القوم الذين كذبوا بالحقِّ لما جاءهم: ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قَرْن مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم .

والعرب إذا أخبرت خبراً عن غائبٍ ، وأدخلت فيه «قولاً»، فعلت ذلك ، فوجهت الخبرَ أحياناً إلى الخبر عن الغائب ، وأحياناً إلى الخطاب ، فتقول : « قلت لعبدالله: ما أكرمه »، و «قلت لعبد الله: ما أكرمك»، وتخبر عنه أحياناً على وجه الخبر عن الغائب ، ثم تعود إلى الخطاب . وتخبر على وجه الخطاب له ، ثم تعود إلى الخبر عن الغائب . وذلك فى كلامها وأشعارها كثيرٌ فاشٍ . وقد ذكرنا بعض ذلك فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[1]

* * *

وقد كان بعض نحويى البصرة يقول فى ذلك : كأنه أخبَر النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم خاطبه معهم . وقال : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [سورة يونس : ٢٢] ، فجاء بلفظ الغائب ، وهو يخاطب ، لأنه المخاطَب .

* * *

(١) انظر ما سلف ١ : ١٥٣ - ٢/١٥٤ : ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٥٧ ، ٣/٢٨٨ : ٦/١٧٠ : ٥٦٤ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَـٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ ⑦

قال أبو جعفر : وهذا إخبار من الله تعالى ذكره نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم ، عن هؤلاء القوم الذين يعدلون بربهم الأوثانَ والآلهة والأصنام . يقول تعالى ذكره : وكيف يتفقهون الآيات، أم كيف يستدلُّون على بُطْلان ما هم عليه مُقيمون من الكفر بالله وجحودِ نبوتك، بحجج الله وآياته وأدلته، وهم لعنادهم الحقَّ وبعدهم من الرشد ، لو أنزلت عليك، يا محمد، الوحيَ الذى أنزلته عليك مع رسولى، فى قِرْطاس يعاينونه ويمسُّونه بأيديهم،[1] وينظرون إليه ويقرأونه منه، معلَّقاً بين السماء والأرض ، بحقيقة ما تدعوهم إليه، وصحّةِ ما تأتيهم به من توحيدى وتنزيلى ، لقال الذين يعدلُون بى غيرى فيشركون فى توحيدِى سواى : « إنْ هذا إلاّ سحرٌ مبينٌ » ، أى : ما هذا الذى جئتنا به إلاّ سحر سحرتَ به أعيننا ، ليست له حقيقة ولا صحة[2] = « مبين » ، يقول : مبين لمن تدبّره وتأمّله أنه سحر لا حقيقة له .[3]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٧٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره : « كتاباً فى قرطاس فلمسوه بأيديهم » ، قال : فمسوه ونظروا إليه ، لم يصدِّقوا به .

---

(١) انظر تفسير « لمس » فيما سلف ٨ : ٣٩٩/١٠ : ٨٣ .
(٢) انظر تفسير « السحر » فيما سلف ٢ : ٤٣٦ — ٤٤٢ .
(٣) انظر تفسير « مبين » فيما سلف ١٠ : ٥٧٥ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

١٣٠٧٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولو نزلنا عليك كتاباً فى قرطاس فسلموه بأيديهم » ، يقول : فعاينوه معاينة = « لقال الذين كفروا إن هذا إلاّ سحرٌ مبين » . ٩٧/٧

١٣٠٧٥ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولو نزلنا عليك كتاباً فى قرطاس فلمسوه بأيديهم » ، يقول : لو نزلنا من السماء صُحُفاً فيها كتاب فلمسوه بأيديهم ، لزادهم ذلك تكذيباً .

١٣٠٧٦ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولو نزلنا عليك كتاباً فى قرطاس » ، الصحف .

١٣٠٧٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فى قرطاس » ، يقول : فى صحيفة =« فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إنْ هذا إلاّ سحر مبين » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ ⑧

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال هؤلاء المكذبون بآياتى ، العادلون بى الأندادَ والآلهةَ ، يا محمد، لك لو دعوتهم إلى توحيدى والإقرار بربوبيتى ، وإذا أتيتهم من الآيات والعبر بما أتيتهم به ، واحتججت عليهم بما احتججتَ عليهم مما قطعتَ به عذرَهم : هَلاَّ نُزِّل عليك ملك من السماء فى صورته ، [1] يصدِّقك على ما جئتنا به ، ويشهد لك بحقيقة ما تدَّعى من أنَّ الله أرسلك إلينا !

(١) انظر تفسير « لولا » فيما سلف ٢ : ٥٥٢ ، ٥٥٣/١٠ : ٤٤٨ وما سيأتى ص: ٣٤٣

كما قال تعالى ذكره مخبراً عن المشركين فى قيلهم لنبىّ الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً ﴾ [سورة الفرقان : ٧] ، = « ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لا ينظرون » ، يقول : ولو أنزلنا ملكاً على ما سألوا ، ثم كفروا ولم يؤمنوا بى وبرسولى ، لجاءهم العذابُ عاجلاً غيرَ آجل ، [1] ولم يُنْظَروا فيؤخَّروا بالعقوبة مراجعةَ التوبة ، [2] كما فعلت بمن قبلهم من الأمم التى سألت الآيات ، ثم كفرت بعد مجيئها ، من تعجيل النقمة ، وترك الإنظار ، كما : —

١٣٠٧٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لا ينظرون » ، يقول : لجاءهم العذاب .

١٣٠٧٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لا ينظرون » ، يقول : ولو أنهم أنزلنا إليهم ملكاً ، ثم لم يؤمنوا ، لم يُنْظَروا .

١٣٠٨٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره : « لولا أنزل عليه ملك » فى صورته = « ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر » ، لقامت الساعة .

١٣٠٨١ — حدثنا ابن وكيع ، عن أبيه قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن سفيان الثورى ، عن عكرمة : « لقضى الأمر » ، قال : لقامت الساعة .

١٣٠٨٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر » ، قال يقول : لو أنزل الله ملكاً

---

(١) انظر تفسير « قضى » فيما سلف ٢ : ٥٤٢/٤ : ١٩٥/٩ : ١٦٤ .

(٢) انظر تفسير « انظر » فيما سلف ٣ : ٢٦٤/٦ : ٥٧٧ .

ثم لم يؤمنوا ، لعجل لهم العذاب .

* * *

وقال آخرون فى ذلك بما : —

١٣٠٨٣ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، أخبرنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قوله : « ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لا ينظرون » ، قال : لو أتاهم ملك فى صورته لماتوا ، ثم لم يؤخَّروا طرفةَ عينٍ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولو جعلنا رسولنا إلى هؤلاء العادلِين بى ، القائلين : لولا أنزل على محمدٍ ملك بتصديقه — ملكاً ينزل عليهم من السماء ، يشهد بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ، ويأمرهم باتباعه = « لجعلناه رجلاً » ، يقول : لجعلناه فى صورة رجل من البشر ، لأنهم لا يقدرون أن يروا الملك فى صورته . يقول : وإذ كان ذلك كذلك ، فسواء أنزلت عليهم بذلك ملكاً أو بشرًا ، إذ كنت إذا أنزلت عليهم ملكاً إنما أنزله بصورة إنسىّ ، وحججى فى كلتا الحالتين عليهم ثابتة : بأنك صادق ، وأنّ ما جئتهم به حق .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٨٤ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك، عن ابن عباس : « ولو جعلناه

ملكاً لجعلناه رجلاً »، يقول : ما أتاهم إلا فى صورة رجل ، لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة .

١٣٠٨٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً » ، فى صورة رجل ، فى خَلْق رجل . ٩٨/٧

١٣٠٨٦ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً » ، يقول : لو بعثنا إليهم ملكاً لجعلناه فى صورة آدم .[1]

١٣٠٨٧ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً » ، يقول : فى صورة آدمى .

١٣٠٨٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

١٣٠٨٩ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال، ابن زيد فى قوله : « ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً » ، قال: لجعلنا ذلك الملك فى صورة رجل ، لم ترسله فى صورة الملائكة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ (٩)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وللبسنا عليهم » : ولو أنزلنا ملكاً من السماء مصدّقاً لك ، يا محمد ، شاهداً لك عند هؤلاء العادلين بى ، الجاحدين آياتك على حقيقة نبوّتك ، فجعلناه فى صورة رجل من بنى آدم ،

---

(١) فى المطبوعة : « آدمى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

إذ كانوا لا يُطيقون رؤية الملك بصورته التي خلقتُه بها = التبس عليهم أمرُه، فلم يدروا أملك هو أمْ إنسيّ ! فلم يوقنوا به أنّه ملك ، ولم يصدّقوا به، وقالوا : « ليس هذا ملكاً » ! ولبسنا عليهم ما يلبسونه على أنفسهم من حقيقة أمرك ، وصحة برهانك وشاهدك على نبوّتك .

* * *

يقال منه : « لَبَسْتُ عليهم الأمرَ ألْبِسُه لَبْساً » ، إذا خلطته عليهم = « ولبست الثوبَ ألبَسُه لُبْساً » . و« اللَّبوس » ، اسم الثياب .[1]

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .[2]

١٣٠٨٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولبسنا عليهم ما يلبسون » ، يقول : لشبَّهنا عليهم .

١٣٠٩٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولبسنا عليهم ما يلبسون » ، يقول : ما لبَّس قوم على أنفسهم إلا لبَّس الله عليهم. واللَّبْس إنما هو من الناس .

١٣٠٩١ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ولبسنا عليهم ما يلبسون» ، يقول : شبَّهنا عليهم ما يشبِّهون على أنفسهم .

* * *

وقد روي عن ابن عباس في ذلك قول آخر ، وهو ما : —

١٣٠٩٢ — حدثني به محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي

---

(١) انظر تفسير « لبس » فيما سلف ١ : ٥٦٧ ، ٦/٥٦٨ : ٥٠٣ — ٥٠٥ = وتفسير « اللباس » فيما سلف ١ : ٥٦٧ ، ٣/٥٦٨ : ٤٨٩ ، ٤٩٠ .

(٢) انظر أثراً آخر في تفسير هذه الآية فيما سلف رقم : ٨٨٢ (ج ١ : ٥٦٧) ، لم يذكره في الآثار المفسرة ، وهو باب من أبواب اختصاره لتفسيره .

قال حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وللبسنا عليهم ما يلبسون » ، فهم أهل الكتاب ، فارقوا دينهم ، وكذّبوا رسلهم ، وهو تحريفُ الكلام عن مواضعه .

١٣٠٩٣ — حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد ابن سليمان قال ، سمعت الضحاك في قوله : « وللبسنا عليهم ما يلبسون » ، يعني : التحريفَ ، هم أهل الكتاب ، فرقوا كتبهم ودينَهم ، وكذّبوا رسلهم ، فلبَّس الله عليهم ما لبَّسوا على أنفسهم .

* * *

وقد بينا فيما مضى قبل أن هذه الآيات من أوّل السورة ، بأن تكون في أمر المشركين من عبدة الأوثان ، أشبهُ منها بأمرِ أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، بما أغنى عن إعادته . [1]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (١٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم ، مسلّياً عنه بوعيده المستهزئين به عقوبةَ ما يلقى منهم من أذى الاستهزاء به ، والاستخفاف في ذات الله : هوِّنْ عليك ، يا محمد ، ما أنت لاقٍ من هؤلاء المستهزئين بك ، المستخفّين بحقك فيّ وفي طاعتي ، وامضِ لما أمرتك به من الدُّعاء إلى توحيدي والإقرار بي والإذعان لطاعتي ، فإنهم إن تمادوا في غيِّهم ، وأصرُّوا على المقام على كفرهم ، نسلك بهم سبيلَ أسلافهم من سائر الأمم من غيرهم ، من تعجيل النقمة

(١) انظر ما سلف ص : ٢٥٤ .

ـم ،وحلول المَثُلاتِ بهم . فقد استهزأت أمم من قبلك برسلٍ أرسلتهم إليهم بمثل الذى أرسلتك به إلى قومك ،وفعلوا مثل ما فعل قومُك بك= « فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون » ، يعنى بقوله : « فحاق »،فنزل وأحاط بالذين هزئوا من رسلهم = « ما كانوا به يستهزئون » ، يقول : العذابُ الذى كانوا يهزأون به ، وينكرون أن يكون واقعاً بهم على ما أنذرتهم رسلهم .

* * *

يقال منه : « حاق بهم هذا الأمر يَحِيقُ بهم حَيْقاً وحُيُوقاً وحَيَقَاناً » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٩٤ ــ حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فحاق بالذين سخروا منهم » ، من الرسل = « ما كانوا به يستهزئون » ، يقول : وقع بهم العذاب الذى استهزأوا به . ٧/ ٩٩

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (١١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « قل » ، يا محمد= لهؤلاء العادلين بىَ الأوثانَ والأندادَ، المكذِّبين بك ، الجاحدين حقيقة ما جئتهم به من عندى = « سيروا فى الأرض » ، يقول : جولوا فى بلاد المكذِّبين رسلَهم ،الجاحدين آياتى مِنْ قبلهم من ضُرَبائهم وأشكالهم من الناس = « ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين » ، يقول : ثم انظروا كيف أعقبَهم تكذيبهم ذلك،الهلاكَ والعطبَ وخزىَ الدنيا وعارَها،وما حَلَّ بهم من سَخَط الله عليهم ، من البوار وخراب

الديار وعفوَّ الآثار . فاعتبروا به ، إن لم تنهكم حُلُومكم، ولم تزجركم حُجج الله عليكم، عمَّا أنتم [عليه] مقيمون من التكذيب، [١] فاحذروا مثل مصارعهم ، واتقوا أن يحلَّ بكم مثلُ الذي حلَّ بهم .

* * *

وكان قتادة يقول في ذلك بما : —

١٣٠٩٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين »، دمَّر الله عليهم وأهلكهم ، ثم صيَّرهم إلى النار .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: «قل» ، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم = «لمن ما في السموات والأرض» ، يقول : لمن ملك ما في السموات والأرض ؟ ثم أخبرهم أن ذلك لله الذي استعبدَ كل شيء ، وقهر كل شيء بملكه وسلطانه = لا للأوثان والأنداد ، ولا لما يعبدونه ويتخذونه إلهاً من الأصنام التي لا تملك لأنفسها نفعاً ولا تدفع عنها ضُرًّا .

وقوله : « كتب على نفسه الرحمة » ، يقول : قضى أنَّه بعباده رحيم ، لا يعجل عليهم بالعقوبة ، ويقبل منهم الإنابة والتوبة . [٢]

وهذا من الله تعالى ذكره استعطاف للمعرضين عنه إلى الإقبال إليه بالتوبة .

---

(١) الزيادة بين القوسين لابد منها حتى يستقيم الكلام .

(٢) انظر تفسير « كتب » فيما سلف ١٠ : ٣٥٩ ، تعليق : ١ .

يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء العادلين بى، الجاحدين نبوّتك، يا محمد، إن تابوا وأنابوا قبلت توبتهم، وإنى قد قضيت فى خَلْقِى أنّ رحمتى وسعت كل شىء، كالذى : —

١٣٠٩٦ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن ذكوان، عن أبى هريرة، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: لما فرغ الله من الخلق، كتب كتاباً: «إنّ رحمتى سَبَقَتْ غضبى». [1]

١٣٠٩٧ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال، حدثنا داود، عن أبى عثمان، عن سلمان قال: إنّ الله تعالى ذكره لما خلق السماء والأرض، خلق مئة رحمة، كل رحمة ملء ما بين السماء إلى الأرض. فعنده تسع وتسعون رحمةً، وقسم رحمة بين الخلائق. فبها يتعاطفون، وبها تشرب الوَحْشُ والطير الماءَ. فإذا كان يوم ذلك، [2] قصرها الله على المتقين، وزادهم تسعاً وتسعين. [3]

١٣٠٩٨ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن أبى عدى، عن داود، عن أبى عثمان، عن سلمان، نحوه = إلا أن ابن أبى عدى لم يذكر فى حديثه: «وبها تشرب الوحشُ والطير الماء». [3]

---

(١) الأثر: ١٣٠٩٦ — إسناده صحيح. وهو حديث مشهور.
«ذكوان»، هو «أبو صالح».
رواه البخارى (الفتح ١٣: ٣٢٥) من طريق أبى حمزة، عن الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى هريرة، بغير هذا اللفظ، مطولا.
وانظر تعليق أخى السيد أحمد على المسند رقم: ٧٢٩٧، ٧٤٩١، ٧٥٢٠.

(٢) فى المطبوعة: «فإذا كان يوم القيامة، قصرها»، وأثبت ما فى المخطوطة. وأما سائر المراجع فذكرت ما كان فى المطبوعة. والذى فى المخطوطة جائز، فإن «ذلك» إشارة إلى معهود معروف، وهو يوم القيامة.

(٣) الأثران: ١٣٠٩٧، ١٣٠٩٨ — «داود»، هو «داود بن أبى هند» مضى مراراً.
و «أبو عثمان»، هو «أبو عثمان النهدى»: «عبد الرحمن بن مل بن عمرو بن عدى النهدى»، تابعى ثقة، أدرك الجاهلية. مترجم فى التهذيب.

١٣٠٩٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عاصم بن سليمان ، عن أبي عثمان ، عن سلمان قال : نجد فى التوراة عطفتين : أن الله خلق السموات والأرض ، ثم خلق مئة رحمة = أو : جعل مئة رحمة = قبل أن يخلق الخلق . ثم خلق الخلق ، فوضع بينهم رحمة واحدة ، وأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة . قال : فبها يتراحمون ، وبها يتباذلون ، وبها يتعاطفون، وبها يتزاورون ،[1] وبها تحنّ الناقة ، وبها تَثُوجُ البقرة ،[2] وبها تيعر الشاة ،[3] وبها تتّابع الطير ، وبها تتّابع الحيتان فى البحر .[4] فإذا كان يوم القيامة ، جمع الله تلك الرحمة إلى ما عنده ، ورحمته أفضل وأوسع .

١٣١٠٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن عاصم بن سليمان ، عن أبي عثمان النهدى، عن سلمان فى قوله : « كتب على نفسه الرحمة » ، الآية قال : إنا نجد فى التوراة عَطْفتين = ثم ذكر نحوه إلا أنه قال :[5] « وبها تَتَابع الطير ، وبها تَتَابع الحيتان فى البحر ».

---

(١) فى المخطوطة ، فوق « يتزاورون » ، حرف (ط) ، دلالة على الشك أو الخطأ . ولا أدرى ما أراد بذلك ، والذى فى المخطوطة والمطبوعة ، مثله فى الدر المنثور .

(٢) فى المطبوعة : « تنئج البقرة » ، وفى الدر المنثور : « تنتج البقرة » ، وهو خطأ . والذى فى المطبوعة ، صواب فى المعنى . يقال : « نأج الثور ينئج » ، إذا صاح . وأما الذى فى المخطوطة ، فهو صواب أيضاً ، ولذلك أثبته ، يقال : « ثاجت البقرة تثاج وتثوج ، ثوجاً وثواجاً » : صوتت . قال صاحب اللسان : « وقد يهمز ، وهو أعرف . إلا أن ابن دريد قال : ترك الهمز أعلى » .

(٣) « يعرت الشاة تيعر يعاراً » : صاحت .

(٤) أنا فى شك فى قوله « تتابع الطير » و « تتابع الحيتان » ، ولكن هكذا هو المطبوعة والمخطوطة ، وهو معنى شبيه بالاستقامة . وانظر التعليق التالى .

(٥) فى المطبوعة : « إلا أنه ما قال » ، زاد « ما » ، لأنه استشكل عليه الكلام ، فإن الذى قاله فى هذا الخبر ، هو الذى قاله فى الخبر السالف . والظاهر — والله أعلم — أن الأولى كما ضبطتها هناك « تتابع » (بفتح ثم تاء مفتوحة مشددة) وأن هذه الثانية « تتابع » (بفتح التاء الثانية غير مشددة) على حذف إحدى التاءات الثلاث .

(٦) الأثران : ١٣٠٩٩ ، ١٣١٠٠ — خرجهما السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٦ ، وقال : « أخرج عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، عن سلمان . . . » ، وساق الخبر .

١٣١٠١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر قال، قال ابن طاوس، عن أبيه: إن الله تعالى ذكره لما خلق الخلق، لم يعطف شيء على شيء، حتى خلق مئة رحمة، فوضع بينهم رحمة واحدة، فعطف بعضُ الخلق على بعضٍ.

١٣١٠٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، بمثله. ٧/١٠٠

١٣١٠٣ — حدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر قال، وأخبرني الحكم بن أبان، عن عكرمة، حسبته أسنده قال: إذا فرغ الله عز وجلّ من القضاء بين خلقه، أخرج كتاباً من تحت العرش فيه: «إن رحمتي سبقت غضبي، وأنا أرحم الراحمين»، قال: فيخرج من النار مثل أهل الجنة = أو قال: «مِثلاً أهل الجنة»، ولا أعلمه إلا قال: «مثلا» وأما «مثل» فلا أشك = مكتوباً ها هنا، وأشار الحكم إلى نحره: «عتقاء الله»، فقال رجل لعكرمة: يا أبا عبد الله، فإن الله يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٣٧]؟ قال: ويلك! أولئك أهلها الذين هم أهلها.

١٣١٠٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، حسبت أنه أسنده قال: إذا كان يوم القيامة، أخرج الله كتاباً من تحت العرش = ثم ذكر نحوه، غير أنه قال: فقال رجل: يا أبا عبد الله، أرأيت قوله: «يريدون أن يخرجوا من النار»؟ = وسائر الحديث مثل حديث ابن عبد الأعلى.

١٣١٠٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن همام بن منبه قال: سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما

قضى الله الخلق ، كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش : « إن رحمتى سبقت غضبى » .[1]

١٣١٠٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي أيوب ، عن عبد الله بن عمرو : أنه كان يقول : إن لله مئة رحمة ، فأهبط رحمةً إلى أهل الدنيا ، يتراحم بها الجن والإنس ، وطائر السماء ، وحيتان الماء ، ودوابُّ الأرض وهوامّها . وما بين الهواء . واختزن عنده تسعاً وتسعين رحمة ، حتى إذا كان يوم القيامة ، اختلج الرحمةَ التى كان أهبطها إلى أهل الدنيا ،[2] فحواها إلى ما عنده ، فجعلها فى قلوب أهل الجنة ، وعلى أهل الجنة .[3]

١٣١٠٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : قال عبد الله بن عمرو : إن لله مئة رحمة ، أهبط منها إلى الأرض رحمة واحدة ، يتراحم بها الجنّ والإنس ، والطير والبهائم وهوامُّ الأرض .

١٣١٠٨ — حدثنا محمد بن عوف قال ، أخبرنا أبو المغيرة عبد القدوس ابن الحجاج قال ، حدثنا صفوان بن عمرو قال ، حدثنى أبو المخارق زهير بن سالم قال ، قال عمر لكعب : ما أوّل شىء ابتدأه الله من خلقه ؟ فقال كعب : كتب الله كتاباً لم يكتبه بقلم ولا مداد ، ولكن كتبه بإصبعه يتلوها الزبرجد واللؤلؤ والياقوت[4] : « أنا الله لا إله إلا أنا ، سبقت رحمتى غضبى » .[5]

* * *

(١) الأثر : ١٣١٠٥ — رواه أحمد فى مسنده بهذا الإسناد رقم : ٨١١٢ ، ولفظه : « غلبت غضبى » . وانظر تعليق أخى السيد أحمد عليه هناك . وانظر التعليق على الأثر السالف رقم : ١٣٠٩٦ .

(٢) « اختلج الشىء » : جذبه وانتزعه .

(٣) الأثر : ١٣١٠٦ — خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٦ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وأبى الشيخ .

(٤) هكذا فى المطبوعة ، وفى الدر المنثور ، « يتلوها » ، وهى فى المخطوطة كذلك ، إلا أنها غير منقوطة ، وأنا فى ريب من أمر هذا الحرف ، أخشى أن يكون محرفاً عن شىء آخر لم أتبينه ، وإن كان المعنى مستقيما على ضعف فيه .

(٥) الأثر : ١٣١٠٨ — « محمد بن عوف بن سفيان الطائى » ، شيخ الطبرى مضى ،

القول فى تأويل قوله ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾

قال أبو جعفر : وهذه « اللام » التى فى قوله : « ليجمعنكم » ، لام قسم .

* * *

ثم اختلف أهل العربية فى جالبها ، فكان بعض نحويى الكوفة يقول : إن شئت جعلت « الرحمة » غاية كلام ، ثم استأنفت بعدها « ليجمعنكم » . قال : وإن شئت جعلته فى موضع نصب = يعنى : كتب ليجمعنكم = كما قال : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ﴾ [سورة الأنعام : ٥٤] ، يريد : كتب أنه من عمل منكم = قال : والعرب تقول فى الحروف التى يصلح معها جوابُ كلام الأيمان بـ « أن » المفتوحة وبـ « اللام » ،[1] فيقولون : « أرسلت إليه أن يقوم » ، « وأرسلت إليه ليقومن » . قال : وكذلك قوله : ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ، [سورة يوسف : ٣٥] . قال : وهو فى القرآن كثير . ألا ترى أنك لو قلت : « بدا لهم أن يسجنوه » ، لكان صواباً ؟[2]

برقم : ٥٤٤٥ ، ١٢١٩٤ .

و « أبو المغيرة » : « عبد القدوس بن الحجاج الخولانى » ، مضى برقم : ١٠٣٧١ ، ١٢١٩٤ .

و « صفوان بن عمرو بن هرم السكسكى » ، مضى برقم : ٧٠٠٩ ، ١٢٨٠٧ .

و « أبو المخارق » : « زهير بن سالم العنسى » . ذكره ابن حبان فى الثقات ، « روى له أبو داود وابن ماجة حديثاً واحداً . وقال الدار قطنى : « حمصى ، منكر الحديث » ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/٣٩٠ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٥٨٧ ، وميزان الاعتدال ١ : ٣٥٣ .

وهذا الخبر ، خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٦ ، ولم ينسبه لغير ابن جرير . وهو خبر كما ترى ، عن كعب الأحبار ، مشوب بما كان من دأبه فى ذكر الإسرائيليات .

(١) هكذا فى المطبوعة والمخطوطة ، وهو فى معانى القرآن « جواب الأيمان » ، وهو الأجود .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٢٨ . وهذا نص كلامه .

وكان بعض نحويي البصرة يقول : نصبت « لام » « ليجمعنكم » ، لأن معنى : « كتب »[: فرض ، وأوجب ، وهو بمعنى القسم] ،[1] كأنه قال : والله ليجمعنكم .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى ، أن يكون قوله : « كتب على نفسه الرحمة » ، غايةً ، وأن يكون قوله : « ليجمعنكم » ، خبراً مبتدأ = ويكون معنى الكلام حينئذ : ليجمعنكم الله، أيها العادلون بالله ، ليوم القيامة الذى لا ريب فيه ، لينتقم منكم بكفركم به .

وإنما قلت : هذا القول أولى بالصواب من إعمال « كتب » فى « ليجمعنكم » ، لأن قوله : « كتب » قد عمل فى « الرحمة » ، فغير جائز ، وقد عمل فى « الرحمة » ، أن يعمل فى « ليجمعنكم » ، لأنه لا يتعدَّى إلى اثنين . ١٠١/٧

* * *

فإن قال قائل : فما أنت قائل فى قراءة من قرأ : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ ﴾ ، [سورة الأنعام : ٥٤] بفتح « أنّ » ؟

قيل : إن ذلك إذا قرىء كذلك ، فإن « أنّ » بيانٌ عن « الرحمة » ، وترجمة عنها . لأن معنى الكلام : كتب على نفسه الرحمة أن يرحم [من تاب] من عباده بعد اقتراف السوء بجهالة ويعفو ،[2] و « الرحمة » ، يترجم عنها ويبيِّن معناها بصفتها . وليس من صفة الرحمة « ليجمعنكم إلى يوم القيامة » ، فيكون مبيناً به عنها . فإذ كان ذلك كذلك ، فلم يبق إلاّ أن تنصب بنية تكرير « كتب » مرة أخرى معه ، ولا ضرورة بالكلام إلى ذلك ، فيوجَّه إلى ما ليس بموجود فى ظاهره .

* * *

(١) الزيادة التى بين القوسين ، استظهرتها من سياق التفسير ، ليستقيم الكلام . وهى ساقطة من المخطوطة والمطبوعة .

(٢) هذه الزيادة بين القوسين لابد منها حتى يستقيم الكلام ، استظهرتها من معنى الآية . وانظر ما سيأتى فى تفسيرها ص : ٣٩٢ ، ٣٩٣

وأما تأويل قوله : « لا ريب فيه » ، فإنه : لا شك فيه.[1] يقول : في أنّ الله يجمعكم إلى يوم القيامة ، فيحشركم إليه جميعاً ، ثم يوفّي كلَّ عامل منكم أجرَ ما عمل من حسن أو سيء .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٢)

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « الذين خسروا أنفسهم » ، العادلين به الأوثانَ والأصنامَ . يقول تعالى ذكره : ليجمعن الله = « الذين خسروا أنفسهم » ، يقول : الذين أهلكوا أنفسهم وغبنوها بادعائهم لله الندَّ والعَدِيل ، فأوبقوها باستيجابهم سَخَط الله وأليم عقابه في المعاد.[2]

* * *

وأصل « الخسار » ، الغَبْنُ . يقال منه « : خسر الرجل في البيع » ، إذا غبن ، كما قال الأعشى :

لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ فِي حُكْمِهِ وَلَا يُبَالِي خَسَرَ الخَاسِرِ[3]

---

(١) انظر تفسير « الريب » فيما سلف ٨ : ٥٩٢ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « بإيجابهم سخط الله » ، وهو لا يستقيم ، صوابه ما أثبت .

(٣) ديوانه : ١٠٥ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١٨٧ . وهكذا جاء في المخطوطة والمطبوعة « خسر الخاسر » ، ورواية ديوانه وغيره : « غَبَنَ الْخَاسِرِ » بتحريك الباء بالفتح . والذي نص عليه أصحاب اللغة أن « الغبن » بفتح وسكون ، في البيع ، وأن « الغبن » (بفتحتين) في الرأي ، وهو ضعفه . فكأن ما جاء في رواية ديوان الأعشى ، ضرورة ، حركت الباء وهي ساكنة إلى الفتح . وأما رواية أبي جعفر ، فهي على الصواب يقال : « خسر خسراً (بفتح فسكون) ، وخسراً (بفتحتين) . »

وهذا البيت من قصيدته في هجاء علقمة بن علاثة ومدح عامر بن الطفيل ، ذكرت خبرها في أبيات سلفت منها ١ : ٢/٤٧٤ : ٥/١٣١ : ٤٧٧ ، ٤٧٨ . وقبل البيت :

وقد بينا ذلك فى غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته .[1]

* * *

وموضع « الذين » فى قوله : « الذين خسروا أنفسهم » ، نصبٌ ، على الرد على « الكاف والميم » فى قوله : « ليجمعنكم » ، على وجه البيان عنها . وذلك أنّ الذين خسروا أنفسهم ، هم الذين خوطبوا بقوله : « ليجمعنكم » .

* * *

وقوله : : « فهم لا يؤمنون » ، يقول : « فهم »، لإهلاكهم أنفسهم وغَبْنهم إياها حظَّها = « لا يؤمنون » ، أى لا يوحِّدون الله ، ولا يصدِّقون بوعده ووعيده ، ولا يقرُّون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (١٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لا يؤمن هؤلاء العادلون بالله الأوثانَ، فيخلصوا له التوحيد ، ويُفْرِدوا له الطاعة، ويقرّوا بالألوهية ، جهلاً = « وله ما سكن فى الليل والنهار » ، يقول : وله ملك كل شىء، لأنه لا شىء من خلق الله إلا وهو ساكنٌ فى الليل والنهار . فمعلوم بذلك أن معناه ما وصفنا = « وهو السميع » ، يقول : وهو السميع ما يقول هؤلاء المشركون فيه ، من ادّعائهم له شريكاً ، وما يقول غيرهم من خلقه[2] = « العليم » ، بما يضمرونه فى أنفسهم ، وما يظهرونه بجوارحهم، لا يخفى عليه شىء من ذلك، فهو يحصيه عليهم، ليوفّى كل

حَكَّمْتُمُونِى ، فَقَضَى بَيْنَكُمْ أَبْلَجُ مِثْلُ القَمَرِ البَاهِرِ

(١) انظر تفسير « الخسار » فيما سلف ١٠ : ٤٠٩ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة : « من خلاف ذلك » ، غير ما فى المخطوطة بسوء رأيه .

إنسان ثوابَ ما اكتسبَ ، وجزاء ما عمل .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله : « سكن » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣١٠٩ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وله ما سكن فى الليل والنهار » ، يقول : ما استقرَّ فى الليل والنهار .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد ، لهؤلاء المشركين العادلين بربهم الأوثانَ والأصنامَ ، والمنكرين عليك إخلاص التوحيد لربك ، الداعين إلى عبادة الآلهة والأوثان : أشيئاً غيرَ الله تعالى ذكره : « أتخذوا وليًّا » ، أستنصره وأستعينه على النوائب والحوادث ، [1] كما : —

١٣١١٠ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « قل أغير الله أتخذ وليًّا » ، قال : أما « الولى » ، فالذى يتولَّونه ويقرّون له بالربوبية .

* * *

= « فاطر السموات والأرض » ، يقول : أشيئاً غير الله فاطر السموات أتخذ وليًّا ؟ فـ « فاطر السموات والأرض » ، من نعت « الله » وصفته ، ولذلك خُفِض . [2]

* * *

(١) انظر تفسير « الولى » فيما سلف ١٠ : ٤٢٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

ويعنى بقوله : « فاطر السموات والأرض » ، مبتدعهما ومبتدئهما وخالقهما ، كالذى : —

١٣١١١ — حدثنا به ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن سفيان ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد قال : سمعت ابن عباس يقول : كنت لا أدرى ما « فاطر السموات والأرض » ، حتى أتانى أعرابيّان يختصمان فى بئر ، فقال أحدهما لصاحبه : « أنا فَطَرتها » ، يقول : أنا ابتدأتها .

١٣١١٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فاطر السموات والأرض » ، قال : خالق السموات والأرض . ١٠٢/٧

١٣١١٣ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فاطر السموات والأرض » ، قال : خالق السموات والأرض .

* * *

يقال من ذلك : «فطرها الله يَفطُرُها ويَفطِرها فَطراً و فطوراً»[1] = ومنه قوله : ﴿ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾ [سورة الملك : ٣] ، يعنى : شقوقاً وصدوعاً . يقال : «سيف فُطارٌ» ، إذا كثر فيه التشقق ، وهو عيب فيه ، ومنه قول عنترة :

وَسَيْفِى كَالْعَقِيقَةِ ، فَهْوَ كِمْعِى ، سِلَاحِى ، لَا أَفَلَّ وَلَا فُطَارَا[2]

---

(١) هذه العبارة عن معنى « فطر » ، فاسدة جداً ، ولاشك عندى فى أن الكلام قد سقط منه شىء ، فتركته على حاله ، مخافة أن يكون فى نص أبى جعفر شىء لم تقيده كتب اللغة . ومن شاء أن يستوفى ذلك ، فليراجع كتب اللغة .

(٢) ديوانه ، فى أشعار الستة الجاهليين : ٣٨٤ ، وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٩ ، واللسان (فطر) (عقق) (كمع) (فلل) ، من أبياته التى قالها وتهدد بها عمارة بن زياد العبسى ، وكان يحسد عنترة على شجاعته ، ويظهر تحقيره ، ويقول لقومه بنى عبس : « إنكم قد أكثرتم من ذكره ، ولوددت أنى لقيته خالياً حتى أريحكم منه ، وحتى أعلمكم أنه عبد » ! فقال عنترة :

أَحَوْلِى تَنفُضُ اسْتُكَ مِذْرَوَيهَا لِتَقْتُلَنِى ؟ فَهَا أَنَا ذَا ، عُمَارَا !

ومنه يقال : « فَطَرَ نابُ الجمل » ، إذا تشقق اللحم فخرج ، ومنه قوله : ﴿ تَكَادُ السَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ ﴾ [سورة الشورى : ٥] ، أي : يتشققن ، ويتصدعن .

* * *

وأما قوله : « وهو يطعم ولا يطعم » ، فإنه يعني : وهو يرزق خلقه ولا يرزق ، كما : —

١٣١١٤ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وهو يطعم ولا يطعم » ، قال : يَرْزُق ولا يُرزق .

* * *

وقد ذكر بعضهم أنه كان يقرأ ذلك : [1] ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ ﴾ ، أي : أنه يُطعم خلقه ، ولا يأكل هو = ولا معنى لذلك ، لقلة القرأة به .

* * *

مَتَى ما تَلْقَنِي خِلْوَيْنِ ، تَرْجُفْ رَوَانِفُ أَلْيَتَيْكَ وتُسْتَطَارَا
وَسَيْفِي صَارِمٌ قَبَضَتْ عَلَيْهِ أَشَاجِعُ لا تَرَى فِيهَا انْتِشَارَا
وَسَيْفِي كالعَقِيقَةِ . . . .

و « العقيقة » : شقة البرق ، وهو ما انعق منه ، أي : تشقق . و « الكمع » و « الكميع » الضجيع . و « الأفل » : الذي قد أصابه الفل ، وهو الثلم في حده .

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « أنه كان يقول ذلك » ، وهو خلط شديد ، صواب قراءته ما أثبت . وهذه القراءة التالية ، ذكرها ابن خالويه في شواذ القراآت : ٣٦ ، ونسبها إلى الأعمش ، وذكرها أبو حيان في تفسيره ٤ : ٨٥ ، ٨٦ ، ونسبها أيضاً إلى مجاهد وابن جبير ، وأبي حيوة ، وعمرو بن عبيد ، وأبي عمرو ، في رواية عنه .

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ إِنِّىَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: « قل »، يا محمد ، للذين يدعونك إلى اتخاذ الآلهة أولياء من دون الله ، ويحثّونك على عبادتها : أغير الله فاطر السموات والأرض ، وهو يرزقنى وغيرى ولا يرزقه أحد ، أتخذ وليًّا هو له عبد مملوك وخلق مخلوق؟ وقل لهم أيضاً : إنى أمرنى ربى : « أن أكون أول من أسلم » يقول : أوّل من خضع له بالعبودية ، وتذلّل لأمره ونهيه ، وانقاد له من أهل دهرى وزمانى= « ولا تكوننَّ من المشركين » ، يقول : وقل : وقيل لى : لا تكونن من المشركين بالله ، الذين يجعلون الآلهة والأنداد شركاء .

= وجعل قوله : « أمرت» بدلاً من : « قيل لى» ، لأن قوله « أمرت » معناه : « قيل لى » . فكأنه قيل : قل إنى قيل لى : كن أول من أسلم ، ولا تكونن من المشركين = فاجتزئ بذكر « الأمر » من ذكر « القول »، إذ كان « الأمر »، معلوماً أنه « قول » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ إِنِّىَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المشركين العادلين بالله ، الذين يدعونك إلى عبادة أوثانهم : إنّ ربى نهانى عن عبادة شيء سواه = «وإنى أخاف إن عصيت ربى » ، فعبدتها = «عذاب يوم عظيم » ، يعنى : عذاب يوم القيامة . ووصفه تعالى بـ « العظم » لعظم هَوْله ، وفظاعة شأنه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (١٦)

قال أبو جعفر : اختلف القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الحجاز والمدينة والبصرة : ﴿ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ ﴾ ، بضم « الياء » وفتح « الراء » ، بمعنى : من يُصرف عنه العذاب يومئذ .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفة : ﴿ مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ ﴾ ، بفتح « الياء » وكسر « الراء » ، بمعنى : من يصرف الله عنه العذاب يومئذ .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب عندى ، قراءة من قرأه : ﴿ يَصْرِفْ عَنْهُ ﴾ ، بفتح « الياء » وكسر « الراء » ، لدلالة قوله : « فقد رحمه » على صحة ذلك ، وأنّ القراءة فيه بتسمية فاعله . ولو كانت القراءة فى قوله : « من يصرف » ، على وجه ما لم يسمَّ فاعله ، كان الوجه فى قوله : « فقد رحمه » أن يقال : « فقد رُحِم » غير مسمى فاعله . وفى تسمية الفاعل فى قوله : « فقد رحمه » ، دليل بيِّن على أن ذلك كذلك فى قوله : « من يَصرف عنه » .

* * *

وإذ كان ذلك هو الوجه الأولىَ بالقراءة ، فتأويل الكلام : منْ يصرف عنه من خلقه يومئذ عذابه فقد رحمه = « وذلك هو الفوز المبين » ، ويعنى بقوله : « وذلك » ، وصرفُ الله عنه العذاب يوم القيامة ، ورحمته إياه = « الفوز » ، أى : النجاة من الهلكة ، والظفر بالطلبة[1] = « المبين » ، يعنى الذى بيَّن لمن رآه أنه الظفر بالحاجة وإدراك الطَّلِبة .[2]

* * *

(١) انظر تفسير « الفوز » فيما سلف ص : ٢٤٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « مبين » فيما سلف ص : ٢٦٥ ، تعليق ٣ ، والمراجع هناك .

وبنحو الذي قلنا في قوله : « من يصرف عنه يومئذ » قال أهل التأويل :

* ذكر من قال ذلك :

١٣١١٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه » ، قال : من يصرف عنه العذاب .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٧) ١٠٣/٧

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، إن يصبك الله[١] = « بضر » ، يقول : بشدة في دنياك ، وشظف في عيشك وضيق فيه[٢] = فلن يكشف ذلك عنك إلا الله الذي أمرك أن تكون أول من أسلم لأمره ونهيه ، وأذعن له من أهل زمانك ، دون ما يدعوك العادلون به إلى عبادته من الأوثان والأصنام ، ودون كل شيء سواها من خلقه = « وإن يمسسك بخير » ، يقول : وإن يصبك بخير ، أي : برخاء في عيش ، وسعة في الرزق ، وكثرة في المال ، فتقر أنه أصابك بذلك = « فهو على كل شيء قدير » ، يقول تعالى ذكره : والله الذي أصابك بذلك ، فهو على كل شيء قدير[٣] ، هو القادر على نفعك وضرك ، وهو على كل شي يريده قادر ، لا يعجزه شيء يريده ، ولا يمتنع منه شيء طلبه ، ليس كالآلهة الذليلة المهينة التي لا تقدر على اجتلاب نفع على أنفسها ولا غيرها ، ولا دفع ضر عنها ولا غيرها . يقول تعالى ذكره : فكيف

(١) انظر تفسير « المس » فيما سلف ١٠ : ٤٨٢ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الضر » فيما سلف ٧ : ١٠/١٥٧ : ٣٣٤ .
(٣) انظر تفسير « قدير » فيما سلف من فهارس اللغة (قدر) .

تعبد من كان هكذا ، أم كيف لا تخلص العبادة ، وتقرُّ لمن كان بيده الضر والنفع ، والثواب والعقاب ، وله القدرة الكاملة ، والعزة الظاهرة ؟

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (١٨)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وهو » ، نفسَه، يقول : والله الظاهر فوق عباده[1] = ويعنى بقوله : « القاهر » ، المذلِّل المستعبد خلقه ، العالى عليهم . وإنما قال : « فوق عباده » ، لأنه وصف نفسه تعالى ذكره بقهره إياهم . ومن صفة كلّ قاهر شيئاً ، أن يكون مستعلياً عليه .

فمعنى الكلام إذاً : والله الغالب عبادَه المذلِّلهم ، ، العالى عليهم بتذليله لهم، وخلقه إياهم ، فهو فوقهم بقهره إياهم ، وهم دونه = « وهو الحكيم » ، يقول : والله الحكيم فى علوِّه على عباده ، وقهره إياهم بقدرته ، وفى سائر تدبيره[2] = « الخبير » ، بمصالح الأشياء ومضارِّها ، الذى لا يخفى عليه عواقب الأمور وبواديها ، ولا يقع فى تدبيره خلل ، ولا يدخل حكمه دَخَل .[3]

* * *

(١) فى المطبوعة : « والله القاهر » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الصواب فى التفسير .

(٢) انظر تفسير « الحكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (حكم) .

(٣) انظر تفسير « الخبير » فيما سلف من فهارس اللغة (خبر) .

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد، لهؤلاء المشركين الذين يكذّبون ويجحدون نبوّتك من قومك : أىُّ شىء أعظم شهادة وأكبر ؟ ثم أخبرهم بأن أكبر الأشياء شهادة: « الله » ، الذى لا يجوز أن يقع فى شهادته ما يجوز أن يقع فى [شهادة] غيره من خلقه من السهو والخطأ ، والغلط والكذب . [1] ثم قل لهم : إن الذى هو أكبر الأشياء شهادة ، شهيدٌ بينى وبينكم ، بالمحقّ منا من المبطل، والرشيد منا فى فعله وقوله من السفيه ، وقد رضينا به حكماً بيننـــا .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة أهل التأويل :

* ذكر من قال ذلك :

١٣١١٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره : « أىّ شىء أكبر شهادة »، قال : أمر محمد أن يسأل قريشاً ، ثم أمر أن يخبرهم فيقول: « الله شهيد بينى وبينكم » .

١٣١١٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

* * *

(١) الزيادة بين القوسين لابد منها للسياق .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المشركين الذين يكذبونك :« الله شهيد بينى وبينكم» = « وأوحى إلىّ هذا القرآن لأنذركم به» عقابَه ، وأُنذر به من بلّغه من سائر الناس غيركم = إن لم ينته إلى العمل بما فيه ، وتحليل حلاله وتحريم حرامه ، والإيمان بجميعه = نزولَ نقمة الله به .(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣١١٨ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أىّ شىء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى إلىّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ » ، ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : يا أيها الناس، بلّغوا ولو آية من كتاب الله ، فإنه من بلّغه آيةٌ من كتاب الله ، فقد بلغه أمر الله ، أخذه أو تركه .(٢)

١٣١١٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « لأنذركم به ومن بلغ » ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : بلّغوا عن الله ، فمن بلغه آية من كتاب الله ، فقد بلغه أمر الله .

١٣١٢٠ — حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ١٠٤/٧

(١) قوله : « نزول » منصوب ، مفعول به لقوله قبله : « وأنذر به من بلغه » . = وانظر تفسير « الوحى » فيما سلف ص : ٢١٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المخطوطة : « أخذه أو تاركه » ، وجائز أن تقرأ : « آخذه أو تاركه » .

أبي =، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي : « لأنذركم به ومن بلغ » ، قال : من بلغه القرآن ، فكأنما رأى النبي صلى الله عليه وسلم . ثم قرأ: « ومن بلغ أئنكم لتشهدون » .

١٣١٢١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن حسن بن صالح قال : سألت ليثاً : هل بقي أحدٌ لم تبلغه الدعوة ؟ قال : كان مجاهد يقول : حيثما يأتي القرآنُ فهو داعٍ ، وهو نذير . ثم قرأ : « لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون » .

١٣١٢٢ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ومن بلغ » ، من أسلم من العجم وغيرهم .

١٣١٢٣ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٣١٢٤ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا خالد بن يزيد قال ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب في قوله : « لأنذركم به ومن بلغ » ، قال : من بلغه القرآن ، فقد أبلغه محمد صلى الله عليه وسلم .

١٣١٢٥ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله : « وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به » ، يعني أهل مكة = « ومن بلغ » ، يعني : ومن بلغه هذا القرآن ، فهو له نذير .

١٣١٢٦ — حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال: سمعت سفيان الثوري يحدّث ، لا أعلمه إلاّ عن مجاهد : أنه قال في قوله : « وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به » ، العرب = « ومن بلغ » ، العجم .

١٣١٢٧ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

حدثنا أسباط ، عن السدى : « لأنذركم به ومن بلغ » ، أما « من بلغ » ، فمن بلغه القرآن فهو له نذير.

١٣١٢٨ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال: أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد فى قوله : « وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ » ، قال يقول : من بلغه هذا القرآن فأنا نذيره . وقرأ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ ، [سورة الأعراف : ١٥٨] . قال : فمن بلغه القرآن ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم نذيره .

* * *

قال أبو جعفر : فمعنى هذا الكلام : لأنذركم بالقرآن، أيها المشركون، وأنذر من بلغه القرآن من الناس كلهم .

* * *

فـ « من » فى موضع نصب بوقوع « أنذر » عليه ، « وبلغ » فى صلته ، وأسقطت « الهاء » العائدة على « من » فى قوله : « بلغ » ، لاستعمال العرب ذلك فى صلات « مَن » و « ما » و « الذى » . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (١٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المشركين ، الجاحدين نبوّتك، العادلين بالله ، ربًّا غيره : « أئنكم » ، أيها المشركون = « لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى » ، يقول : تشهدون أنَّ معه معبودات غيره من الأوثانَ والأصنام .

* * *

وقال : « أُخْرَى » ، ولم يقل « أُخَر » ، و « الآلهة » جمع ، لأن الجموع يلحقها ،

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٢٩ .

التأنيث ،[1] كما قال تعالى : ﴿ فَمَا بَالُ القُرُونِ الأُولَى ﴾[سورة طه : ٥١] ، ولم يقل : « الأُوَل » ولا « الأوَّلين » .[2]

* * *

ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد = « لا أشهد » ، بما تشهدون : أن مع الله آلهة أخرى ، بل أجحد ذلك وأنكره = « قل إنما هو إله واحد » ، يقول : إنما هو معبود واحد ، لا شريك له فيما يستوجب على خلقه من العبادة = « وإنني برىء مما تشركون » ، يقول : قل : وإنني برىء من كلّ شريك تدعونه لله ، وتضيفونه إلى شركته ، وتعبدونه معه ، لا أعبد سوى الله شيئاً ، ولا أدعو غيره إلهاً .

* * *

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم من اليهود بأعيانهم ، من وجه لم تثبت صحته ، وذلك ما : —

١٣١٢٩ — حدثنا به هناد بن السرى وأبو كريب قالا ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنى محمد بن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد ابن ثابت قال ، حدثنى سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : جاء النحَّام بن زيد ، وقردم بن كعب ، وبحرىّ بن عمير فقالوا : يا محمد ، ما تعلم مع الله إلهاً غيرَه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا إله إلاّ الله ، بذلك بعثت ، وإلى ذلك أدعو ! فأنزل الله تعالى فيهم وفى قولهم : « قل أى شىء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم » إلى قوله : « لا يؤمنون » .[3]

* * *

(١) انظر تفسير « أخرى » و« أخر » فيما سلف ٣ : ٤٥٩/٦ : ١٧٣ .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٢٩ .

(٣) الأثر : ١٣١٢٩ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٧ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٢٢٨٤ .

هذا ، وقد مر هذا الإسناد مئات من المرات ، وهو إسناد أبى جعفر إلى ابن إسحق ، ثم من ابن إسحق إلى ابن عباس ، وهذه أول مرة يذكر أبو جعفر أن هذا الإسناد لم تثبت صحته عنده ، كما قدم قبل ذكره .

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : الذين « آتيناهم الكتاب » ، التوراة والإنجيل = يعرفون أنما هو إله واحد = ، لا جماعة الآلهة ، وأن محمداً نبي مبعوث = « كما يعرفون أبناءهم » .　١٠٥/٧

وقوله : « الذين خسروا أنفسهم » من نعت « الذين » الأولى .

* * *

ويعنى بقوله : « خسروا أنفسهم » ، أهلكوها وألقوها فى نار جهنم ، بإنكارهم محمداً أنه لله رسول مرسل، وهم بحقيقة ذلك عارفون[1] =« فهم لا يؤمنون » ، يقول : فهم بخسارتهم بذلك أنفسهم لا يؤمنون .

* * *

وقد قيل : إنّ معنى « خسارتهم أنفسهم » ، أن كل عبد له منزل فى الجنة ومنزل فى النار . فإذا كان يوم القيامة ، جعل الله لأهل الجنة منازلَ أهل النار فى الجنة ، وجعل لأهل النار منازلَ أهل الجنة فى النار ، فذلك خسران الخاسرين منهم ، لبيعهم منازلهم من الجنة بمنازل أهل الجنة من النار ، بما فرط منهم فى الدنيا من معصيتهم الله ، وظلمهم أنفسهم ، وذلك معنى قول الله تعالى ذكره : ﴿ الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ، [سورة المؤمنون : ١١] .[2]

* * *

(١) انظر تفسير « خسر » فيما سلف قريباً ص : ٢٨١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

وبنحو ما قلنا فى معنى قوله : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » قال أهل التأويل .[١]

* ذكر من قال ذلك :

١٣١٣٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » ، يعرفون أنّ الإسلام دين الله ، وأن محمداً رسول الله ، يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل .

١٣١٣١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر ، عن قتادة فى قوله : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » ، النصارى واليهود ، يعرفون رسول الله فى كتابهم ، كما يعرفون أبناءهم .

١٣١٣٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفوهم أبناءهم » ، [يعنى : يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم :[٢] « كما يعرفون أبناءهم »، لأن نَعْتَه معهم فى التوراة] .

١٣١٣٣ — حدثنا القاسم قال : حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » ، يعنى النبي صلى الله عليه وسلم . قال : زعم أهل المدينة عن أهل الكتاب ممن أسلم ، أنهم قالوا : والله لنحن أعرف به من أبنائنا ، من أجل الصفة والنعت الذى نجده

---

(١) انظر تأويل نظيرة هذه الآية فيما سلف ٣ : ١٨٧ ، ١٨٨ ، [سورة : البقرة ١٤٦] .

(٢) الأثر : ١٣١٣٢ — هذا الأثر مبتور فى المطبوعة والمخطوطة ، والزيادة بين القوسين من الدر المنثور ٣ : ٨ ، من تفسير السدى ، من رواية أبى الشيخ ، والظاهر أن هذا النقص قديم فى نسخ تفسير أبى جعفر ، وأن نسخة السيوطى ، كانت مبتورة هنا أيضاً ، ولذلك لم ينسب هذا الأثر إلا إلى أبى الشيخ وحده ، دون ابن جرير .

فى الكتاب ، وأما أبناؤنا فلا ندرى ما أحدثَ النساء ! [١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ (٢١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن أشدُّ اعتداءً، وأخطأ فعلاً ، وأخطل قولاً = «ممن افترى على الله كذباً » ، يعنى : ممن اختلق على الله قيلَ باطل ، [٢] واخترق من نفسه عليه كذباً ، [٣] فزعم أن له شريكاً من خلقه ، وإلهاً يعبد من دونه — كما قاله المشركون من عبدة الأوثان — أو ادعى له ولداً أو صاحبةً ، كما قالته النصارى = « أو كذب بآياته » ، يقول : أو كذب بحججه وأعلامه وأدلته التى أعطاها رسله على حقيقة نبوتهم، كذّبت بها اليهود [٤] = « إنه لا يفلح الظالمون » ، يقول : إنه لا يفلح القائلون على الله الباطل ، ولا يدركون البقاءَ فى الجنان ، والمفترون عليه الكذب ، والجاحدون بنبوة أنبيائه . [٥]

* * *

(١) يعنى : لا يدرون أسلم لهم أبناؤهم من أصلابهم ، أم خالطهم سفاح من سفاحهن ! وانظر رواية ذلك فى خبر عمر بن الخطاب ، وسؤاله عبد الله بن سلام ، والله أعلم بصحيح ذلك = فى معانى القرآن للفراء ١ : ٣٢٩ .

(٢) انظر تفسير « الافتراء » فيما سلف ص : ١٣٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) « اخترق » و « اختلق » و « افترى » : ابتدع الكذب ، وفى التنزيل : « وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون » (الأنعام : ١٠٠) .

(٤) انظر تفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيى) .

(٥) انظر تفسير « الفلاح » فيما سلف ص : ٩٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (٢٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن هؤلاء المفترين على الله كذباً ، والمكذبين بآياته ، لا يفلحون اليومَ فى الدنيا ، ولا يوم نحشرهم جميعاً — يعنى : ولا فى الآخرة .

فنى الكلام محذوف قد استغنى بذكر ما ظهر عما حذف .

* * *

وتأويل الكلام : إنه لا يفلح الظالمون اليوم فى الدنيا ، « ويوم نحشرهم جميعاً » ، فقوله : « ويوم نحشرهم »، مردود على المراد فى الكلام . لأنه وإن كان محذوفاً منه ، فكأنه فيه ، لمعرفة السامعين بمعناه = « ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم » ، يقول : ثم نقول ، إذا حشرنا هؤلاء المفترين على الله الكذب ، بادّعائهم له فى سلطانه شريكاً ، والمكذّبين بآياته ورسله ، فجمعنا جميعهم يوم القيامة[1] = «أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون» ، أنهم لكم آلهة من دون الله ، افتراء وكذباً ، وتدعونهم من دونه أرباباً ؟ فأتوا بهم إن كنتم صادقين !

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ (٢٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ثم لم يكن قولهم إذ قلنا لهم : « أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون »؟= إجابة منهم لنا عن سؤالنا إياهم ذلك ، إذ فتناهم فاختبرناهم ،[2] ٧/١٠٦

(١) انظر تفسير « الحشر » فيما سلف ص : ٨٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ١٠ : ٤٧٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

« إلاّ أن قالوا والله ربّنا ما كنا مشركين » ، كذباً منهم فى أيمانهم على قيلهم ذلك.

* * *

ثم اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته جماعة من قرأة المدينة والبصرة و بعض الكوفيين : ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ﴾ بالتاء ، بالنصب ، [1] بمعنى : لم يكن اختبارَناهم إلا قيلُهم [2] : « والله ربنا ما كنا مشركين » = غير أنهم يقرأون « تكن » بالتاء على التأنيث . وإن كانت للقول لا للفتنة ، لمجاورته الفتنة ، وهى خبر . [3] وذلك عند أهل العربية شاذٌّ غير فصيح فى الكلام . وقد روى بيتٌ للبيد بنحو ذلك ، وهو قوله :

فَمَضَى وَقَدَّمَهَا ، وكانت عادةً مِنْهُ إذا هَى عَرَّدَتْ إِقْدَامُهَا [4]

فقال : « وكانت » بتأنيث « الإقدام » ، لمجاورته قوله : « عادة » .

* * *

وقرأ ذلك جماعة من قرأة الكوفيين : ﴿ثُمَّ لَمْ يَكُنْ﴾ بالياء ، ﴿فِتْنَتَهُمْ﴾ بالنصب ، ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ ، بنحو المعنى الذي قصده الآخرون الذين ذكرنا قراءتهم . غير أنهم ذكّروا « يكون » لتذكير « أن » . [5]

* * *

قال أبو جعفر : وهذه القراءة عندنا أولى القراءتين بالصواب ، لأن « أنْ » أثبت فى المعرفة من « الفتنة » . [6]

* * *

(١) فى المطبوعة ، حذف قوله : « بالتاء » ، لغير طائل .

(٢) فى المطبوعة : « اختبارنا لهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو فصيح العربية .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٨٨ .

(٤) من معلقته الباهرة . وانظر ما قاله ابن الشجرى فى الآية والبيت فى أماليه ١ : ١٣٠ . والضمير فى قوله : « فمضى » إلى حمار الوحش ، وفى قوله : « وقدمها » إلى أتنه التى يسوقها إلى الماء . و « عردت » : فرت ، وعدلت عن الطريق التى وجهها إليها . وشعر لبيد لا يفصل بعضه عن بعض فى هذه القصيدة ، فلذلك لم أذكر ما قبله وما بعده ، فراجع معلقته .

(٥) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٨٨ .

(٦) أغفل أبو جعفر قراءة الرفع فى « فتنتهم » ، وهى قراءتنا فى مصحفنا ، قراءة حفص . وأنا أرجح أن أبا جعفر أغفلها متعمداً ، وقد استوفى الكلام فى هذه الآية ونظائرها فيما سلف ٧ : ٢٧٣ - ٢٧٥ . وانظر تفسير أبى حيان ٤ : ٩٥ .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « ثم لم تكن فتنتهم » .

فقال بعضهم : معناه ثم لم يكن قولهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٣١٣٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، قال قتادة فى قوله : « ثم لم تكن فتنتهم » ، قال : مقالتهم = قال معمر : وسمعت غير قتادة يقول : معذرتهم .

١٣١٣٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس قوله : « ثم لم تكن فتنتهم » ، قال : قولهم .

١٣١٣٦ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا » الآية ، فهو كلامهم = « قالوا والله ربنا ما كنا مشركين » .

١٣١٣٧ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ الفضل ابن خالد يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك : « ثم لم تكن فتنتهم » ، يعنى : كلامهم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : معذرتهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٣١٣٨ — حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا : حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، ، عن قتادة : « ثم لم تكن فتنتهم » ، قال : معذرتهم .

١٣١٣٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين » ، يقول : اعتذارهم بالباطل والكذب .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : معناه : ثم لم يكن قيلهم عند فتنتنا إياهم ، اعتذاراً مما سلف منهم من الشرك بالله = « إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين » ، فوضعت « الفتنة » موضع « القول » ، لمعرفة السامعين معنى الكلام .

= وإنما « الفتنة »، الاختبار والابتلاء[1] = ولكن لما كان الجواب من القوم غيرَ واقع هنالك إلا عند الاختبار ، وضعت « الفتنة » التى هى الاختبار ، موضع الخبر عن جوابهم ومعذرتهم .

* * *

واختلفت القرأة أيضاً فى قراءة قوله : « والله ربنا ما كنا مشركين » .

فقرأ ذلك عامة قرأة المدينة وبعض الكوفيين والبصريين : ﴿وَاللهِ رَبِّنَا﴾، خفضاً ، على أن « الرب » نعت لله .

* * *

وقرأ ذلك جماعة من التابعين : ﴿وَاللهِ رَبَّنَا﴾، بالنصب ، بمعنى : والله يا ربنا . وهى قراءة عامة قرأة أهل الكوفة .[2]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين عندى بالصواب فى ذلك ، قراءةُ من قرأ : ﴿وَاللهِ رَبَّنَا﴾، بنصب « الرب » ، بمعنى : يا ربَّنا . ذلك أن هذا جواب من المسئولين المقول لهم : « أين شركاءكم الذين كنتم تزعمون » ؟ وكان من جواب القوم لربهم : والله يا ربنا ما كنا مشركين = فنفوا أن يكونوا قالوا ذلك فى الدنيا .

يقول الله تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم : ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾

* * *

(١) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف قريباً ص ٢٩٧ ، رقم : ٢ ، والمراجع هناك

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٣٠

ويعنى بقوله : « ما كنا مشركين » ، ما كنا ندعو لك شريكاً ، ولا ندعو ١٠٧/٧ سواك .[١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿أَنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (٢٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : انظر ، يا محمد ، فاعلم ، كيف كذَب هؤلاء المشركون العادلون بربهم الأوثانَ والأصنامَ ، فى الآخرة عند لقاء الله = على أنفسهم بقيلهم : « والله يا ربنا ما كنا مشركين » ، واستعملوا هنالك الأخلاق التى كانوا بها يتخلّقون فى الدنيا ،[٢] من الكذب والفرية .

* * *

ومعنى « النظر » فى هذا الموضع ، النظر بالقلب ، لا النظر بالبصر . وإنما معناه : تبين فاعلم كيف كذبوا فى الآخرة .

* * *

وقال : « كذبوا » ، ومعناه : يكذبون ، لأنه لما كان الخبر قد مضى فى الآية قبلها ، صار كالشىء الذى قد كانَ ووُجد .

* * *

= « وضل عنهم ما كانوا يفترون » ، يقول : وفارقهم الأنداد والأصنام ، وتبرأوا منها ، فسلكوا غير سبيلها ، لأنها هلكت ، [وأعيد الذين كانوا يعبدونها اجتراءً] ،[٣]

---

(١) انظر ما سلف رقم : ٩٥٢٠ – ٩٥٢٢ (ج ٨ : ٣٧٣ ، ٣٧٤) .

(٢) فى المطبوعة : « بها متخلقين » ، وفى المخطوطة : « بها متخلقون » ، وهذا صواب قراءتها

(٣) هكذا جاء فى المطبوعة ما وضعته بين القوسين ، وهو فى المخطوطة : « وعبدوا الذين كانوا

ثم أخلفوا بما كانوا يفترونه من قيلهم فيها على الله ، وعبادتهم إياها ، وإشراكهم إياها فى سلطان الله ، فضلت عنهم ، وعوقب عابدُوها بفريتهم .

* * *

وقد بينا فيما مضى أن معنى « الضلال » ، الأخذ على غير الهدى .[1]

* * *

وقد ذكر أن هؤلاء المشركين يقولون هذا القول عند معاينتهم سَعةَ رحمة الله يومئذ .

* ذكر الرواية بذلك :

١٣١٤٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام قال ، حدثنا عمرو ، عن مطرّف ، عن المنهال بن عمرو ، وعن سعيد بن جبير قال : أتى رجلٌ ابنَ عباس فقال : سمعت الله يقول : « والله ربنا ما كنا مشركين » ،[2] وقال فى آية أخرى : ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [سورة النساء : ٤٢] ؟ قال ابن عباس : أما قوله : « والله ربنا ما كنا مشركين » ، فإنه لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلاّ أهل الإسلام : قالوا : « تعالوا نجحد » ، فقالوا : « والله ربنا ما كنا مشركين » ، فختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم ، « ولا يكتمون الله حديثاً » .[3]

يعبدونها اصرا » ، غير منقوطة . ولم أهتد إلى الصواب ، وأخشى أن يكون سقط من الكلام سطر أو بعضه ، فلذلك آثرت أن أضع ما فى المطبوعة بين قوسين ، ولأنى فى ريبة من أمره .

(١) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف ١٠ : ١٢٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة : « أتى رجل ابن عباس فقال ، قال الله : والله ربنا ... » ، أما المخطوطة ففيها خرم ، كان فيها : « أتى رجل ابن عباس وقال فى آية أخرى » ، ولذلك تصرف ناشر المطبوعة . والذى أثبته هو الصواب ، وهو نص الأثر الذى رواه أبو جعفر قديماً ، كما سيأتى فى التخريج . وقد صحت حروفاً فى هذا الخبر من الأثر السالف ولم أشر إليها هنا .

(٣) الأثر : ١٣١٤٠ — مضى هذا الخبر برقم : ٩٥٢٠ (ج ٨ : ٣٧٣) .

هذا وقد اختصر أبو جعفر أخبار ابن عباس هذه ، فإنه روى هناك خبرين آخرين رقم : ٩٥٢١ ، ٩٥٢٢ ، تبين منهما أن السائل هو نافع بن الأزرق ، وكان يأتى ابن عباس ليلقى عليه متشابه القرآن . وهذا من ضروب اختصار أبى جعفر فى تفسيره هذا . وأيضاً فإنه سيأتى هنا آثار فى تفسير آية سورة النساء : ٤٢ (ج ٨ : ٢٧١ — ٢٧٥) لم يذكرها هناك ، كما سترى فى الآثار التالية .

١٣١٤١ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره : « والله ربنا ما كنا مشركين » ، قال : قول أهل الشرك ، حين رأوا الذنوب تغفر ، ولا يغفر الله لمشرك = « انظر كيف كذبوا على أنفسهم » ، بتكذيب الله إياهم .

١٣١٤٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٣١٤٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « والله ربنا ما كنا مشركين » ، ثم قال : ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ ، [سورة النساء : ٤٢] ، بجوارحهم .

١٣١٤٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن حمزة الزيات ، عن رجل يقال له هشام ، عن سعيد بن جبير : « ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين » ، قال : حلفوا واعتذروا ، قالوا : « والله ربنا » .(١)

١٣١٤٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا قبيصة بن عقبة قال ، حدثنا سفيان ، عن سعيد بن جبير قال : أقسموا واعتذروا : « والله ربنا » .

١٣١٤٦ — حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع ، عن حمزة الزيات ، عن رجل يقال له هشام ، عن سعيد بن جبير ، بنحوه .

١٣١٤٧ — حدثنا هناد قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن سفيان بن زياد العُصْفُري ، عن سعيد بن جبير في قوله : « والله ربنا ما كنا مشركين » ، قال : لما أمر بإخراج رجال من النار من أهل التوحيد ، قال من فيها من المشركين : « تعالوا نقول : لا إله إلا الله ، لعلنا نخرج مع هؤلاء » . قال : فلم يصدّقوا . قال : فحلفوا : « والله ربنا ما كنا مشركين » . قال : فقال الله : « انظر كيف كذبوا

---

(١) الأثر : ١٣١٤٤ — « هشام » ، الذي يروي عنه « حمزة الزيات » ، لم أعرفه .

على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون » .[(١)]

١٣١٤٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وضل عنهم ما كانوا يفترون » أى : يشركون .[(٢)]

١٣١٤٩ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا المنهال ابن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : « والله ربنا ما كنا مشركين » ، قال : لما رأى المشركون أنه لا يدخل الجنة إلا مسلم ، قالوا : تعالوا إذا سألنا قلنا : « والله ربنا ما كنا مشركين » . فسئلوا ، فقالوا ذلك ، فختم الله على أفواههم ، وشهدت عليهم جوارحهم بأعمالهم ، فودّ الذين كفروا حين رأوا ذلك : « لو تسوّى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً » .

١٣١٥٠ — حدثنى الحارث قال ، حدثنى عبد العزيز قال، حدثنا مسلم ابن خلف ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : يأتى على الناس يوم القيامة ساعة، لما رأوا أهلُ الشرك أهلَ التوحيد يغفر لهم [(٣)]، فيقولون: « والله ربنا ما كنا مشركين » ، قال : « انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون »[(٤)] .

١٠٨/٧

١٣١٥١ — حدثنى الحارث قال ،حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان، عن رجل ، عن سعيد بن جبير : أنه كان يقول : « والله ربِّنا ما كنا مشركين » ، يخفضها . قال : أقسموا واعتذروا = قال الحارث قال ، عبد العزيز ، قال سفيان مرة أخرى : حدثنى هشام ، عن سعيد بن جبير .

* * *

(١) الأثر : ١٣١٤٧ — « سفيان بن زياد العصفرى » ، مضى برقم : ٢٣٣١ .

(٢) فى المطبوعة : « يشركون به » بالزيادة ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « لما رأى أهل الشرك » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو لغة من لغات العرب جائزة .

(٤) الأثر : ١٣١٥٠ — « مسلم بن خلف » ، لم أجد له ترجمة ، وأخشى أن يكون فى اسمه تحريف .

القول في تأويل قوله ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء العادلين بربِّهم الأوثانَ والأصنامَ من قومك ، يا محمد = « من يستمع إليك » ، يقول : من يستمع القرآن منك ، ويستمع ما تدعوه إليه من توحيد ربك ، وأمره ونهيه ، ولا يفقه ما تقول ولا يُوعيه قلبَه ، ولا يتدبره، ولا يصغي له سمعه، ليتفقهه فيفهم حجج الله عليه في تنزيله الذي أنزله عليك ، إنما يسمع صوتك وقراءَتك وكلامك ، ولا يعقل عنك ما تقول ، لأن الله قد جعل على قلبه « أكنّة » .

* * *

= وهي جمع « كنان » ، وهو الغطاء ، مثل : « سِنان » ، « وأسنة » . يقال منه : « أكننت الشيءَ في نفسي » ، بالألف ، « وكننت الشيء » ، إذا غطيته ،[1] = ومن ذلك : ﴿ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾ ، [سورة الصافات : ٤٩] ، وهو الغطاء ،[2] ومنه قول الشاعر :[3]

تَحْتَ عَيْنٍ ، كِنَانُنَا ظِلُّ بُرْدٍ مُرَحَّلُ[4]

(١) انظر ما سلف ٥ : ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٢) الأجود أن يقال : « وهو المغطى » ، وكأنه كان كذلك ، وكأن الذي في المطبوعة والمخطوطة تحريف . ولكن ربما عبر القدماء بمثل هذا التعبير ، ولذلك تركته على حاله . وقد قال الطبري في ج ٥ : ١٠٢ ، وذكر الآية : « أي : مخبوء » .

(٣) هو عمر بن أبي ربيعة .

(٤) ليس في ديوانه ، ولكنه من قصيدته التي في ديوانه : ١٢٥ — ١٢٦ ، وهو في الأغاني ١ : ١٨٤ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٤٦ ، ١٨٨ ، واللسان (كنن) ، وغيرها . من أبياته التي أولها :

هَاجَ ذَا القَلْبَ مَنْزِلُ دَارِسُ الآيِ مُحْوِلُ

يعنى : غطاؤُهم الذى يكنُّهم .[(١)]

* * *

=« وفى آذانهم وقراً » ، يقول تعالى ذكره : وجعل فى آذانهم ثِقلاً وصمماً عن فهم ما تتلو عليهم ، والإصغاء لما تدعوهم إليه .

* * *

والعرب تفتح « الواو » من « الوَقْر » فى الأذن ، وهو الثقل فيها = وتكسرها فى الحمل فتقول : « هو وِقْرُ الدابة » . ويقال من الحمل : « أوقرْتُ الدَّابة فهى مُوقَرة » = ومن السمع : « وَقَرْتُ سمعه فهو موقور » ، ومنه قول الشاعر :[(٢)]

* وَلِي هَامَةٌ قَدْ وَقَّرَ الضَّرْبُ سَمْعَهَا *

وقد ذكر سماعاً منهم : « وُقِرَتْ أذنه » ، إذا ثقلت « فهى موقورة » = « وأوقرتِ النخلةُ ، فهى مُوقِر » كما قيل : « امرأة طامث ، وحائض » ، لأنه لا حظّ فيه للمذكر . فإذا أريد أن الله أوقرها ، قيل « مُوقَرَةٌ » .

* * *

وقبله فى رواية أبى الفرج فى أغانيه .

أَرْسَلَتْ تَسْتَحِىْ وَتُفَدِّى وتَعْذُلُ
أَيُّنَا بَاتَ لَيْــلَةً بَيْنَ غُصْنَيْنِ يُوبَلُ

وروايته للبيت :

تَحْتَ عَيْنٍ ، يُكِنُّنَا بُرْدُ عَصْبٍ مُهَلْهَلُ

ورواية ابن برى ، وصحح رواية أبى عبيدة وأبى جعفر :

تَحْتَ عَيْنٍ ، كِنَانُنَا بُرْدُ عَصْبٍ مُرَحَّلُ

و « العين » فى البيت السحاب . و « المرحل » من الثياب ، الذى عليه تصاوير الرحال .

(١) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٨٨ ، وهو شبيه بنص كلامه .

(٢) لم أهتد إلى قائله ، وإن كنت أذكر أنى قرأت هذا الشعر فى مكان .

وقال تعالى ذكره : « وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه » ، بمعنى : أن لا يفقهوه ، كما قال ﴿ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ [سورة النساء : ١٧٦] ، بمعنى : أن لا تضلوا ، [1] لأن « الكن » إنما جعل على القلب ، لئلا يفقهه ، لا ليفقهه . [2]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣١٥٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً » ، قال : يسمعونه بآذانهم ولا يعون منه شيئاً ، كمثل البهيمة التى تسمع النداء ، ولا تدرى ما يُقَال لها .

١٣١٥٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال : حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً » ، أما « أكنة » ، فالغطاءُ أكنّ قلوبهم ، لا يفقهون الحق = « وفى آذانهم وقراً » ، قال : صمم .

١٣١٥٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « ومنهم من يستمع إليك » ، قال : قريش .

١٣١٥٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

---

(١) انظر ما سلف ٩ : ٤٤٥ ، ٤٤٦ .

(٢) انظر تفسير « فقه » فيما سلف ٨ : ٥٥٧ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (٢٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإن ير هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام، الذين جعلت على قلوبهم أكنة أن يفقهوا عنك ما يسمعون منك = «كل آية»، يقول : كل حجة وعلامة تدلُّ أهل الحجَى والفهم على توحيد الله وصدق قولك وحقيقة نبوتك[١] =«لا يؤمنوا بها»، يقول: لا يصدّقون بها، ولا يقرّون بأنها دالّة على ما هي عليه دالة =«حتى إذا جاؤوك يجادلونك»، يقول: حتى إذا صاروا إليك بعد معاينتهم الآيات الدالة على حقيقة ما جئتهم به = «يجادلونك»، يقول: يخاصمونك [٢] =«يقول الذين كفروا»، يعني بذلك: الذين جحدوا آيات الله وأنكروا حقيقتها، يقولون لنبيِّ الله صلى الله عليه وسلم إذا سمعوا حجج الله التى احتجَّ بها عليهم، وبيانَه الذى بيَّنه لهم = «إن هذا إلاّ أساطير الأوّلين»، أى: ما هذا إلاّ أساطير الأوّلين .

* * *

و«الأساطير» جمع «إسْطارة» و «أُسطُورة» مثل «أفكوهة» و «أضحوكة» = وجائز أن يكون الواحد «أسطارًا» مثل «أبيات» ، و «أبابيت» ، و «أقوال وأقاويل»، [٣]من قول الله تعالى ذكره : ﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴾، [سورة الطور : ٢]. من : «سَطَرَ يَسْطُرُ سَطْرًا» . ١٠٩/٧

* * *

(١) انظر تفسير «آية» فيما سلف من فهارس اللغة (أيي) .
(٢) انظر تفسير «جادل» فيما سلف ٩ : ٩/١٤٢ : ١٩٠ ، ١٩٣ .
(٣) يعنى بقوله : «أسطاراً» ، جمع «سطر» ، كما هو بين .

فإذ كان من هذا : فإن تأويله : ما هذا إلاّ ما كتبه الأوّلون .

* * *

وقد ذكر عن ابن عباس وغيره أنهم كانوا يتأوّلونه بهذا التأويل ، ويقولون : معناه : إنْ هذا إلاّ أحاديث الأوّلين .

١٣١٥٦ — حدثني بذلك المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس .

١٣١٥٧ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : أمّا « أساطير الأوّلين » ، فأساجيع الأولين .[1]

* * *

وكان بعض أهل العلم = وهو أبو عبيدة معمر بن المثنى = بكلام العرب يقول : « الإسطارةُ » لغةٌ ، ومجازُها مجازُ الترّهات .[2]

* * *

وكان الأخفش يقول : قال بعضهم : واحده « أسطورة » . وقال بعضهم : « إسطارة » . قال : ولا أراه إلاّ من الجمع الذي ليس له واحد ، نحو « العباديد » ،[3] و « المذاكير » ، و « الأبابيل » .[4] قال : وقال بعضهم : واحد « الأبابيل » ، « إبّيل » ، وقال بعضهم : « إبّوْل » مثل « عِجّوْل » ،[5] ولم أجد العرب تعرف له واحداً ، وإنما هو مثل « عباديد » لا واحد لها . وأما « الشّماطيط » ، فإنهم يزعمون

---

(١) « الأساجيع » جمع « أسجوعة » : يراد به : ما سجع به الكهان على هيئة كلامهم .

(٢) في المطبوعة : « لغة ، الخرافات والترهات » غير ما في المخطوطة ، وهو نص أبي عبيدة في مجاز القرآن ١ : ١٨٩ . وهذا من سوء العبث بالكتب !

(٣) في المطبوعة : « عبابيد » ، وهو صواب ، إلا أني أثبت ما في المخطوطة . يقال : « جاء القوم عباديد ، وعبابيد » ، أي متفرقون .

(٤) « المذاكير » ، يقال في الفرد أيضاً . وفي الخبر أن عبداً أبصر جارية لسيده ، فجب السيد مذاكيره = فاستعمله لرجل واحد ، وأراد به شيئه ، وما تعلق به .

و « أبابيل » : جماعات من هنا ، وجماعات من هنا .

(٥) يقال : « عجل » و « عجول » (بكسر العين ، وتشديد الجيم المفتوحة ، وسكون الواو) : ولد البقرة ، وجمعه « عجاجيل » .

أن واحده « شمطاط » . [١] قال : وكل هذه لها واحد ، إلاّ أنه لم يستعمل ولم يتكلم به ، لأن هذا المثال لا يكون إلاّ جميعاً . [٢] قال : وسمعت العرب الفصحاء تقول : « أرسل خيله أبابيل » ، تريد جماعات ، فلا تتكلم بها بواحدة . [٣]

* * *

وكانت مجادلتهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم التى ذكرها الله فى هذه الآية ، فيما ذُكِر ، ما : —

١٣١٥٨ — حدثنى به محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « حتى إذا جاؤوك يجادلونك » الآية ، قال : هم المشركون ، يجادلون المسلمين فى الذّبيحة ، يقولون : « أما ماذبحتم وقتلتم فتأكلون ، وأما ما قتل الله فلا تأكلون! وأنتم تتّبعون أمرَ الله تعالى ذكره »! [٤]

* * *

(١) « شماطيط » : قطع متفرقة ، يقال : « ذهب القوم شماطيط » : إذا تفرقوا أرسالا .

(٢) فى المطبوعة : « جمعا » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « فلا تتكلم بها موحدة » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وقد كرهت عبث الناشر بنص أبى جعفر !!

(٤) عند هذا الموضع ، انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت منه نسختنا ، وفيها ما نصه :

« يتلوه القولُ فى تأويل قوله
﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ
إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾
وَصَلَّى اللهُ على مُحَمدٍ النبيِّ وعَلَى آلِهِ وَسَلّمَ كثيراً
والحمدُ لِلهِ ربِّ العالَمِين »

ثم يتلوه ما نصه :

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرحيمِ
رَبِّ يَسِّرْ »

القول فى تأويل قوله ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿٢٦﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » .

فقال بعضهم : معناه : هؤلاء المشركون المكذبون بآيات الله ، ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والقبول منه = « وينأون عنه » ، يتباعدون عنه .

* ذكر من قال ذلك :

١٣١٥٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حفص بن غياث وهانئ بن سعيد ، عن حجاج ، عن سالم ، عن ابن الحنفية : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » ، قال : يتخلفون عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا يجيبونه ، وينهون الناس عنه .[1]

١٣١٦٠ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » ، يعنى ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به = « وينأون عنه » ، يعنى : يتباعدون عنه .

١٣١٦١ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » ، أن يتّبع محمد ، ويتباعدون هم منه .

---

(١) الأثر : ١٣١٥٩ — « هانئ بن سعيد النخعى » ، صالح الحديث ، مترجم فى الكبير ٢٣٣/٢/٤ ، وابن أبى حاتم ١٠٢/٢/٤ .
و « حجاج » هو : « حجاج بن أرطاة » ، مضى مراراً .
و « سالم » ، هو « سالم بن أبى الجعد » ، مضى أيضاً .
و « ابن الحنفية » هو : « محمد بن على بن أبى طالب » ، مضى أيضاً

١٣١٦٢ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: «وهم ينهون عنه وينأون عنه»، يقول: لا يلقونَه، ولا يَدَعُون أحداً يأتيه.

١٣١٦٣ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول، في قوله: «وهم ينهون عنه»، يقول: عن محمد صلى الله عليه وسلم.

١٣١٦٤ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: «وهم ينهون عنه وينأون عنه»، جمَعُوا النهي والنأي. و«النأي»، التباعد.[1]

* * *

وقال بعضهم: بل معناه: «وهم ينهون عنه» عن القرآن، أن يسمع له ويُعمَل بما فيه.

* ذكر من قال ذلك:

١٣١٦٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: «وهم ينهون عنه»، قال: ينهون عن القرآن، وعن النبي صلى الله عليه وسلم = «وينأون عنه»، ويتباعدون عنه.

١٣١٦٦ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: «وهم ينهون عنه»، قال: قريش، عن الذكر = «وينأون عنه»، يقول: يتباعدون.

١٣١٦٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «ينهون عنه وينأون عنه»، قريش، عن الذكر. = «وينأون عنه»، يتباعدون.

١٣١٦٨ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: «وهم ينهون عنه وينأون عنه»، قال: ينهون عن القرآن، ٧/١١٠

(١) في المخطوطة: «والنهي التباعد»، وهو خطأ، صوابه ما في المطبوعة بلا شك.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم ، ويتباعدون عنه .

١٣١٦٩ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ينأون عنه » ، قال : « وينأون عنه » ، يباعدونه .[1]

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : وهم ينهون عن أذى محمد صلى الله عليه وسلم = « وينأون عنه » ، يتباعدون عن دينه واتّباعه .

* ذكر من قال ذلك :

١٣١٧٠ — حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع وقبيصة = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي =، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عمن سمع ابن عباس يقول: نزلت فى أبي طالب، كان ينهى عن محمد أن يُؤذَى ، وينأى عما جاء به أن يؤمن به .

١٣١٧١ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت قال ، حدثني من سمع ابن عباس يقول : « وهم ينهون عنه وينأون عنه »، قال : نزلت فى أبي طالب، ينهى عنه أن يؤذى ، وينأى عما جاء به .

١٣١٧٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عمن سمع ابن عباس : « وهم ينهون عنه وينأون عنه »، قال : نزلت فى أبي طالب، كان ينهى المشركين أن يؤذُوا محمداً ، وينأى عمّا جاء به .

١٣١٧٣ — حدثنا هناد قال، حدثنا عبدة ، عن إسمعيل بن أبي خالد ، عن القاسم بن مخيمرة قال : كان أبو طالب ينهى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يصدّقه .[2]

---

(١) فى المطبوعة : « يبعدون » ، وفى المخطوطة : « يبعدونه » ، وآثرت قراءتها كما أثبتها .

(٢) الأثر : ١٣١٧٣ — « القاسم بن مخيمرة الهمدانى » ، « أبو عروة » ، روى عن عبد الله ابن عمرو ، وأبي سعيد الخدرى ، وأبي أمامة ، وغيرهم من التابعين . ثقة . مترجم فى التهذيب . والكبير ١٦٧/١/٤ ، وابن أبي حاتم ١٢٠/٢/٣ .

١٣١٧٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ومحمد بن بشر ، عن إسمعيل ابن أبي خالد ، عن القاسم بن مخيمرة في قوله : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » ، قال : نزلت في أبي طالب = قال ابن وكيع ، قال ابن بشر : كان أبو طالب ينهى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤذَى ولا يصدّق به .

١٣١٧٥ — حدثنا هناد قال ، حدثنا يونس بن بكير ، عن أبي محمد الأسدي ، عن حبيب بن أبي ثابت قال ، حدثني من سمع ابن عباس يقول في قول الله تعالى ذكره : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » ، نزلت في أبي طالب ، كان ينهى عن أذى محمد ، وينأى عما جاء به أن يتّبعه.[1]

١٣١٧٦ — حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع ، عن إسمعيل بن أبي خالد ، عن القاسم بن مخيمرة في قوله : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » ، قال : نزلت في أبي طالب .

١٣١٧٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن عبد العزيز ابن سياه ، عن حبيب قال : ذاك أبو طالب ، في قوله : « وهم ينهون عنه وينأون عنه ».[2]

١٣١٧٨ — حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثني سعيد بن أبي أيوب قال ، قال عطاء بن دينار في قول الله : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » ،

---

(١) الأثر : ١٣١٧٥ — « أبو محمد الأسدي » ، لم أعرف من هو ، ولم أجد من يكنى به . وأخشى أن يكون هو « عبد العزيز بن سياه الأسدي » ، الآتي في الأثر رقم : ١٣١٧٧ و « عبد العزيز » روى عنه يونس بن بكير .

(٢) الأثر : ١٣١٧٧ — « عبيد الله بن موسى بن أبي المختار العبسي » ، مضى مراراً كثيرة . وكان في المطبوعة والمخطوطة : « عبد الله بن موسى » ، وهو خطأ محض .

و « عبد العزيز بن سياه الأسدي » ، ثقة ، محله الصدق ، وكان من كبار الشيعة . روى عنه عبيد الله بن موسى ، ويونس بن بكير ، ووكيع ، وغيرهم . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢/٢/٣٨٣ .

وانظر التعليق على الأثر السالف ، فإني أرجح أن « أبا محمد الأسدي » ، كنية : « عبد العزيز ابن سياه الأسدي » .

إنها نزلت في أبي طالب ، أنه كان ينهى الناسَ عن إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينأى عما جاء به من الهدى .[1]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ، قولُ من قال : تأويلُه : « وهم ينهون عنه » ، عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم مَنْ سواهم من الناس ، وينأون عن اتباعه .

وذلك أن الآيات قبلَها جرت بذكر جماعة المشركين العادِلين به ، والخبرِ عن تكذيبهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، والإعراض عما جاءهم به من تنزيل الله ووحيه ، فالواجب أن يكون قوله : « وهم ينهون عنه » ، خبراً عنهم ، إذ لم يأتنا ما يدُلّ على انصراف الخبر عنهم إلى غيرهم . بل ما قبل هذه الآية وما بعدها ، يدلّ على صحة ما قلنا ، من أن ذلك خبر عن جماعة مشركي قوم رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، دون أن يكون خبراً عن خاصٍّ منهم .

* * *

وإذ كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : وإن يرَ هؤلاء المشركون ، يا محمد ، كلَّ آية لا يؤمنوا بها ، حتى إذا جاؤوك يجادلونك يقولون : « إن هذا الذي جئتنا به إلاّ أحاديثُ الأوّلين وأخبارهم » ! وهم ينهون عن استماع التنزيل ، وينأون عنك فيبعدون منك ومن اتباعك = « وإن يهلكون إلاّ أنفسهم » ، يقول : وما يهلكونَ بصدّهم عن سبيل الله ، وإعراضهم عن تنزيله ، وكفرهم بربهم — إلاّ أنفسهم لا غيرها ، وذلك أنهم يكسِبُونها بفعلهم ذلك ، سخط الله وأليم عقابه ، وما لا

---

(١) الأثر : ١٣١٧٨ — « سعيد بن أبي أيوب الخزاعي المصري » ، وهو : « سعيد بن مقلاص » ، ثقة ثبت . ومضى في الأثرين رقم : ٥٦١٥ ، ٦٧٤٣ ، غير مترجم . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/١/٤١٩ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٦٦ .

و « عطاء بن دينار المصري » ، من ثقات أهل مصر ، مضى برقم : ١٦٠ .

قِبَلَ لها به[1] = « وما يشعرون » ، يقول : وما يدرون ما هُمْ مكسبوها من الهلاك والعطب بفعلهم .[2]

* * *

والعرب تقول لكل من بعد عن شيء : « قد نأى عنه ، فهو ينأى نَأْياً » . ومسموع منهم : « نأيتُكَ » ،[3] بمعنى : « نأيت عنك » . وأما إذا أرادوا أبعدتُكَ عني ، قالوا : « أنأيتك » . ومن « نأيتك » بمعنى : نأيتُ عنك ، قول الحطيئة :

نَأَتْكَ أُمَامَةُ إِلَّا سُــؤَالَا وَأَبْصَرْتَ مِنْهَا بِطَيْفٍ خَيَالَا[4] ١١١/٧

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم : « ولو ترى » ، يا محمد، هؤلاء العادلين بربهم الأصنامَ والأوثانَ ، الجاحدين نبوّتك ، الذين وصفت لك صفتهم = « إذ وُقفوا » ، يقول: إذ حُبِسوا = « على النار » ، يعني : في النار — فوضعت « على » موضع « في » كما قال : ﴿ وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا

(١) انظر تفسير « الهلاك » فيما سلف قريباً ص : ٢٦٣ .

(٢) انظر تفسير « شعر » فيما سلف ١ : ٢٧٧ ، ٦/٢٧٨ : ٥٠٢ .

(٣) في المطبوعة : « مسموع منهم : نأيت » ، خطأ ، صوابه في المخطوطة .

(٤) ديوانه : ٣١ ، من قصيدته التي مدح بها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، معتذراً له من هجاء الزبرقان بن بدر ، وبعد البيت :

خَيَالاً يَرُوعُكَ عِنْدَ المَنَا مِ وَيَأْبَى مَعَ الصُّبْحِ إِلاَّ زَوَالاَ

كِنَانِيَّةٌ ، دَارُهَا غَرْبَةٌ تُجِدُّ وِصَالاً وتُبْلِي وِصَالاَ

ٱلشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾، [سورة البقرة: ١٠٢]، بمعنى : فى ملك سليمان.[1]

* * *

وقيل : « ولو ترى إذ وقفوا » ، ومعناه : إذا وقفوا = لما وصفنا قبلُ فيما مضى : أن العرب قد تضع « إذ » مكان « إذا » ، « وإذا » مكان « إذ » ، وإن كان حظّ « إذ » أن تصاحب من الأخبار ما قد وُجد فقضى ، وحظ « إذا » أن تصاحب من الأخبار ما لم يوجد ،[2] ولكن ذلك كما قال الراجز ، وهو أبو النجم :

مَدَّ لَنَا فِى عُمْرِهِ رَبُّ طَهَا ثُمَّ جَزَاهُ اللهُ عَنَّا إِذْ جَزَى
جَنَّاتِ عَدْنٍ فِى العَلَالِىِّ العُلَى[3]

فقال : « ثم جزاه الله عنا إذ جزى » فوضع ، « إذ » مكان « إذا » .

* * *

وقيل : « وقفوا » ، ولم يُقَل : « أُوقِفوا » ، لأن ذلك هو الفصيح من كلام العرب . يقال : « وقَفتُ الدابة وغيرها » ، بغير ألف ، إذا حبستها . وكذلك : « وقفت الأرضَ » ، إذا جعلتها صدقةً حَبيساً ، بغير ألف ، وقد : —

١٣١٧٩ — حدثنى الحارث ، عن أبى عبيد قال : أخبرنى اليزيدىّ والأصمعى ، كلاهما ، عن أبى عمرو قال : ما سمعت أحداً من العرب يقول : « أوقفت الشيء » بالألف . قال : إلاّ أنى لو رأيت رجلاً بمكانٍ فقلت : « ما أوقفك ها هنا ؟ » ، بالألف ، لرأيته حسناً .[4]

* * *

(١) انظر تفسير «على» بمعنى «فى» فيما سلف ١ : ٢٩٩/٢ : ٤١١ ، ٤١٢/١١ : ٢٠٠ ، ٢٠١ ومواضع أخرى ، التمسها فى فهارس النحو والعربية .

(٢) انظر «إذا» و «إذ» فيما سلف ص : ٢٣٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) مضى بيتان منها فيما سلف ص : ٢٣٥ ، والبيت الأول من الرجز ، فى اللسان (طها) وقال : «وإنما أراد : رب طه ، فحذف الألف» . وكان رسم «طها» فى المطبوعة والمخطوطة : «طه» ، فآثرت رسمها كما كتبها صاحب اللسان (طها) .

(٤) الأثر : ١٣١٧٩ — انظر هذا الخبر فى لسان العرب «وقف» . وكان فى المطبوعة : «الحارث بن أبى عبيد» ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة . وقد مضى هذا الإسناد مراراً .

= « فقالوا يا ليتنا نردّ » ، يقول : فقال هؤلاء المشركون بربهم ، إذ حُبسوا في النار : « ياليتنا نردّ » ، إلى الدنيا حتى نتوب ونراجعَ طاعة الله = « ولا نكذب بآيات ربنا » ، يقول : ولا نكذّب بحجج ربنا ولا نجحدها = « ونكون من المؤمنين » ، يقول : ونكون من المصدّقين بالله وحججه ورسله ، متَّبعى أمره ونهيه .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الحجاز والمدينة والعراقيين : ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، بمعنى : يا ليتنا نردُّ ، ولسنا نكذب بآيات ربنا ، ولكنّا نكون من المؤمنين .

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة الكوفة : ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، بمعنى : يا ليتنا نرد ، وأن لا نكذب بآيات ربنا ، ونكونَ من المؤمنين . وتأوَّلوا فى ذلك شيئاً : —

١٣١٨٠ — حدثنيه أحمد بن يوسف قال ، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنا حجاج ، عن هرون قال : فى حرف ابن مسعود : ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ فَلَا نُكَذِّبَ ﴾ بالفاء .

* * *

وذكر عن بعض قرأة أهل الشام ، أنه قرأ ذلك : ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ ﴾ بالرفع ﴿ وَنَكُونَ ﴾ بالنصب ، كأنه وجَّه تأويله إلى أنهم تمنوا الردَّ ، وأن يكونوا من المؤمنين ، وأخبروا أنهم لا يكذّبون بآيات ربهم إن رُدُّوا إلى الدنيا .

* * *

واختلف أهل العربية فى معنى ذلك منصوباً ومرفوعاً .

فقال بعض نحويى البصرة : « ولا نكذّبَ بآيات ربّنا ونكونَ من المؤمنين » ، نصبٌ ، لأنه جواب للتمنى ، وما بعد « الواو » كما بعد « الفاء » . قال : وإن شئت رفعتَ وجعلته على غير التمنى ، كأنهم قالوا : ولا نكذّبُ والله بآيات ربنا ، ونكونُ

والله من المؤمنين . هذا ، إذا كان على ذا الوجه ، كان منقطعاً من الأوّل . قال : والرفع وجهُ الكلام ، لأنه إذا نصب جعلها « واوَ » عطف . فإذا جعلها « واو » عطف ، فكأنهم قد تمنوا أن لا يكذّبوا ، وأن يكونوا من المؤمنين . قال : وهذا ، والله أعلم، لا يكون ، لأنهم لم يتمنوا هذا ، إنما تمنوا الردّ ، وأخبروا أنهم لا يكذبون ، ويكونون من المؤمنين .

* * *

وكان بعض نحويي الكوفة يقول : لو نصب « نكذب » و « نكون » على الجواب بالواو ، لكان صواباً . قال: والعرب تجيب بـ «الواو» ، و« ثم »، كما تجيب بالفاء . يقولون: « ليت لى مالاً فأعطيك »، « وليت لى مالاً وأُعطيك »، « وثم أعطيك » . قال : وقد تكون نصباً على الصَّرف، كقولك: « لا يَسَعُني شىء ويعجِزَ عنك » .[1]

* * *

وقال آخر منهم : لا أحبُّ النصب فى هذا، لأنه ليس بتمنٍّ منهم ، إنما هو خبرٌ ، أخبروا به عن أنفسهم . ألا ترى أن الله تعالى ذكره قد كذّبهم فقال : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ ؟ وإنما يكون التكذيب للخبر لا للتمنّى .

* * *

١١٢/٧ وكان بعضهم يَنكر أن يكون الجواب « بالواو » ، وبحرف غير « الفاء » . وكان يقول: إنما « الواو » موضع حال ، « لا يسعنى شىء ويضيقَ عنك » ، أى : وهو يضيق عنك . قال : وكذلك الصَّرف فى جميع العربية . قال : وأما « الفاء » فجواب جزاء: « ما قمت فنأتيك »، أى : لو قمت لأتيناك . قال: فهكذا حكم الصرف و« الفاء » . قال: وأمّا قوله: « ولا نكذب » ، و« نكون » فإنما جاز، لأنهم قالوا : « ياليتنا نرد » ، فى غير الحال التى وقفنا فيها على النار. فكان وقفهم فى تلك ،

---

(١) « الصرف » ، مضى تفسيره فيما سلف ١ : ٥٦٩ ، تعليق : ١/٣ : ٥٥٢ ، تعليق : ١/٧ : ٢٤٧ ، تعليق : ٢ .

فتمنَّوا أن لا يكونوا وُقِفُوا فى تلك الحال .

* * *

قال أبو جعفر : وكأنّ معنى صاحب هذه المقالة فى قوله هذا : ولو ترى إذ وقفوا على النار ، فقالوا : قد وقفنا عليها مكذِّبين بآيات ربِّنا كفارًا ، فياليتنا نردّ إليها فنُوقَف عليها غير مكذبين بآيات ربِّنا ولا كفارًا .

وهذا تأويلٌ يدفعه ظاهر التنزيل ، وذلك قول الله تعالى ذكره : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ ، فأخبر الله تعالى أنهم فى قيلهم ذلك كذبة ، والتكذيب لا يقع فى التمنى . ولكن صاحب هذه المقالة أظنُّ به أنَّه لم يتدبر التأويل ، ولَزِم سَنَن العربيّة .

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التى لا أختار غيرها فى ذلك : ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ بالرفع فى كليهما ، بمعنى : يا ليتنا نردّ ، ولسنا نكذب بآيات ربِّنا إن رددنا ، ولكنا نكون من المؤمنين = على وجه الخبر منهم عما يفعلون إن هم ردُّوا إلى الدنيا ، لا على التمنّى منهم أن لا يكذِّبوا بآيات ربهم ويكونوا من المؤمنين . لأن الله تعالى ذكره قد أخبر عنهم أنهم لو ردُّوا لعادوا لما نُهوا عنه ، وأنهم كذبة فى قيلهم ذلك . ولو كان قيلهم ذلك على وجه التمنى ، لاستحال تكذيبهم فيه ، لأن التمنى لا يكذَّب ، وإنما يكون التصديقُ والتكذيبُ فى الأخبار .

* * *

وأما النصب فى ذلك ، فإنى أظنّ بقارئه أنه توخَّى تأويل قراءة عبد الله التى ذكرناها عنه ،[1] وذلك قراءته ذلك : ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ فَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، على وجه جواب التمنى بالفاء . وهو إذا قرئ بالفاء

(١) فى المطبوعة : « فإنى أظن بقارئه أنه برجاء تأويل قراءة عبد الله » ، وهو كلام غث . وفى المخطوطة : « . . . أنه برسا تأويل قراءة عبد الله » غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت .

كذلك، لا شك فى صحة إعرابه . ومعناه فى ذلك : أن تأويله إذا قرئ كذلك : لو أنّا رددنا إلى الدنيا ما كذّبنا بآيات ربّنا ، ولكُنّا من المؤمنين . فإن يكن الذى حَكَى من حكى عن العرب من السماع منهم الجوابَ بالواو ، و« ثم » كهيئة الجواب بالفاء ، صحيحاً ، فلا شك فى صحّة قراءة من قرأ ذلك : ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ ﴾ نصباً على جواب التمنى بالواو ، على تأويل قراءة عبد الله ذلك بالفاء . وإلا فإن القراءة بذلك بعيدةُ المعنى من تأويل التنزيل . ولستُ أعلم سماعَ ذلك من العرب صحيحاً ، بل المعروف من كلامها : الجوابُ بالفاء ، والصرفُ بالواو .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾ (٢٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ما بهؤلاء العادلين بربهم ،[١] الجاحدين نبوتك ، يا محمد ، فى قيلهم إذا وقفوا على النار : « ياليتنا نردُّ ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين » = الأسىَ والندمُ على ترك الإيمان بالله والتصديق بك ،[٢] لكن بهم الإشفاق مما هو نازلٌ بهم من عقاب الله وأليم عذابه ، على معاصيهم التى كانوا يخفونها عن أعين الناس ويسترونها منهم ، فأبداها الله منهم يوم القيامة وأظهرها على رؤوس الأشهاد ، ففضحهم بها ، ثم جازاهم بها جزاءَهم .

يقول : بل بدا لهم ما كانوا يخفون من أعمالهم السيئة التى كانوا يخفونها من قبل ذلك فى الدنيا ، فظهرت = « ولو رُدُّوا » ، يقول : ولو ردّوا إلى الدنيا فأمهلوا

(١) فى المطبوعة : « ما قصد هؤلاء » ، وهو لا شىء ولكن حمله عليه أنه فى المخطوطة « ما هؤلاء العادلين » ، واستظهرت الصواب من قوله بعد : « لكن بهم الإشفاق » .

(٢) السياق : « ما بهؤلاء العادلين بربهم . . . الأسى والندم . . . » .

= « لعادوا لما نُهوا عنه » ، يقول : لرجعوا إلى مثل العمل الذى كانوا يعملونه فى الدنيا قبل ذلك ، من جحود آيات الله ، والكفر به ، والعمل بما يسخط عليهم ربَّهم = « وإنهم لكاذبون » ، فى قيلهم: «لو رددنا لم نكذب بآيات ربّنا وكنا من المؤمنين »، لأنهم قالوه حين قالوه خشية العذاب ، لا إيماناً بالله .

* * *

وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣١٨١ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل » ، يقول : بدت لهم أعمالهم فى الآخرة ، التى أخفوها فى الدنيا .

١٣١٨٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله: « بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل »، قال : من أعمالهم.

١٣١٨٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولو رُدُّوا لعادُوا لما نُهوا عنه »، يقول: ولو وصل الله لهم دُنيا كدنياهم، لعادوا إلى أعمالهم أعمالِ السوء . ١١٣/٧

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (٢٩)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين ، العادلين به الأوثان والأصنام ، الذين ابتدأ هذه السورة بالخبر عنهم .

يقول تعالى ذكره : « وقالوا إنْ هى إلاّ حياتنا الدنيا » ، يخبر عنهم أنهم ينكرون أنّ الله يُحيي خلقه بعد أن يُميتهم، ويقولون : «لاحياة بعد الممات، ولا بعث ولا نشور بعد الفناء» . فهم بجحودهم ذلك ، وإنكارهم ثوابَ الله وعقابَه فى الدار الآخرة ، لا يبالون ما أتوا وما ركبوا من إثم ومعصية ، لأنهم لا يرجون ثواباً على إيمان بالله وتصديق برسوله وعملٍ صالح بعد موت ، ولا يخافون عقاباً على كفرهم بالله وبرسوله وسيِّءٍ من عمل يعملونه .[1]

* * *

وكان ابن زيد يقول : هذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء الكفرة الذين وقفوا على النار : أنهم لو ردُّوا إلى الدنيا لقالوا : « ما هى إلا حياتُنا الدنيا وما نحن بمبعوثين » .

١٣١٨٤ — حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه » ، وقالوا حين يردون : « إن هى إلاّ حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (٣٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « لو ترى » ، يا محمد ، هؤلاء القائلين : ما هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين = « إذ وقفوا » ، يوم القيامة ،

(١) فى المطبوعة : « وشىء من عمل » ، وهى فى المخطوطة غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت .

أي : حبسوا ،[1] «على ربهم» ، يعني على حكم الله وقضائه فيهم = « قال أليس هذا بالحق » ، يقول : فقيل لهم : أليس هذا البعثُ والنشر بعد الممات الذي كنتم تنكرونَه في الدنيا ، حقًّا ؟ فأجابوا ، فقالوا : بلى والله إنه لحقٌّ = « قال فذوقوا العذاب » ، يقول : فقال الله تعالى ذكره لهم : فذوقوا العذاب الذي كنتم به في الدنيا تكذبون[2] = « بما كنتم تكفرون » ، يقول : بتكذيبكم به وجحدكموه الذي كان منكم في الدنيا .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله » ، قد هلك وُوكس ، في بيعهم الإيمان بالكفر[3] = « الذين كذبوا بلقاء الله » ، يعني : الذين أنكروا البعثَ بعد الممات ، والثواب والعقابَ ، والجنةَ والنارَ ، من مشركي قريش وَمَنْ سلك سبيلهم في ذلك = « حتى إذا جاءتهم الساعة » ، يقول : حتى إذا جاءتهم السَّاعة التي يَبْعث الله فيها الموتى من قبورهم .

* * *

وإنما أدخلت « الألف واللام » في « الساعة » ، لأنها معروفة المعنى عند المخاطبين بها ، وأنها مقصود بها قصدُ الساعة التي وصفت .

* * *

(١) انظر تفسير « وقف » فيما سلف قريباً ص : ٣١٦

(٢) انظر تفسير « ذاق العذاب » فيما سلف ص : ٤٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « خسر » فيما سلف ص : ٢٩٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

ويعنى بقوله: « بغتة » ، فجأةً، من غير علم من تفجؤه بوقت مفاجأتها إيّاه .

* * *

يقال منه : «بغتُّه أبغته بَغْتةً » ، إذا أخذته كذلك :

* * *

= « قالوا يا حَسْرتَنا على ما فرّطنا فيها » ، يقول تعالى ذكره: وُكس الذين كذبوا بلقاء الله ببيعهم منازلهم من الجنة بمنازل من اشتروا منازله من أهل الجنة من النار ، فإذا جاءتهم الساعة بغتةً قالوا إذا عاينوا ما باعوا وما اشتروا، وتبيَّنوا خسارة صفقة بَيْعهم التى سلفت منهم فى الدنيا، تندُّماً وتلهُّفاً على عظيم الغَبْن الذى غبنوه أنفسهم ، وجليلِ الخسران الذى لا خسرانَ أجلُّ منه = « يا حسرتنا على ما فرطنا فيها » ، يقول : يا ندامتنا على ما ضيّعنا فيها ، يعنى : صفقتهم تلك. [1]

* * *

و « الهاء والألف» فى قوله: « فيها » ، من ذكر « الصفقة » ، ولكن اكتفى بدلالة قوله : « قد خسر الذين كذّبوا بلقاء الله » عليها من ذكرها ، إذ كان معلوماً أن «الخسران» لا يكون إلاّ فى صفقة بيع قد جرت . [2]

* * *

وإنما معنى الكلام : قد وُكس الذين كذبوا بلقاء الله ، ببيعهم الإيمان الذى يستوجبون به من الله رضوانَه وجنته ، بالكفر الذى يستوجبون به منه سَخَطه وعقوبته ، ولا يشعرون ما عليهم من الخسران فى ذلك ، حتى تقوم الساعة ، فإذا جاءتهم الساعة بغتةً فرأوا ما لحقهم من الخسران فى بيعهم ، قالوا حينئذ ، تندماً : « ياحسرتنا على ما فرطنا فيها » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « الحسرة » فيما سلف ٣ : ٢٩٥/٧ : ٣٣٥ .

(٢) فى المطبوعة : « قد خسرت » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الصواب .

١٣١٨٥ - حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدي: قوله: «يا حسرتنا على ما فرطنا فيها»، أمّا «يا حسرتنا»، فندامتنا = «على ما فرطنا فيها»، فضيعنا من عمل الجنة.

١١٤/٧ ١٣١٨٦ - حدثنا محمد بن عمارة الأسدي قال، حدثنا يزيد بن مهران قال، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «يا حسرتنا»، قال: يرى أهلُ النار منازلهم من الجنة فيقولون: «يا حسرتنا». [١]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (٣١)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وهؤلاء الذين كذّبوا بلقاء الله، «يحملون أوزارهم على ظهورهم». وقوله: «وهم» من ذكرهم = «يحملون أوزارهم»، يقول: آثامهم وذنوبهم.

* * *

واحدها «وِزْر»، يقال منه: «وَزَر الرجل يزِر»، إذا أثم، قال الله: «ألا ساء ما يزرون». [٢] فإن أريد أنهم أُثِّموا، [٣] قيل: «قد وُزِر القوم فهم يُوزَرُون، وهم موزرون».

* * *

(١) الأثر: ١٣١٨٦ - «يزيد بن مهران الأسدي»، الخباز، أبو خالد. صدوق، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: «يغرب». مترجم في التهذيب، وابن أبي حاتم ٢٩٠/٢/٤.
وهذا الخبر خرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٩، وقال: «أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والخطيب بسند صحيح، عن أبي سعيد الخدري»، وذكر الخبر.

(٢) في المطبوعة، حذف قوله: «قال الله: ألا ساء ما يزرون».

(٣) «أثموا» بضم الهمزة وتشديد الثاء المكسورة، بالبناء للمجهول أي: رموا بالإثم.

قد زعم بعضهم أن « الوِزْر » الثقل والحمل . ولستُ أعرف ذلك كذلك في شاهد ، ولا من رواية ثقة عن العرب .

* * *

وقال تعالى ذكره : « على ظهورهم » ، لأن الحمل قد يكون على الرأس والمنكب وغير ذلك ، فبيَّن موضع حملهم ما يحملون منْ ذلك .

* * *

وذكر أنَّ حملهم أوزارهم يومئذ على ظهورهم ، نحو الذي :

١٣١٨٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا الحكم ابن بشير بن سلْمان قال ، حدثنا عمرو بن قيس الملائي قال : إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورة وأطيبُه ريحاً ،[1] فيقول له : هل تعرفني ؟ فيقول : لا ، إلاَّ أن الله قد طيَّب ريحك وحسَّن صورتك ! فيقول : كذلك كنت في الدنيا ، أنا عملك الصالح ، طالما ركبتك في الدنيا ، فاركبني أنت اليوم ! = وتلا : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ ، [سورة مريم : ٨٥] . وإن الكافر يستقبله أقبح شيء صورة وأنتنُه ريحاً ، فيقول ، هل تعرفني ؟ فيقول : لا ، إلاَّ أن الله قد قبَّح صورتك وأنتن ريحك ! فيقول : كذلك كنتُ في الدنيا ، أنا عملك السيء ، طالما ركبتني في الدنيا ، فأنا اليوم أركبك = وتلا : « وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون » .[2]

---

(١) في المطبوعة : « استقبله عمله في أحسن صورة وأطيبه ريحاً » ، وهو كلام غث غير مستقيم ، وكان في المخطوطة : « استقبله أحسن صورة وأطيبه ريحاً » ، سقط من الناسخ ما أثبته « شيء » ، واستظهرته من قوله بعد : « يستقبله أقبح شيء صورة وأنتنه ريحاً » .

(٢) الأثر : ١٣١٨٧ — « الحكم بن بشير بن سلمان النهدي » ، ثقة ، مضى مراراً ، رقم : ١٤٩٧ ، ٢٨٧٢ ، ٣٠١٤ ، ٦١٧١ ، ٩٦٤٦ . وكان في المطبوعة هنا « سليمان » وهو خطأ ، صححته في المخطوطة ، والمراجع ، كما سلف أيضاً .

و « عمرو بن قيس الملائي » ، مضى مراراً ، رقم : ٨٨٦ ، ١٤٩٧ ، ٣٩٥٦ ، ٦١٧١ ، ٩٦٤٦ .

وهذا الخبر خرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٩ ، وزاد نسبته لابن أبي حاتم . وإسناد أبي حاتم فيما رواه ابن كثير في تفسيره ٣ : ٣٠٣ : « حدثنا أبو سعيد الأشج ، قال حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن عمرو بن قيس ، عن أبي مرزوق » ، وساق الخبر مختصراً بغير هذا اللفظ .

١٣١٨٨ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى: «وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم»، فإنه ليس من رجل ظالم، يموت فيدخل قبره،[1] إلا جاءه رجل قبيح الوجه، أسودُ اللون، مُنتن الريح، عليه ثياب دَنِسة، حتى يدخل معه قبره، فإذا رآه قال له: ما أقبح وجهك! قال: كذلك كان عملك قبيحاً! قال: ما أنتن ريحك! قال: كذلك كان عملك منتناً! قال: ما أدْنس ثيابك! قال فيقول: إن عملك كان دنساً. قال: من أنت؟ قال: أنا عملك! قال: فيكون معه فى قبره، فإذا بعث يوم القيامة قال له: إنى كنت أحملك فى الدنيا باللذّات والشهوات، فأنت اليوم تحملنى. قال: فيركب على ظهره فيسوقه حتى يدخلَه النار، فذلك قوله: «يحملون أوزارهم على ظهورهم».

* * *

وأما قوله تعالى ذكره: «ألا ساء ما يزرون»، فإنه يعنى: ألا ساء الوزر الذى يزرون — أى: الإثم الذى يأثمونه بربهم،[2] كما: —

١٣١٨٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عنَ قتادة فى قوله: «ألا ساء ما يزرون»، قال: ساء ما يعملون.

* * *

(١) فى المطبوعة: «قال ليس من رجل ظالم يموت»، وأثبت ما فى المخطوطة.

(٢) كان فى المطبوعة: «الذى يأثمونه كفرهم بربهم»، زاد «كفرهم»، وأفسد الكلام. وأثبت ما فى المخطوطة، وهو الصواب المحض. وقد بينت آنفاً معنى قوله «أثم فلان بربه» ٤: ٥٣٠، تعليق: ٦/٣: ٩٢/١١: ١٨٠، تعليق: ٣.

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٣٢)

قال أبو جعفر : وهذا تكذيب من الله تعالى ذكره هؤلاء الكفارَ المنكرين البعثَ بعد الممات فى قولهم : ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [سورة المائدة : ٢٩]

يقول تعالى ذكره ، مكذباً لهم فى قيلهم ذلك : « ما الحياة الدنيا » ، أيها الناس = « إلاّ لعب ولهو » ، يقول : ما باغى لذاتِ الحياة التى أدْنيت لكم وقرِّبت منكم فى داركم هذه ،(١) ونعيمَها وسرورَها، فيها ،(٢) والمتلذذُ بها، والمنافسُ عليها إلا فى لعب ولهو ، لأنها عما قليل تزول عن المستمتع بها والمتلذذِ فيها بملاذّها ، أو تأتيه الأيام بفجائعها وصروفها، فتَمُرُّ عليه وتكدُر ،(٣) كاللاعب اللاهى الذى يسرع اضمحلال لهوه ولعبه عنه ، ثم يعقبه منه ندماً ، ويُورثه منه تَرَحاً .

يقول : لا تغتروا، أيها الناس ، بها، فإن المغتر بها عمّا قليل يندم = « وللدار الآخرة خير للذين يتقون » ، يقول : وللعمل بطاعته ، والاستعدادُ للدار الآخرة بالصالح من الأعمال التى تَبْقَى منافعها لأهلها ، ويدوم سرورُ أهلها فيها ، خيرٌ من الدار التى تفنى وشيكاً ،(٤) فلا يبقى لعمالها فيها سرور ، ولا يدوم لهم فيها نعيم = « للذين

(١) انظر تفسير « الحياة الدنيا » فيما سلف ١ : ٢٤٥ .

(٢) سياق الجملة : « ما باغى لذات الحياة . . . ونعيمها وسرورها » ، بالعطف ثم قوله : « فيها » ، سياقه : « ما باغى لذات الحياة . . . فيها » . وقوله بعد : « والمتلذذ بها » مرفوع معطوف على قوله : « ما باغى لذات الحياة » .

(٣) فى المطبوعة : « فتمر عليه وتكر » غير ما فى المخطوطة ، وهو ما أثبته ، وهو الصواب « تمر » من « المرارة » ، أى : تصير مرة بعد حلاوتها ، وكدرة بعد صفائها .

(٤) فى المطبوعة ، حذف قوله « وشيكا » ، كأنه لم يحسن قراءتها . « وشيكا » : سريعاً .

يتقون » ، يقول : للذين يخشون الله فيتقونه بطاعته واجتناب معاصيه ، والمسارعة إلى رضاه = « أفلا تعقلون » ، يقول : أفلا يعقل هؤلاء المكذّبون بالبعث حقيقةَ ما نخبرهم به ، من أن الحياة الدنيا لعب ولهوٌ ، وهم يرون من يُخْتَرَم منهم ، [١] ومن يهلك فيموت ، ومن تنوبه فيها النوائب وتصيبهُ المصائب وتفجعه الفجائع . ففى ذلك لمن عقل مدّكر ومزدجر عن الركون إليها ، واستعباد النفس لها = ودليلٌ واضح على أن لها مدبِّراً ومصرفاً يلزم الخلقَ إخلاصُ العبادة له ، بغير إشراك شىء سواه معه . ١١٥/٧

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (٣٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قد نعلم » ، يا محمد ، إنه ليحزنك الذى يقول المشركون ، وذلك قولهم له : إنه كذّاب = « فإنهم لا يكذبونك » .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك

[فقرأة جماعة من أهل الكوفة : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكْذِبُونَكَ ﴾ بالتخفيف] ، [٢] بمعنى : إنهم لا يُكْذِبونك فيما أتيتهم به من وحى الله ، ولا يدفعون أن يكون ذلك صحيحاً ، بل يعلمون صحته ، ولكنهم يجحَدون حقيقته قولاً فلا يؤمنون به .

---

(١) « اخترم الرجل » (بالبناء للمجهول) و « اخترمته المنية من بين أصحابه » ، أخذته من بينهم وخلا منه مكانه ، كأن مكانه صار خرماً فى صفوفهم .

(٢) هذه الزيادة بين القوسين ، ساقطة من المخطوطة والمطبوعة ، ولكن زيادتها لا بد منها ، واستظهرتها من نسبة هذه القراءة ، فهى قراءة على ونافع والكسائى . انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٣١ ، وتفسير أبى حيان ٤ : ١١١ ، وغيرهما .

* * *

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يحكى عن العرب أنهم يقولون : « أكذبت الرجل » ، إذا أخبرت أنه جاءَ بالكذب ورواه . قال : ويقولون : « كذَّبته » ، إذا أخبرت أنه كاذبٌ.[1]

* * *

وقرأته جماعة من قرأة المدينة والعراقين والكوفة والبصرة : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ بمعنى : أنهم لا يكذّبونك علماً ، بل يعلمون أنك صادق = ولكنهم يكذبونك قولا ، عناداً وحسداً .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القرأة ، ولكل واحدة منهما فى الصحة مخرج مفهوم .

وذلك أن المشركين لا شكَّ أنه كان منهم قوم يكذبون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ويدفعونه عما كان الله تعالى ذكره خصه به من النبوّة ، فكان بعضهم يقول : « هو شاعر » ، وبعضهم يقول : « هو كاهن » ، وبعضهم يقول : « هو مجنون » ، وينفى جميعُهم أن يكون الذى أتاهم به من وحى السماء ، ومن تنزيل رب العالمين ، قولاً . وكان بعضهم قد تبين أمرَه وعلم صحة نبوّته ، وهو فى ذلك يعاند ويجحد نبوّته حسداً له وبغياً .

* * *

فالقارئ : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكْذِبُونَكَ ﴾ = بمعنى[2] : أن الذين كانوا يعرفون

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٣١ .

(٢) فى المطبوعة : « يعنى به » ، وفى المخطوطة : « معنى أن الذين ... » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

حقيقة نبوّتك وصدق قولك فيما تقول ، يجحدونَ أن يكون ما تتلوه عليهم من تنزيل الله ومن عند الله ، قولاً — وهم يعلمون أن ذلك من عند الله علماً صحيحاً = مصيبٌ، [1] لما ذكرنا من أنه قد كان فيهم من هذه صفته .

وفي قول الله تعالى في هذه السورة : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [سورة المائدة : ٢٠] ، أوضح الدليل على أنه قد كان فيهم المعاند في جحود نبوّته صلى الله عليه وسلم ، مع علمٍ منه به وبصحة نبوّته . [2]

* * *

وكذلك القارىء : ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ = [3] بمعنى : أنهم لا يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عناداً ، لا جهلاً بنبوّته وصدق لَهْجته = مصيب، [4] لما ذكرنا من أنه قد كان فيهم مَنْ هذه صفته .

وقد ذَهب إلى كل واحد من هذين التأويلين جماعة من أهل التأويل .

* * *

* ذكر من قال : معنى ذلك : فإنهم لا يكذبونك ولكنهم يجحدون الحقَّ على علم منهم بأنك نبيٌّ لله صادق .

١٣١٩٠ — حدثنا هناد قال، حدثنا أبو معاوية ، عن إسمعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح في قوله : « قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك » ، قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزينٌ ، فقال له : ما يُحزنك ؟ فقال : كذَّبني هؤلاء ! قال فقال له جبريل : إنهم لا يكذبونك ، هم يعلمون أنك صادق ، « ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » .

١٣١٩١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو معاوية، عن إسمعيل ، عن

---

(١) السياق : « فالقارىء . . . مصيب » .

(٢) في المطبوعة : « . . . على أنه قد كان فيهم المعاند في جحود نبوته . . . مع علم منهم به وصحة نبوته » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب ، إلا أنه في المخطوطة أيضاً « به وصحة نبوته » ، فرأيت السياق يقتضي أن تكون « وبصحة » ، فأثبتها .

(٣) في المطبوعة : « يعني أنهم . . . » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٤) السياق : « وكذلك القارىء . . . مصيب » .

أبي صالح قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس حزين ، فقال له : ما يحزنك ؟ . فقال: كذّبني هؤلاء ! فقال له جبريل: إنهم لا يكذبونك ، إنهم ليعلمون أنك صادق ، «ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون» .

١٣١٩٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : «ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون» ، قال : يعلمون أنك رسول الله ويجحدون .

١٣١٩٣ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي في قوله : «قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون» ، لما كان يوم بدر قال الأخنس ابن شريق لبني زهرة : يا بني زهرة ، إن محمداً ابن أختكم ، فأنتم أحقُّ مَنْ كفَّ عنه ،[1] فإنه إن كان نبياً لم تقاتلوه اليوم، وإن كان كاذباً كنتم أحق من كف عن ابن أخته! قفوا ههنا حتى ألقى أبا الحكم فإن غُلب محمدٌ [صلى الله عليه وسلم] ، رجعتم سالمين ، وإن غَلَب محمدٌ فإن قومكم لا يصنعون بكم شيئاً = فيومئذ سمي «الأخنس» ، وكان اسمه «أبيّ» =[2] فالتقى الأخنس وأبو جهل ، فخلا الأخنس بأبي جهل فقال : يا أبا الحكم ، أخبرني عن محمد ، أصادق هو أم كاذب ؟ فإنه ليس ههنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا ! فقال أبو جهل : ويْحك، والله إن محمداً لصادق ، وما كذب محمد قط ، ولكن إذا ذهب بنو قُصَيّ باللواء والحجابة والسقاية والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش ؟ فذلك قوله : «فإنهم لا يكذّبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون» ، «فآيات الله» ، محمدٌ صلى الله عليه وسلم .

١١٦/٧

(١) في تفسير ابن كثير ٣ : ٣٠٥ ، في هذا الموضع : «فأنتم أحق من ذب عنه» .

(٢) سمي «الأخنس» ، لأنه من «خنس يخنس خنوساً» ، إذا انقبض عن الشيء وتأخر ورجع .

١٣١٩٤ — حدثني الحارث بن محمد قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا قيس ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير : « فإنهم لا يكذبونك » ، قال : ليس يكذّبون محمداً ، ولكنهم بآيات الله يجحدون .

* * *

• ذكر من قال : ذلك بمعنى : فإنهم لا يكذّبونك ، ولكنهم يكذّبون ما جئت به .

١٣١٩٥ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن ناجية قال : قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم : ما نتهمك ، ولكن نتّهم الذى جئت به ! فأنزل الله تعالى ذكره : « فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » .

١٣١٩٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن أبي إسحق ، عن ناجية بن كعب : أنّ أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إنّا لا نكذبك ، ولكن نكذب الذى جئت به ! فأنزل الله تعالى ذكره : « فإنهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك ، فإنهم لا يبطلون ما جئتهم به .

• ذكر من قال ذلك :

١٣١٩٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا إسحق بن سليمان ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب : « فإنهم لا يكذبونك » ، قال : لا يبطلون ما فى يديك .

* * *

وأما قوله : « ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » ، فإنه يقول : ولكن المشركين بالله ، بحجج الله وآى كتابه ورسوله يجحدون ، فينكرون صحّة ذلك كله .

* * *

وكان السدى يقول : « الآيات » فى هذا الموضع ، معنىٌّ بها محمّد صلى الله عليه وسلم . وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه قبلُ .[1]

* * *

(١) انظر آخر الأثر السالف رقم : ١٣١٩٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا تسلية من الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وتعزيةٌ له عما ناله من المساءة بتكذيب قومه إيّاه على ما جاءهم به من الحق من عند الله .

يقول تعالى ذكره : إن يكذبك ، يا محمد ، هؤلاء المشركون من قومك ، فيجحدوا نبوّتك ، وينكروا آيات الله أنّها من عنده ، فلا يحزنك ذلك ، واصبر على تكذيبهم إياك وما تلقى منهم من المكروه فى ذات الله ، حتى يأتى نصر الله ،[1] فقد كُذبت رسلٌ من قبلك أرسلتهم إلى أممهم ، فنالوهم بمكروه ، فصبروا على تكذيب قومهم إياهم ، ولم يثنهم ذلك من المضىّ لأمر الله الذى أمرهم به من دعاء قومهم إليه ، حتى حكم الله بينهم وبينهم = « ولا مبدّل لكلمات الله » ، يقول : ولا مغيِّر لكلمات الله = و « كلماته » تعالى ذكره : ما أنزل الله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، من وعده إياه النصر على من خالفه وضادّه ، والظفرَ على من تولّى عنه وأدبر = « ولقد جاءك من نبأ المرسلين » ، يقول : ولقد جاءك ، يا محمد ، من خبر من كان قبلك من الرسل ، [2] وخبر أممهم وما صنعتُ بهم = حين جحدوا آياتى وتمادَوا فى غيهم وضلالهم = أنباء = وترك ذكر « أنباء » ، لدلالة « مِنْ » عليها . يقول تعالى ذكره : فانتظر أنت أيضاً من النصرة والظفر مثل الذى كان منّى فيمن

---

(١) اتفق المخطوطة : « حتى أتاهم نصر الله » ، وهو سهو من الناسخ ، صوابه ما فى المطبوعة .

(٢) انظر تفسير « النبأ » فيما سلف ص : ٢٦٢ ، تعليق : ٣ ، والمراجع .

كان قبلك من الرسل إذ كذبهم قومهم، واقتد بهم فى صبرهم على ما لقُوا من قومهم .

* * *

وبنحو ذلك تأوَّل من تأوَّل هذه الآية من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣١٩٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولقد كُذِّبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا » ، يعزّى نبيه صلى الله عليه وسلم كما تسمعون ، ويخبره أن الرسل قد كُذِّبت قبله ، فصبروا على ما كذبوا ، حتى حكم الله وهو خير الحاكمين . ١١٧/٧

١٣١٩٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « ولقد كذبت رسل من قبلك » ، قال : يعزّى نبيَّه صلى الله عليه وسلم .

١٣٢٠٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « ولقد كذبت رسل من قبلك » ، الآية ، قال : يعزّى نبيّه صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن كان عظم عليك ، يا محمد ، إعراض هؤلاء المشركين عنك ، وانصرافهم عن تصديقك فيما جئتهم به من الحق الذى

بعثتُك به، فشقّ ذلك عليك، ولم تصبر لمكروه ما ينالك منهم[(١)] = « فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض » ، يقول : فإن استطعت أن تتّخذ سَرَباً في الأرض مثل نَافِقاء اليَرْبُوع، وهي أحد جِحَرَتِه فتذهب فيه[(٢)] = «أو سُلماً في السماء»، يقول : أو مصعداً تصعد فيه ، كالدَّرَج وما أشبهها ، كما قال الشاعر[(٣)] :

لَا تُحْرِزُ الْمَرْءَ أَحْجَاءُ الْبِلَادِ ، وَلَا يُبْنَى لَهُ فِي السَّمٰوَاتِ السَّلَالِيمُ[(٤)]

* * *

= « فتأتيهم بآية »، منها = يعني بعلامة وبرهان على صحة قولك ،[(٥)] غير الذي أتيتك = فافعل .[(٦)]

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك : قال بعض أهل التأويل

* ذكر من قال ذلك :

١٣٢٠١ — حدثنا المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني

---

(١) انظر تفسير « الإعراض » فيما سلف ص : ٢٦٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « ابتغى » فيما سلف ١٠ : ٣٩٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) هو تميم بن أبي بن مقبل .

(٤) من قصيدة له جيدة ، نقلتها قديماً ، والبيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١٩٠ ، وشرح شواهد المغني : ٢٢٧ ، واللسان (سلم) (حجا) ، وغيرها ، وقبل البيت ، وهي أبيات حسان :

إنْ يَنْقُصِ الدّهْرُ مِنّي، فالفَتَى غَرَضٌ لِلدَّهْرِ ، من عَوْدِهِ وَافٍ وَمَثْلُومُ

وَإنْ يَكُنْ ذَاكَ مِقْدَاراً أُصِبْتُ بِهِ فَسِيرَةُ الدّهْرِ تَعْوِيجٌ وتَقْوِيمُ

مَا أطْيَبَ العَيْشَ لَوْ أنّ الفَتَى حَجَرٌ تَنْبُو الحَوَادِثُ عَنْهُ وهو مَلْمُومُ

لا يمنع المرء أنصارٌ وَرَابِيَةٌ تَأْبَى الهَوَانَ إذَا عُدَّ الجَرَاثِيمُ

لا يُحْرِزُ المَرْءَ . . . .

و « أحجاء البلاد » : نواحيها وأطرافها . ويروى « أعناء البلاد » ، وهو مثله في المعنى .

(٥) انظر تفسير « آية » فيما سلف في فهرس اللغة (أبي) .

(٦) قوله : « فافعل » ، أي : «إن استطعت أن تبتغي نفقاً . . . فافعل » .

معاوية بن صالح، عن على بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: « وإن كان كبر عليك إعراضهم. فإن استطعت أن تبتغى نفقاً فى الأرض أو سلماً فى السماء»، و«النفق» السَّرب، فتذهب فيه = « فتأتيهم بآية »، أو تجعل لك سلَّماً فى السماء ، (١) فتصعد عليه، فتأتيهم بآية أفضل مما أتيناهم به ، فافعل .

١٣٢٠٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فإن استطعت أن تبتغى نفقاً فى الأرض » ، قال : سَرَباً = « أو سلماً فى السماء » ، قال : يعنى الدَّرَج .

١٣٢٠٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغى نفقاً فى الأرض أو سلماً فى السماء»، أما « النفق » فالسرب، وأما « السلم» فالمصعد .

١٣٢٠٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس قوله : « نفقاً فى الأرض » ، قال : سرباً .

* * *

وتُرِك جواب الجزاء فلم يذكر ، لدلالة الكلام عليه، ومعرفة السامعين بمعناه. وقد تفعل العرب ذلك فيما كان يُفهم معناه عند المخاطبين به، فيقول الرجل منهم للرجل : « إن استطعت أن تنهض معنا فى حاجتنا ، إن قدرت على مَعُونتنا »، ويحذف الجواب ، وهو يريد : إن قدرت على معونتنا فافعل . فأما إذا لم يعرف المخاطب والسامع معنى الكلام إلاّ بإظهار الجواب ، لم يحذفوه . لا يقال : « إن تقم » ، فتسكت وتحذف الجواب ، لأن المقول ذلك له لا يعرف جوابه إلا بإظهاره ،

(١) فى المخطوطة : « تجعل لهم سلماً » ، والجيد ما فى المطبوعة .

حتى يقال : « إن تقم تصب خيراً » ، أو : «إن تقم فحسن» ، وما أشبه ذلك .[1]

ونظيرُ ما في الآية مما حذف جوَابه وهو مراد ، لفهم المخاطب لمعنى الكلام قول الشاعر :[2]

فَبِحَظٍّ مِمَّا نَعِيشُ ، وَلَا تَذْ هَبْ بِكِ التُّرَّهَاتُ فِي الأَهْوَالِ[3]

والمعنى : فبحظٍّ مما نعيش فعيشى .[4]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (٣٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن الذين يكذبونك من هؤلاء الكفار ، يا محمد ، فيحزنك تكذيبهم إياك ، لو أشاء أن أجمعهم على استقامة من الدِّين ، وصوابٍ من محجة الإسلام ، حتى تكون كلمة جميعكم واحدة ، وملتكم وملتهم واحدة ، بجمعتهم على ذلك ، ولم يكن بعيداً علىَّ ، لأنىّ القادرُ على ذلك بلطفى ، ولكنى لم أفعل ذلك لسابق علمى فى خلقى ، ونافذ قضائى فيهم من قبل أن أخلقهم وأصوِّر أجسامهم = « فلا تكونن » ، يا محمد ، « من الجاهلين » ، يقول :

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٣١ ، ٣٣٢ .

(٢) هو عبيد بن الأبرص .

(٣) مضى البيت وتخريجه فيما سلف ٣ : ٢٨٤ . وكان البيت فى المخطوطة على الصواب كما أثبته ، وإن كان غير منقوط . أما المطبوعة ، فكان فيها هكذا .

فتحظَّ ممـا يعش ولا تذهب بك الترّهات فى الأهوال

أساء قراءة المخطوطة ، وحرفه .

(٤) فى المطبوعة : « والمعنى : فتحظ مما يعش فعيشى » ، وهو خطأ ، صوابه فى المخطوطة .

فلا تكونن ممن لا يعلم أن الله لو شاء لجمع على الهدى جميع خلقه بلطفه ،[1] وأنّ من يكفر به من خلقه إنما يكفر به لسابق علم الله فيه ، ونافذ قضائه بأنه كائنٌ من الكافرين به اختيارًا لا اضطرارًا ، فإنك إذا علمت صحة ذلك ، لم يكبر عليك إعراضُ من أعرض من المشركين عما تدعُوه إليه من الحق ، وتكذيبُ من كذّبك منهم .

١١٨/٧

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٢٠٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : يقول الله سبحانه : لو شئتُ لجمعتهم على الهدى أجمعين .

* * *

قال أبو جعفر : وفى هذا الخبر من الله تعالى ذكره ، الدلالةُ الواضحة على خطأ ما قال أهل التّفْويض من القدريّة ،[2] المنكرون أن يكون عند الله لطائف لمن شاءَ توفيقه من خلقه ، يلطفُ بها له حتى يهتدِىَ للحقّ فينقاد له ، وينيبَ إلى الرشاد فيذعن به ويؤثره على الضلال والكفر بالله . وذلك أنه تعالى ذكره أخبر أنه لو شاءَ الهداية لجميع من كفر به ، حتى يجتمعوا على الهدى ، فعلَ . ولا شك أنه لو فعل ذلك بهم ، كانوا مهتدين لا ضلالاً . وهم لو كانوا مهتدين ، كان لا شك أنّ كونهم مهتدين كان خيرًا لهم . وفى تركه تعالى ذكره أن يجمعهم على الهدى ، تركٌ منه أن يفعل بهم فى دينهم بعض ما هو خيرٌ لهم فيه ، مما هو قادر على فعله بهم ، وقد

---

(١) انظر تفسير « الجاهل » فيما سلف ٢ : ١٨٣ ، وتفسير « جهالة » ٨ : ٨٨ — ٩٢ .

(٢) « أهل التفويض » : هم الذى يقولون : إن الأمر فوض إلى الإنسان ، فإرادته كافية فى إيجاد فعله ، طاعة كان أو معصية ، وهو خالق لأفعاله ، والاختيار بيده . انظر ما سلف ١ : ١٦٢ ، تعليق : ١ .

وأما « القدرية » ، و « أهل القدر » ، فهم الذين ينفون القدر . وأما الذين يثبتون القدر ، وهم أهل الحق ، فهم : « أهل الإثبات » . وانظر ما سلف ١ : ١٦٢ ، تعليق : ١ .

ترك فعله بهم . وفي تركه فعل ذلك بهم ، أوضحُ الدليل أنه لم يعطهم كل الأسباب التي بها يصلون إلى الهداية ، ويتسبَّبون بها إلى الإيمان .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (٣٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا يكبُرنّ عليك إعراض هؤلاء المعرضين عنك ، وعن الاستجابة لدعائك إذا دعوتهم إلى توحيد ربّهم والإقرار بنبوّتك ، فإنه لا يستجيب لدعائك إلى ما تدعوه إليه من ذلك ، [1] إلاّ الذين فتح الله أسماعهم للإصغاء إلى الحق ، وسهَّل لهم اتباع الرُّشد ، دون من ختم الله على سمعه ، فلا يفقه من دعائك إياه إلى الله وإلى اتباع الحق إلا ما تفقه الأنعام من أصوات رُعاتها ، فهم كما وصفهم به الله تعالى ذكره : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٧١] = « والموتى يبعثهم الله » ، يقول : والكفارُ يبعثهم الله مع الموتى ، فجعلهم تعالى ذكره في عداد الموتى الذين لا يسمعون صوتاً، ولا يعقلون دعاء ، ولا يفقهون قولاً ، إذ كانوا لا يتدبرون حُجج الله ، ولا يعتبرون آياته ، ولا يتذكرون فينزجرون عما هم عليه من تكذيب رُسل الله وخلافهم . [2]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « الاستجابة » فيما سلف ٣ : ٤٨٣ ، ٧/٤٨٤ : ٤٨٦ — ٤٨٨ .

(٢) في المطبوعة : « ولا يتذكرون فينزجروا » ، وفي المخطوطة : « ولا يتذكروا فينزجروا » والصواب ما أثبته .

١٣٢٠٦ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إنما يستجيب الذين يسمعون » ، المؤمنون ، للذكر = « والموتى »، الكفار ، حين يبعثهم الله مع الموتى .

١٣٢٠٧ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٣٢٠٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إنما يستجيب الذين يسمعون » ، قال : هذا مَثَل المؤمن ، سمع كتاب الله فانتفع به وأخذ به وعقله . والذين كذَّبوا بآياتنا صم وبكم ، وهذا مثل الكافر أصم أبكم ، لا يبصر هدًى ولا ينتفع به .

١٣٢٠٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة، عن سفيان الثوري ، عن محمد بن جحادة ، عن الحسن : « إنما يستجيب الذين يسمعون » ، المؤمنون = « والموتى» ، قال : الكفار .

١٣٢١٠ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن محمد بن جحادة قال : سمعت الحسن يقول في قوله : « إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله »، قال : الكفار .

* * *

وأما قوله : « ثم إليه يرجعون » ، فإنه يقول تعالى ذكره : ثم إلى الله يرجع المؤمنون الذين استجابوا لله والرسول ،[1] والكفارُ الذين يحول الله بينهم وبين أن يفقهوا عنك شيئاً ، فيثيب هذا المؤمن على ما سلف من صالح عمله في الدنيا بما وعد أهل الإيمان به من الثواب ، ويعاقب هذا الكافرَ بما أوعدَ أهل الكفر به من العقاب ، لا يظلم أحداً منهم مثقال ذرة .

* * *

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « ثم إلى الله يرجعون المؤمنون » ، وليس بشيء هنا ، والجيد ما أثبته .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء العادلون بربهم ، المعرضون عن آياته : « لولا نزل عليه آية من ربه » ، يقول : قالوا : هلاَّ نزل على محمد آية من ربه ؟ [1] كما قال الشاعر : [2]

تَعُدُّونَ عَقْرَ النِّيبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بَنِي ضَوْطَرَى ، لَوْلَا الكَمِيَّ المُقَنَّعَا [3] ١١٩/٧

بمعنى : هلاَّ الكميَّ .

* * *

و « الآية » ، العلامة . [4]

* * *

وذلك أنهم قالوا : ﴿ مَا لِهَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾ [سورة الفرقان : ٧ ، ٨] . قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لقائلى هذه المقالة لك : « إنّ الله قادر على أن ينزل آية » ، يعنى : حجة على ما يريدون ويسألون = « ولكن أكثرهم لا يعلمون » ، يقول : ولكن أكثر الذين يقولون ذلك فيسألونك آية ، [5] لا يعلمون ما عليهم فى الآية إن نزَّلها من البلاء ، ولا يدرون ما وجه ترك إنزال ذلك عليك . ولو علموا السبب الذى من أجله لم أنزلها عليك ، لم يقولوا ذلك ، ولم يسألوكه ، ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك .

* * *

(١) انظر تفسير « لولا » فيما سلف ٢ : ٥٥٢ ، ١٠/٥٥٣ : ١١/٤٤٨ : ٢٦٢ ،
(٢) هو جرير .
(٣) مضى البيت وتخريجه وتفسيره وصواب نسبته فيما سلف ٢ : ٥٥٢ ، ٥٥٣ .
(٤) انظر تفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيى) .
(٥) فى المخطوطة : « ولكن أكثرهم الذين يقولون » ، والجيد ما فى المطبوعة .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (٣٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المعرضين عنك ، المكذبين بآيات الله: أيها القوم، لا تحسبُنّ الله غافلاً عما تعملون ، أو أنه غير مجازيكم على ما تكسبون ! وكيف يغفل عن أعمالكم ، أو يترك مجازاتكم عليها ، وهو غير غافل عن عمل شىء دبّ على الأرض صغيرٍ أو كبيرٍ ،[1] ولا عمل طائر طار بجناحيه فى الهواء ، بل جعل ذلك كله أجناساً مجنَّسة وأصنافاً مصنفة ،[2] تعرف كما تعرفون ، وتتصرف فيما سُخِّرت له كما تتصرفون ، ومحفوظ عليها ما عملت من عمل لها وعليها ، ومُثْبَتٌ كل ذلك من أعمالها فى أم الكتاب ، ثم إنه تعالى ذكره مميتها ثم منشرها ومجازيها يوم القيامة جزاءَ أعمالها . يقول: فالرب الذى لم يضيِّع حفظَ أعمال البهائم والدوابّ فى الأرض ، والطير فى الهواء ، حتى حفظ عليها حركاتها وأفعالها ، وأثبت ذلك منها فى أم الكتاب ، وحشرها ثم جازاها على ما سلف منها فى دار البلاء ، أحرى أن لا يُضيع أعمالكم ، ولا يُفَرِّط فى حفظ أفعالكم التى تجترحونها ، أيها الناس، حتى يحشركم فيجازيكم على جميعها ، إن خيراً فخيراً ، وإن شرًّا فشرًّا ، إذ كان قد خصكم من نعمه ، وبسط عليكم من فضله ، ما لم يعمّ به غيركم فى الدنيا، وكنتم بشكره أحقّ، وبمعرفة واجبه عليكم أولى ، لما أعطاكم من العقل الذى به بين الأشياء تميِّزون ، والفهم

---

(١) انظر تفسير « دابة » فيما سلف ٣ : ٢٧٥ .

(٢) انظر تفسير « أمة » فيما سلف ١٠ : ٤٦٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

الذى لم يعطه البهائم والطيرَ ، الذى به بين مصالحكم ومضارِّكم تفرِّقون .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٢١١ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « أمم أمثالكم » ، أصناف مصنفة تُعرَف بأسمائها .

١٣٢١٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٣٢١٣ — حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلاّ أمم أمثالكم » ، يقول : الطير أمة ، والإنس أمة ، والجن أمة .

١٣٢١٤ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله: « إلا أمم أمثالكم » ، يقول : إلا خلق أمثالكم .

١٣٢١٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج فى قوله : « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلاّ أمم أمثالكم » ، قال : الذرّة فما فوقها من ألوان ما خلق الله من الدواب.

* * *

وأما قوله : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ، فإن معناه : ما ضيعنا إثبات شىء منه ، كالذى : —

١٣٢١٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ، ما تركنا شيئاً إلا قد كتبناه فى أم الكتاب .

١٣٢١٧ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله:

« ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ، قال : لم نُغفِل الكتاب ، ما من شىء إلا وهو فى الكتاب .[١]

١٣٢١٨ — وحدثنى به يونس مرة أخرى ، قال فى قوله : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ، قال : كلهم مكتوبٌ فى أم الكتاب .

* * *

وأما قوله : « ثم إلى ربهم يحشرون » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى معنى « حشرهم » ، الذى عناه الله تعالى ذكره فى هذا الموضع .[٢]

فقال بعضهم : « حشرها » ، موتها .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٠/٧

١٣٢١٩ — حدثنى محمد بن عمارة الأسدى قال ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن سعيد ، عن مسروق ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلاّ أمم أمثالكم » ، قال ابن عباس : موت البهائم حشرها .[٣]

١٣٢٢٠ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ثم إلى ربهم يحشرون » ، قال : يعنى بالحشر ، الموت .

١٣٢٢١ — حُدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ الفضل ابن خالد قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « ثم

---

(١) فى المطبوعة : « لم نغفل ما من شىء . . . » ، أسقط « الكتاب » ، وهى ثابتة فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « الحشر » فيما سلف ص : ٢٩٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) الأثر : ١٣٢١٩ — « عبيد الله بن موسى بن أبى المختار العبسى » ، سلف قريباً رقم : ١٣١٧٧ ، وكان هنا فى المطبوعة والمخطوطة أيضاً « عبد الله بن موسى » ، وهو خطأ ، أشرت إليه فيما سلف .

إلى ربهم يحشرون » ، يعني بالحشر : الموت .

* * *

وقال آخرون : « الحشر » في هذا الموضع ، يعني به الجمعُ لبعث الساعة وقيام القيامة .

• ذكر من قال ذلك :

١٣٢٢٢ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر = وحدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر = عن جعفر بن برقان ، عن يزيد بن الأصم ، عن أبي هريرة في قوله : « إلا أمم أمثالكم ما فرَّطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون » ، قال : يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة ، البهائمَ والدوابَّ والطيرَ وكل شيء ، فيبلغ من عدل الله يومئذ أن يأخذَ للجمَّاء من القرْناء ، ثم يقول : « كوني تراباً » ، فلذلك يقول الكافر : ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾ [سورة النبأ : ٤٠].[1]

١٣٢٢٣ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر = وحدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر= ، عن الأعمش، عمن ذكره ،[2] عن أبي ذر قال : بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه

---

(١) الأثر : ١٣٢٢٢ — « جعفر بن برقان الكلابي » ، ثقة ، مضى برقم : ٤٥٧٧ ، ٧٨٣٦ .

و « يزيد بن الأصم بن عبيد البكائي » ، تابعي ثقة ، مضى برقم : ٧٨٣٦ .

وهذا الخبر رواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٣١٦ ، من طريق عبد الرزاق، عن معمر ، عن جعفر الجذري ، عن يزيد بن الأصم ، وقال : « جعفر الجذري هذا ، هو ابن برقان ، قد احتج به مسلم ، وهو صحيح على شرطه ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي .

وخرجه ابن كثير في تفسيره ٣ : ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ثم قال : « وقد روى هذا مرفوعاً في حديث الصور » . وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ١١ ، وزاد نسبته لأبي عبيد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

و « الجماء » : الشاة إذا لم تكن ذات قرن . و « القرناء » : الشاة الكبيرة القرن .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « عن الأعمش ذكره » ، وهو سهو من الناسخ ، صوابه من تفسير ابن كثير . وقوله « عمن ذكره » كأنه يعني : « منذر الثوري » أو « الهزيل بن شرحبيل » كما يتبين من التخريج .

وسلم إذا انتطحت عنزان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتدرون فيما انتطحتا؟ قالوا : لا ندري! قال : لكن الله يدري ، وسيقضي بينهما .[1]

١٣٢٢٤ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق بن سليمان قال، حدثنا فطر ابن خليفة ، عن منذر الثوري ، عن أبي ذر قال : انتطحت شاتان عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي : يا أبا ذَرّ، أتدري فيم انتطحتا ؟ قلت : لا! قال : لكن الله يدري وسيقضي بينهما ! قال أبو ذر : لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يقلّب طائرٌ جناحيه في السماء إلاّ ذكرنا منه علماً .[1]

* * *

---

(١) الأثران : ١٣٢٢٣ ، ١٣٢٢٤ — « إسحق بن سليمان الرازي العبدي » ، ثقة مضى برقم : ٦٤٥٦ ، ١٠٢٣٨ ، ١١٢٤٠ .

و « فطر بن خليفة القرشي » ، ثقة ، مضى برقم : ٣٥٨٣ ، ٦١٧٥ ، ٧٥١١ . وكان في المطبوعة : « مطر بن خليفة » ، وهو خطأ ، صوابه في المخطوطة .

و « منذر الثوري » ، هو : « منذر بن يعلى الثوري » ، ثقة ، قليل الحديث روى عن التابعين ، لم يدرك الصحابة . مضى برقم : ١٠٨٣٩ .

وهذا الخبر رواه أحمد في مسنده ٥ : ١٥٣ ، مختصراً من طريق ابن نمير ، عن الأعمش ، عن منذر ، عن أشياخ من التيم ، قالوا ، قال أبو ذر : « لقد تركنا محمد صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علماً » .

ثم رواه أيضاً في المسند ٥ : ١٦٢، من ثلاث طرق ، مطولا ومختصراً كالسالف، أولها مطولا من طريق محمد بن جعفر ، عن سليمان ، عن منذر الثوري ، عن أشياخ لهم ، عن أبي ذر = ثم من الطريق نفسه مختصراً كالسالف = ثم من طريق حجاج ، عن فطر ، عن المنذر ، بمعناه .

وقد تبين من رواية أحمد أن الذي روى عنه الأعمش في الإسناد الأول ، هو منذر الثوري نفسه .

وإسناد هذه كلها إما منقطعة ، كإسناد أبي جعفر = أو فيها مجاهيل ، كأسانيد أحمد .

ثم رواه أحمد في مسنده بغير هذا اللفظ ، (٥ : ١٧٢ ، ١٧٣) من طريق عبيد الله بن محمد ، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الرحمن بن ثروان ، عن الهزيل بن شرحبيل ، عن أبي ذر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً وشاتان تقترنان ، فنطحت إحداهما الأخرى فأجهضتها . قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : عجبت لها ! والذي نفسي بيده ليقادن لها يوم القيامة » .

وكان في المسند : « عبد الرحمن بن مروان » ، وهو خطأ ، وإنما الراوي عن الهزيل ، هو « بن ثروان » .

وهذا إسناد حسن متصل .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أنّ كل دابة وطائر محشورٌ إليه . وجائز أن يكون معنيًّا بذلك حشر القيامة = وجائز أن يكون معنيًّا به حشر الموت = وجائز أن يكون معنيًّا به الحشران جميعاً ، ولا دلالة فى ظاهر التنزيل ، ولا فى خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أىٌّ ذلك المراد بقوله : « ثم إلى ربهم يحشرون » ، إذ كان « الحشر » ، فى كلام العرب الجمع ، [1] من ذلك قول الله تعالى ذكره : ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ [سورة ص : ١٩] ، يعنى : مجموعة . فإذ كان الجمع هو « الحشر » ، وكان الله تعالى ذكره جامعاً خلقه إليه يوم القيامة ، وجامعهم بالموت ، كان أصوبُ القول فى ذلك أن يُعَمَّ بمعنى الآية ما عمه الله بظاهرها = وأن يقال : كل دابة وكل طائر محشورٌ إلى الله بعد الفناء وبعد بعث القيامة ، إذ كان الله تعالى ذكره قد عم بقوله : « ثم إلى ربهم يحشرون » ، ولم يخصص به حشراً دون حشر .

* * *

فإن قال قائل : فما وجهُ قوله : « ولا طائر يطير بجناحيه » ؟ وهل يطير الطائر إلا بجناحيه ؟ فما فى الخبر عن طيرانه بالجناحين من الفائدة ؟

قيل : قد قدمنا القول فيما مضى أن الله تعالى ذكره أنزل هذا الكتاب بلسان قوم ، وبلغاتهم وما يتعارفونه بينهم ويستعملونه فى منطقهم خاطبهم . فإذ كان من كلامهم إذا أرادوا المبالغة فى الكلام أن يقولوا : « كلمت فلاناً بفمى » ، و « مشيت إليه برجلى » و « ضربته بيدى » ، خاطبهم تعالى بنظير ما يتعارفونه فى كلامهم ، ويستعملونه فى خطابهم ، ومن ذلك قوله تعالى ذكره : ﴿ إِنَّ هٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أُنْثَى ﴾ ، [سورة ص : ٢٣] . [2]

---

(١) انظر تفسير « الحشر » فيما سلف ص : ٣٤٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة : ذكر الآية كقراءتنا فى مصحفنا ، هكذا : « إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة » ، وليس هذا موضع استشهاد أبى جعفر ، والصواب فى المخطوطة كما أثبته . وهى قراءة عبد الله بن مسعود ، وقد ذكرها أبو جعفر فى تفسيره بعد (٢٣ : ٩١ ، بولاق) ثم قال : [وذلك على سبيل توكيد العرب الكلمة ، كقولهم : « هذا رجل ذكر » ، ولا يكادون

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٣٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : والذين كذبوا بحجج الله وأعلامه وأدلته [١] = « صمٌّ » ، عن سماع الحق = « بكم » ، عن القيل به [٢] = « فى الظلمات » ، يعنى : فى ظلمة الكفر حائراً فيها ، [٣] يقول : هو مرتطم فى ظلمات الكفر ، لا يبصر آيات الله فيعتبر بها ، ويعلم أن الذى خلقه وأنشأه فدبَّره وأحكم تدبيره ، وقدَّره أحسن تقدير ، وأعطاه القوة ، وصحح له آلة جسمه = لم يخلقه عبثاً ، ولم يتركه سدًى ، ولم يعطه ما أعطاه من الآلات إلاّ لاستعمالها فى طاعته وما يرضيه ، دون معصيته وما يسخطه . فهو لحيرته فى ظلمات الكفر ، وتردّده فى غمراتها ، غافلٌ عمَّا الله قد أثبت له فى أمّ الكتاب ، وما هو به فاعلٌ يوم يحشر إليه مع سائر الأمم . ثم أخبر تعالى ذكره أنه المضِلّ من يشاء إضلالَه من خلقه عن الإيمان إلى الكفر ، والهادى إلى الصراط المستقيم منهم من أحبَّ هدايته ، فموفّقه بفضله وطَوْله للإيمان به ، وترك الكفر به وبرسله وما جاءت به أنبياؤه ، وأنه لا يهتدى من خلقه أحد إلا من سبق له فى أمّ الكتاب السعادة ، ولا يضل منهم أحد إلا من سبق له فيها الشقاء ، وأنّ بيده الخير كلّه ، وإليه الفضل كله ، له الخلق والأمر . [٤]

١٢١/٧

* * *

يفعلون ذلك إلا فى المؤنث والمذكر الذى تذكيره وتأنيثه فى نفسه ، كالمرأة والرجل والناقة ، ولا يكادون أن يقولوا : « هذه دار أنثى ، وملحفة أنثى » ، لأن تأنيثها فى اسمها لا فى معناها] .

(١) انظر تفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيى) .

(٢) انظر تفسير « صم » و « بكم » فيما سلف ١ : ٣٢٨ – ٣/٣٣١ : ٣١٥ .

(٣) وحد الضمير بعد الجمع فقال : « حائراً فيها » ، يعنى الكافر المكذب بآيات الله ، وهو جائز فى مثل هذا الموضع من التفسير .

(٤) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل) .

= وتفسير « الصراط المستقيم » فيما سلف ١٠ : ٤٢٩ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال قتادة :

١٣٢٢٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « صم وبكم » ، هذا مثل الكافر ، أصم أبكم ، لا يبصر هدًى ، ولا ينتفع به ، صَمٌّ عن الحق فى الظلمات ، لا يستطيع منها خروجاً ، متسكِّع فيها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَـٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ (٤٠)

قال أبو جعفر : اختلف أهل العربية فى معنى قوله : « أرأيتكم » .

فقال بعض نحويى البصرة : « الكاف » التى بعد « التاء » من قوله : « أرأيتكم » إنما جاءت للمخاطبة ، وتركت « التاء » مفتوحة = كما كانت للواحد . قال : وهى مثل « كاف » « رويدك زيداً » ، إذا قلت : أرود زيداً = هذه « الكاف » ليس لها موضع مسمى بحرف ، لا رفع ولا نصب ، وإنما هى فى المخاطبة مثل كاف « ذاك » . ومثل ذلك قول العرب : « أبصركَ زيداً » ، [1] يدخلون « الكاف » للمخاطبة .

* * *

وقال آخرون منهم : معنى : « أرأيتكم إن أتاكم » ، أرأيتم . قال : وهذه « الكاف » تدخل للمخاطبة مع التوكيد ، و « التاء » وحدها هى الاسم ، كما أدخلت « الكاف » التى تفرق بين الواحد والاثنين والجميع فى المخاطبة ، كقولهم : « هذا ، وذاك ، وتلك ، وأولئك » ، فتدخل « الكاف » للمخاطبة ، وليست باسم ، و « التاء » هو الاسم للواحد والجميع ، تركت على حال واحدة . ومثل ذلك قولهم :

---

(١) فى المطبوعة : « انصرك زيداً » بالنون ، والصواب بالباء كما سيأتى .

« ليسك ثَمّ إلا زيد »، يراد: ليس= و « لاسيَّك زيد »، فيراد : ولاسيا زيد = و « بلاك » فيراد، « بلى » فى معنى : «نعم » = و « لبئسك رجلاً »، ولنعمك رجلاً». وقالوا: «انظرك زيداً ما أصنع به » = و« أبصرك ما أصنع به»، بمعنى : أبصره . وحكى بعضهم : « أبصركُم ما أصنع به » ، يراد : أبصروا =و« انظركم زيداً » ، أى انظروا . وحكى عن بعض بنى كلاب : « أتعلمك كان أحد أشعرَ من ذى الرمة ؟ »، فأدخل « الكاف » .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة : « أرأيتك عمراً »، أكثر الكلام فيه ترك الهمز . قال : و «الكاف» من « أرأيتك » فى موضع نصب، كأن الأصل : أرأيت نفسك على غير هذه الحال ؟ قال: فهذا يثنى ويجمع ويؤنث، فيقال: « أرأيتما كما » و« أرأيتموكم» . و « وَأَرَأَيْتُنَّكُنَّ »، [1] أوقع فعله على نفسه، وسأله عنها، ثم كثر به الكلام حتى تركوا « التاء » موحدة للتذكير والتأنيث والتثنية والجمع ، فقالوا : « أرأيتكم زيداً ما صنع » و « أرأيتكنّ ما صنع » ، فوحدوا التاء وثنوا الكاف وجمعوها ، فجعلوها بدلاً من « التاء » ، [2] كما قال : ﴿ هَاؤُمُ اقْرَأُوا كِتَابِيَهْ ﴾ [سورة الحاقة : ١٩] ، و « هاء يارجل » و « هاؤما » ، ثم قالوا: « هاكم » ، اكتفى بالكاف والميم مما كان يثنى ويجمع. فكأن « الكاف» فى موضع رفع ، إذكانت بدلاً من « التاء » . وربما وحدت للتثنية والجمع والتذكير والتأنيث ، وهى كقول القائل : « عليك زيداً » ، « الكاف» فى موضع خفض ، والتأويل رفع . فأما ما يُجْلَب فأكثر ما يقع على الأسماء ، ثم تأتى بالاستفهام فيقال : « أرأيتك زيداً هل قام » ، لأنها صارت بمعنى : أخبرنى عن زيد ، ثم بيِّن عما يستخبر . فهذا أكثر الكلام . ولم يأت

---

(١) فى المطبوعة فصل وكتب « أرأيتن كن » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو المطابق لما فى معانى القرآن للفراء .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

الاستفهام يليها.[1] لم يقل: «أرأيتك هل قمت»، لأنهم أرادوا أن يبيِّنوا عمن يسأل، ثم تُبيِّن الحالة التي يسأل عنها . وربما جاء بالجزاء ولم يأت بالاسم ،[2] فقالوا : « أرأيت إن أتيت زيداً هل يأتينا »[3] = و « أرأيتك » أيضاً = و « أرأيتُ زيداً إن أتيته هل يأتينا » ، إذا كانت بمعنى : « أخبرني » ، فيقال باللغات الثلاث .

* * *

قال أبو جعفر : وتأويل الكلام : قل، يا محمد، لهؤلاء العادلين بالله الأوثانَ والأصنامَ : أخبروني ، إن جاءكم ، أيها القوم، عذاب الله كالذي جاء من قبلكم من الأمم الذين هلك بعضهم بالرجفة ، وبعضهم بالصاعقة = أو جاءتكم الساعة التي تنشرون فيها من قبوركم، وتبعثون لموقف القيامة، أغير الله هناك تدعون لكشف ما نزل بكم من البلاء ، أو إلى غيره من آلهتكم تفزعون لينجيكم مما نزل بكم من عظيم البلاء ؟ = « إن كنتم صادقين » ، يقول : إن كنتم محقِّين في دعواكم وزعمكم أنّ آلهتكم التي تدعونها من دون الله تنفع أو تضر . ١٢٢/٧

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ (٤١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، مكذِّباً لهؤلاء العادلين به الأوثان : ما أنتم، أيها المشركون بالله الآلهةَ والأندادَ، إن أتاكم عذابُ الله أو أتتكم الساعة ،

(١) في المطبوعة ، مكان « يليها » « تليها » وهو خطأ ، صوابه في المخطوطة .

(٢) في المطبوعة : « وربما جاء بالخبر » وهو خطأ ، صوابه في المخطوطة ، وإن كانت غير منقوطة ولا مهموزة . ومن أجل هذا التصرف ، تصرف في عبارة أبي جعفر كما سترى في التعليق التالي .

(٣) في المطبوعة : « فقالوا : أرأيت زيداً هل يأتينا » ، حذف « إن أتيت » لسوء تصرفه كما في التعليق السابق .

بمستجيرين بشيء غير الله في حال شدة الهول النازل بكم من آلهة ووثن وصنم ، بل تدعون هناك ربّكم الذي خلقكم ، وبه تستغيثون ، وإليه تفزعون ، دون كل شيء غيره = « فيكشف ما تدعون إليه » ، يقول : فيفرّج عنكم عند استغاثتكم به وتضرعكم إليه ، عظيم البلاء النازل بكم إن شاء أن يفرج ذلك عنكم ، لأنه القادر على كل شيء ، ومالك كل شيء ، دون ما تدعونه إلهاً من الأوثان والأصنام = « وتنسون ما تشركون » ، يقول : وتنسون حين يأتيكم عذاب الله أو تأتيكم الساعة بأهوالها ، ما تشركونه مع الله في عبادتكم إياه ، فتجعلونه له نداً من وثن وصنم ، وغير ذلك مما تعبدونه من دونه وتدعونه إلهاً .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ (٤٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : = متوعداً لهؤلاء العادلين به الأصنامَ = ومحذّرَهم أن يسلك بهم إن هم تمادَوا في ضلالهم سبيلَ من سلك سبيلهم من الأمم قبلهم ، في تعجيل الله عقوبته لهم في الدنيا = ومخبراً نبيَّه عن سنته في الذين خلوا قبلهم من الأمم على منهاجهم من تكذيب الرسل = : « لقد أرسلنا » ، يا محمد ، « إلى أمم » ، يعني : إلى جماعات وقرون[1] =« من قبلك فأخذناهم بالبأساء » ، يقول : فأمرناهم ونهيناهم ، فكذبوا رسلنا ، وخالفوا أمرنا ونهينا ، فامتحناهم بالابتلاء = « بالبأساء » ، وهي شدة الفقر والضيق في المعيشة[2] = « والضراء » ، وهي

(١) انظر تفسير « أمة » فيما سلف ص : ٣٤٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « البأساء » فيما سلف ٣ : ٣٤٩ - ٤/٣٥٢ : ٢٨٨ .

الأسقام والعلل العارضة فى الأجسام .[١]

* * *

وقد بينا ذلك بشواهده ووجوه إعرابه فى « سورة البقرة » ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[٢]

* * *

وقوله : « لعلهم يتضرعون » يقول : فعلنا ذلك بهم ليتضرعوا إلىّ ، ويخلصوا لى العبادة ، ويُفْرِدوا رغبتهم إلىّ دون غيرى ، بالتذلل منهم لى بالطاعة ، والاستكانة منهم إلىّ بالإنابة .

* * *

وفى الكلام محذوفٌ قد استغنى بما دلّ عليه الظاهر من إظهاره دون قوله :[٣] « ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم » ، وإنما كان سبب أخذه إياهم ، تكذيبهم الرسل وخلافهم أمرَه = لا إرسال الرسل إليهم . وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن معنى الكلام : « ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك » رسلاً فكذبوهم ، « فأخذناهم بالبأساء » .

* * *

و « التضرع » هو « التفعل » من « الضراعة » ، وهى الذلة والاستكانة .

* * *

(١) انظر تفسير « الضراء » فيما سلف ٣ : ٣٤٩ - ٤/٣٥٢ : ٧/٢٨٨ : ٢١٤ .

(٢) انظر المراجع كلها فى التعليقين السالفين .

(٣) فى المطبوعة : « بما دل عليه الظاهر عن إظهاره من قوله » ، غير ما فى المخطوطة ، وأثبت ما فى المخطوطة بنصه ، وإن كنت أخشى أن يكون سقط من الناسخ كلام .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٤٣)

قال أبو جعفر : وهذا أيضاً من الكلام الذى فيه متروك استغنى بدلالة الظاهر عن ذكر ما تُرك . وذلك أنه تعالى ذكره أخبرَ عن الأمم التى كذّبت رسلها أنه أخذهم بالبأساء والضراء ليتضرعوا له ، [1] ثم قال : « فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا » ، ولم يخبر عما كان منهم من الفعل عند أخذه إياهم بالبأساء والضراء . ومعنى الكلام : « ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون » ، فلم يتضرعوا ، « فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا » .

ومعنى : « فلولا » ، فى هذا الموضع ، فهلاّ . [2] والعرب إذا أوْلَتْ « لولا » اسماً مرفوعاً ، جعلت ما بعدها خبراً ، وتلقتها بالأمر ، [3] فقالت : « لولا أخوك لزرتك » و « لولا أبوك لضربتك » ، وإذا أوْلتها فعلاً ، أولم تُولها اسماً ، جعلوها استفهاماً فقالوا : « لولا جئتنا فنكرمك » و « لولا زرت أخاك فنزورك » ، بمعنى : « هلاّ » ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ ﴾ [سورة المنافقون : ١٠] . وكذلك تفعل بـ « لوما » مثل فعلها بـ « لولا » . [4]

* * *

فتأويل الكلام إذاً : فهلاّ إذ جاء بأسنا هؤلاء الأمم المكذبة رسلَها ، الذين لم يتضرعوا عند أخذناهم بالبأساء والضراء = « تضرعوا » ، فاستكانوا لربهم ، وخضعوا لطاعته ، فيصرف ربهم عنهم بأسه ، وهو عذابه .

* * *

(١) فى المطبوعة حذف « له » ، وهى فى المخطوطة : « به » ، وهذا صواب قراءتها .
(٢) انظر تفسير « لولا » فيما سلف ص : ٣٤٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٣) فى المطبوعة : « وتلتها » ، غير ما فى المخطوطة وأفسد الكلام .
(٤) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

وقد بينا معنى « البأس » فى غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[1]

* * *

= « ولكن قست قلوبهم » ، يقول : ولكن أقاموا على تكذيبهم رسلهم ، وأصرُّوا على ذلك ، واستكبروا عن أمر ربهم ، استهانةً بعقاب الله ، واستخفافاً بعذابه ، وقساوةَ قلبٍ منهم[2] = « وزين لهم الشيطانُ ما كانوا يعملون » ، يقول : وحسن لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الأعمال التى يكرهها الله ويسخطها منهم . ١٢٣/٧

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ (٤٤)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فلما نسوا ما ذكروا به » ، فلما تركوا العمل بما أمرناهم به على ألسن رسلنا ،[3] كالذى : —

١٣٢٢٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « فلما نسوا ما ذكروا به » ، يعنى : تركوا ما ذكروا به .

١٣٢٢٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن

---

(١) انظر تفسير « البأس » فيما سلف ٣ : ٣٥٤ ، ٨/٣٥٥ : ٥٨٠ .
(٢) انظر تفسير « قسا » فيما سلف ٢ : ٢٣٣ — ١٠/٢٣٧ : ١٢٦ ، ١٢٧ .
(٣) انظر تفسير « النسيان » فيما سلف ٢ : ٩ ، ٤٧٣ — ٥/٤٨٠ : ٦/١٦٤ : ١٣٢ ، ١٣٣ — ١٠/١٣٥ : ١٢٩ .
= وانظر تفسير « التذكير » فيما سلف ١٠ : ١٣٠ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

ابن جريج قوله : « نسوا ما ذكروا به » ، قال : ما دعاهم الله إليه ورسله ، أبَوْه وردُّوه عليهم .

* * *

= « فتحنا عليهم أبوابَ كل شیء » ، يقول : بدلنا مكان البأساء الرخاء والسعة في العيش ، ومكان الضراء الصحة والسلامة فی الأبدان والأجسام ، استدراجاً منّا لهم ، كالذی :—

١٣٢٢٨ — حدثنی محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى = وحدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل = ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فی قول الله تعالى ذكره : « فتحنا عليهم أبواب كل شیء » ، قال : رخاء الدنيا ويُسْرها ، على القرون الأولى .

١٣٢٢٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « فتحنا عليهم أبواب كل شیء » ، قال : يعنى الرخاء وسعة الرزق .

١٣٢٣٠ — حدثنی محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدی قوله : « فتحنا عليهم أبواب كل شیء » ، يقول : من الرزق .

* * *

فإن قال لنا قائل : وكيف قيل : « فتحنا عليهم أبوابَ كل شیء » ، وقد علمت أن بابَ الرحمة وباب التوبة [لم يفتحا لهم] ، ولم تفتح لهم أبواب أخر غيرهما كثيرة ؟ (١)

قيل : إن معنى ذلك على غير الوجه الذی ظننتَ من معناه ، وإنما معنى ذلك: فتحنا عليهم ، استدراجاً منا لهم ، أبوابَ كل ما كنا سددنا عليهم بابه ، عند أخذنا إياهم بالبأساء والضراء ليتضرعوا ، إذ لم يتضرعوا وتركوا أمر الله تعالى

(١) فی المطبوعة والمخطوطة : « أن باب الرحمة وباب التوبة لم يفتح لهم وأبواب أخر غيره كثيرة » إلا أن المخطوطة ليس فيها إلا « أبواب أخر » بغير واو ، ورجحت أنه سقط من الكلام ما أثبته ، وأن صوابه ما صححت من ضمائره .

ذكره، لأنّ آخرَ هذا الكلام مردودٌ على أوله. وذلك كما قال تعالى ذكره فى موضع آخر من كتابه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ * ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، [سورة الأعراف: ٩٤، ٩٥]، ففتح الله على القوم الذين ذكر فى هذه الآية [أنهم نسوا ما] ذكرهم،[1] بقوله: «فلما نسوا ما ذكّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء»، هو تبديله لهم مكانَ السيئة التى كانوا فيها فى حال امتحانه إياهم، من ضيق العيش إلى الرخاء والسعة، ومن الضر فى الأجسام إلى الصحة والعافية، وهو «فتح أبواب كل شىء» كان أغلق بابه عليهم، مما جرى ذكره قبل قوله: «فتحنا عليهم أبواب كل شىء»، فردّ قوله: «فتحنا عليهم أبواب كل شىء» عليه.

* * *

ويعنى تعالى بقوله: «حتى إذا فرحوا بما أوتوا»، يقول: حتى إذا فرح هؤلاء المكذّبون رسلهم بفتحنا عليهم أبوابَ السَّعة فى المعيشة، والصحة فى الأجسام، كالذى: —

١٣٢٣١ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى: «حتى إذا فرحوا بما أوتوا»، من الرزق.

١٣٢٣٢ — حدثنا الحارث قال، حدثنا القاسم بن سلام قال، سمعت عبد الرحمن بن مهدى يحدّث، عن حماد بن زيد قال: كان رجل يقول: رَحم الله رجلاً تلا هذه الآية، ثم فكر فيها ماذا أريد بها: «حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة».

١٣٢٣٣ — حدثنى الحارث قال، حدثنا القاسم قال، حدثنا ابن أبى رجاء رجل من أهل الثغر، عن عبد الله بن المبارك، عن محمد بن النضر الحارثى فى

(١) هذه الزيادة بين القوسين، يقتضيها السياق.

قوله : « أخذناهم بغتة »، قال : أُمهلوا عشرين سنة .(١)

* * *

ويعنى تعالى ذكره بقوله: « أخذناهم بغتة » ، أتيناهم بالعذاب فجأة ، وهم غارُّون لا يشعرون أن ذلك كائن ، ولا هو بهم حالٌّ ،(٢) كما :—

١٣٢٣٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج، عن ابن جريج : « حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة »، قال : أعجبَ ما كانت إليهم ، وأغَرَّها لهم .(٣)

١٣٢٣٥ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أخذناهم بغتة » ، يقول : أخذهم العذابُ بغتةً .

١٢٤/٧ ١٣٢٣٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ،عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد : « أخذناهم بغتة » ، قال : فجأة آمنين .

* * *

وأما قوله : « فإذا هم مبلسون » ، فإنه هالكون ، منقطعة حججهم ، نادمون على ما سلف منهم من تكذيبهم رسلَهم ، كالذى : —

١٣٢٣٧ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

---

(١) الأثر : ١٣٢٣٣ — « ابن أبى رجاء » ، لم أعرفه . وكان فى المطبوعة : « من أهل الثغر » ، وحذف « رجل » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

و « محمد بن النضر الحارثى » ، أبو عبد الرحمن العابد ، مترجم فى الكبير ١/١/٢٥٢ ، وابن أبى حاتم ٤/١/١١٠ ، وحلية الأولياء ٨ : ٢١٧ ، وصفة الصفوة ٣ : ٩٣ .

وهذا الخبر رواه أبو نعيم فى الحلية ٨ : ٢٢٠ من طريق أبى بكر بن مالك ، عن عبد الله ابن أحمد بن حنبل ، عن أحمد بن إبراهيم ، عن محمد بن منبه ، ابن أخت ابن المبارك ، عن عبد الله بن المبارك .

فأخشى أن يكون « ابن أبى رجاء » هو « محمد بن منبه » ابن أخت بن المبارك . وعسى أن توجد ترجمته « محمد بن منبه » ، فيعرف منها ما نجهل ، ويصحح ما فى المخطوطة أهو « رجل من أهل الشعر » ، أم « من أهل الثغر » ، كما فى المطبوعة .

(٢) انظر تفسير « بغتة » فيما سلف ص : ٣٢٥ .

(٣) فى المطبوعة : « وأعزها لهم » (بالعين والزاى) والصواب « أغرها » ، من « الغرور » و « الغرة » (بالغين والراء المهملة) .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « فإذا هم مبلسون » ، قال : فإذا هم مهلكون ، متغيِّر حالهم .

١٣٢٣٨ — حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا شيخ ، عن مجاهد : « فإذا هم مبلسون » ، قال : الاكتئاب .[١]

١٣٢٣٩ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فإذا هم مبلسون » ، قال : « المبلس » الذى قد نزل به الشرّ الذى لا يدفعه. والمبلس أشد من المستكين ، وقرأ : ﴿ فَمَا ٱسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ ، [سورة المؤمنون : ٧٦]. وكان أول مرة فيه معاتبة وبقيَّة .[٢] وقرأ قول الله: « أخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون » = « فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا » ،حتى بلغ « وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون » ، ثم جاء أمرٌ ليس فيه بقية.[٣] وقرأ: « حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون » ، فجاء أمر ليس فيه بقية .[٣] وكان الأوَّل ، لو أنهم تضرعوا كُشف عنهم .

١٣٢٤٠ — حدثني سعيد بن عمرو السكونى قال، حدثنا بقية بن الوليد ، عن أبى شريح ضبارة بن مالك ، عن أبى الصلت ، عن حرملة أبى عبد الرحمن ، عن عقبة بن مسلم ، عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا رأيت الله يعطى عبدَه فى دنياه، إنما هو استدراج . ثم تلا هذه الآية : « فلما نسوا ما ذُكِّروا به » إلى قوله : « والحمد لله رب العالمين » .[٤]

١٣٢٤١ — وحدث بهذا الحديث عن محمد بن حرب ، عن ابن لهيعة ، عن عقبة

---

(١) فى المطبوعة : « فإذا هم مبلسون قال : فإذا هم مهلكون » ، لا أدرى من أين جاء بهذا . والذى فى المخطوطة هو ما أثبت ، إلا أنه غير منقوط ، فرجحت قراءته كما أثبته . وسيأتى أن معنى « الإبلاس » ، الحزن والندم .

(٢) فى المطبوعة : « معاتبة وتقية » ، ولا معنى لذلك هنا ، وفى المخطوطة : « ولقية » وصواب قراءتها ما أثبت . و « البقية » ، الإبقاء عليهم .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة هنا فى الموضعين « تقية » ، وهو خطأ ، انظر التعليق السالف .

(٤) الأثران : ١٣٢٤٠، ١٣٢٤١ — « سعيد بن عمرو السكونى » ، مضى برقم : ٥٥٦٣، ٦٥٢١ .

ابن مسلم، عن عقبة بن عامر : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا رأيت الله تعالى ذكره يعطى العبادَ ما يسألون على معاصيهم إياه ، فإنما ذلك استدراج منه لهم ! ثم تلا : « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء » الآية . (١)

* * *

وأصل « الإبلاس » في كلام العرب ، عند بعضهم : الحزن على الشيء والندم عليه = وعند بعضهم : انقطاع الحجة ، والسكوت عند انقطاع الحجة = وعند

و « بقية بن الوليد الحمصى » ، مضى مراراً ، أولها رقم : ١٥٢ ، وآخرها : ٩٢٢٤ . وهو ثقة ، ولكنهم نعوا عليه التدليس .

و « ضبارة بن مالك » نسب إلى جده هو « ضبارة بن عبد الله بن مالك بن أبي السليك الحضرمى الألهانى » ، « أبو شريح الحمصى » ، ويقال أيضاً « ضبارة بن أبي السليك » ، ذكره ابن حبان فى الثقات وقال : « يعتبر حديثه من رواية الثقات عنه » . وذكره ابن عدى فى الكامل وساق له ستة أحاديث مناكير . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/٣٤٣ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٤٧١ .

و « أبو الصلت » ، مذكور فى ترجمة « ضبارة » فى التهذيب ، وموصوف بأنه « الشامى » ، ولم أجد له ذكراً فيما بين يدى من كتب التراجم .

وأما « حرملة ، أبو عبد الرحمن » ، فهذا مشكل ، فإن « حرملة بن عمران بن قراد التجيبى المصرى » ، كنيته « أبو حفص » ، لم أجد له كنية غيرها . ولا أستجيز أن يكون ذلك خطأ من ناسخ ، فأخشى أن تكون « أبو عبد الرحمن » ، كنية أخرى له . وهو ثقة ، كان من أولى الألباب . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/٦٤ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٢٧٣ .

و « عقبة بن مسلم التجيبى المصرى » ، إمام المسجد العتيق ، مصرى تابعى ثقة . مترجم فى التهذيب .

و « عقبة بن عامر الجهنى » ، قديم الهجرة والسابقة والصحبة . وكان عالماً فقيهاً فصيح اللسان ، شاعراً ، كاتباً ، وهو أحد من جمع القرآن .

وهذا الخبر سيرويه أبو جعفر بعد من طريق ابن لهيعة ، عن عقبة بن مسلم ، ورواه أحمد فى مسنده ٤ : ١٤٥ ، من طريق يحيى بن غيلان ، عن رشدين بن سعد ، عن حرملة بن عمران ، عن عقبة بن مسلم ، عن عقبة بن عامر ، بمثله .

وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٢٠ ، ونسبه لأحمد والطبرانى ، ولم يذكر فى إسناده شيئاً من صحة أو ضعف .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٣١١ من رواية أحمد ، وأشار إلى طريق ابن جرير ، وابن أبى حاتم .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ١٢ ، وزاد نسبته إلى ابن أبى حاتم ، وابن المنذر ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الشعب .

بعضهم : الخشوع = وقالوا : هو المخذول المتروك ، ومنه قول العجاج :

يَا صَاحِ هَلْ تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ! أعْرِفُهُ ! وَأبْلَسَا ![1]

فتأويل قوله : « وأبلسا » ، عند الذين زعموا أن « الإبلاس » ، انقطاع الحجة والسكوت عنده ، بمعنى أنه لم يُحِرْ جواباً .[2]

وتأوله الآخرون بمعنى الخشوع ، وترك أهله إياه مقيماً بمكانه .

والآخرون بمعنى الحزن والندم .

يقال منه : « أبلس الرجل إبلاساً » ، ومنه قيل : لإبليس « إبليس » .[3]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٤٥)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فقطع دابر القوم الذين ظلموا » ، فاستؤصل القوم الذين عتَوا على ربهم ، وكذّبوا رسله ، وخالفوا أمره ، عن آخرهم ، فلم يترك منهم أحد إلا أهلك بغتةً إذ جاءهم عذاب الله .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٢٤٢ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

---

(١) مضى البيت وتخريجه وتفسيره فيما سلف ١ : ٥٠٩ ، ولم أشر هناك إلى مجيئه فى التفسير فى هذا الموضع ثم فى ٢١ : ١٨ (بولاق) ، وأزيد أنه فى مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٩٢ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٣٣٥ .

(٢) هو الفراء فى معانى القرآن ١ : ٣٣٥ .

(٣) انظر ما قاله أبو جعفر فى تفسير « إبليس » فيما سلف ١ : ٥٠٩ ، ٥١٠ .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « فقطع دابر القوم الذين ظلموا » ، يقول : قُطع أصل الذين ظلموا .

١٣٢٤٣ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فقطع دابر القوم الذين ظلموا » ، قال : استؤصلوا .

* * *

و « دابر القوم » ، الذى يدبُرهم ، وهو الذى يكون فى أدبارهم وآخرهم . يقال فى الكلام : « قد دَبَرَ القومَ فلانٌ يدبُرُهم دَبْراً ودبوراً » ، إذا كان آخرهم ، ومنه قول أمية :

فَأُهْلِكُوا بِعَذَابٍ حَصَّ دَابِرَهُمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ صَرْفاً وَلاَ انْتَصَرُوا[1]

* * *

=« والحمد لله رب العالمين » ، يقول : والثناء الكامل والشكر التام = « لله رب العالمين » ، على إنعامه على رسله وأهل طاعته ،[2] بإظهار حججهم على من خالفهم من أهل الكفر ، وتحقيق عِدَاتِهم ما وَعدوهم على كفرهم بالله وتكذيبهم رسله[3] = من نقم الله وعاجل عذابه .[4]

١٢٥/٧

* * *

(١) ديوانه : ٣٢ ، من أبيات يحكى فيها صفة الموقف فى يوم الحشر . يقال : « حص الشعر » ، إذا حلقه ، لم يبق منه شيئاً .

(٢) انظر تفسير « الحمد » ، و « رب العالمين » فيما سلف فى سورة الفاتحة .

(٣) فى المطبوعة : « وتحقيق عدتهم ما وعدهم » ، وفى المخطوطة : « عداتهم ما وعدهم » ، وصواب قراءة ذلك كله ما أثبته .

(٤) السياق : « ... ما وعدوهم ... من نقم الله وعاجل عذابه » .

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ (٤٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يامحمد، لهؤلاء العادلين بى الأوثانَ والأصنامَ ، المكذبين بك : أرأيتم ، أيها المشركون بالله غيرَه ، إن أصمَّكم الله فذهب بأسماعكم ، وأعماكم فذهب بأبصاركم ، وختم على قلوبكم فطبع عليها ، حتى لا تفقهوا قولاً ، ولاتبصروا حجة ، ولا تفهموا مفهوماً ، [1] أىّ إله غير الله الذي له عبادة كل عابد = « يأتيكم به »، يقول : يرد عليكم ما ذهب الله به منكم من الأسماع والأبصار والأفهام ، فتعبدوه أو تشركوه فى عبادة ربكم الذى يقدر على ذهابه بذلك منكم ، وعلى ردّه عليكم إذا شاء ؟

وهذا من الله تعالى ذكره ، تعليم نبيِّه الحجة على المشركين به ، يقول له : قل لهم : إن الذين تعبدونهم من دون الله لا يملكون لكم ضرًّا ولا نفعاً ، وإنما يستحق العبادةَ عليكم من كان بيده الضر والنفع ، والقبض والبسط ، القادرُ على كل ما أراد ، لا العاجز الذى لا يقدر على شيء .

ثم قال تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « انظر كيف نصرف الآيات » ، يقول : انظر كيف نتابع عليهم الحجج ، ونضرب لهم الأمثال والعبر ، ليعتبروا ويذكروا فينيبوا ، [2] = « ثم هم يصدفون » ، يقول : ثم هم مع متابعتنا عليهم الحجج ، وتنبيهنا إياهم بالعبر ، عن الادّكار والاعتبار يُعْرِضون .

* * *

(١) انظر تفسير « الختم على القلب » فيما سلف ١ : ٢٥٨ - ٢٦٢ .
(٢) انظر تفسير « التصريف » فيما سلف ٣ : ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

يقال منه : « صدف فلانٌ عني بوجهه ، فهو يصدِفُ صُدوفاً وصَدفاً » ، أي : عدل وأعرض ، ومنه قول ابن الرقاع :

إذَا ذَكَرْنَ حَدِيثاً قُلْنَ أَحْسَنَهُ ، وَهُنَّ عَنْ كُلِّ سُوءٍ يُتَّقَى صُدُفُ(1)

وقال لبيد :

يُرْوِى قَوامِحَ قَبْلَ اللَّيْلِ صَادِقَةً أَشْبَاهَ جِنٍّ ، عَلَيْهَا الرَّيْطُ وَالأُزُرُ(2)

* * *

فإن قال قائل : وكيف قيل : « من إله غير الله يأتيكم به » ، فوحّد « الهاء » ،

---

(1) لم أجد البيت ، ولم أعرف مكان القصيدة .

(2) ديوانه ، القصيدة رقم : ١٢ ، البيت : ٢٢ . وهذا البيت من أبيات أحسن فيها الثناء على نفسه ، وقبله :

ولا أَقُولُ إذا ما أزْمَةٌ أَزَمَتْ يَا وَيْحَ نَفْسِىَ مِمَّا أَحْدَثَ القَدَرُ

ولا أضِلُّ بأَصْحَابٍ هَدَيْتُهُمُ إِذَا الْمُعَبَّدُ فِي الظَّلْمَاءِ يَنْتَشِرُ

وأُرْبِحُ التَّجْرَ ، إنْ عَزَّتْ فِضَالُهُمُ حَتَّى يَعُودَ سَلِيماً حَوْلَهُ نَفَرُ

غَرْبُ الْمَصَبَّةِ ، مَحْمُودٌ مَصَارِعُهُ لاَهِى النَّهَارِ ، أَسِيرُ الليل ، مُحْتَقَرُ

يُرْوِى قَوَامِحَ . . . . .

إِنْ يُتْلِفُوا يُخْلِفُوا فِى كُلِّ مَنْفَضَةٍ مَا أَتْلَفُوا لاِبْتِغَاءِ الْحَمْدِ أَوْ عَقَرُوا

« المعبد » : الطريق الموطوء ، يقول : إذا انتشر الطريق المعبد ، فصار طرقاً مختلفة ، اهتديت إلى قصده ولزمته ، فلم أضل . و « التجر » باعة الخمر ، و « الفضال » بقايا الخمر فى الباطية والدن . و « عزت » : قلت وغلت . يقول : اشترى الخمر بالثمن الغالى إذا عزت ، ثم أسق أصحابى حتى يصرعوا حول الزق ، كأنهم يعودون سليما ملدوغاً . وقوله : « غرب المصبة » ، يصف « الزق » ، يقول : يكثر ما يصبه من خمر ، وإذا صرع شارباً ، كانت صرعته محمودة الأثر ، محمودة العاقبة . وقوله : « لا هى النهار » ، يعنى أنه لا يمس بها ، فإذا جاء الليل أخذوه كالأسير بينهم ، ومحتقر ، لأنه يدفع من هنا ومن هنا . وقوله : « يروى قوامح » ، يعنى الزق ، يبلغ بهم الرى ، و « القوامح » : التى كرهت الشراب وعافته . يقول : كانوا يكرهون الشراب نهاراً فيصدفون عنه ، فإذا أقبل الليل أقبل على أشباه جن من النشاط والإقبال ، عليهم الريط والأزر ، يعنى أنهم أهل ترف ونعمة إذا جاء الليل ، وسمروا ، وشربوا .

وقد مضى الذكر قبلُ بالجمع فقال : « أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم » ؟

قيل : جائز أن تكون « الهاء » عائدة على « السمع » ، فتكون موحّدة لتوحيد « السمع » = وجائز أن تكون معنيًّا بها : من إله غير الله يأتيكم بما أخذ منكم من السمع والأبصار والأفئدة، فتكون موحدة لتوحيد « ما » . والعرب تفعل ذلك ، إذا كنتْ عن الأفعال وحّدت الكناية، وإن كثُر ما يكنى بها عنه من الأفاعيل ، كقولهم : « إقبالك وإدبارك يعجبني » . [1]

* * *

وقد قيل إن « الهاء » التي في « به » كناية عن « الهدى » . [2]

* * *

وبنحو ما قلنا في تأويل قوله : « يصدفون » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٢٤٤ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: « يصدفون » ، قال : يعرضون.

١٣٢٤٥ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٣٢٤٦ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله : « يصدفون » ، قال : يعدلون .

١٣٢٤٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « تصرف الآيات ثم هم يصدفون » ، قال : يعرضون عنها .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٣٣٥ .

(٢) وهذا أيضاً ذكره الفراء في معاني القرآن ١ : ٣٣٥

١٣٢٤٨ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ثم هم يصدفون » ، قال : يصدُّون .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (٤٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثانَ ، المكذبين بأنك لى رسول إليهم : أخبرونى [1] = « إن أتاكم عذاب الله » ، وعقابه على ما تشركون به ما تشركون من الأوثان والأنداد ، وتكذيبكم إيایَ بعد الذى قد عاينتم من البرهان على حقيقة قولى = « بغتة »، يقول : فجأة على غرة لا تشعرون [2] = « أو جهرة »، يقول : أو أتاكم عذاب الله وأنتم تعاينونه وتنظرون إليه = « هل يهلك إلا القوم الظالمون » ، يقول : هل يهلك الله منا ومنكم إلا من كان يعبد غير من يستحق علينا العبادة ، ويترك عبادة من يستحق علينا العبادة ؟

١٢٦/٧

* *

وقد بينا معنى «الجهرة» فى غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته ، وأنها من « الإجهار » ، وهو إظهار الشىء للعين ، [3] كما : -

١٣٢٤٩ - حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « جهرة »، قال : وهم ينظرون .

١٣٢٥٠ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن

(١) انظر تفسير « أرأيتكم » فيما سلف قريباً ص : ٣٥١ - ٣٥٣ .
(٢) انظر تفسير « بغتة » فيما سلف : ٣٢٥ ، ٣٦٠
(٣) انظر تفسير « الجهرة » فيما سلف ٢ : ٨٠/٩ : ٣٥٨ .

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة » ، فجأة آمنين = « أو جهرة » ، وهم ينظرون .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٤٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وما نرسل رسلنا إلاّ ببشارة أهل الطاعة لنا بالجنة والفوز المبين يوم القيامة، جزاءً منّا لهم على طاعتنا [1] = وبإنذار من عصانا وخالف أمرنا ، عقوبتنا إياه على معصيتنا يوم القيامة ، جزاءً منا على معصيتنا ، لنعذر إليهم فيهلك إن هلك عن بينة [2] = « فمن آمن وأصلح » ، يقول : فمن صدّق من أرسلنا إليه من رسلنا إنذارهم إياه ، وقبل منهم ما جاؤوه به من عند الله، وعمل صالحاً فى الدنيا = « فلا خوف عليهم » ، عند قدومهم على ربهم ، من عقابه وعذابه الذى أعدّه الله لأعدائه وأهل معاصيه = « ولا هم يحزنون » ، عند ذلك على ما خلّفوا وراءهم فى الدنيا . [3]

* * *

(١) انظر تفسير « التبشير » فيما سلف ٩ : ٣١٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « النذير » فيما سلف ١٠ : ١٥٨ .
(٣) انظر تفسير نظيرة هذه الآية فيما سلف ١ : ٥٥١/٢ : ١٠٠ ، ٥١٢ ، ٥١٣/٥ : ٥١٩/٧ : ٣٩٦ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ (٤٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأما الذين كذَّبوا بمن أرسلنا إليه من رسلنا ، وخالفوا أمرنا ونهينا ، ودافعوا حجتنا ، فإنهم يباشرهم عذابُنا وعقابنا ، على تكذيبهم ما كذبوا به من حججنا[1] = « بما كانوا يفسقون » ، يقول : بما كانوا يكذّبون .

* * *

وكان ابن زيد يقول : كل « فسق» فى القرآن ، فمعناه الكذب .[2]

١٣٢٥١ — حدثنى بذلك يونس قال ، أخبرنا ابن وهب ، عنه .[3]

* * *

---

(١) انظر تفسير « المس » فيما سلف ص : ٢٨٧ ، تعليق : ١ ؛ والمراجع هناك .

(٢) انظر ما سلف قريباً ص : ٢٠٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك . وانظر أيضاً الأثران رقم : ١٢١٠٣ ، ١٢٩٨٣ .

(٣) عند هذا الموضع ، انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت عنه نسختنا ، وفيها ما نصه :

« يتلوه القولُ فى تأويل قوله

﴿ قُلْ لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِى خَزَائِنُ اللهِ وَلاَ أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الأَعْمَى والبَصِيرُ أَفَلاَ تتفكَّرُونَ ﴾

وَصَلَّى اللهُ على محمد النبى وآله وسلم كثيراً »

ثم يتلوه ما نصه :

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ أَعِنْ »

القول فى تأويل قوله ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٥٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قل لهؤلاء المنكرين نبوّتك: لستُ أقول لكم إنىّ الرب الذى له خزائنُ السموات والأرض ، فأعلم غيوب الأشياء الخفية التى لا يعلمها إلا الرب الذى لا يخفى عليه شىء،[1] فتكذبونى فيما أقول من ذلك ، لأنه لا ينبغى أن يكون ربًّا إلا من له ملك كل شىء ، وبيده كل شىء ، ومن لا يخفى عليه خافية ، وذلك هو الله الذى لا إله غيره = «ولا أقول لكم إنى ملك»، لأنه لا ينبغى للملك أن يكون ظاهراً بصورته لأبصار البشر فى الدنيا ، فتجحدوا ما أقول لكم من ذلك[2] = «إن أتبع إلاّ ما يوحى إلىّ» ، يقول : قل لهم : ما أتبع فيما أقول لكم وأدعوكم إليه ، إلاّ وحى الله الذى يوحيه إلىّ ، وتنزيله الذى ينزله علىّ ،[3] فأمضى لوحيه وأئتمر لأمره ،[4] وقد أتيتكم بالحجج القاطعة من الله عذركم على صحة قولى فى ذلك ، وليس الذى أقول من ذلك بمنكر فى عقولكم ولا مستحيل كونه ، بل ذلك مع وجود البرهان على حقيقته هو الحكمة البالغة ، فما وجه إنكاركم ذلك ؟

وذلك تنبيه من الله تعالى ذكره نبيَّه صلى الله عليه وسلم على موضع حُجته على منكرى نبوّته من مشركى قومه .

= «قل هل يستوى الأعمى والبصير» ، يقول تعالى ذكره : قل ، يا محمد ،

---

(١) انظر تفسير «الغيب» فيما سلف : ٢٣٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير «ملك» فيما سلف ١ : ٤٤٤ — ٤/٤٤٧ : ٢٦٢ ، ٢٦٣ .
(٣) انظر تفسير «الوحى» فيما سلف : ٢٩٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٤) فى المطبوعة : «وأمر لأمره» ، والصواب من المخطوطة ، ولم يحسن قراءتها .

لهم : هل يستوى الأعمى عن الحق ، والبصير به = « والأعمى » ، هو الكافر الذى قد عَمِى عن حجج الله فلا يتبيَّنها فيتبعها = « والبصير » ، المؤمن الذى قد أبصرَ آيات الله وحججه ، فاقتدى بها واستضاء بضيائها [1] = « أفلا تتفكرون » ، يقول لهؤلاء الذين كذبوا بآيات الله : أفلا تتفكرون فيما أحتجّ عليكم به ، أيها القوم ، من هذه الحجج ، فتعلموا صحة ما أقول وأدعوكم إليه ، من فساد ما أنتم عليه مقيمون من إشراك الأوثان والأنداد بالله ربّكم ، وتكذيبكم إياى مع ظهور حجج صدقى لأعينكم ، فتدعوا ما أنتم عليه من الكفر مقيمون ، إلى ما أدعوكم إليه من الإيمان الذى به تفوزون ؟[2]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٢٥٢ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره : « قل هل يستوى الأعمى والبصير » ، قال : الضال والمهتدى .

١٢٧/٧

١٣٢٥٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٣٢٥٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله : « قل هل يستوى الأعمى والبصير » ، الآية ، قال : « الأعمى » ، الكافر الذى قد عمى عن حق الله وأمره ونعمه عليه = و « البصير » ، العبد المؤمن الذى أبصر بصراً نافعاً ، فوحّد الله وحده ، وعمل بطاعة ربه ، وانتفع بما آتاه الله .

* * *

(١) انظر تفسير « الأعمى » و « البصير » فيما سلف فهارس اللغة (عمى) ، (بصر) .
(٢) فى المخطوطة : « تعودون » ، والجيد ما فى المطبوعة .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (٥١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وأنذر ، يا محمد ، بالقرآن الذى أنزلناه إليك ، القومَ الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ، علماً منهم بأن ذلك كائن ، فهم مصدقون بوعد الله ووعيده ، عاملون بما يرضى الله ، دائبون فى السعى،[1] فيما ينقذهم فى معادهم من عذاب الله[2] = « ليس لهم من دونه ولىّ » ، أى ليس لهم من عذاب الله إن عذبهم = ، « ولىّ »، ينصرهم فيستنقذهم منه[3] = « ولا شفيع » ، يشفع لهم عند الله تعالى ذكره فيخلصهم من عقابه[4] = « لعلهم يتقون » ، يقول : أنذرهم كى يتقوا الله فى أنفسهم ، فيطيعوا ربهم ، ويعملوا لمعادهم ، ويحذروا سَخطه باجتناب معاصيه .

* * *

وقيل : « وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا » ، ومعناه ، يعلمون أنهم يحشرون ، فوضعت « المخافة » موضع « العلم » ،[5] لأنّ خوفهم كان من أجل علمهم بوقوع ذلك ووجوده من غير شك منهم فى ذلك .[6]

* * *

(١) فى المطبوعة : « دائمون فى السعى » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « الإنذار » فيما سلف : ٢٩٠ ، ٣٦٩
= وتفسير « الحشر » فيما سلف ص : ٣٤٦ — ٣٤٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « ولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

(٤) انظر تفسير « شفيع » فيما سلف ٨ : ٥٨٠ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٥) انظر تفسير « الخوف » فيما سلف ٤ : ٨/٥٥٠ : ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٩/٣١٨ : ١٢٣ ، ٢٦٧ .

(٦) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٣٦ .

وهذا أمرٌ من الله تعالى ذكره نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم بتعليم أصحابه ما أنزل الله إليه من وحيه ، وتذكيرهم ، والإقبال عليهم بالإنذار = وصدٌّ عنه المشركون به ، [1] بعد الإعذار إليهم ، وبعد إقامة الحجة عليهم ، حتى يكون الله هو الحاكم فى أمرهم بما يشاء من الحكم فيهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (٥٢)

قال أبو جعفر : ذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فى سبب جماعة من ضعفاء المسلمين ، قال المشركون له : لو طردت هؤلاء عنك لغشيناك وحضرنا مجلسك !

• ذكر الرواية بذلك :

١٣٢٥٥ — حدثنا هناد بن السرى قال ، حدثنا أبو زبيد ، عن أشعث ، عن كردوس الثعلبى ، عن ابن مسعود قال : مرَّ الملأ من قريش بالنبىّ صلى الله عليه وسلم ، وعنده صهيب وعمار وبلال وخبّاب ، ونحوهم من ضعفاء المسلمين ، فقالوا : يا محمد ، رضيت بهؤلاء من قومك ؟ أهؤلاء الذين منّ الله عليهم من بيننا ؟ أنحن نكون تبعاً لهؤلاء ؟ اطردهم عنك ! فلعلك إن طردتهم أن نتّبعك ! فنزلت

(١) فى المطبوعة : « وصده عن المشركين به » ، غير ما فى المخطوطة فأفسد الكلام إفساداً لا يحل .

هذه الآية : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه » = « وكذلك فتنا بعضهم ببعض » ، إلى آخر الآية .(١)

١٣٢٥٦ — . . . . . حدثنا جرير ، عن أشعث ، عن كردوس الثعلبي ، عن عبد الله قال : مرّ الملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نحوه .(٢)

١٣٢٥٧ — حدثني أبو السائب قال ، حدثنا حفص بن غياث ، عن أشعث ، عن كردوس بن عباس قال : مرّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ملأ من قريش ، ثم ذكره نحوه .(٣)

---

(١) الأثر : ١٣٢٥٥ — « أبو زبيد » هو : « عبثر بن القاسم الزبيدي » ، ثقة ، مضى برقم : ١٢٣٣٦ ، ١٢٤٠٢ ، وكان في المطبوعة « أبو زيد » خالف المخطوطة وأخطأ .

و « أشعث » ، هو : « أشعث بن سوار » ، ثقة ، مضى مراراً .

و « كردوس الثعلبي » ، هو « كردوس بن العباس الثعلبي » ، تابعي ثقة ، مترجم في التهذيب ، والكبير ٢٤٢/١/٤ ، ٢٤٣ ، وابن أبي حاتم ١٧٥/٢/٣ ، وفيها الاختلاف في اسم أبيه ، وفي نسبته « التغلبي » بالتاء والغين ، و « الثعلبي » ، كما جاءت في رواية أبي جعفر .

وهذا الخبر رواه أبو جعفر بثلاثة أسانيد ، هذا واللذان يليانه . . .

وأخرجه أحمد في مسنده رقم : ٣٩٨٥ ، من طريق أسباط ، عن أشعث ، عن كردوس ، عن ابن مسعود ، بمثله مختصراً .

وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ، وقال : « رواه أحمد والطبراني = وذكر زيادة الطبراني ، وهي موافقة لما في التفسير = ورجال أحمد رجال الصحيح ، غير كردوس ، وهو ثقة » .

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ١٢ ، وزاد نسبته لابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، وأبي نعيم في الحلية .

(٢) الأثر : ١٣٢٥٦ — وضعت نقطاً في صدر هذا الإسناد ، فإن أبا جعفر لا يدرك أن يروي عن « جرير بن عبد الحميد الضبي » ، وإنما يروي عنه شيوخه ، مثل « محمد بن حميد الرازي » ، كما في الأثر رقم : ١٠ ، وغيره .

(٣) الأثر : ١٣٢٥٧ — في المطبوعة والمخطوطة : « عن كردوس ، عن ابن عباس » وهو خطأ لاشك فيه ، فإن هذا الخبر لم يرو عن غير ابن مسعود ، وكردوس لم يذكر أنه روى عن ابن عباس ، والخبر لم ينسبه أحد في الكتب إلى غير عبد الله بن مسعود ، وكردوس ، هو « كردوس ابن عباس الثعلبي » كما سلف في التعليق رقم : ١٣٢٥٥ ، وفي المخطوطة كتب « عن » بين « كردوس بن عباس » ، من فوق ، فكأنه زيادة من الناسخ .

وهذا الخبر رواه أبو جعفر ، غير مرفوع إلى عبد الله بن مسعود ، فلا أدري أوهم الناسخ وأسقط ، أم هكذا الرواية .

١٣٢٥٨ — حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزى قال، حدثنا أبى قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، عن أبى سعيد الأزدى = وكان قارئ الأزد = ، عن أبى الكنود ، عن خبّاب فى قول الله تعالى ذكره : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشىّ يريدون وجهه » إلى قوله : « فتكون من الظالمين » ، قال : جاء الأقرع بن حابس التميمى ، وعيينة بن حصن الفزارىّ ، فوجدوا النبىّ صلى الله عليه وسلم قاعداً مع بلال وصهيب وعمار وخباب ، فى أناس من الضعفاء من المؤمنين .(1) فلما رأوهم حوله حقّروهم ، فأتوه فقالوا : إنا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا العرب به فضلنا ، فإنّ وفود العرب تأتيك فنستحيى أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبُد ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا ، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت ! قال : نعم ! قالوا : فاكتب لنا عليك بذلك كتاباً . قال : فدعا بالصحيفة ، ودعا عليًّا ليكتب . قال : ونحن قعود فى ناحية ، إذ نزل جبريل بهذه الآية : « ولا تطرد الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشىّ يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين » ، ثم قال : « وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين » ، ثم قال : « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة » ، فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفةَ من يده ، ثم دعانا فأتيناه وهو يقول : « سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة » ! فكنا نقعد معه ، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ ، [سورة الكهف : ٢٨] . قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد ،

١٢٨/٧

---

(١) فى المطبوعة : « من ضعفاء المؤمنين » ، غير ما فى المخطوطة .

فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها، قمنا وتركناه حتى يقوم . (١)

١٣٢٥٩ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل ، قال حدثنا أسباط ، عن السدي ، عن أبي سعيد الأزدي ، عن أبي الكنود ، عن خباب ابن الأرت = بنحو حديث الحسين بن عمرو ، إلا أنه قال في حديثه : فلما رأوهم حوله نفّروهم ، فأتوه فخلّوا به . وقال أيضاً : « فتكون من الظالمين » ، ثم ذكر الأقرع وصاحبه فقال : « وكذلك فتنا بعضهم ببعض » الآية . وقال أيضاً : فدعانا فأتيناه وهو يقول : « سلام عليكم » ، فدنونا منه يومئذ حتى وضعنا ركبنا على ركبتيه = وسائر الحديث نحوه . (٢)

---

(١) الأثر : ١٣٢٥٨ — « الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي » ، ضعيف لين ، مضى برقم : ١٦٢٥ ، ١٨٨٣ ، ٦١٣٩ ، ٨٠٣٥ .

وأبوه « عمرو بن محمد العنقزي » ، ثقة جائز الحديث ، مضى برقم : ٦١٣٩ .

و « أسباط » ، هو « أسباط بن نصر الهمداني » ، ضعفه أحمد ، ورجح أخي توثيقه ، كما مضى في التعليق على الأثر رقم : ١٦٨ .

وأما « السدي » ، فهو « إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي » ، وهو ثقة ، مضى أيضاً برقم : ١٦٨ .

و « أبو سعد الأزدي » ، قارئ الأزد ، فهو « أبو سعد الأرحبي » ، أو « أبو سعيد الأرحبي » ، كما سيأتي في الأثر التالي ، ذكره ابن حبان في الثقات ، مضى برقم : ٨٧٠٠ ، وكان في المطبوعة هنا « أبو سعيد » ، وأثبت ما في المخطوطة .

و « أبو الكنود الأزدي » ، مختلف في اسمه ، قيل « عبد الله بن عامر » ، وقيل « عبد الله ابن عمران » ، وغير ذلك . ذكره ابن حبان في الثقات ، ولم يرو له غير ابن ماجة من أصحاب الكتب الستة ، روى له هذا الخبر نفسه . مترجم في التهذيب .

وهذا الخبر رواه ابن ماجة من هذه الطريق نفسها ، مع زيادة يسيرة في لفظه ، في سننه ص ١٣٨٢ ، رقم : ٤١٢٧ . وقال في الزوائد : « إسناده صحيح ، ورجاله ثقات ، وقد روى مسلم ، والنسائي ، والمصنف بعضه من حديث سعد بن أبي وقاص » .

وأما ابن كثير ، فقد قال في تفسيره ، وذكر الخبر من تفسير ابن أبي حاتم من هذه الطريق نفسها (٣ : ٣١٥ ، ٣١٦) : « وهذا حديث غريب ، فإن هذه الآية مكية ، والأقرع بن حابس ، وعيينة ، إنما أسلما بعد الهجرة بدهر » . وهذا هو الحق إن شاء الله .

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ١٣ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وأبي يعلى ، وأبي نعيم في الحلية ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل .

(٢) الأثر : ١٣٢٥٩ — « أبو سعيد الأزدي » ، هو « أبو سعيد الأرحبي » ، وهو الذي

١٣٢٦٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة = وحدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والكلبي : أنّ ناساً من كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إن سرّك أن نتبعك ، فاطرد عنا فلاناً وفلاناً ، ناساً من ضعفاء المسلمين ! فقال الله تعالى ذكره : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه » .

١٣٢٦١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم الغداة والعشيّ » إلى قوله : « وكذلك فتنا بعضهم ببعض » الآية ، قال : وقد قال قائلون من الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، إن سرك أن نتبعك فاطرد عنا فلاناً وفلاناً = لأناس كانوا دونهم في الدنيا ، ازدراهم المشركون ، فأنزل الله تعالى ذكره هذه الآية إلى آخرها .

١٣٢٦٢ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي » ، بلال وابن أم عبد ، كانا يجالسان محمداً صلى الله عليه وسلم ، فقالت قريش محقِّرتهما : لولاهما وأمثالهما لجالسناه ! فنُهي عن طردهم ، حتى قوله : « أليس الله بأعلم بالشاكرين » ، قال : « قل سلام عليكم » ، فيما بين ذلك ، في هذا .

١٣٢٦٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا سفيان ، عن المقدام بن شريح ، عن أبيه قال ، قال سعد : نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، منهم ابن مسعود ، قال : كنا نسبق إلى النبي صلى الله عليه وسلم وندنو منه ونسمع منه ، فقالت قريش : يدني هؤلاء دوننا ! فنزلت : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي » .[1]

سلف في الأثر السابق ، وهو « أبو سعد » هناك ، ولكنه هنا « أبو سعيد » ، وكلاهما صواب كما أسلفت .

(١) الأثر : ١٣٢٦٣ — « سفيان » ، هو الثوري

« المقدام بن شريح بن هانيء بن يزيد الحارثي » . ثقة . مترجم في التهذيب .

١٣٢٦٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة فى قوله : « وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم » الآية ، قال: جاء عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، ومطعم بن عدىّ، والحارث ابن نوفل ، وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل ، فى أشراف من بنى عبد مناف من الكفار ، إلى أبى طالب فقالوا : يا أبا طالب ، لو أن ابن أخيك يطرد عنه موالينا وحلفاءنا ، فإنما هم عبيدنا وعُسَفاؤنا ، [1] كان أعظم فى صدورنا ، وأطوع له عندنا ، وأدنى لاتّباعنا إياه ، وتصديقنا له ! قال : فأتى أبو طالب النبى صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذى كلموه به ، فقال عمر بن الخطاب : لو فعلتَ ذلك ، حتى تنظر ما الذى يريدون ، وإلام يصيرون من قولهم ؟ فأنزل الله تعالى ذكره هذه الآية : « وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون ۞ ولا تطرد الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشىّ يريدون وجهه » إلى قوله : « أليس الله بأعلم بالشاكرين » ، قال : وكانوا : بلال، وعمارُ ابن ياسر ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وصبيح مولى أسيد= [2] ومن الحلفاء : ابن

وأبوه « شريح بن هانىء بن يزيد الحارثى » ، أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وروى عن أبيه ، وعمر ، وعلى ، وبلال ، وسعد ، وأبى هريرة ، ذكره ابن سعد فى الطبقة الأولى من تابعى أهل الكوفة . مترجم فى التهذيب .

و « سعد » هو « سعد بن أبى وقاص » ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « سعيد » ، وهو خطأ .

وهذا الخبر رواه مسلم فى صحيحه ١٥ : ١٨٧ من طريقين ، من طريق سفيان ، عن المقدام ابن شريح = وعن طريق إسرائيل ، عن المقدام .

ورواه ابن ماجة فى سننه ص ١٣٨٣ رقم : ٤١٢٨ ، من طريق قيس بن الربيع ، عن المقدام بن شريح ، بمثله ، بغير هذا اللفظ .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ١٣ ، وزاد نسبته لأحمد ، والفريابى ، وعبد بن حميد ، والنسائى ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وابن حبان ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه ، والحاكم ، وأبو نعيم فى الحلية ، والبيهقى فى الدلائل .

(١) « العسفاء » جمع « عسيف » ، وهو العبد ، والأجير المستهان به .

(٢) فى المطبوعة : « وكانوا بلالا . . . وسالما . . . وصبيحا » ، بالنصب ، كما فى الدر

١٢٩/٧

مسعود ، والمقداد بن عمرو ، ومسعود بن القاريّ ، وواقد بن عبد الله الحنظلي ، وعمرو بن عبد عمرو ذو الشمالين ، ومرثد بن أبي مرثد = وأبو مرثد ، من غنيّ ، حليفُ حمزة بن عبد المطلب = وأشباههم من الحلفاء . ونزلت فى أئمة الكفر من قريش والموالى والحلفاء : « وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا » الآية . فلما نزلت ، أقبل عمر بن الخطاب فاعتذر من مقالته ، فأنزل الله تعالى ذكره : « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم » ، الآية .[1]

١٣٢٦٥ — حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد ، قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : إنى أستحيي من الله أن يرانى مع سلمان وبلال وذَوِيهم ،[2] فاطردهم عنك ، وجالس فلاناً وفلاناً ! قال فنزل القرآن : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه » فقرأ ، حتى بلغ : « فتكون من الظالمين » ، ما بينك وبين أن تكون من الظالمين إلاّ أن تطردهم . ثم قال : « وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين » . ثم قال : وهؤلاء الذين أمروك أن تطردهم ، فأبلغهم منّى السلام ، وبشرهم وأخبرهم أنى قد غفرت لهم ! وقرأ : « وإذا جاءك الذين يؤمنون

المنثور ، وابن كثير ، ولكن الذى فى المخطوطة هو الصواب الجيد . هذا إن صح أن هذه الرواية هى الصواب ، وإلا فإنى وجدت فى الإصابة ، فى ترجمة « صبيح » هذا وفيه : « عن حجاج ، عن ابن جريج ، وفيه : كانوا ثلاثة ، عمار بن ياسر ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وصبيح » . فإن صح هذا ، كان خطأ قوله « بلال » ، وإنما صوابه « ثلاثة » ، ولكننى لا أستطيع أن أرجح ذلك الآن .

(١) الأثر : ١٣٢٦٤ — « مسعود بن القارى » ، هو « مسعود بن ربيعة بن عمرو القارى » ، نسبة إلى « القارة » ، وهو حليف بنى زهرة .

و « واقد بن عبد الله الحنظلى التميمى » ، حليف بنى عدى بن كعب .

و « عمرو بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعى » ، « ذو الشمالين » ، حليف بنى زهرة . وقد روى أن عماراً قال : « كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة كلهم أضبط : ذو الشمالين ، وعمر ابن الخطاب ، وأبو ليلى » ، و « الأضبط » : الذى يعمل بيديه جميعاً .

(٢) قوله : « وذويهم » يعنى : أصحابهم وأشباههم ، وقد أسلفت فى الجزء ٣ : ٢٦١ ، تعليق : ٢ ، أن للنحاة كلاماً كثيراً ، ودعوى أن إضافة « ذو » إلى الضمير ، يكون فى ضرورة الشعر ، وقلت إنه أتى فى النثر قديماً ، وهذا الخبر من أدلة ما قلت .

بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة » ، فقرأ حتى بلغ : « وكذلك تفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين » ، قال : لتعرفها .

* * *

واختلف أهل التأويل فى الدعاء الذى كان هؤلاء الرَّهط ، الذين نهى الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم عن طردهم ، يدعون ربَّهم به .

فقال بعضهم : هى الصلوات الخمس .[1]

* ذكر من قال ذلك :

١٣٢٦٦ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : «ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشىّ» ، يعنى : يعبدون ربّهم = «بالغداة والعشىّ» ، يعنى : الصلاة المكتوبة .

١٣٢٦٧ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ، عن أبى حمزة ، عن إبراهيم فى قوله : « يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه » ، قال : هى الصلوات الخمس الفرائض . ولو كان ما يقول القُصَّاص ،[2] هلك من لم يجلس إليهم .

١٣٢٦٨ — حدثنا هناد بن السرى وابن وكيع قالا ، حدثنا ابن فضيل ،

---

(١) فى المطبوعة : « الصلوات المكتوبة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) كان فى المطبوعة والمخطوطة : « ولو كان يقول القصاص » بإسقاط « ما » وهو خطأ . « القصاص » جمع « قاص » ، وهو الذى يتصدر فى مسجد أو غيره ، ثم يأخذ يعظ الناس ، ويذكرهم بأخبار الماضين ، فربما دخل قصصه الزيادة والنقصان ، ولذلك جاء فى الحديث : « القاص ينتظر المقت » . وفى الحديث : « إن بنى إسرائيل لما قصوا هلكوا » ، يعنى : لما تزيدوا فى الخبر والحديث وكذبوا ، وهذا من شر الفعل ، ولكن ما دخلت فيه بنو إسرائيل فعذبهم الله وأهلكهم به ، دخلناه نحن سعياً ، فعاقبنا الله بشتات أمرنا ، وضعف علمائنا ، وذهاب هيبتنا من صدور أعدائنا . فاللهم اهدنا سواء سبيلك .

ثم انظر الأثر التالى رقم : ١٣٢٧٠ ، والأثر : ١٣٢٧٧ ، ١٣٢٨٢

عن الأعمش ، عن إبراهيم : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه » ، قال : هي الصلاة .

١٣٢٦٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي » ، الصلاة المفروضة ، الصبح والعصر .

١٣٢٧٠ — حدثني محمد بن موسى بن عبد الرحمن الكندي قال ، حدثنا حسين الجعفي قال ، أخبرني حمزة بن المغيرة ، عن حمزة بن عيسى قال : دخلت على الحسن فسألته فقلت : يا أبا سعيد ، أرأيت قول الله : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ ، [سورة الكهف : ٢٨] ، أهم هؤلاء القُصّاص ؟ قال : لا ، ولكنهم المحافظون على الصلوات في الجماعة .[1]

١٣٢٧١ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى = وحدثني الحارث قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا ورقاء = جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي » ، قال : الصلاة المكتوبة .

١٣٢٧٢ — حُدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « يدعون ربهم بالغداة والعشي » ، قال : يعبدون ربّهم = « بالغداة والعشي » ، يعني الصلاة المفروضة . ١٢٠/٧

١٣٢٧٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن

---

(١) الأثر : ١٣٢٧٠ — « محمد بن موسى بن عبد الرحمن الكندي » ، شيخ الطبري ، لم أجد له ذكراً . وكان في المطبوعة هنا « موسى بن عبد الرحمن الكندي » ، غير ما في المخطوطة ، وحذف « محمد بن » ، وهذا تصرف معيب قبيح .

و « حسين الجعفي » ، هو « حسين بن علي بن الوليد الجعفي » ، مضى مراراً كثيرة ، وكان في المطبوعة : « حسن الجعفي » ، وهو خطأ محض .

و « حمزة بن المغيرة بن نشيط المخزومي » العابد ، مضى برقم : ١٨٤ .

وأما « حمزة بن عيسى » ، فلم أجد في الرواة من يسمى بذلك ، وأرجح أن الناسخ أخطأ ، فأعاد كتابة « حمزة » ، فاختلط الاسم ، فلا يصححه إلا أن يوجد في مكان آخر .

قتادة قوله : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ [سورة الكهف : ٢٨] ، هما الصلاتان : صلاة الصبح وصلاة العصر .

١٣٢٧٤ — حدثني ابن البرقي قال ، حدثنا ابن أبي مريم قال ، حدثنا يحيى بن أيوب قال ، حدثنا محمد بن عجلان ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر في هذه الآية : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ الآية ، إنهم الذين يشهدون الصلوات المكتوبة .(١)

١٣٢٧٥ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد وإبراهيم : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ ، قالا : الصلوات الخمس .

١٣٢٧٦ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يحيى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

١٣٢٧٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي » ، قال : المصلين المؤمنين ، بلال وابن أم عبد = قال ابن جريج ، وأخبرني عبد الله ابن كثير ، عن مجاهد قال : صليت الصبح مع سعيد بن المسيب ، فلما سلّم الإمام ابتدر الناس القاصَّ ، فقال سعيد : ما أسرعَ بهم إلى هذا المجلس !(٢) قال مجاهد : فقلت يتأولون ما قال الله تعالى ذكره . قال : وما قال ؟ قلت : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي » ، قال : وفي هذا ذا ؟ إنما ذاك في الصلاة التي انصرفنا عنها الآن ، إنما ذاك في الصلاة .

---

(١) الأثر : ١٣٢٧٤ — خرجه السيوطي في الدر المنثور ٤ : ٢١٩ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه .
وهذا إسناد صحيح .

(٢) في المطبوعة : « ما أسرعهم إلى هذا المجلس » ، وفي المخطوطة : « ما أسرع إلى هذا المجلس » ، فرأيت أن يكون الصواب ما أثبت .

١٣٢٧٨ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا وكيع ، عن أبيه ، عن منصور ، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة قال : الصلاة المكتوبة.[1]

١٣٢٧٩ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر قال : هي الصلاة .

١٣٢٨٠ — حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا وكيع ، عن أبيه ، عن إسرائيل ، عن عامر قال : هي الصلاة .

١٣٢٨١ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه » ، يقول : صلاة الصبح وصلاة العصر .

١٣٢٨٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد قال : صلى عبد الرحمن بن أبي عمرة في مسجد الرسول ، فلما صلى قامَ فاستند إلى حجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، فانثال الناس عليه ، فقال : يا أيها الناس ، إليكم ! فقيل : يرحمك الله ، إنما جاؤوا يريدون هذه الآية : ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ ، [سورة الكهف : ٢٨] . فقال : وهذا عُني بهذا ! إنما هو في الصلاة .[2]

---

(١) الأثر : ١٣٢٧٨ — «عبد الرحمن بن أبي عمرة بن محصن بن ثعلبة الأنصاري» ، روى عن أبيه ، وعثمان بن عفان ، وعبادة بن الصامت . قال ابن سعد : « كان ثقة كثير الحديث» مترجم في التهذيب .
وسيأتي هذا الأثر مطولا برقم : ١٣٢٨٢ .

(٢) الأثر : ١٣٢٨٢ — هو مطول الأثر السالف رقم : ١٣٢٧٨ . وقوله : « انثال عليه الناس » : تتابعوا عليه وتقاطروا من كل ناحية .

وهذا الخبر ، دليل على صحة معرفة أئمتنا السالفين بحق دينهم ، وبحق كتابهم المنزل عليهم من ربهم = ودليل أيضاً على فساد ما وقع فيه علماؤنا وكتابنا ، ومن تعرض منا لكتاب الله بالهوى ، حتى صار هذا المرفوض الذي رفضه الأئمة ، حجة يستدل بها الجهال من الصوفية وأهل الخرقة بالولايات وادعاء الكرامات . فاللهم باعد بيننا وبين الجهالة ، واحملنا على سواء السبيل .

* * *

هذا وهذه الأخبار التي ذكرها هنا ، وفسر فيها آية سورة الكهف : ٢٨ ، لم يرو أكثره في تفسير « سورة الكهف » ، وهذا باب من أبواب اختصار أبي جعفر تفسيره هذا .

وقال آخرون : هي الصلاة ، ولكن القوم لم يسألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم طردَ هؤلاء الضعفاء عن مجلسه ، ولا تأخيرهم عن مجلسه ، وإنما سألوه تأخيرهم عن الصفِّ الأول ، حتى يكونوا وراءهم في الصفّ .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٢٨٣ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وكذلك فتنا بعضهم ببعض » الآية ، فهم أناس كانوا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم من الفقراء ، فقال أناس من أشراف الناس : نؤمن لك ، وإذا صلينا فأخِّر هؤلاء الذين معك فليصلُّوا خلفنا !

* * *

وقال آخرون : بل معنى « دعائهم » كان ، ذكرُهم الله تعالى ذكره .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٢٨٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي= وحدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع = ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم قوله : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي » ، قال : أهل الذكر .

١٣٢٨٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن منصور : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي » ، قال : هم أهل الذكر .

١٣٢٨٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي » ، قال : لا تطردهم عن الذكر . ١٣١/٧

* * *

وقال آخرون : بل كان ذلك ، تعلّمهم القرآن وقراءته .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٢٨٧ — حدثني المثنى قال : حدثنا إسحق قال ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر قوله : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾ [سورة الكهف : ٢٨] ، قال : كان يقرئهم القرآن ، من الذي يقص على النبي صلى الله عليه وسلم ؟! [1]

* * *

وقال آخرون : بل عنى بدعائهم ربهم ، عبادتهم إياه .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٢٨٨ — حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد ابن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « يدعون ربهم بالغداة والعشي » ، قال : يعني : يعبدون ، ألا ترى أنه قال : ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ ، [سورة غافر : ٤٣] ، يعني : تعبدون . [2]

* * *

(١) في المطبوعة : « قال كان يقرئهم القرآن النبي صلى الله عليه وسلم » حذف من المخطوطة ما أثبته : « من الذي يقص على » ، ثم وصل الكلام ، فأساء وخان وأفسد !! وهذا الكلام جملتان منفصلتان ، الأولى : « كان يقرئهم القرآن » والأخرى الاستفهام : « من الذي يقص على النبي صلى الله عليه وسلم » ، وكلتاهما رد على من تأول الآية ، على أنها مراد بها القصاص وهم الوعاظ ، كما يظهر من الآثار : ١٣٢٦٧ ، ١٣٢٧٠ ، ١٣٢٧٧ ، ١٣٢٨٢ ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرىء هؤلاء القرآن ، فأمر أن يصبر نفسه معهم . ولو كان مراداً بالآية القصاص ، لكان النبي صلى الله عليه وسلم مأموراً أن يصبر نفسه مع من يجلس يعظه ويذكره بالله — بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم ! فلذلك قال : « من الذي يقص على النبي صلى الله عليه وسلم ! » ، أي : من هذا الذي يعظ رسول الله ويذكره بالله وبأيام الله ؟ !

وهذه حجة مبينة في فساد من تأول الآية على غير الوجه الصحيح الذي أجمعت عليه الحجة .

(٢) هكذا جاءت الآية في المخطوطة والمطبوعة ، وأنا أكاد أقطع بأن ذلك خطأ ، من سهو راو أو سهو من أبي جعفر نفسه ، وأرجح أنه أراد آية « سورة غافر » : ٦٦

« قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ »

أما الآية التي استدل بها ، فلا يستقيم أن يكون الدعاء فيها بمعنى العبادة .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره نهى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يطرُد قوماً كانوا يدعون ربّهم بالغداة والعشي ، و« الدعاء لله » ، يكون بذكره وتمجيده والثناء عليه قولاً وكلاماً = وقد يكون بالعمل له بالجوارح الأعمالَ التي كان عليهم فرضُها، وغيرُها من النوافل التي ترضى عن العامل له عابدَه بما هو عامل له .(١) وقد يجوز أن يكون القوم كانوا جامعين هذه المعاني كلها ، فوصفهم الله بذلك بأنهم يدعونه بالغداة والعشي ، لأن الله قد سمى « العبادة » ، « دعاء » ، فقال تعالى ذكره : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ، [سورة غافر : ٦٠] . وقد يجوز أن يكون ذلك على خاصّ من الدعاء .

ولا قول أولى بذلك بالصحة ، من وصف القوم بما وصفهم الله به : من أنهم كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشي ، فيعمُّون بالصفة التي وصفهم بها ربهم ، ولا يخصُّون منها بشيء دون شيء .

فتأويل الكلام إذاً : يا محمد، أنذر بالقرآن الذي أنزلته إليك ، الذين يعلمون أنهم إلى ربهم محشورون = فهم من خوف ورودهم على الله الذي لا شفيع لهم من دونه ولا نصير ، في العمل له دائبون (٢) = إذ أعرض عن إنذارك واستماع ما أنزل الله عليك المكذبون بالله واليوم الآخر من قومك ، استكباراً على الله = ولا تطردهم ولا تُقْصِهم ، فتكون ممن وضع الإقصاء في غير موضعه ، فأقصى وطرد من لم يكن له طرده وإقصاؤه ، وقرّب من لم يكن له تقديمه بقربه وإدناؤه ، فإن الذين نهيتُك عن طردهم هم الذين يدعون ربهم فيسألونه عفوه ومغفرته بصالح أعمالهم ، وأداء ما ألزمهم من فرائضه ، ونوافل تطوّعهم ، وذكرهم إياه بألسنتهم بالغداة

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « التي ترضى والعامل له عابده » ، وهو لا يستقيم ، وكأن الصواب ما أثبت .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « دائمون » ، وأرجح أن الذي أثبت هو الصواب .

والعشى ، يلتمسون بذلك القربة إلى الله ، والدنوّ من رضاه = « ما عليك من حسابهم من شيء»، يقول : ما عليك من حساب ما رزقتهم من الرزق من شيء = وما عليهم من حساب ما رزقتك من الرزق من شيء = « فتطردهم » ، حذارَ محاسبتى إياك بما خوّلتهم فى الدنيا من الرزق .

* * *

وقوله : « فتطردهم » ، جواب لقوله : « ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء » .

وقوله : « فتكون من الظالمين » جواب لقوله : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (٥٣)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وكذلك فتنا بعضهم ببعض » ، وكذلك اختبرنا وابتلينا ، كالذى :-

١٣٢٨٩ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر= وحدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر=، عن قتادة : « وكذلك فتنا بعضهم ببعض » ، يقول : ابتلينا بعضهم ببعض .

* * *

١٣٢/٧ وقد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على معنى « الفتنة » ، وأنها الاختبار والابتلاء ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[1]

* * *

---

(١) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ص : ٢٩٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

وإنما فتنة الله تعالى ذكره بعضَ خلقه ببعضٍ ، مخالفتُه بينهم فيما قسم لهم من الأرزاق والأخلاق ، فجعل بعضاً غنيًّا وبعضاً فقيراً ، وبعضاً قويًّا ، وبعضاً ضعيفاً ، فأحوج بعضهم إلى بعض ، اختباراً منه لهم بذلك .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٢٩٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وكذلك فتنا بعضهم ببعض » ، يعنى أنه جعل بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء ، فقال الأغنياء للفقراء : «أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا » ، يعنى : هداهم الله . وإنما قالوا ذلك استهزاءً وسُخريًّا .[1]

* * *

وأما قوله : « ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا» ، يقول تعالى : اختبرنا الناس بالغنى والفقر ، والعزّ والذل ، والقوة والضعف ، والهدى والضلال ، كى يقول من أضلّه الله وأعماه عن سبيل الحق ، للذين هداهم الله ووفقهم : «أهؤلاء منّ الله عليهم » ، بالهدى والرشد ، وهم فقراء ضعفاء أذلاء[2] = « من بيننا » ، ونحن أغنياء أقوياء ؟ استهزاءً بهم ، ومعاداةً للإسلام وأهله .

يقول تعالى ذكره : « أليس الله بأعلم بالشاكرين » ، وهذا منه تعالى ذكره إجابة لهؤلاء المشركين الذين أنكروا أن يكون الله هدى أهل المسكنة والضعف للحق ، وخذلهم عنه وهم أغنياء = وتقريرٌ لهم : أنا أعلم بمن كان من خلقى شاكراً نعمتى ، ممن هو لها كافر . فمنّى على من مَنَنْتُ عليه منهم بالهداية ، جزاء شكره

---

(١) فى المطبوعة : « سخرية » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « المن » فيما سلف ٧ : ٣٦٩/٩ : ٧١ .

إياى على نعمتى ، وتخذيلى من خذلت منهم عن سبيل الرشاد ، عقوبة كفرانه إياى نعمتى ، لا لغنى الغنى منهم ولا لفقر الفقير ، لأن الثواب والعقاب لا يستحقه أحدٌ إلا جزاءً على عمله الذى اكتسبه ، لا على غناه وفقره ، لأن الغنى والفقر والعجز والقوة ليس من أفعال خلقى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٥٤)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى الذين عنى الله تعالى ذكره بهذه الآية .

فقال بعضهم : عنى بها الذين نهى الله نبيَّه عن طردهم . وقد مضت الرواية بذلك عن قائليه . (١)

* * *

وقال آخرون : عنىَ بها قوماً استفتوا النبى صلى الله عليه وسلم فى ذنوب أصابوها عظامٍ ، فلم يؤيسهم الله من التوبة .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٢٩١ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا سفيان ، عن مجمع قال ، سمعت ماهان قال : جاء قوم إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم قد أصابوا ذنوباً عظاماً . قال ماهان : فما إخاله ردّ عليهم شيئاً . قال : فأنزل

(١) انظر ما سلف رقم : ١٣٢٥٨ ، وما بعده .

الله تعالى ذكره هذه الآية : « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم » ، الآية .[1]

١٣٢٩٢ — حدثنا هناد قال ، حدثنا قبيصة، عن سفيان ، عن مجمع ، عن ماهان : أنّ قوماً جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد ، إنا أصبنا ذنوباً عظاماً ! فما إخاله ردّ عليهم شيئاً ، فانصرفوا فأنزل الله تعالى ذكره : « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة » . قال : فدعاهم فقرأها عليهم .[1]

١٣٢٩٣ — حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن مجمّع التيمي قال ، سمعت ماهان يقول : فذكر نحوه .[1]

* * *

وقال آخرون : بل عُنى بها قومٌ من المؤمنين كانوا أشاروا على النبي صلى الله عليه وسلم بطرد القوم الذين نهاه الله عن طردهم ، فكان ذلك منهم خطيئة ، فغفرها الله لهم وعفا عنهم ، وأمر نبيَّه صلى الله عليه وسلم إذا أتوه أن يبشرهم بأن قد غفر لهم خطيئتهم التي سلفت منهم بمشورتهم على النبي صلى الله عليه وسلم بطرد القوم الذين أشاروا عليه بطردهم . وذلك قول عكرمة وعبد الرحمن بن زيد ، وقد ذكرنا الرواية عنهما بذلك قبل .[2] ١٣٣/٧

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندي بتأويل الآية ، قولُ من قال : المعنيُّون بقوله : « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم » ، غيرُ الذين نهى الله النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن طردهم . لأن قوله : « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا » ، خبر مستأنَفٌ بعد تقضّي الخبر عن الذين نهى الله نبيه صلى الله

---

(١) الآثار : ١٣٢٩١ — ١٣٢٩٣ — « سفيان » هو : ابن عيينة .
و « مجمع » ، هو « مجمع بن صمعان » أبو حمزة التيمي » ، ثقة ، مضى برقم : ١٢٧١٠ .
و « ماهان » الحنفي ، أبو سالم الأعور العابد ، مضى برقم : ٣٢٢٦ .
(٢) انظر ما سلف رقم : ١٣٢٦٤ ، ١٣٢٦٥ .

عليه وسلم عن طردهم . ولو كانوا هم ، لقيل : « وإذا جاؤوك فقل سلام عليكم » . وفي ابتداء الله الخبرَ عن قصة هؤلاء ، وتركه وصلَ الكلام بالخبر عن الأولين ، ما ينبئ عن أنهم غيرُهم .

فتأويل الكلام إذاً = إذ كان الأمر على ما وصفنا = : وإذا جاءك، يا محمد، القومُ الذين يصدّقون بتنزيلنا وأدلتنا وحججنا ، فيقرّون بذلك قولاً وعملاً ، مسترشديك عن ذنوبهم التي سلفت منهم بيني وبينهم ، هل لهم منها توبة ، فلا تؤيسهم منها ، وقل لهم : « سلام عليكم » ، أمَنَةُ الله لكم من ذنوبكم ، أن يعاقبكم عليها بعد توبتكم منها [1] = « كتب ربكم على نفسه الرحمة » ، يقول : قضى ربكم الرحمة بخلقه [2] = « أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم » .

* * *

واختلفت القرأة في قراءة ذلك :

فقرأته عامة قرأة المدنيين : ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً﴾ ، فيجعلون « أنّ » منصوبةً على الترجمة بها عن « الرحمة » = ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ، على ائتناف « إنه » بعد « الفاء » فيكسرونها ، ويجعلونها أداة لا موضع لها ، بمعنى : فهو له غفور رحيم = أو : فله المغفرة والرحمة . [3]

* * *

وقرأهما بعض الكوفيين بفتح « الألف » منهما جميعاً ، بمعنى : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ = ثم ترجم بقوله : ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ﴾ ، عن الرحمة ، ﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ، فيعطف بـ « أنه » الثانية على « أنه » الأولى ، ويجعلهما اسمين منصوبين على ما بينت . [4]

* * *

(١) انظر تفسير « سلام » فيما سلف ١٠ : ١٤٥ ، ومادة (سلم) في فهارس اللغة .

(٢) انظر تفسير « كتب » فيما سلف ص : ٢٧٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

(٤) انظر ما قاله أبو جعفر في بيان هذه القراءة فيما سلف ص : ٢٧٨ — ٢٨٠

وقرأ ذلك بعض المكيين وعامة قرأة أهل العراق من الكوفة والبصرة: بكسر «الألف» من «إنه» و «إنه» على الابتداء ، وعلى أنهما أداتان لا موضع لهما .[1]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءات فى ذلك عندى بالصواب ، قراءة من قرأهما بالكسر : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ إِنَّهُ ﴾ ، على ابتداء الكلام ،وأن الخبر قد انتهى عند قوله : «كتب ربكم على نفسه الرحمة» ، ثم استؤنف الخبر عما هو فاعلٌ تعالى ذكره بمن عمل سوءاً بجهالة ثم تاب وأصلح منه .

* * *

ومعنى قوله : «إنه من عمل منكم سوءاً بجهالة» ، إنه من اقترف منكم ذنباً فجهل باقترافه إياه[2] = ثم تاب وأصلح=«فإنه غفورٌ»، لذنبه إذا تاب وأناب ، وراجع العمل بطاعة الله ، وترك العود إلى مثله ،مع الندم على ما فرط منه= «رحيم» ، بالتائب أن يعاقبه على ذنبه بعد توبته منه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

١٣٢٩٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن عثمان ، عن مجاهد : «من عمل منكم سوءاً بجهالة» ، قال : من جهل : أنه لا يعلم حلالاً من حرام ، ومن جهالته ركب الأمر .

١٣٢٩٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو خالد، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

١٣٢٩٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن ليث، عن مجاهد :

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

(٢) انظر تفسير «الجهالة» فيما سلف ٨ : ٨٩ – ٩٢ ، وهو بيان جيد جداً .

يعملون السوء بجهالة ، قال : من عمل بمعصية الله ، فذاك منه جهل حتى يرجع .

١٢٤/٧

١٣٢٩٧ — حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا بكر ابن خنيس ، عن ليث ، عن مجاهد في قوله : « من عمل منكم سوءاً بجهالة » ، قال : كل من عمل بخطيئة فهو بها جاهل .(١)

١٣٢٩٨ — حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا خالد ابن دينار أبو خلدة قال : كنا إذا دخلنا على أبي العالية قال : « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة » .(٢)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (٥٥)

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « وكذلك نفصل الآيات » ، وكما فصلنا لك في هذه السورة من ابتدائها وفاتحتها ، يا محمد ، إلى هذا الموضع ، حجتنا على المشركين من عبدة الأوثان ، وأدلتنا ، وميزناها لك وبيناها ، كذلك نفصل لك أعلامنا وأدلتنا في كل حق ينكره أهل الباطل من سائر أهل الملل

---

(١) الأثر : ١٣٢٩٧ — « بكر بن خنيس الكوفي » العابد ، يروى عن ليث بن أبي سليم ، وعبد الرحمن بن زياد ، وإسماعيل بن أبي خالد ، وعطاء بن أبي رباح . قال ابن عدى : « وهو ممن يكتب حديثه ، ويحدث بأحاديث مناكير عن قوم لابأس بهم ، وهو نفسه رجل صالح ، إلا أن الصالحين يشبه عليهم الحديث ، وربما حدثوا بالتوهم ، وحديثه في جملة الضعفاء ، وليس ممن يحتج بحديثه » ، وقيل فيه ما هو أشد . مترجم في التهذيب .

(٢) الأثر : ١٣٢٩٨ — « خالد بن دينار التيمي السعدي » ، « أبو خلدة » ، ثقة ، مضى برقم : ٤٤ ، ١٢٢٣٩ .

غيرهم ، فنبينها لك ، حتى يبين حقه من باطله ، وصحيحهُ من سقيمه .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « ولتستبين سبيل المجرمين » .

فقرأ ذلك عامة قرأة أهل المدينة : ﴿ وَلِتَسْتَبِينَ ﴾ بالتاء ﴿ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ بنصب « السبيل » ، على أن « تستبين » ، خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، كأن معناه عندهم : ولتستبين ، أنت يا محمد ، سبيلَ المجرمين .

* * *

وكان ابن زيد يتأول ذلك : ولتستبين ، أنت يا محمد ، سبيلَ المجرمين الذين سألوك طردَ النفر الذين سألوه طردهم عنه من أصحابه .

١٣٢٩٩ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « ولتستبين سبيلَ المجرمين » ، قال : الذين يأمرونك بطرد هؤلاء .

* * *

وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين : ﴿ وَلِتَسْتَبِينَ ﴾ بالتاء ﴿ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ برفع « السبيل » ، على أن القصد للسبيل ، ولكنه يؤنثها = وكأن معنى الكلام عندهم : وكذلك نفصل الآيات ، ولتتضح لك وللمؤمنين طريقُ المجرمين .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة أهل الكوفة : ﴿ وَلِيَسْتَبِينَ ﴾ بالياء ﴿ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ برفع « السبيل » على أن الفعل للسبيل ، ولكنهم يذكرونه = ومعنى هؤلاء فى هذا الكلام ، ومعنى من قرأ ذلك بالتاء فى : « ولتستبين » ورفع « السبيل » ، واحدٌ ، وإنما الاختلاف بينهم فى تذكير « السبيل » وتأنيثها .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب عندى فى « السبيل » الرفع ، لأن الله تعالى ذكره فصَّل آياته فى كتابه وتنزيله ، ليتبين الحقُّ بها من الباطل جميعُ من خوطب بها ، لا بعضٌ دون بعض .

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٣٧ .

ومن قرأ « السبيل » بالنصب ، فإنما جعل تبيين ذلك محصوراً على النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما القراءة فى قوله : « ولتستبين » ، فسواء قرئت بالتاء أو بالياء ، لأن من العرب من يذكر « السبيل » = وهى تميم وأهل نجد = ومنهم من يؤنث « السبيل » = وهم أهل الحجاز . وهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار ، ولغتان مشهورتان من لغات العرب ، وليس فى قراءة ذلك بإحداهما خلافٌ لقراءته بالأخرى ، ولا وجه لاختيار إحداهما على الأخرى= بعد أن يرفع « السبيل» = للعلة التى ذكرنا .(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله : « نفصل الآيات » قال أهل التأويل .

١٣٣٠٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « وكذلك نفصل الآيات » ، نبين الآيات .

١٣٣٠١ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى : « نفصل الآيات » ، نبين .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (٥٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لهؤلاء المشركين بربّهم من قومك ، العادلين به الأوثان والأنداد، الذين يدعونك إلى موافقتهم على دينهم وعبادة الأوثان : إنّ الله نهانى أن أعبد الذين ١٢٥/٧

(١) انظر تفسير « السبيل » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) = وتفسير « استبان » فى مادة (بين) من فهارس اللغة .

تدعون من دونه ، فلن أتبعكم على ما تدعوننى إليه من ذلك ، ولا أوافقكم عليه ، ولا أعطيكم محبتكم وهواكم فيه . وإن فعلت ذلك ، فقد تركت محجة الحق ، وسلكت على غير الهدى ، فصرت ضالاً مثلكم على غير استقامة .[1]

وللعرب فى «ضللت» لغتان : فتح «اللام» وكسرها . واللغة الفصيحة المشهورة هى فتحها ، وبها قرأ عامة قرأة الأمصار ، وبها نقرأ لشهرتها فى العرب . وأما الكسر فليس بالغالب فى كلامها ، والقرأة بها قليلون . فمن قال : «ضللتُ» ، قال : «أضِلُّ» ، ومن قال : «ضَلِلْتُ» ، قال فى المستقبل : «أَضَلُّ» . وكذلك القراءة عندنا فى سائر القرآن : ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا ﴾ بفتح اللام [سورة السجدة : ١٠] .

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴾ (٥٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : «قل» ، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم ، الداعين لك إلى الإشراك بربك = «إنى على بينة من ربى» ، أى إنى على بيان قد تبينته ، وبرهان قد وضح لى = «من ربى» ، يقول : من توحيدى ،[2] وما أنا عليه من إخلاص عبودته[3] من غير إشراك شىء به .

وكذلك تقول العرب : «فلان على بينة من هذا الأمر» ، إذا كان على بيان

(١) انظر تفسير «الضلال» فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل) .
(٢) فى المطبوعة : «توحيده» ، وأثبت ما فى المخطوطة .
(٣) فى المطبوعة : «عبوديته» ، وأثبت ما فى المخطوطة .

منه ،[1] ومن ذلك قول الشاعر : [2]

أَبَيِّنَةً تَبْغُونَ بَعْـــدَ اْعْتِرَافِهِ وَقَوْلِ سُوَيْدٍ: قَدْ كَفَيْتُكُمُ بِشْرَا[3]

* * *

« وكذبتم به » يقول: وكذبتم أنتم بربكم = و« الهاء » في قوله « به » من ذكر الرب جلّ وعز = « ما عندي ما تستعجلون به » ، يقول : ما الذي تستعجلون من نقم الله وعذابه بيدي ، ولا أنا على ذلك بقادر . وذلك أنهم قالوا حين بعث الله نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم بتوحيده ، فدعاهم إلى الله ، وأخبرهم أنه رسوله إليهم : ﴿ هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٣]. وقالوا للقرآن : هو أضغاث أحلام . وقال بعضهم : بل هو اختلاق اختلقه . وقال آخرون : بل محمد شاعر ، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون = فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : أجبهم بأن الآيات بيد الله لا بيدك ، وإنما أنت رسول ، وليس عليك إلا البلاغ لما أرسلت به ، وأنّ الله يقضي الحق فيهم وفيك ، ويفصل به بينك وبينهم ، فيتبين المحقُّ منكم والمبطل[4] = « وهو خير الفاصلين » ، أي : وهو خير من بيّن وميّز بين المحق والمبطل وأعدلهم ، لأنه لا يقع في حكمه وقضائه حَيْف إلى أحد لوسيلة له إليه ولا لقرابة ولا مناسبة ، ولا في قضائه جور ، لأنه لا يأخذ الرشوة في الأحكام فيجور ، فهو أعدل الحكام وخيرُ الفاصلين .

* * *

وقد ذكر لنا في قراءة عبد الله : ﴿ وَهُو أَسْرَعُ الْفَاصِلِينَ ﴾ .

١٣٣٠٢ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير : أنه قال : في قراءة عبد الله :

---

(١) انظر تفسير « البينة » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .
(٢) لم أعرف قائله .
(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١٩٣ .
(٤) انظر تفسير « الفصل » فيما سلف ٥ : ٣٣٨ .

﴿ يَقْضِيَ الْحَقَّ وَهُوَ أَسْرَعُ الفَاصِلِينَ ﴾ .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « يقصُّ الحق » . [1]

فقرأ عامة قرأة الحجاز والمدينة وبعض قرأة أهل الكوفة والبصرة: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ ﴾، بالصاد، بمعنى «القصص»، وتأوّلوا فى ذلك قول الله تعالى ذكره : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾، [سورة يوسف : ٣] . وذكرَ ذلك عن ابن عباس .

١٣٣٠٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : « يقص الحق » ، وقال : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾

* * *

وقرأ ذلك جماعة من قرأة الكوفة والبصرة : ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ يَقْضِي الْحَقَّ﴾ بالضاد، من « القضاء »، بمعنى الحكم والفصل بالقَضَاء ، [2] واعتبروا صحة ذلك بقوله : « وهو خير الفاصلين » ، وأن « الفصل » بين المختلفين إنما يكون بالقضاء لا بالقَصَص .

١٣٦/٧

* * *

وهذه القراءة عندنا أولى القراءتين بالصواب ، لما ذكرنا لأهلها من العلّة .

* * *

فمعنى الكلام إذاً : ما الحكم فيما تستعجلون به ، أيها المشركون ، من عذاب الله وفيما بيني وبينكم ، إلاّ لله الذى لا يجور فى حكمه ، وبيده الخلق والأمر ، يقضى الحق بيني وبينكم ، وهو خير الفاصلين بيننا بقضائه وحكمه .

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « يقضى الحق » ، وهو سهو هنا ، والصواب ما أثبته .

(٢) انظر تفسير « قضى » فيما سلف ٢ : ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، وسائر فهارس اللغة .

القول فى تأويل قوله ﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٥٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم الآلهة والأوثان ، المكذبيك فيما جئتهم به ، السائليك أن تأتيهم بآية استعجالاً منهم بالعذاب : لو أنّ بيدى ما تستعجلون به من العذاب = « لقضى الأمر بينى وبينكم » ، ففصل ذلك أسرع الفصل ، بتعجيلى لكم ما تسألونى من ذلك وتستعجلونه ، ولكن ذلك بيد الله ، الذى هو أعلم بوقت إرساله على الظالمين ، الذين يضعون عبادتهم التى لا تنبغى أن تكون إلاّ لله فى غير موضعها ، فيعبدون من دونه الآلهة والأصنام ، وهو أعلم بوقت الانتقام منهم ، وحال القضاء بينى وبينهم .

* * *

وقد قيل : معنى قوله : « لقضى الأمر بينى وبينكم » ، بذبح الموت .[1]

١٣٣٠٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن ابن جريج قال : بلغنى فى قوله : « لقضى الأمر » ، قال : ذبح الموت .

* * *

وأحسب أن قائل هذا القول ، نزع لقوله[2] : ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ ، [سورة مريم : ٣٩] ، فإنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك قصة تدل على معنى ما قاله هذا القائل فى « قضاء الأمر » ، [3] وليس

---

(١) فى المطبوعة « الذبح للموت » ، وفى المخطوطة « الذبح الموت » ، وآثرت قراءتها كما أثبتها

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة « أن قائل هذا النوع نزع » ، وهو كلام عجب ، لا أظن أبا جعفر يتدانى إلى مثله والصواب ما أثبته بلا شك

(٣) رواه أبو جعفر فى تفسيره ١٦ : ٦٦ (بولاق) ، وهو الخبر الذى جاء فيه أنه يجاء يوم القيامة بالموت كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، ثم ينادى فى أهل الجنة والنار هل

قوله : « لقضى الأمر بينى وبينكم » من ذلك فى شىء ، وإنما هذا أمرٌ من الله تعالى ذكره نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقول لمن استعجله فصلَ القضاء بينه وبينهم من قوله بآية يأتيهم بها : لو أن العذاب والآيات بيدى وعندى ، لعاجلتكم بالذى تسألونى من ذلك ، ولكنه بيد من هو أعلم بما يُصالح خلقه ، منّى ومن جميع خلقه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول : وعند الله مفاتح الغيب .[1]

و « المفاتح » جمع « مِفْتَح » ، يقال فيه : « مِفْتح » و « مِفْتاح » . فمن قال : « مِفْتَح » ، جمعه « مفاتح » ، ومن قال : « مفتاح » ، جمعه « مفاتيح » .

* * *

ويعنى بقوله : « وعنده مفاتح الغيب » ، خزائن الغيب ، كالذى : —

١٣٣٠٥ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وعنده مفاتح الغيب » ، قال ، يقول : خزائن الغيب .

١٣٣٠٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن مسعر ، عن عمرو ابن مرة ، عن عبد الله بن سلمة ، عن ابن مسعود قال : أعطى نبيُّكم كل شىء إلاّ مفاتح الغيب .[2]

يعرفونه ، فيقولون : لا ! فيقال : هذا الموت ، ثم يؤخذ فيذبح ، ثم ينادى : يا أهل النار ، خلود فلا موت ، ويا أهل الجنة ، خلود فلا موت .

(١) فى المطبوعة : « يقول : وعنده مفاتح الغيب » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٣٣٠٦ — « عبد الله بن سلمة المرادى » ، تابعى ثقة ، من فقهاء الكوفة بعد الصحابة . مضى برقم : ١٢٣٩٨ .

١٣٣٠٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس : « وعنده مفاتح الغيب » ، قال : هن خمس : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴾ إلى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ ، [سورة لقمان : ٣٤] .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : والله أعلم بالظالمين من خلقه ، وما هم مستحقّوه وما هو بهم صانع ، فإنّ عنده علم ما غاب علمه عن خلقه فلم يطلعوا عليه ولم يدركوه ، ولن يعلموه ولن يدركوه[1] = « ويعلم ما في البر والبحر » ، يقول : وعنده علم ما لم يغب أيضاً عنكم ، لأن ما في البر والبحر مما هو ظاهر للعين ، يعلمه العباد . فكأن معنى الكلام : وعند الله علم ما غابَ عنكم ، أيها الناس ، مما لا تعلمونه ولن تعلموه مما استأثرَ بعلمه نفسَه ، ويعلم أيضاً مع ذلك جميع ما يعلمه جميعُكم ، لا يخفى عليه شيء ، لأنه لا شيءَ إلا ما يخفى عن الناس أو ما لا يخفى عليهم . فأخبر تعالى ذكره أن عنده علم كل شيء كان ويكون ، وما هو كائن مما لم يكن بعد ، وذلك هو الغيب .[2]

١٣٧/٧

* * *

وهذا خبر صحيح الإسناد ، رواه أحمد في مسنده : ٣٦٥٩ ، انظر شرح أخي السيد أحمد لهذا الخبر هناك .

(١) في المطبوعة : « ولم يعلموه ، ولن يدركوه » ، وفي المخطوطة : « ولم يعلموه ولا يدركوه » ، والصواب الدال عليه السياق ، هو ما أثبته .

(٢) انظر تفسير « الغيب » فيما سلف ص : ٣٧١ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول في تأويل قوله ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (٥٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولا تسقط ورقةٌ في الصحارى والبرارى ، ولا في الأمصار والقرى ، إلا الله يعلمها = «ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين» ، يقول : ولا شيء أيضاً مما هو موجود ، أو ممّا سيوجد ولم يوجد بعد ، إلا وهو مثبت في اللوح المحفوظ ، مكتوبٌ ذلك فيه ، ومرسوم عددُه ومبلغه ، والوقت الذى يوجد فيه ، والحالُ التي يفنى فيها .

ويعني بقوله : «مبين» ، أنه يبين عن صحة ما هو فيه ، بوجود ما رُسم فيه على ما رُسم .(١)

* * *

فإن قال قائل : وما وجهُ إثباته في اللوح المحفوظ والكتاب المبين ، ما لا يخفى عليه ، وهو بجميعه عالم لا يُخاف نسيانُه ؟

قيل له : لله تعالى ذكره فعل ما شاء . وجائز أن يكون كان ذلك منه امتحاناً منه لحفَظَته ، واختباراً للمتوكلين بكتابة أعمالهم ، فإنهم فيما ذُكر مأمورون بكتابة أعمال العباد ، ثم بعرضها على ما أثبته الله من ذلك في اللوح المحفوظ ، حتى أثبت فيه ما أثبت كل يوم . وقيل إن ذلك معنى قوله : ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ، [سورة الجاثية : ٢٩] . وجائز أن يكون ذلك لغير ذلك ، مما هو أعلم به ، إمّا بحجة يحتج بها على بعض ملائكته ، وإما على بني آدم وغير ذلك ، وقد : —

(١) انظر تفسير «مبين» فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

١٣٣٠٨ — حدثني زياد بن يحيى الحسّاني أبو الخطاب قال، حدثنا مالك بن سعير قال ، حدثنا الأعمش ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث قال : ما في الأرض من شجرة ولا كمغرز إبرة ، إلاّ عليها ملك موكّل بها يأتي الله بعلمها : يبسها إذا يبست ، [١] ورطوبتها إذا رَطبت . [٢]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : وقل لهم ، يا محمد : والله أعلم بالظالمين ، والله هو الذي يتوفى أرواحكم بالليل فيقبضها من أجسادكم = « ويعلم ما جرحتم بالنهار »، يقول: ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار .

* * *

---

(١) في المطبوعة : « يأتي الله يعلمه يبسها » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو الصواب ، وهذا عبث من الناشر .

(٢) الأثر : ١٣٣٠٨ — « زياد بن يحيى بن زياد بن حسان الحساني النكري »، أبو الخطاب، ثقة ، روى له الستة . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١/٢/٥٤٩ .

هذا ، وقد جاء في المخطوطة وتفسير ابن كثير « زياد بن عبد الله الحساني أبو الخطاب » ، وهو خطأ لا شك فيه ، فإن الذي يروي عن « مالك بن سعير » هو « زياد بن يحيى الحساني ، أبو الخطاب » ، فضلا عن أنه ليس في الرواة من يسمى « زياد بن عبد الله الحساني أبو الخطاب » .

و « مالك بن سعير بن الخمس التميمي » ، قال أبو زرعة وأبو حاتم : « صدوق » ، وضعفه أبو داود ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وهو مترجم في التهذيب ، والبخاري في الكبير ٤/١/٣١٥ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وابن أبي حاتم ٤/١/٢٠٩

و « يزيد بن أبي زياد القرشي الهاشمي » هو مولى « عبد الله بن الحارث » ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٢٧٤٠ .

و « عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم » ، هو « ببة » ، ثقة ، مضى برقم : ١٢٧٤٠ .

وهذا الخبر ، ذكره ابن كثير في تفسيره من طريق ابن أبي حاتم ، عن عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن بن المسور الزهري ، عن مالك بن سعير ، بمثله .

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ١٥ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وأبي الشيخ .

ومعنى « التوفى » ، فى كلام العرب استيفاء العدد ، [١] كما قال الشاعر : [٢]

إِنَّ بَنِي الأَدْرَمِ لَيْسُوا مِنْ أَحَدْ وَلَا تَوَفَّاهُمْ قُرَيْشٌ فِي العَدَدْ [٣]

بمعنى : لم تدخلهم قريش فى العدد .

* * *

وأما « الاجتراح » عند العرب ، فهو عمل الرجل بيده أو رجله أو فمه ، وهى « الجوارح » عندهم ، جوارح البدن فيما ذكر عنهم . ثم يقال لكل مكتسب عملاً « جارح » ، لاستعمال العرب ذلك فى هذه « الجوارح » ، ثم كثر ذلك فى الكلام حتى قيل لكل مكتسب كسباً ، بأىّ أعضاء جسمه اكتسب : « مجترِح » . [٤]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣٠٩ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار » ، أما « يتوفاكم بالليل » ففى النوم = وأما « يعلم ما جرحتم بالنهار » ، فيقول : ما اكتسبتم من الإثم .

١٣٣١٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار » ، يعنى : ما اكتسبتم من الإثم .

---

(١) انظر تفسير « التوفى » فيما سلف ٦ : ٤٥٥ ، ٤٥٦ / ٨ : ٧٣ / ٩ : ١٠٠ / ١١ : ٢٣٩

(٢) هو منظور الوبرى .

(٣) اللسان (وفى) ، وسيأتى فى التفسير ٢١ : ٦١ (بولاق) . وكان فى المطبوعة هنا : « إن بنى الأدم » ، وفى اللسان « إن بنى الأدرد » ، وهما خطأ ، صوابه ما جاء فى التفسير بعد .

و « بنو الأدرم » هو بنو « تيم بن غالب بن فهر بن مالك » ، وهم من قريش الظواهر ، لا قريش الأباطح .

وهذا الراجز يهجوهم بأن قريشاً أهل الأباطح ، لا يجعلون بنى الأدرم (وهم من قريش الظواهر) تماماً لعددهم ، ولا يستوفون بهم عددهم إذا عدوا .

(٤) انظر تفسير « الجوارح » و « الاجتراح » فيما سلف ٩ : ٥٤٣ ، ٥٤٤ .

١٣٣١١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور قال، حدثنا معمر ، عن قتادة : « ما جرحتم بالنهار » ، قال : ما عملتم بالنهار .

١٢٨/٧

١٣٣١٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

١٣٣١٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال ،حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وهو الذى يتوفاكم بالليل » ، يعنى بذلك نومهم = « ويعلم ما جرحتم بالنهار » ، أى : ما عملتم من ذنب فهو يعلمه ، لا يخفى عليه شىء من ذلك .

١٣٣١٤ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار » ، قال : أمّا وفاته إياهم بالليل ، فمنامهم = وأما « ما جرحتم بالنهار » ، فيقول : ما اكتسبتم بالنهار .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا الكلام وإن كان خبراً من الله تعالى ذكره عن قدرته وعلمه ، فإنّ فيه احتجاجاً على المشركين به ، الذين كانوا ينكرون قدرته على إحيائهم بعد مماتهم وبعثهم بعد فنائهم . فقال تعالى ذكره محتجاً عليهم : « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى » ، يقول : فالذى يقبض أرواحكم بالليل ويبعثكم فى النهار لتبلغوا أجلاً مسمى ، وأنتم ترون ذلك وتعلمون صحّته ، غير منكرٍ له القدرة على قبض أرواحكم وإفنائكم ، ثم ردّها إلى أجسادكم ، وإنشائكم بعد مماتكم ، فإن ذلك نظير ما تعاينون وتشاهدون. وغير منكر لمن قدر على ما تعاينون من ذلك ، القدرةُ على ما لم تعاينوه . وإن الذى لم تروه ولم تعاينوه من ذلك ، شبيه ما رأيتم وعاينتم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1] (٦٠)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : « ثم يبعثكم »، يثيركم ويوقظكم من منامكم[2] = « فيه » يعنى : فى النهار ،و « الهاء » التى فى «فيه» راجعة على «النهار»[3] = « ليقضى أجلٌ مسمى » ، يقول : ليقضى الله الأجل الذى سماه لحياتكم ، وذلك الموت ، فيبلغ مدته ونهايته[4] = « ثم إليه مرجعكم » ، يقول : ثم إلى الله معادكم ومصيركم[5] = « ثم ينبئكم بما كنتم تعملون » ، يقول : ثم يخبركم بما كنتم تعملون فى حياتكم الدنيا ،[6] ثم يجازيكم بذلك ، إن خيراً فخيراً وإن شرًّا فشرًّا .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣١٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ثم يبعثكم فيه » ، قال : فى النهار .

١٣٣١٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور قال ، حدثنا معمر ، عن قتادة : « ثم يبعثكم فيه » ، فى النهار ، و « البعث » ، اليقظة .

١٣٣١٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

---

(١) أسقط فى المطبوعة والمخطوطة : « ثم يبعثكم فيه » ، وهو نص التلاوة .

(٢) انظر تفسير « البعث » فيما سلف ٢ : ٨٤ ، ٥/٨٥ : ١٠/٤٥٧ : ٢٢٩ .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « والهاء التى فيه راجعة » ، بإسقاط « فى » ، والصواب إثباتها .

(٤) انظر تفسير « أجل مسمى » فيما سلف ٦ : ٤٣/١١ : ٢٥٩

(٥) انظر تفسير « المرجع » فيما سلف ٦ : ١٠/٤٦٤ : ١١/٣٩١ : ١٥٤

(٦) انظر تفسير « النبأ » فيما سلف ص : ٣٣٥ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

١٣٣١٨ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن الفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ثم يبعثكم فيه » ، قال : بالنهار .[1]

١٣٣١٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال، قال عبد الله بن كثير : « ثم يبعثكم فيه »، قال: يبعثكم فى المنام .

* * *

= « ليقضى أجل مسمى » ، وذلك الموت .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣٢٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ليقضى أجل مسمى » ، وهو الموت .

١٣٣٢١ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ليقضى أجل مسمى » ، قال : هو أجل الحياة إلى الموت .

١٣٣٢٢ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن جريج قال ، قال عبد الله بن كثير : « ليقضى أجل مسمى »، قال : مدّتهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ (٦١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وهو القاهر » ، والله الغالب خلقه ، العالى عليهم بقدرته،[2] لا المقهور من أوثانهم وأصنامهم ، المذلَّل المعلُوّ عليه ١٣٩/٧

(١) فى المطبوعة : « فى النهار » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « القاهر » فيما سلف ص : ٢٨٨

لذلته[1] = « ويرسل عليكم حفظة » ، وهى ملائكته الذين يتعاقبونكم ليلاً ونهاراً ، يحفظون أعمالكم ويحصونها ، ولا يفرطون فى حفظ ذلك وإحصائه ولا يُضيعون .[2]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣٢٣ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « ويرسل عليكم حفظة » ، قال : هى المعقبات من الملائكة ، يحفظونه ويحفظون عمله .

١٣٣٢٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون » ، يقول : حفظة ، يا ابن آدم ، يحفظون عليك عملك ورزقك وأجلك ، إذا توفَّيت ذلك قبضت إلى ربك = « حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون » ، يقول تعالى ذكره : إن ربكم يحفظكم برسل يعقِّب بينها ، يرسلهم إليكم بحفظكم وبحفظ أعمالكم ، إلى أن يحضركم الموت ، وينزل بكم أمر الله ، فإذا جاء ذلك أحدكم ، توفاه أملاكنا الموكَّلون بقبض الأرواح ، ورسلنا المرسلون به = « وهم لا يفرطون » ، فى ذلك فيضيعونه .[3]

* * *

فإن قال قائل : أوليس الذى يقبض الأرواح ملك الموت ، فكيف قيل : « توفته رسلنا » ، « والرسل » جملة وهو واحد ؟ أوليس قد قال : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ

---

(١) فى المطبوعة : « المغلوب عليه لذلته » ، وهو خطأ وسوء تصرف ، والذى فى المخطوطة هو الصواب .

(٢) انظر تفسير « الحفظ » بمعانيه فيما سلف ٥ : ٨/١٦٧ : ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ١٠/٥٦٢ : ٣٤٣ ، ٥٦٢ .

(٣) انظر تفسير « التوفى » فيما سلف ص : ٤٠٥ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ ، [سورة السجدة : ١١] ؟

قيل : جائز أن يكون الله تعالى ذكره أعان ملك الموت بأعوان من عنده ، فيتولون ذلك بأمر ملك الموت ، فيكون « التوفى » مضافاً = وإن كان ذلك من فعل أعوان ملك الموت = إلى ملك الموت ، [1] إذ كان فعلهم ما فعلوا من ذلك بأمره ، كما يضاف قتلُ من قتل أعوانُ السلطان وجلدُ من جلدوه بأمر السلطان ، إلى السلطان ، وإن لم يكن السلطان باشر ذلك بنفسه ، ولا وليه بيده .

* * *

وقد تأول ذلك كذلك جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣٢٥ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا الحسن ابن عبيد الله ، عن إبراهيم فى قوله : « حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون » ، قال : كان ابن عباس يقول : لملك الموت أعوانٌ من الملائكة .

١٣٣٢٦ — حدثنى أبو السائب قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن الحسن ابن عبيد الله فى قوله : « توفته رسلنا وهم لا يفرطون » ، قال : سئل ابن عباس عنها فقال : إن لملك الموت أعواناً من الملائكة .

١٣٣٢٧ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم فى قوله : « توفته رسلنا وهم لا يفرطون » ، قال : أعوان ملك الموت .

١٣٣٢٨ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم : « توفته رسلنا وهم لا يفرطون » ، قال : الرسل توفَّى الأنفس ، ويذهب بها ملك الموت .

١٣٣٢٩ — حدثنا هناد قال ، حدثنا حفص ، عن الحسن بن عبيد الله ،

---

(١) السياق : « فيكون التوفى مضافاً . . . إلى ملك الموت » .

عن إبراهيم ، عن ابن عباس : « توفته رسلنا وهم لا يفرطون » ، أعوان ملك الموت من الملائكة .(١)

١٣٣٣٠ — [حدثنا هناد قال ،حدثنا حفص ، عن الحسن بن عبيدالله ، عن ابن عباس : «توفته رسلنا وهم لا يفرطون» . قال : أعوان ملك الموت من الملائكة] .(٢)

١٣٣٣١ — حدثنا هناد قال ، حدثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن الحسن ابن عبيد الله ، عن إبراهيم : « توفته رسلنا » ، قال : هم الملائكة أعوان ملك الموت .

١٣٣٣٢ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور قال ، حدثنا معمر ، عن قتادة : « توفته رسلنا » ، قال : إن ملك الموت له رسل ، فيرسل ويرفع ذلك إليه = وقال الكلبي : إن ملك الموت هو يلي ذلك ، فيدفعه ، إن كان مؤمناً ، إلى ملائكة الرحمة ، وإن كان كافراً إلى ملائكة العذاب . ١٤٠/٧

١٣٣٣٣ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، « توفته رسلنا » ، قال : يلي قبضَها الرسل ، ثم يدفعونها إلى ملك الموت .

١٣٣٣٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن منصور ، عن إبراهيم فى قوله : « توفته رسلنا » ، قال : تتوفاه الرسل ، ثم يقبض منهم ملك الموت الأنفس = قال الثورى : وأخبرنى الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم قال : هم أعوان لملك الموت = قال الثورى : وأخبرنى

---

(١) الأثر : ١٣٣٢٩ — كان تفسير هذه الآية فى هذا الخبر : « قال : الرسل توفى الأنفس ، ويذهب بها ملك الموت » ، وهذا مخالف كل المخالفة لما فى المخطوطة ، فأثبت ما فيها ، وكأنه الصواب إن شاء الله .

(٢) الأثر : ١٣٣٣٠ — هذا الأثر ليس فى المخطوطة ، ولذلك وضعته بين قوسين ، وظنى أنه تكرار من تصرف ناسخ ، فإن إسناده إسناد الذى قبله ، إلا أنه ليس فيه « عن إبراهيم » بين « الحسن بن عبيد الله » و « ابن عباس » .

رجل ، عن مجاهد قال : جعلت الأرض لملك الموت مثل الطست يتناول من حيث شاء ، وجعلت له أعوان يتوفَّون الأنفس ثم يقبضها منهم .

١٣٣٣٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم ، عن ابن عباس في قوله : « توفته رسلنا » ، قال : أعوان ملك الموت من الملائكة .

١٣٣٣٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن الحسن ابن عبيد الله ، عن إبراهيم قال : الملائكة، أعوان ملك الموت .

١٣٣٣٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم : « توفته رسلنا » ، قال : يتوفونه ، ثم يدفعونه إلى ملك الموت .

١٣٣٣٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه قال : سألت الربيع بن أنس عن ملك الموت ، أهو وحده الذي يقبض الأرواح ، قال : هو الذي يلي أمرَ الأرواح ، وله أعوان على ذلك ، ألا تسمع إلى قول الله تعالى ذكره : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾ ؟ [سورة الأعراف : ٣٧] . وقال : « توفته رسلنا وهم لا يفرطون » ، غير أن ملك الموت هو الذي يسير ، كل خطوة منه من المشرق إلى المغرب . قلت : أين تكون أرواح المؤمنين ؟ قال : عند السدرة في الجنة .

١٣٣٣٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا محمد بن مسلم، عن إبراهيم بن ميسرة ، عن مجاهد قال : ما من أهل بيت شَعَرٍ ولا مَدَرٍ إلا وملك الموت يُطيف بهم كل يوم مرتين .

* * *

وقد بينا أن معنى « التفريط » ، التضييع ، فيما مضى قبل .[1] وكذلك تأوله المتأوّلون في هذا الموضع .

---

(١) انظر تفسير « التفريط » فيما سلف ص : ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

١٣٣٤٠ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وهم لا يفرطون » ، يقول : لا يضيعون

١٣٣٤١ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وهم لا يفرطون » ، قال : لا يضيعون .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ (٦٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ثم ردت الملائكة الذين توفَّوهم فقبضوا نفوسهم وأرواحهم ، إلى الله سيدهم الحق ،[1] « ألا له الحكم » ، يقول : ألا له الحكم والقضاء دون من سواه من جميع خلقه[2] = « وهو أسرعُ الحاسبين » ، يقول : وهو أسرع من حسب عددكم وأعمالكم وآجالكم وغير ذلك من أموركم ، أيها الناس ، وأحصاها ، وعرف مقاديرها ومبالغها ،[3] لأنه لا يحسب بعقد يد ، ولكنه يعلم ذلك ولا يخفى عليه منه خافية ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى السَّمَٰوَاتِ وَلَا فِى الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ .[4]

* * *

(١) انظر تفسير « المولى » فيما سلف ٦ : ١٤١/٧ : ٢٧٨ ، وغيرها من فهارس اللغة مادة (ولى) .

(٢) انظر تفسير « الحكم » فيما سلف ٩ : ١٧٥ ، ٣٢٤ ، ٤٦٢ .

(٣) انظر تفسير « الحساب » فيما سلف : ٢٠٧ ، ٢٧٤ ، ٦/٢٧٥ : ٢٧٩ .

(٤) هذا تضمين آية « سورة سبأ » : ٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (٦٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم ، الداعين إلى عبادة أوثانهم : من الذى ينجيكم = « من ظلمات البر » ، إذا ضللتم فيه فتحيّرتم ، فأظلم عليكم الهدى والمحجة = ومن ظلمات البحر إذا ركبتموه ، فأخطأتم فيه المحجة ، فأظلم عليكم فيه السبيل ، فلا تهتدون له = غير الله الذى إليه مفزعكم حينئذ بالدعاء[1] = « تضرعاً » ، منكم إليه واستكانة جهراً[2] = «وخفية» ، يقول : وإخفاء للدعاء أحياناً ، وإعلاناً وإظهاراً تقولون : لئن أنجيتنا من هذه يارب[3] = أى من هذه الظلمات التى نحن فيها = « لنكونن من الشاكرين » ، يقول : لنكونن ممن يوحدك بالشكر ، ويخلص لك العبادة ، دون من كنا نشركه معك فى عبادتك . ١٤١/٧

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) فى المطبوعة : « الذى مفزعكم » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « التضرع » فيما سلف ص : ٣٥٥

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة ، كان نص الآية ﴿ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ ﴾ وهى قراءة باقى السبعة ، وقراءتنا المثبتة فى مصحفنا هى قراءة الكوفيين . وقد جرى أبو جعفر فى تفسيره على قراءة عامة الناس ، ولم يشر إلى قراءتنا ، وجرى على ذلك فى تفسيره الآية . وقال القرطبى : قرأ الكوفيون « لئن أنجانا » ، واتساق المعنى بالتاء ، كما قرأ أهل المدينة والشام .

وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٣٨ . وظنى أن أبا جعفر قد اختصر التفسير فى هذا الموضع اختصاراً شديداً ، فترك كثيراً كان يظن به أن يقوله .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣٤٢ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية » ، يقول : إذا أضل الرجل الطريق ، دعا الله : « لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين » .[1]

١٣٣٤٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر » ، يقول : من كرْب البر والبحر .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ (٦٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء العادلين بربهم سواه من الآلهة ، إذا أنت استفهمتهم عمن به يستعينون عند نزول الكرب بهم فى البر والبحر : الله القادرُ على فرَجكم عند حلول الكرب بكم ، ينجيكم من عظيم النازل بكم فى البر والبحر من همّ الضلال وخوف الهلاك ، ومن كل كرب سوى ذلك وهمّ = لا آلهتكم التى تشركون بها فى عبادته ، ولا أوثانكم التى تعبدونها من دونه ، التى لا تقدر لكم على نفع ولا ضرّ ، ثم أنتم بعد تفضله عليكم بكشف النازل بكم من الكرب ، ودفع الحالّ بكم من جسيم الهم ، تعدلون به آلهتكم وأصنامكم ، فتشركونها فى عبادتكم إياه . وذلك منكم جهل

(١) تركت الخبر على قراءة الناس لا قراءتنا فى مصحفنا .

بواجب حقه عليكم ، وكفر لأياديه عندكم ، وتعرضٌ منكم لإنزال عقوبته عاجلاً بكم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء العادلين بربهم غيره من الأصنام والأوثان ، يا محمد : إن الذى ينجيكم من ظلمات البرّ والبحر ومن كل كرب ، ثم تعودون للإشراك به ، هو القادر على أن يرسل عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم ، لشرككم به ، وادّعائكم معه إلهاً آخر غيره ، وكفرانكم نعمه ، مع إسباغه عليكم آلاءه ومِنَنَه .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى « العذاب » الذى توعد الله به هؤلاء القوم أن يبعثه عليهم من فوقهم أو من تحت أرجلهم .

فقال بعضهم : أما العذاب الذى توعدهم به أن يبعثه عليهم من فوقهم ، فالرجم . وأما الذى توعدهم أن يبعثه عليهم من تحتهم ، فالخسف .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣٤٤ — حدثنا محمد بن بشار وابن وكيع قالا ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن السدى ، عن أبى مالك : عذاباً من فوقهم ، أو من تحت أرجلهم ، قال : الخسف .[1]

١٣٣٤٥ — حدثنا سفيان قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن الأشجعى ،

---

(١) فى المطبوعة ، كنص الآية ، ولكنى رددت ما فى المخطوطة إلى حاله .

عن سفيان ، عن السدى ، عن أبى مالك وسعيد بن جبير ، مثله .

١٣٣٤٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة، عن شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم » ، قال : الخسف .

١٣٣٤٧ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم » ، فعذاب السماء = « أو من تحت أرجلكم » ، فيخسف بكم الأرض .

١٣٣٤٨ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم » ١٤٢/٧ قال : كان ابن مسعود يصيح وهو فى المجلس أو على المنبر : ألا أيها الناس ، إنه نزل بكم . إن الله يقول: « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم »، لو جاءكم عذاب من السماء لم يبق منكم أحد = « أو من تحت أرجلكم »، لو خسف بكم الأرض أهلككم، لم يبق منكم أحد = « أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض » ، إلا إنه نزل بكم أسوأ الثلاث .[1]

* * *

وقال آخرون: عنى بالعذاب من فوقكم ، أئمةَ السوء = « أو من تحت أرجلكم » ، الخدم وسفلة الناس .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣٤٩ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، سمعت خلاداً يقول : سمعت عامر بن عبد الرحمن يقول : إن ابن عباس كان يقول فى هذه :

---

(١) فى المطبوعة خلاف ما فى المخطوطة، وفى المخطوطة أخطاء . فى المخطوطة : « ... عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو جاءكم عذاب من السماء » ، وفيها أيضاً : « أو من تحت أرجلكم يخسف بكم الأرض » ، وصواب هاتين فى ما فى المطبوعة ، وكان فى المطبوعة نصب « أحد » فى الموضعين ، وكان فيها أيضاً : « أهلككم ولم يبق » بالواو ، وأثبت ما فى المخطوطة .

« قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم » ، فأما العذاب من فوقكم، فأئمة السوء = وأما العذاب من تحت أرجلكم ، فخدم السوء.[1]

١٣٣٥٠ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم » ، يعني من أمرائكم = « أو من تحت أرجلكم » ، يعني : سفلتكم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي ، قولُ من قال : عنى بالعذاب من فوقهم، الرجمَ أو الطوفان وما أشبه ذلك ممن ينزل عليهم من فوق رؤوسهم = ومن تحت أرجلهم ، الخسفَ وما أشبهه . وذلك أن المعروف في كلام العرب من معنى « فوق » و« تحت » الأرجل، هو ذلك ، دون غيره . وإن كان لما روي عن ابن عباس في ذلك وجه صحيح ، غير أن الكلام إذا تُنُوزع في تأويله ، فحمله على الأغلب الأشهر من معناه أحق وأولى من غيره ، ما لم تأت حجة مانعة من ذلك يجب التسليم لها .

* * *

(١) الأثر ١٣٣٤٩ — « خلاد » ، هو « خلاد بن سليمان الحضرمي المصري » ، كان خياطاً أمياً لا يكتب ، وكان من الخائفين . روى عنه ابن وهب ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير ١٧٢/١/٢ ، وابن أبي حاتم ٣٦٥/٢/١ .

وأما « عامر بن عبد الرحمن » ، فإن البخاري وابن أبي حاتم ، ذكراه في ترجمة خلاد ، وذكر أنه سمع منه . ولكني لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من المراجع وهذا عجيب

القول فى تأويل قوله ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أو يخلطكم = « شيعاً » ، فرقاً ، واحدتها « شيعة » .

* * *

وأما قوله : « يلبسكم » فهو من قولك : « لبَسْتُ عليه الأمر » ، إذا خلطت ، « فأنا ألبِسه » . وإنما قلت إن ذلك كذلك ، لأنه لا خلاف بين القرأة فى ذلك بكسر « الباء » ، ففى ذلك دليل بَيِّنٌ على أنه من : « لبَس يلبِس » ، وذلك هو معنى الخلط . وإنما عنى بذلك : أو يخلطكم أهواء مختلفة وأحزاباً مفترقة .[1]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣٥١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « أو يلبسكم شيعاً » ، الأهواء المفترقة .

١٣٣٥٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أو يلبسكم شيعاً » ، قال : يفرق بينكم .

١٣٣٥٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « أو يلبسكم شيعاً » ، قال : ما كان منكم من الفتن والاختلاف .[2]

١٣٣٥٤ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى

---

(١) انظر تفسير « لبس » فيما سلف ١ : ٥٦٧ ، ٦/٥٦٨ : ٥٠٣ — ١١/٥٠٥ : ٢٧٠

(٢) فى المطبوعة : « من التفرق » ، وفى المخطوطة : « من العر » ، غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت .

قوله : « أو يلبسكم شيعاً » ، قال : الذى فيه الناس اليوم من الاختلاف ، والأهواء ، وسفك دماء بعضهم بعضاً .

١٣٣٥٥ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « أو يلبسكم شيعاً » ، قال : الأهواء والاختلاف .

١٣٣٥٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس: « أو يلبسكم شيعاً »، يعنى بالشيع ، الأهواء المختلفة .

* * *

وأما قوله : « ويذيق بعضكم بأس بعض » ، فإنه يعنى : يقتل بعضكم بيد بعض .

* * *

والعرب تقول للرجل ينال الرجل بسلاح فيقتله به: «قد أذاق فلان فلاناً الموت»، و « أذاقه بأسه »، وأصل ذلك من: «ذوق الطعام » وهو يطعمه، ثم استعمل ذلك فى كل ما وصل إلى الرجل من لذة وحلاوة ، أو مرارة ومكروه وألم .(١)

١٤٣/٧

* * *

وقد بينت معنى « البأس » فى كلام العرب فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(٢)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣٥٧ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

---

(١) انظر تفسير «الذوق» فيما سلف ٧ : ٩٦ ، ٤٤٦ ، ٨/٤٥٢ : ١١/٤٨٧ : ٤٧ ، ٣٢٤ ولكنه لم يبينه بياناً شافياً فى المواضع السالفة ، وأبان عنه هنا إبانة تامة ، وهذا ضرب من ضروب اختصاره فى تفسيره .

(٢) انظر تفسير « البأس » فيما سلف ٨ : ١١/٥٨٠ : ٣٥٧

حدثنا أسباط ، عن السدى : « ويذيق بعضكم بأس بعض » ، بالسيوف .

١٣٣٥٨ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو النعمان عارم قال، حدثنا حماد ، عن أبي هرون العبدي، عن نوف البكالي أنه قال في قوله : « ويذيق بعضكم بأس بعض » ، قال: هي والله الرجال في أيديهم الحراب ، يطعُنون في خواصركم .

١٣٣٥٩ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « ويذيق بعضكم بأس بعض » ، قال : يسلط بعضكم على بعض بالقتل والعذاب .

١٣٣٦٠ — حدثنا سعيد بن الربيع الرازي قال، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال: عذاب هذه الأمة أهل الإقرار ، بالسيف : « أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض » = وعذاب أهل التكذيب ، الصيحة والزلزلة .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية .

فقال بعضهم : عنى بها المسلمون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وفيهم نزلت .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣٦١ — حدثني محمد بن عيسى الدامغاني قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية في قوله : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم » الآية ، قال: فهن أربع ، وكلهن عذاب ، فجاء مستقرّ اثنتين ،[1] بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة، فألبسوا شيعاً ، وأذيق بعضهم بأس بعض، وبقيت اثنتان ، فهما لا بدّ واقعتان = يعني الخسف والمسخ .[2]

---

(١) في المطبوعة : « فجاء منهن اثنتان » ، غير ما في المخطوطة ، وهو واضح فيها جداً، وهو صواب أيضاً .

(٢) الأثر : ١٣٣٦١ — « محمد بن عيسى الدامغاني » ، شيخ أبي جعفر ، مضى برقم : ٣٢٢٥ . وانظر خبر أبي العالية ، عن أبي بن كعب ، رقم : ١٣٣٨٠ . وتخريجه هناك .

١٣٣٦٢ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « من فوقكم أو من تحت أرجلكم » ، لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأعفاكم منه = « أو يلبسكم شيعاً » ، قال : ما كان فيكم من الفتن والاختلاف .

١٣٣٦٣ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٣٣٦٤ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً »، الآية . ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلّى ذات يوم الصبح فأطالها ، فقال له بعض أهله : يا نبي الله ، لقد صلّيت صلاة ما كنت تصلّيها ؟ قال : إنها صلاةُ رَغبة ورَهبة ، وإنى سألت ربيّ فيها ثلاثاً ، سألته أن لا يسلط على أمتى عدوًّا من غيرهم ، فيهلكهم ، فأعطانيها . وسألته أن لا يسلط على أمتى السنة ، فأعطانيها .[1] وسألته أن لا يلبسهم شيعاً ولا يذيق بعضهم بأس بعض ، فمنعنيها . ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : لا تزال طائفةٌ من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتى أمر الله .

١٣٣٦٥ — حدثنا أحمد بن الوليد القرشي وسعيد بن الربيع الرازى قالا ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، سمع جابراً يقول : لما أنزل الله تعالى ذكره على النبي صلى الله عليه وسلم : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم » ، قال : أعوذ بوجهك = « أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض » ، قال : هاتان أيسر = أو : أهون .[2]

(١) « السنة » ، الجدب والقحط .

(٢) الأثر : ١٣٣٦٥ — « أحمد بن الوليد القرشي » ، مضى برقم : ١٦٩٢ : « أحمد ابن الوليد » بدون نسبة ، وقال أخى السيد أحمد هناك : « لم أعرف من هو» .
وأزيد أنى وجدت أبا جعفر يروى فى تاريخه ١ : ١٦٧ عن شيخه « أحمد بن الوليد الرملى »

١٣٣٦٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن جابر قال : لما نزلت : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم » ، قال : نعوذ بك ، نعوذ بك = « أو يلبسكم شيعاً » ، قال : هو أهون .[1] ١٤٤/٧

١٣٣٦٧ — حدثنى زياد بن عبيد الله المزنى قال ، حدثنا مروان بن معاوية الفزارى قال ، حدثنا أبو مالك قال ، حدثنى نافع بن خالد الخزاعى ، عن أبيه: أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود ، فقال : قد كانت صلاة رغبة ورهبة ، فسألت الله فيها ثلاثاً ، فأعطانى اثنتين ، وبقى واحدة . سألت الله أن لا يصيبكم بعذاب أصاب به مَن قبلكم ، فأعطانيها . وسألت الله أن لا يسلِّط عليكم عدوًّا يستبيح بيضتكم ، فأعطانيها . وسألته أن لا يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض ، فمنعنيها = قال أبو مالك : فقلت له : أبوك سمع هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال : نعم ، سمعته يحدث بها القوم أنه سمعها من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم .[2]

ثم سماه « أحمد بن الوليد » بلا نسبة ، وهو يروى فى هذه الأسانيد ، عن : « إبراهيم بن زياد » ، و « إسحق بن المنذر » و « عبد الملك بن يزيد » ، و « عمرو بن عون » ، و « محمد بن الصباح » و « سعدويه » .

ثم روى عنه فى المنتخب من ذيل المذيل (تاريخه ١٣ : ١٠٤) ، وروى « أحمد بن الوليد » فى هذا الإسناد ، عن « الربيع بن يحيى » .

جمعت هذا حتى أتحقق معرفته ونسبته ، أما تخريج الخبر ، فى التعليق التالى .

(١) الأثران : ١٣٣٦٥ ، ١٣٣٦٦ — « عمرو » ، هو « عمرو بن دينار » .

رواه البخارى (الفتح ٨ : ٢١٩) من طريق حماد بن زيد ، عن عمرو بن دينار . وقال الحافظ ابن حجر : « وقع فى الاعتصام من وجه آخر ، عن ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، سمعت جابراً ، وكذا للنسائى من طريق معمر ، عن عمرو بن دينار » ، ويعنى ما رواه البخارى (الفتح ١٣ : ٣٢٩) ، وسيأتى من طريق معمر ، عن عمرو بن دينار فيما يلى رقم : ١٣٣٧٢.

ورواه الترمذى فى كتاب التفسير من سننه ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

(٢) الأثر : ١٣٣٦٧ — « زياد بن عبيد الله المزنى » ، هكذا جاء هنا « المزنى » ، ومضى برقم : ٨٢٨٤ : « زياد بن عبيد الله المرى » ، وقد كتب عنه أخى السيد أحمد فيما سلف ، وقال إنه لم يعرفه ، وقال إنه من المتحمل أن يكون : « زياد بن عبد الله بن خزاعى » ، لأنه يروى أيضاً

١٣٣٦٨ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن

عن « مروان بن معاوية » ، ولكن مجيئه هنا أيضاً « زياد بن عبيد الله » يضعف هذا الاحتمال .

و « مروان بن معاوية الفزاري » ثقة ، من شيوخ أحمد . مضى برقم : ١٢٢٢ ، ٣٣٢٢ ، ٣٨٤٢ ، ٧٦٨٥ .

و « أبو مالك » ، هو « الأشجعي » ، واسمه « سعد بن طارق بن أشيم » ؛ روى عن أبيه ، وأنس ، وعبد الله بن أبي أوفى ، وربعي بن حراش ، وغيرهم ، وثقه أحمد . مترجم في التهذيب ، والكبير ٥٩/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ٨٦/١/٢ .

و « نافع بن خالد الخزاعي » ، روى عن أبيه ، روى عن أبو مالك الأشجعي سعد بن طارق ، مترجم في لسان الميزان ٦ : ١٤٥ ، والكبير للبخاري ٨٥/٢/٤ ، وابن أبي حاتم ٤٥٧/١/٤ . ولم يذكر البخاري ولا ابن أبي حاتم فيه جرحاً ، ولكن الحافظ ابن حجر أخطأ في لسان الميزان خطأ شنيعاً ، فقال : « قال ابن أبي حاتم عن أبيه في ترجمته : هو ونافع ابنه مجهولان » ، وهو سهو شديد ، فإن الذي قال ذلك عنه ابن أبي حاتم ، خالد آخر ، وهو موجود في كتابه ٣٦٢/٢/١ برقم : ١٦٤٣ هكذا : « خالد ، روى عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، روى عنه ابنه محمد . سمعت أبي يقول ذلك ، ويقول : هما مجهولان » . أما « خالد الخزاعي » ، فقد قال عنه : « روى عنه ابنه نافع ، يعد في الكوفيين ، سمعت أبي يقول ذلك » ، وهو موجود قبل تلك الترجمة برقم : ١٦٤٢ . وهذا سهو شديد ينبغي أن يصحح .

وأبوه : « خالد الخزاعي الأزدي » غير مبين النسب ، ترجم له البخاري في الكبير ١٢٧/١/٢ ، وقال : « يعد في الكوفيين » ، وقال ابن أبي حاتم ٣٦٢/٢/١ : « له صحبة ، روى عنه ابنه نافع » ، كما ذكرت قبل . وترجم له الحافظ في الإصابة .

وهذا خبر رجاله ثقات ، كما قال الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمته . وقد أشار إلى هذا الخبر ، البخاري في تاريخه ١٢٧/١/٢ ، من طريق ابن أبي زائدة ، عن سعد بن طارق ، عن نافع بن خالد الخزاعي ، قال حدثني أبي ، وكان من أصحاب الشجرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى والناس ينظرون ، صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود .

وأشار إليه الحافظ أيضاً في الفتح (٨ : ٢٢١) ، وأما في الإصابة فقد قال : « روى الحسن ابن سفيان ، وأبو يعلى ، والطبراني ، والطبري في تفسيره ، وغيرهم ، من طريق أبي مالك . . . » ثم ذكر الخبر وقال : « رجاله ثقات » .

وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٢٢٢ ، بنحوه ، ثم قال : « رواه الطبراني بأسانيد ، ورجال بعضها رجال الصحيح ، غير نافع بن خالد . وقد ذكره ابن أبي حاتم ، ولم يجرحه أحد . ورواه البزار » .

وخرجه ابن كثير في تفسيره ٣ : ٣٢٩ ، من رواية الحافظ أبي بكر بن مردويه ، عن عبد الله ابن إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي ، وميمون بن إسحق بن الحسن الحنفي ، كلاهما عن أحمد بن عبد الجبار ، عن محمد بن فضيل ، عن أبي مالك الأشجعي ، مطولا .

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ١٩ ، ونسبه لابن جرير وابن مردويه ، ولم يزد شيئاً .

وأخرج الترمذي في الفتن ، من حديث خباب بن الأرت ، مثله ، كما سيأتي في رقم : ١٣٣٧٠ .

معمر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي الأشعث ، عن أبي أسماء الرحبي ، عن شداد بن أوس يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال : إن الله زَوى لى الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربَها ، وإنّ ملك أمتى سيبلغ ما زُوِى لى منها ، وإنى أعطيت الكنزين الأحمرَ والأبيض ، وإنى سألت ربّى أن لا يهلك قومى بسَنَةٍ عامة ، وأن لايلبسهم شيعاً ،ولا يذيق بعضهم بأس بعض ، فقال : يا محمد ، إنى إذا قضيت قضاءً فإنه لا يردّ ، وإنى أعطيتك لأمتك أنلا أهلكهم بسنة عامة ، ولا أسلِّط عليهم عدوًّا ممن سواهم فيهلكوهم بعامة ،[1] حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ، وبعضهم يقتل بعضاً ، وبعضهم يسبى بعضاً . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنى أخاف على أمتى الأئمة المضلين ، فإذا وضع السيف فى أمتى ، لم يُرفع عنهم إلى يوم القيامة .[2]

وقوله : «يستبيح بيضتهم» ، يريد : جماعتهم وأصلهم ومجتمعهم ، وموضع سلطانهم ، ومستقر دعوتهم . يقول : لا تسلط عليهم عدواً يستأصلهم ويهلكهم جميعاً . قالوا : وذلك أن أصل البيضة إذا أهلك ، كان ذلك هلاك كل ما فيها من طعم أو فرخ ، وإذا لم يهلك أصل البيضة ، ربما سلم بعض فراخها . وقال غيرهم : «البيضة» : ساحة القوم ومعظم دارهم . وهذا أقرب عندى .

(١) فى المطبوعة : «فيهلكهم» ، وفى المخطوطة : «فيهلكوهم هم» ، وخلط فى كتابتها ، والصواب من المسند .

(٢) الأثر : ١٣٣٦٨ — «أبو الأشعث الصنعانى» ، هو «شراحيل بن آدة» ، من صنعاء الشام ، تابعى ثقة . مترجم فى التهذيب .

و «أبو أسماء الرحبى» ، هو «عمرو بن مرثد» تابعى ثقة ، مضى برقم : ٤٨٤٤ .

و «شداد بن أوس بن ثابت الأنصارى» ، صحابى ، قال عباد بن الصامت : «شداد بن أوس من الذين أوتوا العلم والحلم ، ومن الناس من أوتى أحدهما» .

وهذا الخبر ، رواه أحمد فى مسنده ٤ : ١٢٣ ، من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب ، بمثل رواية أبى جعفر .

وأشار إلى روايته من حديث شداد ، الحافظ ابن حجر فى الفتح (٨ : ٢٢١) وقال : «وأخرج الطبرى من حديث شداد ، نحوه ، بإسناد صحيح» ، يعنى : نحو حديث ثوبان كما سأشير إليه بعد .

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، من مسند أحمد ، وقال : «ليس فى شىء من الكتب الستة ، وإسناده جيد قوى . وقد رواه ابن مردويه من حديث حماد بن زيد ، وعباد

١٣٣٦٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر قال، أخبرنى أيوب، عن أبى قلابة، عن أبى الأشعث، عن أبى أسماء الرحبى، عن شداد ابن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر نحوه = إلا أنه قال: وقال النبى صلى الله عليه وسلم : إنى لا أخاف على أمتى إلاّ الأئمة المضلين .[1]

١٣٣٧٠ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور قال، حدثنا معمر، عن الزهرى قال : راقب خباب بن الأرتّ ، وكان بدريًّا، النبىَّ صلى الله عليه وسلم وهو يصلى، حتى إذا فرغ ، وكان فى الصبح ، قال له : يا رسول الله ، لقد رأيتك تصلى صلاة ما رأيتك صليت مثلها ؟ قال : أجل، إنها صلاة رَغَبٍ وَرَهَبٍ، سألت ربى ثلاث خصال، فأعطانى اثنتين، ومنعنى واحدة: سألته أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم، فأعطانى. وسألته أن لا يسلط علينا عدوًّا، فأعطانى . وسألته أن لا يلبسنا شيعاً، فمنعنى .[2]

ابن منصور ، وقتادة ، ثلاثتهم عن أيوب ، عن أبى قلابة ، عن أبى أسماء ، عن ثوبان ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحوه والله أعلم » .

وروى هذا الخبر بنحو هذا اللفظ من طريق أيوب ، عن أبى قلابة، عن أبى أسماء، عن ثوبان . بنحو هذا اللفظ . رواه مسلم فى صحيحه ١٨ : ١٢ ، ١٤ ، وأبو داود فى سننه ٤ : ١٣٨ ، مطولا ، وخرجه السيوطى عن ثوبان ، فى الدر المنثور ٣ : ١٧ ، وقال : « أخرج أحمد ، وعبد بن حميد ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجة ، والبزار ، وابن حبان ، والحاكم وصححه ، واللفظ له ، وابن مردويه » ثم ساق لفظ الحاكم فى المستدرك . مطولا .

قوله : « زوى لى الأرض » : جمعها وقبضها حتى يراها جميعاً .

و « السنة » : القحط .

وقال النووى فى شرح مسلم : « وهذا الحديث فيه معجزات ظاهرة وقعت كلها بحمد الله ، كما أخبر به صلى الله عليه وسلم . قال العلماء : المراد بالكنزين الذهب والفضة . والمراد كنزى كسرى وقيصر ، ملكى العراق والشام . فيه إشارة إلى أن ملك هذه الأمة يكون معظم امتداده فى جهتى المشرق والمغرب . وهكذا وقع . وأما فى جهتى الجنوب والشمال فقليل بالنسبة إلى المشرق والمغرب . وصلوات الله وسلامه على رسوله الصادق الذى لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى » .

(١) الأثر : ١٣٣٦٩ — انظر التعليق على الأثر السالف . ومن هذه الطريق ، رواه أحمد فى مسنده ٤ : ١٢٣ ، بمثل ما ذكر أبو جعفر .

(٢) الأثر : ١٣٣٧٠ — هذا الخبر رواه أحمد فى مسنده ٥ : ١٠٨ ، والترمذى فى كتاب

١٣٣٧١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن الزهرى فى قوله : « أو يلبسكم شيعاً » ، قال : راقب خبابُ بن الأرت، وكان بدريًّا ، رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه = إلا أنه قال : ثلاث خصلات .(١)

١٣٣٧٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن عمرو بن دينار قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم » ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : أعوذ بوجهك = « أو من تحت أرجلكم » ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : أعوذ بوجهك = « أو يلبسكم شيعاً » ، قال : هذه أهون .(٢)

١٣٣٧٣ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية، عن يونس ، عن الحسن : أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : سألت ربّي أربعاً ، فأعطيت ثلاثاً ومنعت واحدة : سألته أن لا يسلط على أمتي عدوًّا من غيرهم يستبيح بيضتهم ، ولا يسلط عليهم جوعاً ، ولا يجمعهم على ضلالة ، فأعطيتهن = وسألته أن لا

١٤٥/٧

الفتن ، موصولا ، من طريق الزهرى ، عن عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن عبد الله ابن خباب بن الأرت ، عن خباب بن الأرت ، مولى بنى زهرة .

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٣٢٨ ، من مسند أحمد ، ثم قال : « ورواه النسائى من حديث شعيب بن أبى حمزة ، عن الزهرى، به، ومن وجه آخر . وابن حبان فى صحيحه بإسناديهما عن صالح ابن كيسان . والترمذى فى الفتن من حديث النعمان بن راشد ، كلاهما عن الزهرى ، به . وقال : حسن صحيح » .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ١٨ ، وقال : « أخرج عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، والترمذى وصححه ، والنسائى ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، عن خباب بن الأرت » ، وساق الخبر .

وقوله : « رغب ورهب » كلاهما بفتحتين ، أى : الرغبة والرهبة .

(١) الأثر : ١٣٣٧١ — انظر التعليق على الأثر السالف .

(٢) الأثر : ١٣٣٧٢ — انظر التعليق على الأثرين السالفين رقم : ١٣٣٦٥ ، ١٣٣٦٦ ، فهذه طريق أخرى .

يلبسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض ، فنعتُ .

١٣٣٧٤ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى سألت ربى خصالاً ، فأعطانى ثلاثاً ومنعنى واحدة : سألته أن لا تكفر أمتى صفقة واحدة ، فأعطانيها . وسألته أن لا يُظهر عليهم عدوًّا من غيرهم ، فأعطانيها . وسألته أن لا يعذبهم بما عذب به الأمم من قبلهم ، فأعطانيها . وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم ، فمنعنيها .

١٣٣٧٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن أبى بكر ، عن الحسن قال : لما نزلت هذه الآية ، قوله : « ويذيق بعضكم بأس بعض» ، قال الحسن : ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو يُشهده عليهم : « انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون » ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ ، فسأل ربه أن لا يرسل عليهم عذاباً من فوقهم أو من تحت أرجلهم ، ولا يلبس أمته شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض كما أذاق بنى إسرائيل ، فهبط إليه جبريل صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، إنك سألت ربك أربعاً فأعطاك اثنتين ومنعك اثنتين : لن يأتيهم عذاب من فوقهم ، ولا من تحت أرجلهم يستأصلهم ، فإنهما عذابان لكل أمة اجتمعت على تكذيب نبيها وردّ كتاب ربها ، ولكنهم يلبسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض ،[1] وهذان عذابان لأهل الإقرار بالكتاب والتصديق بالأنبياء ، ولكن يعذبون بذنوبهم ، وأوحى إليه : ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴾ ، يقول : من أمتك = ﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ ﴾ = من العذاب وأنت حي = ﴿ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴾ [سورة الزخرف : ٤١ ، ٤٢] . فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم فراجع ربه ، فقال : أيّ مصيبة أشدّ من أن

(١) هكذا فى المطبوعة والمخطوطة : « ولكنهم يلبسهم . . . » ، وهو جائز ، والأجود « ولكنه يلبسهم » ، وأخشى أن يكون ما فى النسخ من الناسخ .

أرى أمتي يعذب بعضها بعضاً ! وأوحى إليه : ﴿ الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾، [سورة العنكبوت : ١ – ٣] ، فأعلمه أن أمته لم تخصّ دون الأمم بالفتن ، وأنها ستبتلى كما ابتليت الأمم . ثم أنزل عليه : ﴿ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ * رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾، [سورة المؤمنون : ٩٣ ، ٩٤] ، فتعوّذ نبي الله ، فأعاذه الله ، لم يرَ من أمته إلا الجماعة والألفة والطاعة . ثم أنزل عليه آية حذّر فيها أصحابه الفتنة ، فأخبره أنه إنما يُخَصّ بها ناسٌ منهم دون ناس ، فقال : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾، [سورة الأنفال : ٢٥] ، فخصّ بها أقواماً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بعده ، وعصم بها أقواماً .

١٣٣٧٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية قال : لما جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما يكون في أمته من الفرقة والاختلاف ، فشق ذلك عليه ، ثم دعا فقال : اللهم أظهر عليهم أفضلهم بقية .(١)

١٣٣٧٧ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو الأسود قال ، أخبرنا ابن لهيعة ، عن خالد بن يزيد ، عن أبي الزبير قال : لما نزلت هذه الآية : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعوذ بالله من ذلك ! = قال : « أو من تحت أرجلكم » ، قال : أعوذ بالله من ذلك = قال : « أو يلبسكم شيعاً » ، قال : هذه أيسر ! ولو استعاذه لأعاذه .(٢)

---

(١) في المطبوعة : « أفضلهم تقية » ، وكأن صواب قراءتها ما أثبت ، فإنها في المخطوطة غير منقوطة ، وقوله : « بقية » ، أي : إبقاء على من يظهر عليه ويظفر به .

(٢) الأثر : ١٣٣٧٧ — « خالد بن يزيد » هو الجمحي ، المصري . مضى برقم : ٣٩٦٥ ، ٥٤٦٥ ، ٩١٨٥ ، ٩٥٠٧ ، ١٢٢٨٣ .

و « أبو الزبير » ، هو « محمد بن مسلم المكي » ، مضى مراراً .

١٣٣٧٨ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا المؤمل البصرى قال، أخبرنا يعقوب بن إسمعيل بن يسار المديني قال ، حدثنا زيد بن أسلم قال : لما نزلت : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقابَ بعض بالسيوف ! فقالوا : ونحن نشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ! قال : نعم ! فقال بعض الناس : لا يكون هذا أبداً ! فأنزل الله : ﴿ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ * وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ * لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ .(1)

١٤٦/٧

* * *

وقال آخرون : عنى ببعضها أهل الشرك ، وببعضها أهل الإسلام .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣٧٩ — حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن هرون بن موسى ، عن حفص بن سليمان ، عن الحسن في قوله : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم » ، قال : هذا للمشركين = « أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض » ، قال : هذا للمسلمين .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول عندى أن يقال : إنّ الله تعالى ذكره توعَّد بهذه الآية أهلَ الشرك به من عبدة الأوثان ، وإياهم خاطبَ بها ، لأنها

---

(1) الأثر : ١٣٣٧٨ — « المؤمل البصرى » ، هو : « مؤمل بن إسماعيل البصرى » ، وقد سلف مراراً برقم : ٢٠٥٧ ، ٣٣٣٧ ، ٥٧٢٨ ، ٨٣٥٦ ، ٨٣٦٧ .
وأما « يعقوب بن إسماعيل بن يسار المديني » ، فلم أجد له ذكراً في كتب التراجم ، وهذا غريب .

بين إخبار عنهم وخطابهم ، وذلك أنها تتلو قوله : « قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخُفْيةً لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين * قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون » ، ويتلوها قوله : « وكذب به قومك وهو الحق » . وغير جائز أن يكون المؤمنون كانوا به مكذبين ، فإذا كان غير جائز أن يكون ذلك كذلك ، وكانت هذه الآية بين هاتين الآيتين ، كان بيّناً أن ذلك وعيدٌ لمن تقدّم وصف الله إياه بالشرك ، وتأخر الخبر عنه بالتكذيب = لا لمن لم يجر له ذكر . غير أن ذلك وإن كان كذلك ، فإنه قد عم وعيدُه بذلك كلَّ من سلك سبيلهم من أهل الخلاف على الله وعلى رسوله ، والتكذيب بآيات الله من هذه وغيرها .

وأما الأخبار التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ، ومنعني واحدة » ، فجائز أن هذه الآية نزلت في ذلك الوقت وعيداً لمن ذكرتُ من المشركين ، ومن كان على منهاجهم من المخالفين ربهم ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعيذ أمته مما ابتلى به الأمم الذين استوجبوا من الله تعالى ذكره بمعصيتهم إياه هذه العقوبات ، فأعاذهم بدعائه إياه ورغبته إليه ، من المعاصي التي يستحقون بها من هذه الخلال الأربع من العقوبات أغلظها ، ولم يُعذهم من ذلك ما يستحقون به اثنتين منها .

وأما الذين تأوّلوا أنه عنى بجميع ما في هذه الآية هذه الأمة ، فإني أراهم تأوّلوا أن في هذه الأمة من سيأتي من معاصي الله وركوب ما يُسخط الله ، نحو الذي ركب مَن قبلهم من الأمم السالفة ، من خلافه والكفر به ، فيحلّ بهم مثل الذي حلّ بمن قبلهم من المثلات والنقمات ، وكذلك قال أبو العالية ومن قال بقوله : « جاء منهن اثنتان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة . وبقيت اثنتان ، الخسف والمسخ » ، وذلك أنه رُوي عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم أنه قال : « سيكون فى هذه الأمة خسف ومسخ وقذف » ،[١] = وأن قوماً من أمته سيبيتون على لهو ولعب ، ثم يصبحون قردة وخنازير .[٢] وذلك إذا كان ، فلا شك أنه نظير الذى فى الأمم الذين عتوا على ربهم فى التكذيب وجحدوا آياته .

وقد روى نحو الذى روى عن أبى العالية ، عن أبىّ .

١٣٣٨٠ — حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا سفيان قال ، أخبرنا أبى = ، عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، عن أبى بن كعب : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً » ، قال : أربع خِلال ، وكلهن عذاب ، وكلهن واقعٌ قبل يوم القيامة ، فمضت اثنتان بعد وفاة النبىّ صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة ، ألبسوا شيعاً ، وأذيق بعضهم بأس بعض . وثنتان واقعتان لا محالة : الخسف والرجم .[٣] ١٤٧/٧

* * *

(١) هذا حديث عائشة ، رواه الترمذى فى الفتن بإسناده ، ونصه :

« عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يكون فى آخر هذه الأمة خسفٌ ومَسْخٌ وقَذْفٌ . قالت : قلت : يارسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال : نعم ، إذا ظهر الخَبَثُ » ، قال الترمذى : « هذا حديثٌ غريبٌ من حديث عائشة ، لا نعرفه إلّا من هذا الوجه . وعبد الله بن عمر ، تكلم فيه يحيى بن سعيد من قبل حفظه » يعنى راوى الخبر : « عبد الله بن عمر ، عن عبيد الله ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة » .

(٢) روى البخارى (الفتح ١٠ : ٤٧ — ٤٩) من حديث أبى مالك وأبى عامر الأشعرى قال :

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليكونن من أُمتى قومٌ يستحِلُّون الحِرِ (أى : الزنا) والحرير والخمر والمعازف ، ولينزلنّ أقوامٌ إلى جنب عَلَمٍ ، تروح عليهم سارحةٌ لهم ، فيأتيهم رجلٌ لحاجته ، فيقولون : ارجع إلينا غداً ! فيبيِّتهم الله تعالى ويضع العَلَمَ ، ويمسخ آخرين قِردةً وخنازير إلى يوم القيامة » .

(٣) الأثر : ١٣٣٨٠ — إسناده صحيح ، رواه أحمد فى مسنده ٥ : ١٣٤ ، ١٣٥

القول فى تأويل قوله ﴿ أَنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ (٦٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: انظر، يا محمد ، بعين قلبك إلى ترديدنا حججنا على هؤلاء المكذبين بربّهم = الجاحدين نعمه، وتصريفناها فيهم [1] = «لعلهم يفقهون»، يقول : ليفقهوا ذلك ويعتبروه، [2]

من طريق وكيع ، عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، بمثله .

وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٢١ ، ثم قال : « رواه أحمد ، ورجاله ثقات . قلت : والظاهر أن من قوله : فمضت اثنتان ، إلى آخره ، من قول رفيع (يعنى أبا العالية) ، فإن أبى ابن كعب لم يتأخر إلى زمن الفتنة » . وذكر مثل ذلك من علة هذا الخبر ، الحافظ ابن حجر فى الفتح (٨ : ٢٢٠) ثم قال : « وأعل أيضاً بأنه مخالف لحديث جابر وغيره . وأجيب بأن طريق الجمع : أن الإعاذة المذكورة فى حديث جابر وغيره ، مقيدة بزمان مخصوص ، وهو وجود الصحابة والقرون الفاضلة ، وأما بعد ذلك فيجوز وقوع ذلك فيهم . وقد روى أحمد والترمذى من حديث سعد بن أبى وقاص قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : « قل هو القادر »، إلى آخرها فقال : أما إنها كائنة ، ولم يأت تأويلها بعد . وهذا يحتمل أن لا يخالف حديث جابر بأن المراد بتأويلها ما يتعلق بالفتن ونحوها » .

وذكر الخبر ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٣٣١ ، وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ١٧ ، وزاد نسبته لابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه ، وأبى نعيم فى الحلية .

* * *

وعند هذا الموضع انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت عنه نسختنا ، وفيها ما نصه :

يتلوه القول فى تأويل قوله :

﴿ أنظر كيف نصرّفُ الآيات لعلّهم يفقهونَ ﴾

وصلى الله على محمد النبيّ وعلى آله وسلم كثيراً

ثم يبدأ بعده بما نصه :

« بسم الله الرحمٰن الرحيم

رَبِّ يَسِّر »

(١) انظر تفسير « تصريف الآيات » فيما سلف : ٣٦٥

(٢) انظر تفسير « فقه » فيما سلف ٨ : ٥٥٧ / ١١ : ٣٠٧

فيذّكروا ويزدجروا عما هم عليه مقيمون مما يسخطه الله منهم ، من عبادة الأوثان والأصنام ، والتكذيب بكتاب الله تعالى ذكره ورسوله صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وكذب ، يا محمد ، قومك بما تقول وتخبر وتوعد من الوعيد = « وهو الحق » ، يقول : والوعيدُ الذى أوعدناهم على مقامهم على شركهم : من بعث العذاب من فوقهم ، أو من تحت أرجلهم ، أو لبسهم شيعاً ، وإذاقة بعضهم بأس بعض = « الحق » الذى لا شك فيه أنه واقع إن هم لم يتوبوا وينيبوا مما هم عليه مقيمون من معصية الله والشرك به ، إلى طاعة الله والإيمان به = « قل لست عليكم بوكيل » ، يقول : قل لهم ، يا محمد ، لست عليكم بحفيظ ولا رقيب ، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم [1] = « لكل نبأ مستقر » ، يقول : لكل خبر مستقر ، [2] يعنى : قرار يستقرّ عنده ، ونهاية ينتهى إليه ، فيتبين حقه وصدقه ، من كذبه وباطله = « وسوف تعلمون » ، يقول : وسوف تعلمون ، أيها المكذبون بصحة ما أخبركم به من وعيد الله إياكم ، أيها المشركون ، حقيقته عند حلول عذابه بكم ، [3] فرأوا ذلك وعاينوه ، فقتلهم يومئذ بأيدى أوليائه من المؤمنين .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الوكيل » فيما سلف ٩ : ٤٢٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « النبأ » فيما سلف ص : ٤٠٧ ، تعليق : ٦ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « وحقيته عند حلول عذابه بكم » ، وضع مكان « حقيقته » « وحقيته » ، وزاد « واوا » . فعل بها ما فعل بصواحباتها فيما سلف ص : ٢١٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

وبنحو الذى قلنا من التأويل فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣٨١ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وكذب به قومك وهو الحق » ، يقول : كذبت قريش بالقرآن ، وهو الحق = وأما « الوكيل » ، فالحفيظ= ، وأما « لكل نبأ مستقر » ، فكان نبأ القرآن استقر يوم بدر بما كان يَعِدهم من العذاب .

١٣٣٨٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « لكل نبأ مستقر »، لكل نبأ حقيقة، إما فى الدنيا وإما فى الآخرة = « وسوف تعلمون » ، ما كان فى الدنيا فسوف ترونه ، وما كان فى الآخرة فسوف يبدو لكم .

١٣٣٨٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية ، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس قوله: « لكل نبأ مستقر »، يقول : حقيقة .

١٣٣٨٤ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنا أبى قال، حدثنا عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون»، يقول : فعل وحقيقة ، ما كان منه فى الدنيا وما كان منه فى الآخرة .

* * *

وكان الحسن يتأوّل فى ذلك أنه الفتنة التى كانت بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٣٣٨٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن جعفر بن حيان ، عن الحسن أنه قرأ: « لكل نبأ مستقر » ، قال : حبست عقوبتها، حتى [إذا] عمل ذنبها أرسلت عقوبتها .[1]

* * *

(١) ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٦٨) ١٤٨/٧

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإذا رأيت ، يا محمد ، المشركين الذين يخوضون فى آياتنا التى أنزلناها إليك ، ووحينا الذى أوحيناه إليك ، = و « خوضهم فيها » ، كان استهزاءَهم بها ، وسبَّهم من أنزلها وتكلم بها، وتكذيبهم بها [1] = « فأعرض عنهم » ، يقول : فصد عنهم بوجهك ، وقم عنهم ، ولا تجلس معهم [2] = « حتى يخوضوا فى حديث غيره » ، يقول : حتى يأخذوا فى حديث غير الاستهزاء بآيات الله من حديثهم بينهم = « وإما ينسينك الشيطان » ، يقول : وإن أنساك الشيطان نهينا إياك عن الجلوس معهم والإعراض عنهم فى حال خوضهم فى آياتنا ، ثم ذكرت ذلك ، فقم عنهم ، ولا تقعد بعد ذكرك ذلك مع القوم الظالمين الذين خاضوا فى غير الذى لهم الخوضُ فيه بما خاضوا به فيه . وذلك هو معنى « ظلمهم » فى هذا الموضع . [3]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣٨٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره » ، قال : نهاه الله أن يجلس مع الذين يخوضون فى

---

(١) انظر تفسير « الخوض » فيما سلف ٩ : ٣٢٠ .
(٢) انظر تفسير « الإعراض » فيما سلف ص : ٣٣٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « الظلم » فى فهارس اللغة فيما سلف (ظلم) .

آيات الله يكذبون بها ، فإن نسى فلا يقعد بعد الذكر مع القوم الظالمين .[1]

١٣٣٨٧ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة بنحوه .

١٣٣٨٨ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان ، عن السدى ، عن أبي مالك وسعيد بن جبير فى قوله : « وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا » ، قال : الذين يكذبون بآياتنا .

١٣٣٨٩ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين » ، قال : كان المشركون إذا جالسوا المؤمنين وقعوا فى النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن فسبوه واستهزأوا به ، فأمرهم الله أن لا يقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره . وأما قوله: « وإما ينسينك الشيطان »، يقول: نَهْيَنَا فقعدت معهم ،[2] فإذا ذكرت فقم .

١٣٣٩٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « يخوضون فى آياتنا » ، قال : يكذبون بآياتنا .

١٣٣٩١ — حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى قال ، حدثنا فضيل بن عياض ، عن ليث ، عن أبي جعفر قال : لا تجالسوا أهل الخصومات ، فإنهم الذين يخوضون فى آيات الله .

---

(١) فى المطبوعة : « بعد الذكرى » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب محض ، كما سترى فى التفسير ص : ٤٣٩ .

(٢) فى المطبوعة : « يقول : نسيت فتعقد معهم » ، وهو لا معنى له ، وفى المخطوطة : « نهينا فتعقد معهم » ، وهو مضطرب ، واستظهرت صوابها من تفسير الآية فيما سلف . وقوله : « نهينا » مفعول قوله فى الآية : « وإما ينسينك الشيطان » ، وذلك على عادة أهل التأويل الأوائل فى الاختصار .

١٣٣٩٢ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا » ، وقوله : ﴿ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ﴾ ، [سورة الأنعام : ١٥٩] ؛ وقوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ ، [سورة آل عمران : ١٠٥] ؛ وقوله : ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ ، [سورة الشورى : ١٣] ، ونحو هذا في القرآن ، قال : أمر الله المؤمنين بالجماعة ، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة ، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله .

١٣٣٩٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا » ، قال : يستهزئون بها . قال : نُهِي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقعد معهم إلا أن ينسى ، فإذا ذكر فليقم . فذلك قوله : « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين » = قال ابن جريج : كان المشركون يجلسون إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحبون أن يسمعوا منه ، فإذا سمعوا استهزأوا ، فنزلت : « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم » ، الآية .(١)

١٤٩/٧

١٣٣٩٤ — حدثنا ابنُ وكيع قال، حدثنا أبي قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا » ، قال : يكذبون .

١٣٣٩٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي مالك قوله : « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره » ، يعني المشركين = « وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين » ، إن نسيت فذكرتَ فلا تجلس معهم .

* * *

(١) الأثر : ١٣٣٩٣ — سيأتي ، تفسير ابن جريج فيما بعد بتمامه رقم : ١٣٣٩٦ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (٦٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن اتقى الله فخافه ، فأطاعه فيما أمره به ، واجتنب ما نهاه عنه ، فليس عليه بترك الإعراض عن هؤلاء الخائضين فى آيات الله فى حال خوضهم فى آيات الله ، شىء من تبعة فيما بينه وبين الله ، إذا لم يكن تركه الإعراضَ عنهم رضًى بما هم فيه ،وكان لله بحقوقه متقياً ،[1] ولا عليه من إثمهم بذلك حرج ، ولكن ليعرضوا عنهم حينئذ ذكرى لأمر الله = « لعلهم يتقون » ، يقول : ليتقوا .

* * *

ومعنى « الذكرى » ، الذكرُ . و « الذكر » و « الذكرى » بمعنًى .

* * *

وقد يجوز أن يكون « ذكرى » فى موضع نصب ورفع :

فأما النصب ، فعلى ما وصفت من تأويل : ولكن ليعرضوا عنهم ذكرى .

وأما الرفع ،فعلى تأويل : وما على الذين يتقون من حسابهم شىء بترك الإعراض ، ولكن إعراضهم ذكرى لأمر الله لعلهم يتقون .[2]

* * *

وقد ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أمر بالقيام عن المشركين إذا خاضوا فى آيات الله ، لأن قيامه عنهم كان مما يكرهونه ، فقال الله له : إذا خاضوا فى آيات الله فقم عنهم ، ليتقوا الخوضَ فيها ويتركوا ذلك .

---

(١) هكذا فى المخطوطة أيضاً « بحقوقه متقياً » ، وأرجح أن تكون : « بخوفه متقياً » ، ولم أغيرها لأن الأخرى تكاد تكون جائزة .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٣٩ .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣٩٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : كان المشركون يجلسون إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحبون أن يسمعوا منه ، فإذا سمعوا استهزأوا ، فنزلت : « وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره » ، الآية ، قال : فجعل إذا استهزأوا قام ، فحذروا وقالوا لا تستهزئوا فيقوم ! فذلك قوله : « لعلهم يتقون » ، أن يخوضوا فيقوم ، ونزل : « وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء » ، إن قعدوا معهم، ولكن لا تقعدوا. ثم نسخ ذلك قوله بالمدينة : ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ﴾، [سورة النساء: ١٤٠] ،فنسخ قوله : « وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء » ، الآية .

١٣٣٩٧ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء » ، يقول : من حساب الكفار من شيء = « ولكن ذكرى » ، يقول : إذا ذكرت فقم = « لعلهم يتقون » مساءتكم، إذا رأوكم لا تجالسونهم استحيوا منكم ، فكفوا عنكم . ثم نسخها الله بعد ، فنهاهم أن يجلسوا معهم أبداً ، قال: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا﴾ ، الآية .

١٣٣٩٨ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء»، إن قعدوا ، ولكن لا تقعد .

١٣٣٩٩ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٣٤٠٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله، عن إسرائيل ، عن السدى ، عن أبي مالك : « وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى » ، قال : وما عليك أن يخوضوا فى آيات الله إذا فعلت ذلك . ١٥٠/٧

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ذرْ هؤلاء الذين اتخذوا دين الله وطاعتهم إياه لعباً ولهواً، [١] فجعلوا حظوظهم من طاعتهم إياه اللعب بآياته ، [٢] واللهوَ والاستهزاء بها إذا سمعوها وتليت عليهم ، فأعرض عنهم ، فإنى لهم بالمرصاد ، وإنى لهم من وراء الانتقام منهم والعقوبة لهم على ما يفعلون ، وعلى اغترارهم بزينة الحياة الدنيا ، ونسيانهم المعادَ إلى الله تعالى ذكره والمصيرَ إليه بعد الممات ، كالذى : —

١٣٤٠١ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً » ، قال : كقوله: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴾ ، [سورة المدثر : ١١] .

١٣٤٠٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

---

(١) انظر تفسير « ذر » فيما سلف ٦ : ٧/٢٢ : ٤٢٤ .
(٢) انظر تفسير « اللعب » فيما سلف ١٠ : ٤٢٩ ، ٤٣٢ .

وقد نسخ الله تعالى ذكره هذه الآية بقوله : ﴿ اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ ، [سورة التوبة : ٥]. وكذلك قال عدد من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤٠٣ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا حجاج بن المنهال قال ، حدثنا همام ابن يحيى ، عن قتادة : « وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً » ، ثم أنزل في « سورة براءة » ، فأمر بقتالهم .

١٣٤٠٤ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبدة بن سليمان قال : قرأت على ابن أبي عروبة فقال : هكذا سمعته من قتادة : « وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً » ، ثم أنزل الله تعالى ذكره « براءة » ، وأمر بقتالهم فقال : ﴿ اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ ، [سورة التوبة : ٥].

* * *

وأما قوله : « وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت » ، فإنه يعني به : وذكّر ، يا محمد ، بهذا القرآن هؤلاء المولّين عنك وعنه[1] = « أن تبسل نفس » ، بمعنى : أن لا تبسل ، كما قال : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ ، [سورة النساء: ١٧٦] ، بمعنى : أن لا تضلوا[2] = وإنما معنى الكلام : وذكرهم به ليؤمنوا ويتبعوا ما جاءهم من عند الله من الحق ، [3] فلا تُبْسَل أنفسهم بما كسبت من الأوزار = ولكن حذفت « لا » ، لدلالة الكلام عليها .

* * *

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله : « أن تبسل نفس » .

فقال بعضهم : معنى ذلك : أن تُسْلَم .

---

(١) انظر تفسير « التذكير » فيما سلف ٦ : ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٢١١/١٠ : ١٣٠/١١ : ٧ =
(٢) انظر ما سلف ٩ : ٤٤٥ ، ٤٤٦ .
(٣) في المطبوعة : « وذكر به » ، وأثبت ما في المخطوطة .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤٠٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين بن واقد، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة قوله: « أن تبسل نفس بما كسبت » ، قال : تُسلم .

١٣٤٠٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن : « أن تبسل نفس » ، قال : أن تُسلم .

١٣٤٠٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن ، مثله .

١٣٤٠٨ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره : « أن تبسل » ، قال : تسلم .

١٣٤٠٩ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أن تبسل نفس » ، قال : تسلم .

١٣٤١٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عنبسة ، عن ليث، عن مجاهد: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا ﴾، أسلموا .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : تُحْبَس .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤١١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « أن تبسل نفس » ، قال : تؤخذ فتحبس

١٣٤١٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

١٣٤١٣ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في

١٠١/٧ قوله : « أن تبسل نفس بما كسبت » ، أن تؤخذ نفس بما كسبت .

* * *

وقال آخرون : معناه : تُفضَح .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤١٤ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت » ، يقول : تفضح .

* * *

وقال آخرون : معناه : أن تجزَى .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤١٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين بن واقد قال ، قال الكلبي : « أن تبسل » ، أن تجزَى .

* * *

وأصل « الإبسال » التحريم ، يقال منه : « أبسلت المكان » ، إذا حرّمته فلم يقرب ، (١) ومنه قول الشاعر : (٢)

بَكَرَتْ تَلُومُكَ بَعْدَوَهْنٍ فِي النَّدَى ، بَسْلٌ عَلَيْكِ مَلَامَتِي وَعِتَابِي (٣)

---

(١) في المطبوعة : « فلم تقربه » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) هو ضمرة بن ضمرة النهشلي .

(٣) نوادر أبي زيد : ٢ ، الأمالي ٢ : ٢٧٩ ، الشعر والشعراء : ٢٥٠ ، الوحشيات رقم : ٤٢٤ ، الأزمنة والأمكنة ١ : ١٦٠ ، اللسان (بسل) وغيرها ، وبعد هذا البيت من أبيات حسان : قالها لامرأته إذ عاتبته على حلب إبله ونحرها لضيفه وأهله ، وتحبب إليه الشح ، وقنهاه عن بذل المال ، في القحط والجدب :

أَأُصُرُّهَا ، وَبُنَيُّ عَمِّي سَاغِبٌ فَكَفَاكِ مِن إِبَةٍ عَلَيَّ وَعَابِ !-

وَلَقَدْ عَلِمْتُ ، فَلَا تَظُنِّي غَيْرَهُ أَنْ سَوْفَ يَخْلِجُنِي سَبِيلُ صِحَابِي

أَرَأَيْتِ إِنْ صَرَخَتْ بِلَيْلٍ هَامَتِي وَخَرَجْتُ مِنْهَا عَارِيًا أَثْوَابِي

هَلْ تَخْمِشَنْ إِبِلِي عَلَيَّ وُجُوهَهَا أَمْ تَعْصِبَنَّ رُؤُوسَهَا بِسِلَابِ !!

أى : حرام [عليك ملامتى وعتابى]. ومنه قولهم : « أسد باسل » ،[1] يراد به : لا يقربه شىء ، فكأنه قد حرَّم نفسه ، ثم يجعل ذلك صفة لكل شديد يتحامى لشدته. ويقال : « أعط الراقى بُسْلَتَه »،[2] يراد بذلك : أجرته. « وشراب بَسِيل» ، بمعنى متروك . وكذلك « المبسَلُ بالجريرة »، وهو المرتهن بها، قيل له : « مُبْسَل »، لأنه محرَّم من كل شىء إلا مما رُهن فيه وأُسلم به، ومنه قول عوف بن الأحوص الكلابى :

وَإِبْسَالِي بَنِىَّ بِغَـــيْرِ جُرْمٍ بَعَوْنَاهُ وَلَا بِدَمٍ مُرَاقِ[3]

« بكرت » ، عجلت فى أول السحر . « بعد وهن » ، أى بعد نومة من جوف الليل . أرقها ما يبذل لبنى عمه من ماله ، فلم تتأن به مطلع النهار حتى أخذت تلومه فى وجه الصبح . ثم أخذ يذكرها بالمروءة فيقول : « أأصرها » ، يعنى النوق ، يشد عليها الصرار (وهو خيط يشد فوق الخلف) ، لئلا تحلب ، أو يرضعها ولدها ، يقول : لا أفعل ذلك ، وبنى عمى جياع حتى، أرويهم؟ و« السغب » الجوع ، فإن ذلك لؤم . و « الإبة » الخزى يستحى منه، و« العاب » ، العيب . يقول : كفاك بهذا الفعل لؤماً يخزى فاعله . ثم احتج عليها بما يجد بنو عمه وضيفانه من اللوعة عليه إذا مات ، وأن الإبل لا تفعل ذلك . فقال لها : إن الموت سبيل كل حى ، وأنى سالك سبيل أصحابى الذين ذهبوا وخلفونى ، فإن هذه السبيل تخلجنى (أى : تجذبنى وتنتزعنى) كما خلجتهم من قبل . وقوله : « صرخت بليل هامتى » ، وهو من عقائد الجاهلية ، أبطله الله بالإسلام ، يزعمون أن روح القتيل تصير طائراً كالبومة يزقو عند قبره ، يقول : اسقونى ، اسقونى ! وقوله : « عارياً أثوابى » أى : عارياً من أثوابى التى كنت أستمتع بلباسها فى الدنيا . ويروى : « بالياً أثوابى » ، ويعنى عندئذ : أكفانه التى تبلى فى التراب . وقول « هل تخمشن إبلى» ، أى : هل تلطم الإبل على وجوهها فيخمشها اللطم ويؤثر فيها ويجرحها ، كما يفعل بنو عمى وبنات عمى إذا مت . و « السلاب » : عصائب للرأس سود ، يلبسنها عند الحداد . يقول : هذا حزن بنات عمى على ، فهل تفعل الإبل فعلهن حتى آسى على نحرها وإهلاكها فى إطعامهم وإروائهم فى زمان الجدب وهم جياع ؟

(١) كانت هذه العبارة فى المطبوعة والمخطوطة : « أى حرام . ومنه قولهم : وعتابى أسد آسد » ، وهو خطأ صرف . استظهرت صوابه من سياق الشرح ، ومن معانى القرآن للفراء ١ : ٣٣٩ ، وزدت ما بين القوسين استظهاراً أيضاً .

(٢) فى المطبوعة : « بسيلته » ، وهو خطأ صرف ، صوابه فى المخطوطة ، لم يحسن قراءتها . وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٣٩ .

(٣) نوادر أبى زيد : ١٥١ ، مجاز القرآن ١ : ١٩٤ ، المعانى الكبير : ١١١٤ ، واللسان (بسل) (بعا) ، يقول :

فَلَوْلَا أَنَّنِي رَحُبَتْ ذِرَاعِي بِإِعْطَاءِ الْمَفَارِقِ وَالْحِقَاقِ

وقال الشنفرى : [١]

هُنَالِكَ لاَ أَرْجُو حَيَاةً تَسُرُّنِي سَمِيرَ اللَّيَالِي مُبْسَلاً بِالْجَرَائِرِ [٢]

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : وذكّر بالقرآن هؤلاء الذين يخوضون فى آياتنا وغيرهم ممن سلك سبيلهم من المشركين ، كيلا تُبسل نفس بذنوبها وكفرها بربها ، وترتهن فتغلق بما كسبت من أجرامها فى عذاب الله[٣] = « ليس لها من دون الله » ، يقول : ليس لها ، حين تسلم بذنوبها فترتهن بما كسبت من آثامها ، أحدٌ ينصرها فينقذها من الله الذى جازاها بذنوبها جزاءها[٤] = « ولا شفيع » ، يشفع لها لوسيلة له عنده .[٥]

* * *

وَإِبْسَالِي بَنِيَّ بِغَيْرِ جُرْمٍ بَعَوْنَاهُ ، وَلاَ بِدَمٍ مُرَاقِ
لَقِيتُمْ مِنْ تَدَرُّئِكُمْ عَلَيْنَا وَقَتْلِ سَرَاتِنَا ذَاتَ الْعَرَاقِ

« المفارق » جمع « ناقة مفرق » ، فارقها ولدها . و « الحقاق » جمع « حقة » (بكسر الحاء) ، وهى الناقة إذا استكملت السنة الثالثة ، ودخلت فى الرابعة . يقول : طابت نفسى ببذل ذلك من المال ، لكى أحقن الدماء ، وأبقى على الوشائج . و « بعا الذنب يبعوه بعوا » : اجترمه واكتسبه . يقول لهم : وأسلمت إليكم بنى فى الفداء ، ولم نجرم جريمة ، ولم نرق دماً ، فنحمل الحمالة فى التى اجترحناه . و « تدرأ على فلان » أى : تطاول وتهجم . و « السراة » أشراف القوم . و « ذات العراق » ، أى : ذات الدواهى المنكرة ، يقول : لولا ما فعلت إبقاء ، لفعلنا بكم الأفاعيل .

(١) وتروى لتأبط شراً .

(٢) ديوانه (الطرائف) : ٣٦ ، وفيه المراجع ، ومجاز القرآن ١ : ١٩٥ ، اللسان (بسل) . وقبله ، وهى أبيات مشهورة :

لاَ تَقْبُرُونِي ، إِنَّ قَبْرِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنْ أَبْشِرِي أُمَّ عَامِرِ
إِذَا احْتَمَلُوا رَأْسِي ، وَفِي الرَّأْسِ أَكْثَرِي ، وَغُودِرَ عِنْدَ الْمُلْتَقَى ثَمَّ سَائِرِي

و « سمير الليالى » : أبد الليالى ، ويروى « سجيس الليالى » ، وهو مثله .

(٣) انظر تفسير « كسب » فيما سلف ص : ٢٦١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « من دون » فيما سلف ١١ : ٤٨٦ ، وفهارس اللغة (دون) .

(٥) انظر تفسير « شفيع » فيما سلف ص : ٢٧٣ تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإن تعدل النفس التى أبسلت بما كسبت ، يعنى : « وإن تعدل كل عدل » ، يعنى : كل فداء .

* * *

يقال منه : « عَدَل يعدِل » ، إذا فدى ، « عَدْلاً » ، ومنه قول الله تعالى ذكره : ﴿ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَاماً ﴾ ، [سورة المائدة : ٩٥] ، وهو ما عادله من غير نوعه.[1]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤١٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها » ، قال : لو جاءت بملء الأرض ذهباً لم يقبل منها .

١٣٤١٧ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فى قوله : « وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها » ، فما يعدلها لو جاءت بملء الأرض ذهباً لتفتدى به ما قُبل منها .

١٣٤١٨ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها » ، قال : « وإن تعدل » ، وإن تفتد ، يكون له الدنيا وما فيها يفتدى بها = « لا يؤخذ منه » ، عدلاً عن نفسه ، لا يقبل منه .

* * *

وقد تأوّل ذلك بعض أهل العلم بالعربية بمعنى : وإن تُقسط كل قسط لا يقبل منها . وقال : إنها التوبة فى الحياة .[2]

---

(١) انظر تفسير « العدل » فيما سلف ٢ : ٣٤ ، ٣٥ ، ١١/٥٧٤ : ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) هو قول أبى عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ١٩٥ .

وليس لما قال من ذلك معنى ، وذلك أن كل تائب فى الدنيا فإن الله تعالى ذكره يقبل توبته .

* * *

١٥٢/٧ القول فى تأويل قوله ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴾ (٧٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وهؤلاء الذين إن فدوا أنفسهم من عذاب الله يوم القيامة كل فداء لم يؤخذ منهم ، هم « الذين أبسلوا بما كسبوا » ، يقول : أسلموا لعذاب الله ، فرهنوا به جزاءً بما كسبوا فى الدنيا من الآثام والأوزار ،[1] = « لهم شرابٌ من حميم » .

* * *

و « الحميم » هو الحارّ، فى كلام العرب ، وإنما هو «محموم» صرف إلى « فعيل » ، ومنه قيل للحمّام ، « حمام » لإسخانه الجسم ، ومنه قول مرقش :

فِى كُلِّ مُمْسًى لَهَا مِقْطَرَةٌ فِيهَا كِبَاءٌ مُعَدٌّ وَحَمِيمْ[2]

يعنى بذلك : ماء حارًّا ، ومنه قول أبى ذؤيب الهذلى فى صفة فرس :

---

(١) انظر تفسير « أبسل » فيما سلف قريباً = وتفسير « كسب » ص: ٤٤٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) المفضليات : ٥٠٥ ، واللسان (قطر) (حمم) ، وسيأتى فى التفسير ١١ : ٦١ (بولاق) . من قصيدته فى ابنة عجلان ، جارية صاحبته فاطمة بنت المنذر ، وكان لابنة عجلان قصر بكاظمة ، وكان لها حرس يجرون الثياب كل ليلة حول قصرها ، فلا يطؤه إلا بنت عجلان . وكانت تأخذ كل عشية رجلا من أهل الماء يبيت عندها ، فبات عندها المرقش ليلة ، وقال ذاك الشعر ، فوصفها بالنعمة والترف .

و « المقطرة » : المجمرة ، يكون فيها القطر (بضم فسكون) ، وهو العود الذى يتبخر به . و « الكباء » : ضرب من العود . يصف ما هى فيه من الترف ، بين تبخر بالعود الطيب ، وتنزه بالاستحمام بالماء الساخن ، من شدة عنايتها ببدنها .

تَأْبَى بِدِرَّتِهَا إِذَا مَا اسْتُضْغِبَتْ إِلَّا الْحَمِيمَ فَإِنَّهُ يَتَبَضَّعُ[1]

يعني بالحميم : عرق الفرس .

* * *

وإنما جعل تعالى ذكره لهؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآية شراباً من حميم ، لأن الحارّ من الماء لا يروى من عطش . فأخبر أنهم إذا عطشوا في جهنم لم يغاثوا بماء يرويهم ، ولكن بما يزيدون به عطشاً على ما بهم من العطش = « وعذاب أليم » ، يقول : ولهم أيضاً مع الشراب الحميم من الله العذابُ الأليم والهوان المقيم = « بما كانوا يكفرون » ، يقول : بما كان من كفرهم في الدنيا بالله ، وإنكارهم توحيده ، وعبادتهم معه آلهة دونه .

* * *

١٣٤١٩ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا » ، قال يقول : أسلموا .

١٣٤٢٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « أولئك الذين أبسلوا » ، قال : فُضِحوا .

١٣٤٢١ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا » ، قال : أخذوا بما كسبوا .

* * *

---

(١) ديوانه ١٧ ؛ المفضليات : ٨٧٩ ، اللسان (حمم) (بصع) (بضع) ، وغيرها . وهذا من الأبيات التي أخذت على أبي ذؤيب ، وأنه لا علم له بالخيل . وقد اختلف في روايته . روى : « إذا ما استغضبت » و « إذ اما استكرهت » ، ورواية الطبري مذكورة في اللسان في (بضع) وروى أيضاً « يتبصع » بالصاد . أي يسيل قليلا قليلا . و « تبضع العرق » بالضاد ، سال سيلا متقطعاً . وانظر شرح هذا البيت في المراجع ، فإنه يطول ذكره هنا .

وأما رواية : « استضغبت » ، وهي التي هنا ، فقد فسرت بأنه : فزعت ، لأن « الضاغب » ، هو الذي يختبئ في الخمر ليفزع بمثل صوت الأسد . و « الضغاب » و « الضغيب » صوت الأرنب والذئب إذا تضور .

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ﴾

قال أبو جعفر : وهذا تنبيه من الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم على حجته على مشركى قومه من عبدة الأوثان . يقول له تعالى ذكره : قل ، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثانَ والأنداد ، والآمرين لك باتباع دينهم وعبادة الأصنام معهم : أندعو من دون الله حجراً أو خشباً لا يقدر على نفعنا أو ضرنا ، فنخصه بالعبادة دون الله ، وندع عبادة الذى بيده الضر والنفع والحياة والموت ، إن كنتم تعقلون فتميزون بين الخير والشر ؟ فلا شك أنكم تعلمون أن خدمة ما يرتجى نفعه ويرهب ضره ، أحق وأولى من خدمة من لا يرجى نفعه ولا يخشى ضره !

* * *

= « ونردّ على أعقابنا » ، يقول : ونرد إلى أدبارنا ، فنرجع القهقرى خلفنا ، لم نظفر بحاجتنا .

* * *

وقد بينا معنى : « الرد على العقب » ، وأن العرب تقول لكل طالب حاجة لم يظفر بها : « رد على عقبيه » ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[1]

* * *

وإنما يراد به فى هذا الموضع : ونرد من الإسلام إلى الكفر = « بعد إذ هدانا الله » ، فوفقنا له ، فيكون مثلنا فى ذلك مثل الرجل الذى استتبعه الشيطان ، يهوى فى الأرض حيران .

* * *

وقوله : « استهوته » ، « استفعلته » ، من قول القائل : « هوى فلان إلى كذا يهوى

(١) انظر تفسير « الرد على الأعقاب » فيما سلف ٣ : ١٦٣ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٩٦ .

إليه» ، ومن قول الله تعالى ذكره : ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ ، ١٠٣/٧
[سورة إبراهيم : ٣٧] ، بمعنى : تنزع إليهم وتريدهم .

* * *

وأما « حيران » ، فإنه « فعلان » من قول القائل : « قد حار فلان في الطريق ، فهو يَحَار فيه حَيْرة وحَيَرَاناً وَحَيرُورة » ،[1] وذلك إذ ضل فلم يهتد للمحجّة .

* * *

= « له أصحاب يدعونه إلى الهدى » ، يقول : لهذا الحيران الذى قد استهوته الشياطين فى الأرض ، أصحابٌ على المحجة واستقامة السبيل ، يدعونه إلى المحجة لطريق الهدى الذى هم عليه ، يقولون له : ائتنا .

* * *

وترك إجراء « حيران » ، لأنه « فعلان » ، وكل اسم كان على « فعلان » مما أنثاه « فعلى » ، فإنه لا يجرى فى كلام العرب فى معرفة ولا نكرة .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا مثل ضربه الله تعالى ذكره لمن كفَر بالله بعد إيمانه ، فاتبع الشياطين ، من أهل الشرك بالله = وأصحابه الذين كانوا أصحابه فى حال إسلامه ، المقيمون على الدين الحق ، يدعونه إلى الهدى الذى هم عليه مقيمون ، والصواب الذى هم به متمسكون ، وهو له مفارق وعنه زائل ، يقولون له : « ائتنا فكن معنا على استقامة وهدى » ! وهو يأبى ذلك ، ويتبع دواعى الشيطان ، ويعبد الآلهة والأوثان .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ، وخالف فى ذلك جماعة .

* ذكر من قال فى ذلك مثل ما قلنا :

---

(١) « حيرورة » ، مصدر مثل « صيرورة » ، ولم تذكره كتب اللغة ، فهذا مما يستفاد من أبى جعفر ، ويزاد على كتب اللغة .

١٣٤٢٢ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونردّ على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا » ، قال : قال المشركون للمؤمنين : اتبعوا سبيلنا ، واتركوا دين محمد = صلى الله عليه وسلم . فقال الله تعالى ذكره : « قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا » ، هذه الآلهة = « ونردّ على أعقابنا بعد إذ هدانا الله » ، فيكون مثلنا كمثل الذى استهوته الشياطين فى الأرض ، يقول : مثلكم إن كفرتم بعد الإيمان ، كمثل رجل كان مع قوم على الطريق ، فضلّ الطريق ، فحيرته الشياطين ، واستهوته فى الأرض ، وأصحابه على الطريق ، فجعلوا يدعونه إليهم يقولون : « ائتنا ، فإنا على الطريق » ، فأبى أن يأتيهم . فذلك مثل من يتبعكم بعد المعرفة بمحمد ، ومحمد الذى يدعو إلى الطريق ، والطريق هو الإسلام .

١٣٤٢٣ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا » ، قال : هذا مثل ضربه الله للآلهة ومن يدعو إليها ، وللدعاة الذين يدعونَ إلى الله ، كمثل رجل ضل عن الطريق تائهاً ضالاً ،[1] إذ ناداه مناد : « يا فلان بن فلان ، هلمّ إلى الطريق » ، وله أصحاب يدعونه : « يا فلان ، هلم إلى الطريق » ! فإن اتبع الداعى الأول انطلق به حتى يلقيه فى الهلكة ، وإن أجاب من يدعوه إلى الهدى اهتدى إلى الطريق . وهذه الداعية التى تدعو فى البرية من الغيلان . يقول : مثل من يعبد هؤلاء الآلهة من دون الله ، فإنه يرى أنه فى شىء حتى يأتيه الموت ، فيستقبل الهلكة والندامة . وقوله : « كالذى استهوته الشياطين فى الأرض » ، وهم « الغيلان » ، يدعونه باسمه واسم أبيه واسم جده ، فيتبعها ، فيرى أنه فى شىء ، فيصبح وقد ألقته فى الهلكة ، وربما أكلته =

(١) قوله « تائهاً ضالا » ، ساقطة من المطبوعة ، ثابتة فى المخطوطة .

أو تلقيه فى مضلّة من الأرض يهلك فيها عطشاً . فهذا مثل من أجاب الآلهة التى تُعبد من دون الله عز وجل .

١٣٤٢٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور قال ، حدثنا معمر ، عن قتادة : « استهوته الشياطين فى الأرض » ، قال : أضلته فى الأرض حيران .

١٣٤٢٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ما لا ينفعنا ولا يضرنا » ، قال : الأوثان .

١٣٤٢٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى = وحدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل = عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره : « استهوته الشياطين فى الأرض حيران » ، قال : رجل حيران يدعوه أصحابه إلى الطريق ، فذلك مثل من يضل بعد إذ هدى . ١٥٤/٧

١٣٤٢٧ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال ، حدثنا رجل ، عن مجاهد قال : « حيران » ، هذا مثل ضربه الله للكافر ، يقول : الكافر حيران ، يدعوه المسلم إلى الهدى فلا يجيب .

١٣٤٢٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا » ، حتى بلغ « لنسلم لرب العالمين » ، علمها الله محمداً وأصحابه ، يخاصمون بها أهلَ الضلالة .

* * *

وقال آخرون فى تأويل ذلك ، بما : —

١٣٤٢٩ — حدثنى به محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى

---

(١) فى المطبوعة : « كذلك مثل » ، وفى المخطوطة : « لذلك مثل . . . » ، والصواب ما أثبت .

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى » ، فهو الرجل الذى لا يستجيب لهدى الله ، وهو رجل أطاعَ الشيطان ، وعمل فى الأرض بالمعصية ، وحار عن الحقّ وضل عنه ، وله أصحاب يدعونه إلى الهدى ، ويزعمون أن الذى يأمرونه هدًى . يقول الله ذلك لأوليائهم من الإنس : إن الهدى هدى الله ، والضلالة ما تدعو إليه الجنّ .

* * *

فكأنّ ابن عباس = على هذه الرواية = يرى أن أصحاب هذا الحيران الذين يدعونه إنما يدعونه إلى الضلال ، ويزعمون أنّ ذلك هدى ، وأنّ الله أكذبهم بقوله : « قل إنّ هدى الله هو الهدى » ، لا ما يدعوه إليه أصحابه .

وهذا تأويل له وجه ، لو لم يكن الله سمى الذى دعا الحيرانَ إليه أصحابه « هدى» ، وكان الخبر بذلك عن أصحابه الدعاة له إلى ما دعوه إليه : أنهم هم الذين سموه ، ولكن الله سماه « هدى » ، وأخبر عن أصحاب الحيران أنهم يدعونه إليه . وغير جائز أن يسمى الله «الضلال» هدى ، لأن ذلك كذب ، وغير جائز وصف الله بالكذب ، لأن ذلك وصفه بما ليس من صفته . وإنما كان يجوز توجيه ذلك إلى الصواب ، لو كان ذلك خبراً من الله عن الداعى الحيران أنهم قالوا له : « تعال إلى الهدى » ، فأما وهو قائل : « يدعونه إلى الهدى » ، فغير جائز أن يكون ذلك ، وهم كانوا يدعونه إلى الضلال .

* * *

وأما قوله : « ائتنا » ، فإن معناه : يقولون : ائتنا ، هلم إلينا = فحذف « القول » ، لدلالة الكلام عليه .

* * *

وذكر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ ذلك : ﴿ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى بَيِّنًا ﴾ .

١٣٤٣٠ — حدثنا بذلك ابن وكيع قال ، حدثنا غندر ، عن شعبة ، عن

أبي إسحق قال : في قراءة عبد الله : ﴿ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى بَيِّنًا ﴾ .

١٣٤٣١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرني عبد الله بن كثير : أنه سمع مجاهداً يقول : في قراءة ابن مسعود : ﴿ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى بَيِّنًا ﴾ ، قال : « الهدى » الطريق ، أنه بين .

* * *

وإذا قرىء ذلك كذلك ، كان « البين » من صفة « الهدى » ، ويكون نصب « البين » على القطع من «الهدى» ،[1] كأنه قيل : يدعونه إلى الهدى البين ، ثم نصب « البين » لما حذفت « الألف واللام » ، وصار نكرة من صفة المعرفة .

* * *

وهذه القراءة التي ذكرناها عن ابن مسعود تؤيد قول من قال : « الهدى » ، في هذا الموضع ، هو الهدى على الحقيقة .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٧١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان ، القائلين لأصحابك : « اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ، فإنا على هدى » = : ليس الأمر كما زعمتم = « إن هدى الله هو الهدى » ، يقول : إن طريق الله الذي بينه لنا وأوضحه ، وسبيله الذي أمرنا بلزومه ، ودينه الذي شرعه لنا فبينه ، هو الهدى والاستقامة التي لا شك فيها ، لا عبادة الأوثان والأصنام

١٥٥/٧

(١) انظر تفسير « القطع » فيما سلف من فهارس المصطلحات ، وهذا بيان صريح أن « القطع » هو النكرة إذا صار صفة لمعرفة .

التى لا تضر ولا تنفع ، فلا نترك الحق ونتبع الباطل = « وأمرنا لنسلم لرب العالمين » ، يقول : وأمرَنا ربنا وربُّ كل شىء تعالى وجهه،[1] لنسلم له ، لنخضع له بالذلة والطاعة والعبودية ، فنخلص ذلك له دون ما سواه من الأنداد والآلهة .

* * *

وقد بينا معنى « الإسلام » بشواهده فيما مضى من كتابنا ، بما أغنى عن إعادته .[2]

* * *

وقيل : « وأمرنا لنسلم » ، بمعنى : وأمرنا كى نسلم ، وأن نسلم لرب العالمين = لأن العرب تضع « كى » و « اللام » التى بمعنى « كى » ، مكان « أن » و « أن » مكانها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٧٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأمرنا أنْ أقيموا الصلاة .

* * *

وإنما قيل : « وأن أقيموا الصلاة » ، فعطف بـ « أن » على « اللام » من « لنسلم » ، لأن قوله : « لنسلم » معناه : أن نسلم ، فردّ قوله : « وأن أقيموا » على معنى : « لنسلم » ، إذ كانت « اللام » التى فى قوله : « لنسلم » ، لامًا لا تصحب إلا المستقبل من الأفعال ، وكانت « أن » من الحروف التى تدل على الاستقبال دلالة « اللام » التى فى « لنسلم » ، فعطف بها عليها ، لاتفاق معنيهما فيما ذكرت .

---

(١) انظر تفسير « العالمين » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) .

(٢) انظر تفسير « الإسلام » فيما سلف من فهارس اللغة (سلم) .

فـ « أن » فى موضع نصب بالردّ على « اللام » .[1]

* * *

وكان بعض نحويّى البصرة يقول : إما أن يكون ذلك ، « أمرنا لنسلم لرب العالمين ، وأن أقيموا الصلاة » ، يقول : أمرنا كى نسلم ، كما قال : ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] ، [سورة يونس : ١٠٤] ، أى : إنما أمرت بذلك .[3] ثم قال : « وأن أقيموا الصلاة واتقوه » ، أى : أمرنا أن أقيموا الصلاة = أو يكون أوصل الفعل باللام ، والمعنى : أمرت أن أكون ، كما أوصل الفعل باللام فى قوله : ﴿ هم لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ ، [سورة الأعراف : ١٥٤] .

* * *

فتأويل الكلام : وأمرنا بإقامة الصلاة ، وذلك أداؤها بحدودها التى فرضت علينا[4] = « واتقوه » ، يقول : واتقوا رب العالمين الذى أمرنا أن نسلم له ، فخافوه واحذروا سخطه ، بأداء الصلاة المفروضة عليكم ، والإذعان له بالطاعة ، وإخلاص العبادة له = « وهو الذى إليه تحشرون » ، يقول : وربكم رب العالمين ، هو الذى إليه تحشرون فتجمعون يوم القيامة ،[5] فيجازى كلَّ عامل منكم بعمله ، وتوفى كل نفس ما كسبت .

* * *

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٣٩ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « وأمرت لأن أكون من المؤمنين » ، وهذه ليست آية فى كتاب الله ، بل الآية هى التى ذكرت ، وهى حق الاستدلال فى هذا الموضع .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « إنما أمرت لذلك » ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبت .

(٤) انظر تفسير « إقامة الصلاة » فيما سلف من فهارس اللغة (قوم) (صلا) .

(٥) انظر تفسير « الحشر » فيما سلف ص : ٣٧٣ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (٧٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم الأنداد، الداعيك إلى عبادة الأوثان : « أمرنا لنسلم لرب العالمين ، الذى خلق السموات والأرض بالحق ، لا من لا ينفع ولا يضر ، ولا يسمع ولا يبصر » .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « بالحق » .

فقال بعضهم : معنى ذلك ، وهو الذى خلق السموات والأرض حقًّا وصواباً ، لا باطلاً وخطأ ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ﴾، [سورة ص : ٢٧]. قالوا : وأدخلت فيه « الباء » و « الألف واللام » ، كما تفعل العرب فى نظائر ذلك فتقول : « فلان يقول بالحق » ، بمعنى : أنه يقول الحق . قالوا : ولا شىء فى « قوله بالحق » غير إصابته الصواب فيه = لا أنّ « الحق » معنى غير « القول » ، وإنما هو صفةٌ للقول، إذا كان بها القول ، كان القائل موصوفاً بالقول بالحق، وبقول الحق . قالوا : فكذلك خلق السموات والأرض ، حكمة من حكم الله ، فالله موصوف بالحكمة فى خلقهما وخلق ما سواهما من سائر خلقه = لا أنّ ذلك حقٌّ سوى خَلْقِهما خَلَقَهما به .(١)

* * *

(١) فى المطبوعة : « سوى خلقهما به » ، أساء وحذف وبدل وأفسد الكلام ، ثم ضبط « سوى » فعلا بتشديد الواو ، وجعل « خلقهما به » مصدراً منصوباً بالفعل . وهو فساد وخطل . والصواب ما فى المخطوطة : « سوى » (بكسر السين) بمعنى « غير » ، و « خلقهما » الأولى مصدر

١٠٦/٧ وقال آخرون : معنى ذلك : خلق السموات والأرض بكلامه وقوله لهما : ﴿ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ ، [سورة فصلت : ١١]. قالوا : فالحق ، في هذا الموضع معنيٌّ به : كلامه . واستشهدوا لقيلهم ذلك بقوله : « ويوم يقول كن فيكون قوله الحق » ، « الحق » هو قوله وكلامه .[١] قالوا : والله خلق الأشياء بكلامه وقيله ، فما خلق به الأشياء فغير الأشياء المخلوقة .[٢] قالوا : فإذْ كان ذلك كذلك ، وجب أن يكون كلام الله الذى خلق به الخلق غيرَ مخلوق .

* * *

وأما قوله : « ويوم يقول كن فيكون » ، فإن أهل العربية اختلفوا في العامل فى « يوم يقول » ، وفى معنى ذلك .

فقال بعض نحويى البصرة : « اليوم » مضاف إلى « يقول كن فيكون » .[٣] قال : وهو نصب ، وليس له خبر ظاهر ، والله أعلم ، وهو على ما فسرت لك = كأنه يعنى بذلك أن نصبه على : واذكر يوم يقول كن فيكون . قال : وكذلك : « يوم ينفخ فى الصور » ، قال : وقال بعضهم : يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة .[٤]

* * *

وقال بعضهم : « يقول كن فيكون » للصور خاصة [٥] = فمعنى الكلام على تأويلهم : يوم يقول للصور كن فيكون ، قوله الحق يوم ينفخ فيه عالم الغيب والشهادة =

مضاف مجرور ، و « خلقهما به » فعل ماض . وهذا حق المعنى وصوابه . وهذا من عبث الناشرين والمصححين ، يستعيذ المرء من مثله ، فإنه ناقض للأمانة أولا ، ولمعانى العقل والفقه بعد ذلك .

(١) هذه العبارة فيها فى المخطوطة سقط وتكرار ، والذى فى المطبوعة أشبه بالصواب .

(٢) كانت هذه العبارة فى المطبوعة : « كما خلق به الأشياء غير المخلوقة » ، وهو كلام ساقط جداً ، فاسد المعنى بل هو غاية فى فساد المعنى . والذى فى المخطوطة : « مما خلق به الأشياء بعير الأشياء المخلوقة » ، وهى محرفة ، صواب قراءتها ما أثبت ، يدل على ذلك الجملة الآتية . ويعنى أن الذى خلق به الأشياء — هو غير الأشياء المخلوقة ، وإذا كان غيرها ، فهو غير مخلوق .

(٣) فى المخطوطة : « مضاف إلى كن فيكون » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٤) هذه الجملة الأخيرة لم أعرف لها هنا موقعاً ، ولكنى تركتها على حالها . وهى منقطعة عما بعدها بلا شك ، فإن الذى يليها هو مقالة الفراء من الكوفيين . وأخشى أن يكون سقط من الكلام شىء .

(٥) هذه مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٣٤٠ .

فيكون « القول» حينئذ مرفوعاً بـ « الحق » و « الحق » بـ « القول » ، وقوله: « يوم يقول كن فيكون » و « يوم ينفخ فى الصور » ، صلة « الحق » .

* * *

وقال آخرون بل قوله : « كن فيكون » ، معنيٌّ به كل ما كان الله مُعيده فى الآخرة بعد إفنائه ، ومنشئه بعد إعدامه = فالكلام على مذهب هؤلاء ، متناهٍ عند قوله : « كن فيكون » ، وقوله : « قوله الحق » ، خبر مبتدأ = وتأويله : وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق ، ويوم يقول للأشياء كن فيكون خلقهما بالحق بعد فنائهما . ثم ابتدأ الخبر عن قوله ووعده خلقَه أنه معيدهما بعد فنائهما عن أنه حق فقال : قوله هذا ، الحقّ الذى لا شك فيه . وأخبر أن له الملك يوم ينفخ فى الصور= فـ« يوم ينفخ فى الصور »، يكون على هذا التأويل من صلة « الملك » .

وقد يجوز على هذا التأويل أن يكون قوله : « يوم ينفخ فى الصور » من صلة « الحق » .

* * *

وقال آخرون : بل معنى الكلام : ويوم يقول لما فنى : «كن »، فيكون قوله الحق ، فجعل « القول » مرفوعاً بقوله « ويوم يقول كن فيكون » ، وجعل قوله : « كن فيكون » ، للقول محلاًّ ، وقوله : « يوم ينفخ فى الصور » ، من صلة « الحق » = كأنه وجه تأويل ذلك إلى : ويومئذ قوله الحق يوم ينفخ فى الصور. وإن جعل على هذا التأويل « يوم ينفخ فى الصور» بياناً عن اليوم الأول، كان وجهاً صحيحاً . ولو جعل قوله : « قوله الحق » ، مرفوعاً بقوله : « يوم ينفخ فى الصور » ، وقوله : « يوم ينفخ فى الصور » محلاًّ ، وقوله : « ويوم يقول كن فيكون » من صلته ، كان جائزاً .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبرَ أنه المنفرد بخلق السموات والأرض دون كل ما سواه، معرِّفاً من أشرك به من خلقه جهلَه فى عبادة الأوثان والأصنام، وخطأ ما هم عليه مقيمون من عبادة ما لا يضر ولا ينفع ، ولا يقدر على اجتلاب نفع إلى نفسه ، ولا دفع ضر عنها = ومحتجًّا عليهم فى إنكارهم البعثَ بعد الممات والثوابَ والعقاب ، بقدرته على ابتداع ذلك ابتداءً ، وأن الذى ابتدع ذلك غير متعذر عليه إفناؤه ثم إعادته بعد إفنائه ، فقال : « وهو الذى خلق » ، أيها العادلون بربهم من لا ينفع ولا يضر ولا يقدر على شىء = « السموات والأرض بالحق » ، حجة على خلقه ، ليعرفوا بها صانعها ، وليستدلُّوا بها على عظيم قدرته وسلطانه ، فيخلِصوا له العبادة = « ويوم يقول كن فيكون » ، يقول : ويوم يقول حين تبدل الأرض غير الأرض والسموات كذلك : « كن فيكون » ، كما شاء تعالى ذكره ، فتكون الأرض غير الأرض = ويكون [الكلام] عند قوله : « كن فيكون » متناهياً .[1] ١٥٧/٧

وإذا كان كذلك معناه ، وجب أن يكون فى الكلام محذوفٌ يدلّ عليه الظاهر ، ويكون معنى الكلام : ويوم يقول كذلك : « كن فيكون » تبدل [السموات والأرض] غير السموات والأرض .[2] ويدلّ على ذلك قوله : « وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق » ، ثم ابتدأ الخبر عن القول فقال : « قوله الحق » ، بمعنى وعدُه هذا الذى وَعدَ تعالى ذكره ، من تبديله السموات والأرض غير الأرض والسموات ، الحقُّ الذى لا شك فيه = « وله الملك يوم ينفخ فى الصور » فيكون قوله : « يوم ينفخ فى الصور » ، من صلة « الملك » = ويكون معنى

(١) فى المطبوعة : « فتكون الأرض غير الأرض عند قوله : كن فيكون ، متناهياً » ، وهى كلام سقيم ، أسقط من المخطوطة : « ويكون » ، هى ثابتة فيها ، ولكن أسقط الناسخ ما وضعته بين القوسين ، وبذلك استقامت العبارة . وهذا بين من السياق .

(٢) ما بين القوسين زيادة لا بد منها ، وفى المخطوطة : « تبدله » مكان « تبدل » والصواب ما فى المطبوعة . والناسخ فى هذا الموضع قد أسقط الكلام وأفسده .

الكلام : ولله الملك يومئذ ، لأن النفخة الثانية فى الصور حال تبديل الله السموات والأرض غيرهما .

وجائز أن يكون «القول» أعنى : «قوله الحق» ، = مرفوعاً بقوله : «ويوم يقول كن فيكون» ، ويكون قوله : «كن فيكون» محلاً للقول مرافعاً ، فيكون تأويل الكلام : وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق ، ويوم يبدلها غير السموات والأرض ، فيقول لذلك : «كن فيكون» ، «قوله الحق» .

* * *

وأما قوله : «وله الملك يوم ينفخ فى الصور» ، فإنه خُصَّ بالخبر عن ملكه يومئذ ، وإن كان الملك له خالصاً فى كل وقت فى الدنيا والآخرة ، لأنه عنى تعالى ذكره أنه لا منازع له فيه يومئذ ولا مدّعى له ، وأنه المنفرد به دون كل من كان ينازعه فيه فى الدنيا من الجبابرة ، فأذعن جميعهم يومئذ له به ، وعلموا أنهم كانوا من دعواهم فى الدنيا فى باطل .

* * *

واختلف فى معنى «الصور» فى هذا الموضع .

فقال بعضهم : هو قرن ينفخ فيه نفختان : إحداهما لفناء من كان حيًّا على الأرض ، والثانية لنشر كل ميّت . واعتلوا لقولهم ذلك بقوله : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [سورة الزمر : ٦٨] ، وبالخبر الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذ سئل عن الصور : هو قرن يُنفخ فيه . [(١)]

* * *

(١) رواه أحمد فى مسند عبدالله بن عمرو رقم : ٦٥٠٧ ، وانظر تعليق أخى السيد أحمد عليه . ورواه أبو داود فى سننه ٤ : ٣٢٦ ، رقم : ٣٢٦ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، والترمذى فى باب «ما جاء فى الصور» ، وقال : «هذا حديث حسن صحيح» . ورواه الحاكم فى المستدرك ٤ : ٥٦٠ ، وقال : «حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه» ، ووافقه الذهبى . و «القرن» ، البوق يتخذ من القرون ، ينفخ فيه .

وقال آخرون : « الصور » فى هذا الموضع جمع « صورة » ، ينفخ فيها روحها فتحيي ،كقولهم :[1] « سور » لسور المدينة ، وهو جمع « سورة » ، كما قال جرير :

* سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُشَّعُ *[2]

* * *

والعرب تقول : « نفخ فى الصور » و « نفخ الصور » ، ومن قولهم : « نفخ الصور » ،[3] قول الشاعر :[4]

لَوْلَا ابْنُ جَعْدَةَ لَمْ تُفْتَحْ قُهُنْدُزُكُمْ وَلَا خُرَاسَانَ حَتَّى يُنْفَخَ الصُّورُ[5]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا ، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إن إسرافيل قد التقم الصور وحنى جبهته ، ينتظر متى يؤمر فينفخ » ،[6] وأنه قال : « الصور قرن ينفخ فيه » .[7]

* * *

وذكر عن ابن عباس أنه كان يقول فى قوله : « يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة » ، يعنى : أن عالم الغيب والشهادة ، هو الذى ينفخ فى الصور .

١٣٤٣٢ — حدثنى به المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله : « عالم الغيب والشهادة » ،

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « لقولهم » ، والصواب بالكاف كما أثبته .

(٢) مضى تخريجه وتمامه فيما سلف ٢ : ١٧ ، ٢٤٢ .

(٣) انظر تفسير « نفخ » فيما سلف ٦ : ٤٢٦ ، ٤٢٧ .

(٤) لم أعرف قائله .

(٥) معانى القرآن للفراء ١ : ٣٤٠ ، نسب قريش : ٣٤٥ ، المعرب للجواليقى : ٢٦٧ اللسان (صور) . و « ابن جعدة » ، هو : « عبد الله بن جعدة بن هبيرة المخزومى » ، وكان أبوه « جعدة بن هبيرة » على خراسان ، ولاه على بن أبى طالب . و « القهندز » (بضم القاف والهاء وسكون النون ، وضم الدال) . من لغة أهل خراسان ، يعنون بها : الحصن أو القلعة .

(٦) رواه الترمذى فى باب « ما جاء فى الصور » ، وفى أول تفسير سورة الزمر وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٣٣٧ ، ثم قال : « رواه مسلم فى صحيحه » ، ولم أستطع أن أعرف مكانه فى صحيح مسلم .

(٧) انظر التعليق السالف ص : ٤٦٢ ، تعليق : ١

يعني : أنّ عالم الغيب والشهادة هو الذي ينفخ في الصور .

* * *

= فكأن ابن عباس تأوّل في ذلك أن قوله : «عالم الغيب والشهادة » ، اسم الفاعل الذي لم يسمَّ في قوله : « يوم ينفخ في الصور » ، وأن معنى الكلام : يوم ينفخ الله في الصور ، عالم الغيب الشهادة . كما تقول العرب : « أُكِلَ طعامك، عبدُ الله » ، فتظهر اسم الآكل بعد أن قد جرى الخبر بما لم يسم آكله . وذلك وإن كان وجهاً غير مدفوع ، فإن أحسن من ذلك أن يكون قوله : « عالم الغيب والشهادة » ، مرفوعاً على أنه نعت لـ « الذي » ، في قوله : « وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق » . ١٥٨/٧

* * *

وروى عنه أيضاً أنه كان يقول : «الصور » في هذا الموضع ، النفخة الأولى .

١٣٤٣٣ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة » ، يعني بالصور : النفخة الأولى ، ألم تسمع أنه يقول : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى ﴾ يعني الثانية ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [سورة الزمر : ٦٨] .

* * *

ويعني بقوله : « عالم الغيب والشهادة » ، عالم ما تعاينون : أيها الناس ، فتشاهدونه ، [1] وما يغيب عن حواسكم وأبصاركم فلا تحسونه ولا تبصرونه [2] = « وهو الحكيم » ، في تدبيره وتصريفه خلقه من حال الوجود إلى العدم ، ثم من حال العدم والفناء إلى الوجود ، ثم في مجازاتهم بما يجازيهم به من ثواب أو عقاب [3] =

---

(١) انظر تفسير « الشهادة » فيما سلف من فهارس اللغة (شهد) .
(٢) انظر تفسير « الغيب » فيما سلف ص : ٤٠٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « الحكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (حكم) .

« الخبير » ، بكل ما يعملونه ويكسبونه من حسن وسيئ ، حافظ ذلك عليهم ليجازيهم على كل ذلك .[1] يقول تعالى ذكره : فاحذروا ، أيها العادلون بربكم ، عقابَه ، فإنه عليم بكل ما تأتون وتذرون ، وهو لكم من وراء الجزاء على ما تعملون .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر ، يا محمد = لحجاجك الذى تحاجّ به قومك ، وخصومتك إياهم فى آلهتهم ، وما تراجعهم فيها ، مما نلقيه إليك ونعلمكه من البرهان والدلالة على باطل ما عليه قومك مقيمون ، وصحة ما أنت عليه مقيم من الدين ، وحقيقة ما أنت به عليهم محتج[2] =[3] حِجاجَ إبراهيم خليلى قومَه ، ومراجعته إياهم فى باطل ما كانوا عليه مقيمين من عبادة الأوثان ، وانقطاعه إلى الله والرضى به وليًّا وناصراً دون الأصنام ،[4] فاتخذه إماماً واقتد به ، واجعل سيرته فى قومه لنفسك مثالاً = إذ قال لأبيه مفارقاً لدينه ، وعائباً عبادته الأصنام دون بارئه وخالقه : يا آزر .[5]

* * *

(١) انظر تفسير « الخبير » فيما سلف من فهارس اللغة (خبر) .

(٢) فى المطبوعة : « وحقية ما أنت عليهم محتج » ، وفى المخطوطة : « وحقيقة أنم عليهم محتج » . فعل ناشر المطبوعة فى « حقيقة » ما فعل فى أشباهها ، كما سلف ص : ٤٣٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

وأما ما كان فى المخطوطة : « ما أنم عليهم محتج » ، فالصواب فيما أرجح أن الناسخ جمع الكلمتين فى كلام واحد ، فكتب « ما أنت به » ، « ما أنم » .

(٣) السياق : « واذكر ، يا محمد ، . . . حجاج إبراهيم » .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « واليا وناصراً » ، والصواب ما أثبت .

(٥) السياق : « واذكر يا محمد ، . . . حجاج إبراهيم . . . إذ قال لأبيه . . . يا آزر »

ثم اختلف أهل العلم فى المعنىّ بـ« آزر »، وما هو، اسم هو أم صفة ؟[1] وإن كان اسماً ، فمن المسمى به ؟

فقال بعضهم : هو اسم أبيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤٣٤ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر»، قال : اسم أبيه « آزر » .

١٣٤٣٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة بن الفضل قال ، حدثنى محمد بن إسحق قال : « آزر » ، أبو إبراهيم . وكان ، فيما ذكر لنا والله أعلم ، رجلاً من أهل كُوثَى ، من قرية بالسواد . سواد الكوفة .

١٣٤٣٦ — حدثنى ابن البرقى قال، حدثنا عمرو بن أبى سلمة قال : سمعت سعيد بن عبد العزيز يذكر قال : هو « آزر » ، وهو « تارح » ، مثل « إسرائيل » و « يعقوب » .

* * *

وقال آخرون : إنه ليس أبا إبراهيم .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤٣٧ — حدثنا محمد بن حميد وسفيان بن وكيع قالا، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد قال : ليس « آزر» ، أبا إبراهيم .

١٣٤٣٨ — حدثنى الحارث قال ، حدثنى عبد العزيز قال، حدثنا الثورى قال ، أخبرنى رجل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر » ، قال : « آزر » لم يكن بأبيه ، إنما هو صنم .

١٣٤٣٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن يمان، عن سفيان ،

---

(١) فى المطبوعة : « اسم أم صفة » ، حذف « هو » !

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : « آزر » اسم ، صنم .

١٣٤٤٠ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : « وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر » ، قال : اسم أبيه ، ويقال : لا ، بل اسمه « تارح » ، واسم الصنم « آزر » . يقول : أتتخذ آزرَ أصناماً آلهة .[1] ١٠٩/٧

* * *

وقال آخرون : هو سبٌّ وعيب بكلامهم ، ومعناه : معوّجٌ . كأنه تأوّل أنه عابه بزَيْغه واعوجاجه عن الحق .[2]

* * *

واختلفت القرأة في قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الأمصار : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾ بفتح «آزر» على اتباعه « الأب» في الخفض ، ولكنه لما كان اسماً أعجمياً فتحوه ، إذ لم يجروه ، وإن كان في موضع خفض .

* * *

وذكر عن أبي يزيد المدينى والحسن البصرى أنهما كانا يقرآن ذلك : ﴿آزَرُ﴾ بالرفع على النداء ، بمعنى : يا آزر .

* * *

فأما الذى ذكر عن السدىّ من حكايته أن «آزر» اسم صنم ، وإنما نصبَه بمعنى : أتتخذ آزر أصناماً آلهة = فقولٌ من الصواب من جهة العربية بعيدٌ . وذلك أن العرب لا تنصب اسماً بفعلٍ بعد حرف الاستفهام ، لا تقول : « أخاك أكلمت » ؟ وهى تريد : أكلمت أخاك ؟

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندى ، قراءةُ من قرأ بفتح

(١) فى المخطوطة : «أتتخذ أصناماً آلهة» ، ليس فيها «آزر» ، وما فى المطبوعة قريب من الصواب إن شاء الله ، لما سيأتى فى نقد أبى جعفر مقالة السدى بعد قليل .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٤٠ .

« الراء » من ﴿ آزَرَ ﴾، على إتباعه إعراب « الأب »، وأنه فى موضع خفض ففتح، إذا لم يكن جارياً، لأنه اسم عجمى. وإنما اخترتُ قراءة ذلك كذلك، [١] لإجماع الحجة من القرأة عليه.

وإذْ كان ذلك هو الصواب من القراءة، وكان غير جائز أن يكون منصوباً بالفعل الذى بعد حرف الاستفهام، صحَّ لك فتحه من أحد وجهين:

إما أن يكون اسماً لأبى إبراهيم صلوات الله عليه وعلى جميع أنبيائه ورسله، فيكون فى موضع خفض ردًّا على « الأب »، ولكنه فتح لما ذكرت من أنه لمّا كان اسماً أعجميًّا ترك إجراؤه ففتح، كما تفعل العرب فى أسماء العجم. [٢]

= أو يكون نعتاً له، فيكون أيضاً خفضاً بمعنى تكرير اللام عليه، [٣] ولكنه لما خرج مخرج « أحمر » و « أسود » ترك إجراؤه، وفعل به كما يفعل بأشكاله. فيكون تأويل الكلام حينئذ: وإذ قال إبراهيم لأبيه الزائغ: أتتخذ أصناماً آلهة. [٤]

وإذ لم يكن له وجهة فى الصواب إلا أحد هذين الوجهين، فأولى القولين بالصواب منهما عندى قولُ من قال: « هو اسم أبيه »، لأن الله تعالى ذكره أخبر أنه أبوه، وهو القول المحفوظ من قول أهل العلم، دون القول الآخر الذى زعم قائلُه أنه نعتٌ.

* * *

فإن قال قائل: فإن أهل الأنساب إنما ينسبون إبراهيم إلى « تارح »، فكيف يكون « آزر » اسماً له، والمعروف به من الاسم « تارح »؟

---

(١) فى المطبوعة: « وإنما أجيزت قراءة ذلك »، وهو كلام فاسد، والصواب ما أثبت، وهو فى المخطوطة غير منقوط بتمامه.

(٢) فى المطبوعة: « كما فتح العرب »، والصواب من المخطوطة.

(٣) فى المخطوطة: « تكرير الأمر عليه »، والصواب ما فى المطبوعة.

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة: « وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة »، وهو نص الآية، لا تأويل لها على النعت. وأما تأويل النعت الذى ذكره آنفاً فى أن « آزر » سب وعيب فى كلامهم ومعناه « معوج »، لزيغه واعوجاجه عن الحق = فهو الذى أثبت، وهو الصواب إن شاء الله.

قيل له : غير محال أن يكون كان له اسمان ، كما لكثير من الناس فى دهرنا هذا ، وكان ذلك فيما مضى لكثير منهم . وجائز أن يكون لقباً يلقّب به .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (٧٤)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل إبراهيم لأبيه آزر أنه قال : « أتتخذ أصناماً آلهة » ، تعبدها وتتخذها ربًّا دون الله الذى خلقك فسوّاك ورزقك ؟

* * *

و « الأصنام » جمع « صنم » ، و « الصنم » التمثال من حجر أو خشب أو من غير ذلك فى صورة إنسان ، وهو « الوثن » . وقد يقال للصورة المصوّرة على صورة الإنسان فى الحائط وغيره : « صنم » و « وثن » .

* * *

= « إنى أراك وقومك فى ضلال مبين » ، يقول : « إنى أراك » ، يا آزر ، « وقومك » الذين يعبدون معك الأصنام ويتخذونها آلهة = « فى ضلال » ، يقول : فى زوال عن محجّة الحق ، وعدول عن سبيل الصواب = « مبين » ، يقول : يتبين لمن أبصره أنه جورٌ عن قصد السبيل ، وزوالٌ عن محجة الطريق القويم . يعنى بذلك أنه قد ضلّ هو وهم عن توحيد الله وعبادته ، الذى استوجب عليهم إخلاص العبادة له بآلائه عندهم ، دون غيره من الآلهة والأوثان .(٢)

* * *

(١) فى المطبوعة : « وجائز أن يكون لقباً والله تعالى أعلم » ، حذف « يلقب به » ، وهو سهو ثابت فى المخطوطة ، وزاد ما ليس فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « الضلال » و « مبين » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل) (بين) .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥)

١٦٠/٧

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وكذلك » ، وكما أريناه البصيرة فى دينه ، والحقّ فى خلافه ما كانوا عليه من الضلال ،[١] نريه ملكوت السموات والأرض = يعنى ملكه .[٢]

* * *

وزيدت فيه « التاء » كما زيدت فى « الجبروت » من « الجبر »[٣]، وكما قيل : « رَهَبوتٌ خيرٌ من رَحَموت » ، بمعنى : رهبة خير من رحمة .[٤] وحكى عن العرب سماعاً : « له مَلَكوت اليمنِ والعراق » ، بمعنى : له ملك ذلك .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » .

فقال بعضهم : معنى ذلك : نريه خلقَ السموات والأرض .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤٤١ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » ، أى : خلق السموات والأرض .

١٣٤٤٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ،

---

(١) فى المطبوعة : « فى خلاف ما كانوا عليه من الضلال » . وفى المخطوطة : « فى خلافه بما كانوا عليه من الضلال » ، وبينهما بياض ، وفى الهامش حرف (ط) دلالة على الخطأ ، وظنى أن الناسخ أشكل عليه الكلام فترك البياض ، والكلام موصول صحيح المعنى .

(٢) فى المخطوطة : « يعنى ملكوت وزيدت فيه » بينهما بياض أيضاً ، والذى فى المطبوعة صحيح المعنى .

(٣) فى المخطوطة : « من الجبروة » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٤) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٩٧ ، ١٩٨ .

عن قتادة : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » ، أى : خلق السموات والأرض = « وليكون من الموقنين » .

١٣٤٤٣ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض» ، يعنى : « ملكوت السموات والأرض» ، خلق السموات والأرض.

* * *

وقال آخرون : معنى « الملكوت » الملك ، بنحو التأويل الذى تأوّلناه .[1]

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤٤٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا عمر بن أبى زائدة قال : سمعت عكرمة ، وسأله رجل عن قوله : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » ، قال : هو الملك ، غير أنه بكلام النبط : « ملكوتا » .[2]

١٣٤٤٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن ابن أبى زائدة، عن عكرمة قال : هى بالنبطية : « ملكوتا » .[2]

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : آيات السموات والأرض .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤٤٦ — حدثنا هناد بن السرى قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : « نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض»، قال: آيات السموات والأرض .

---

(١) فى المخطوطة : « وبنحو الذى تأولناه » ، وفى الهامش « التأويل » ، وعليها علامة « صح » ، وفى الجهة الأخرى من السطر (كذا) بالحمرة ، والذى فى المطبوعة أشبه بالصواب ، إلا أنه كتب « الذى أولناه » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٣٤٤٤ ، ١٣٤٤٥ — « عمر بن أبى زائدة الهمدانى الوادعى » ، وهو « ابن أبى زائدة » فى الإسناد الثانى ، هو أخو « زكريا بن أبى زائدة » ، وهو الأكبر . و « زكريا » أخوه أعلى منه بكثير. وهو ثقة، ولكنه كان يرى القدر، وهو فى الحديث مستقيم . مترجم فى التهذيب .

١٣٤٤٧ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » ، قال : آيات .

١٣٤٤٨ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » ، قال : تفرجت لإبراهيم السموات السبعُ حتى العرش ، فنظر فيهنّ ، وتفرَّجت له الأرضون السبع ، فنظر فيهنّ .

١٣٤٤٩ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين » ، قال : أقيم على صخرة وفتحت له السموات ، فنظر إلى ملك الله فيها ، حتى نظر إلى مكانه في الجنة . وفتحت له الأرضون حتى نظَر إلى أسفل الأرض ، فذلك قوله ﴿ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ﴾ [سورة العنكبوت : ٢٧] ، يقول : آتيناه مكانه في الجنّة ، ويقال : « أجره »، الثناء الحسن .

١٣٤٥٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد قوله : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض» ، قال: فرجت له السموات فنظر إلى ما فيهنّ ، حتى انتهى بصره إلى العرش ، وفرجت له الأرضون السبع فنظر ما فيهنّ .

١٣٤٥١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عنبسة، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » ، قال : كشف له عن أديم السمواتِ والأرض ، حتى نظر إليهن على صخرة، والصخرةُ ، على حوت ، والحوت على خاتم ربّ العزّة لا إله إلاّ الله.[1] ١٦١/٧

١٣٤٥٢ — حدثنا هناد وابن وكيع قالا ، حدثنا أبو معاوية، عن عاصم ،

---

(١) قد مضى قولنا في هذا الضرب من الأخبار التي لا حجة فيها من الصادق صلى الله عليه وسلم .

عن أبي عثمان ، عن سلمان قال : لما رأى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ، رأى عبداً على فاحشة ، فدعا عليه ، فهلك . ثم رأى آخر على فاحشة ، فدعا عليه ، فهلك . ثم رأى آخر على فاحشة ، فدعا عليه ، فهلك . فقال : أنزلوا عبدي لا يُهلِك عبادي!

١٣٤٥٣ — حدثنا هناد قال ، حدثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن طلحة ابن عمرو ، عن عطاء قال : لما رفع الله إبراهيم في الملكوت في السموات ، أشرفَ فرأى عبداً يزني ، فدعا عليه ، فهلك. ثم رُفع فأشرف ، فرأى عبداً يزني ، فدعا عليه ، فهلك . ثم رفع فأشرف ، فرأى عبداً يزني ، فدعا عليه ، فنودي : على رِسْلِك يا إبراهيم ، فإنك عبد مستجابٌ لك ، وإني من عبدي على ثلاث : إما أن يتوب إليّ فأتوب عليه ، وإما أن أخرج منه ذرية طيبة ، وإما أن يتمادى فيما هو فيه ، فأنا من ورائه .

١٣٤٥٤ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا ابن أبي عدي ومحمد بن جعفر وعبد الوهاب ، عن عوف ، عن أسامة : أن إبراهيم خليل الرّحمن حدّث نفسه أنه أرحمُ الخلق ، وإن الله رفعه حتى أشرفَ على أهل الأرض ، فأبصر أعمالهم . فلما رآهم يعملون بالمعاصي قال : اللهم دمِّر عليهم ! فقال له ربه : أنا أرحم بعبادي منك ، اهبطْ ، فلعلهم أن يتوبوا إليّ ويُراجِعوا .(١)

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك ، ما أخبر تعالى أنه أراه من النُّجوم والقمر والشمس .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤٥٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » ، قال : الشمس والقمر والنجوم .

---

(١) في المطبوعة : « ويرجعوا » ، والصواب الجيد من المخطوطة .

١٣٤٥٦ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد: «وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض»، قال: الشمس والقمر.

١٣٤٥٧ — حدثنا المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: «وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض»، يعني به: الشمس والقمر والنجوم.[1]

١٣٤٥٨ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة قال: خُبِّئَ إبراهيم صلى الله عليه وسلم من جبار من الجبابرة، فجُعِل له رزقه في أصابعه، فإذا مصَّ إصبعاً من أصابعه وَجَد فيها رزقاً. فلما خرج، أراه الله ملكوت السموات والأرض. فكان ملكوت السموات: الشمس والقمر والنجوم، وملكوت الأرض: الجبال والشجر والبحار.

١٣٤٥٩ — حدثنا بشر بن معاذ، قال، حدثنا يزيد قال،[2] حدثنا سعيد، عن قتادة: ذكر لنا أن نبيَّ الله إبراهيم صلى الله عليه وسلم، فُرَّ به من جبَّار مُتْرَف،[3] فجعل [في سَرَب]،[4] وجعل رزقه في أطرافه، فجعل لا يمصُّ إصبعاً من أصابعه إلا وجد فيها رزقاً. فلما خرج من ذلك السَّرَب، أراه الله ملكوت السموات، فأراه شمساً وقمراً ونجوماً وسحاباً وخلقاً عظيماً، وأراه ملكوت الأرض، فأراه جبالاً وبحوراً وأنهاراً وشجراً ومن كلّ الدواب وخلقاً عظيماً.

* * *

(١) في المطبوعة: «يعني به: نريه الشمس»، وزاد «نريه»، وليست في المخطوطة.

(٢) في المطبوعة، سقط «قال حدثنا يزيد».

(٣) في المخطوطة: «قرنه جبار معرف»، وأما ما في المطبوعة، فهو نص ما في الدر المنثور ٣: ٢٥.

(٤) «السرب» (بفتحتين): حفير في الأرض، كالسرداب.

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب ، قولُ من قال : عنى الله تعالى ذكره بقوله : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » ، أنه أراه ملك السموات والأرض ، وذلك ما خلق فيهما من الشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب وغير ذلك من عظيم سلطانه فيهما ، وجلّى له بواطن الأمور وظواهرها ، لما ذكرنا قبل من معنى « الملكوت » ، فى كلام العرب ، فيما مضى قبل .[1]

* * *

وأما قوله : « وليكون من الموقنين » ، فإنه يعنى أنه أراه ملكوت السموات والأرض ، ليكون ممن يقرّ بتوحيد الله ،[2] ويعلم حقيقة ما هداه له وبصّره إياه ،[3] من معرفة وحدانيته ، وما عليه قومه من الضلالة ، من عبادتهم الأصنام ، واتخاذهم إياها آلهة دون الله تعالى .[4] ٨ / ١٦٢

* * *

وكان ابن عباس يقول فى تأويل ذلك ، ما :—

١٣٤٦٠ — حدثنى به محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وليكون من الموقنين » ، أنه جلّى له الأمر سرّه وعلانيته ، فلم يخف عليه شىء من أعمال الخلائق . فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب ، قال الله : إنك لا تستطيع هذا ! فردّه الله كما كان قبل ذلك .

* * *

فتأويل ذلك على هذا التأويل : أريناه ملكوت السموات والأرض ليكون ممن يوقن علم كل شىء حسًّا لا خبرًا .

---

(١) انظر ما سلف ص : ٤٧٠ وما بعدها

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « ممن يتوحد بتوحيد الله » ، وهو كلام لا معنى له ، صوابه ما أثبت . وإنما هو خطأ من عجلة الناسخ ، واستظهرته من معنى « يوقن » فيما سلف ١٠ : ٣٩٤ .

(٣) فى المطبوعة : « ويعلم حقية ما هداه له » ، فعل بها ما فعل بصواحباتها ، كما سلف قريبًا : ص : ٤٦٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « أيقن » فيما سلف ١٠ : ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

١٣٤٦١ — حدثني العباس بن الوليد قال، أخبرني أبي قال، حدثنا ابن جابر قال، وحدثنا الأوزاعيُّ أيضاً = قال : حدثني خالد بن اللجلاج قال : سمعت عبد الرحمن بن عائش الحضرميّ يقول : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة، فقال له قائل : ما رأيتُك أسفرَ وجْهاً منك الغداة![1] قال : ومالي، وقد تبدّى لي ربّي في أحسن صورة،[2] فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى،[3] يا محمد ؟ قلت أنت أعلم [يارب] ![4] فوضع يده بين كتفي فوجدت بردَها بين ثديّ،[5] فعلمت ما في السموات والأرض.[6] ثم تلا هذه الآية: « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ».[7]

* * *

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « ما رأيت أسعد منك اليوم » ، وهو خطأ ، صوابه من منتخب ذيل المذيل لأبي جعفر الطبري ، تاريخه ١٣ : ٥٩ ، حيث روى الخبر بتمامه هناك .

وقوله : « أسفر وجهاً منك الغداة » ، يعني : أحسن إشراقاً وإضاءة ، يقال : « سفر وجهه حسنا ، وأسفر » ، إذا أشرق وأضاء ، ومنه في التنزيل العزيز : « وجوه يومئذ مسفرة » .

(٢) في المطبوعة : « مالي قد أتاني ربي » ، وفي المخطوطة : « ومالي وقد ساى ربي » غير منقوطة ، محرفة ، صوابها من ذيل المذيل لأبي جعفر .

(٣) في المطبوعة : « ففيم يختصم » لم يحسن قراءة المخطوطة ، وهو الموافق لما في ذيل المذيل .

(٤) زيادة ما بين القوسين من رواية أبي جعفر في ذيل المذيل .

(٥) قوله : « فوجدت بردها بين ثديي » ؛ أسقطه ناشر المطبوعة ، لأنه كان في المخطوطة هكذا : « فوضع يده بين كتفي ، ثدي » ، أسقط الناسخ ما بين الكلامين ، والصواب زيادته من رواية أبي جعفر في ذيل المذيل .

(٦) في ذيل المذيل : « ما في السماء والأرض » .

(٧) الأثر : ١٣٤٦١ — هذا خبر مشكل جداً ، كما سترى بعد ، وكان في المخطوطة والمطبوعة محرفاً أشد التحريف ، وكان إسناده أشد تحريفاً ، ولكني صححته بعون الله تعالى ذكره ، من رواية أبي جعفر في ذيل المذيل (تاريخ الطبري ١٣ : ٥٩ ، ٦٠) .

« العباس بن الوليد بن مزيد العذري الآملي البيروتي » ، شيخ الطبري ، ثقة ، روى عنه كثيراً ، مضى برقم : ٨٩١ ، ١١٠١٤ ، ١١٨٢١ .

وأبوه : « الوليد بن مزيد العذري البيروتي » ، ثقة ؛ مضى برقم : ١١٨٢١ . قال الأوزاعي شيخه : « كتبه صحيحة » ، وقال النسائي : « هو أحب إلينا في الأوزاعي من الوليد بن مسلم ، لا يخطىء ، ولا يدلس » .

و « ابن جابر » هو : « عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الأزدي ، ثقة ، روى له الجماعة ، روى عنه الأوزاعي ، والوليد بن مزيد البيروتي ، وغيرها . ومضى برقم : ٦٦٥٥ . وكان في المطبوعة

. . . .

والمخطوطة : « أبو جابر » ، وهو خطأ ، صوابه من ذيل المذيل وغيره .

و « خالد بن اللجلاج العامرى » ، كان ذا سن وصلاح ، جرىء اللسان على الملوك ، فى الغلظة عليهم . قال البخارى : « سمع عمر بن الخطاب ، وأباه » . وقال ابن أبى حاتم : « روى عن عمر ، مرسل ، وعن أبيه ، ولأبيه صحبة ، وعن عبد الرحمن بن عائش الحضرمى » وذكره ابن حبان فى ثقات التابعين . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/١٥٦ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٣٤٩ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « خالد الحلاج » ، وهو خطأ صرف .

وأما « عبد الرحمن بن عائش الحضرمى » ، فأمره وأمر صحبته مشكل من قديم ، وسيأتى ذكر ذلك . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « عبد الرحمن بن عياش » ، وحذف ناشر المطبوعة « الحضرمى » ، وهى ثابتة فى المخطوطة . والصواب من رواية أبى جعفر فى ذيل المذيل . ولكن أعجب العجب أنه جاء كذلك فى المسند ٥ : ٢٤٣ : « عبد الرحمن بن عياش الحضرمى » ، مع أنى لم أجد أحداً ذكر فى ترجمته خلافاً فى اسم أبيه « عائش » ، فمن عجيب الاتفاق ، وهو قليل مثله ، أن يأتى كذلك فى مخطوطة الطبرى والمسند جميعاً ، وهو اتفاق عجيب على الخطأ فى كتابين متباينين . والذى فى المسند خطأ لاشك فيه أيضاً ، لأنى وجدت ابن كثير فى تفسيره ٧ : ٢٢٠ ، ونقل الخبر عن هذا الموضع من مسند أحمد ، وفيه « عبد الرحمن بن عائش » على الصواب . وتحريف « عائش » إلى « عياش » جائز قريب ، لشهرة « عياش » وكثرة من تسمى به ، ولخفاء « عائش » وندرة من تسمى به .

و « عبد الرحمن بن عائش الحضرمى » مترجم فى التهذيب ، وفى ابن سعد ٧/٢/١٥٠ ، فى الصحابة ، وفى ذيل المذيل للطبرى (١٣ : ٥٩ ، ٦٠) ، وفى الاستيعاب لابن عبد البر : ٣٩٩ ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٢٦٢ ، وأسد الغابة ٣ : ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، وفى الإصابة ، وفى ميزان الاعتدال ٢ : ١٠٨ .

و « عبد الرحمن بن عائش» مختلف فى صحبته ، فمن صرح بصحبته ، ابن سعد ، وابن جرير فى ذيل المذيل ، وابن حبان. أما ابن عبد البر فى الاستيعاب ، وابن الأثير فى أسد الغابة ، فذكر أنه لا تصح صحبته ، لأن حديثه مضطرب . وأما أبو حاتم فقال : « أخطأ من قال : له صحبة ، هو عندى تابعى » . أما أبو زرعة فقال : « عبد الرحمن بن عائش ، ليس بمعروف » . وعد الحافظ ابن حجر فى الإصابة من عده فى الصحابة فقال : « وذكره فى الصحابة : محمد بن سعد ، والبخارى ، وأبو زرعة الدمشقى ، وأبو الحسن بن سميع ، وأبو القاسم ، والبغوى ، وأبو زرعة الحرانى ، وغيرهم » . وقد استوفى الكلام فى ترجمته فى الإصابة .

وقال البخارى : « له حديث واحد ، إلا أنهم مضطربون فيه » ، يعنى هذا الحديث . قال الحافظ ابن حجر فى الإصابة : « قلت : وقد وجدت له حديثاً آخر مرفوعاً ، وحديثاً آخر موقوفاً » .

وهذا الخبر رواه أبو جعفر فى ذيل المذيل (تاريخه ١٣ : ٥٩ ، ٦٠) بهذا الإسناد ، وأشار إليه الترمذى فى تفسير « سورة ص » من سننه (١٢ : ١١٦ ، ١١٧ شرح ابن عربى) ، بعد أن ذكر حديث معاذ بن جبل ، من طريق زيد بن سلام ، عن أبى سلام ، عن عبد الرحمن بن عائش الحضرمى أنه حدثه عن مالك بن يخامر السكسكى ، عن معاذ بن جبل ، وذكر الحديث = « قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، سألت محمد بن إسماعيل (البخارى) عن هذا الحديث

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴾ ﴿٧٦﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فلما واراه الليل وغيّبه .[١]

* * *

يقال منه : « جنّ عليه الليل » و « جنَّه الليل » و « أجنه » ، و« أجنّ عليه» . وإذا ألقيت « على » ، كان الكلام بالألف أفصح منه بغير « الألف » ، « أجنه الليل » ، أفصح من « أجن عليه » و «جنّ عليه الليل » ، أفصح من « جنَّه » ، وكل ذلك مقبول مسموع من العرب .[٢] « جنّه الليل » ، فى أسد = « وأجنه

فقال : هذا أصح من حديث الوليد بن مسلم ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال ، حدثنا خالد بن اللجلاج ، حدثنى عبد الرحمن بن عائش الحضرمى ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر الحديث ، وهذا غير محفوظ ، هكذا ذكر الوليد فى حديثه عن عبد الرحمن بن عائش قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى بشر بن بكر ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر هذا الحديث بهذا الإسناد ، عن عبد الرحمن بن عائش ، عن النبى صلى الله عليه وسلم = وهذا أصح ، وعبد الرحمن بن عائش لم يسمع من النبى صلى الله عليه وسلم » .

وقد استوفى الحافظ ابن حجر فى الإصابة ، فى ترجمة « عبد الرحمن بن عائش » وجوه الاختلاف والاضطراب فى هذا الخبر ، وما قالوه فى الكتب التى ذكرتها من أنه لم يقل فى حديثه : « سمعت النبى صلى الله عليه وسلم » ، إلا الوليد بن مسلم ، وقد ذكر أن الوليد بن مسلم لم ينفرد برواية ذلك ، بل رواه أيضاً ثقة ثبت عن الأوزاعى ، صحيح الحديث عنه ، هو « الوليد بن مزيد البيروتى » بمثل رواية « الوليد بن مسلم » ، وإذن فالاضطراب فيه لم يأت من طريق « الوليد بن مسلم » . وذكر الحافظ سائر المتابعات التى تؤيد الوليد بن مسلم فى روايته .

وأما الخبر بغير هذا الإسناد ، فقد رواه أحمد فى مسنده ٥ : ٢٤٣ ، والترمذى ، كما أشرت إليه آنفاً . ثم رواه أحمد من حديث ابن عباس فى مسنده رقم : ٣٤٨٤ ، بمثله . وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٥ : ٣١٩ — ٣٢١ من حديث جماعة من الصحابة ، من حديث ابن عباس ، ومعاذ ابن جبل، وأبى هريرة ، وأنس بن مالك ، وأبى أمامة الباهلى ، وطارق بن شهاب ، وعدى بن حاتم ، وأبى عبيدة بن الجراح ، وثوبان .

وهذا قدر كاف فى تخريج هذا الخبر المضطرب ، تراجع فيه سائر الكتب التى ذكرتها .
وكتبه محمود محمد شاكر

(١) فى المطبوعة : « داراه الليل وجنه » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) هذا بيان لا تصيبه فى كتب اللغة ، فقيده هناك ، وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٤١ .

وجنه » فى تميم .[1] والمصدر من : « جن عليه » ، « جنًّا وجُنُوناً وجَنَاناً » ، = ومن « أجنّ » « إجناناً » . ويقال : « أتى فلان فى جِنّ الليل ».[2] و« الجن » من ذلك لأنهم استجنُّوا عن أعين بنى آدم فلا يرون . وكل ما توارى عن أبصار الناس ، فإن العرب تقول فيه : « قد جَنّ » ، ومنه قول الهذلى :[3]

وَمَاءٍ وَرَدْتُ قُبَيْلَ الكَرَى ... وَقَدْ جَنَّهُ السَّدَفُ الأَدْهَمُ[4]

وقال عبيد :

وَخَرْقٍ تَصِيحُ البُومُ فِيهِ مَعَ الصَّدَى ... مَخُوفٍ إِذَا مَاجَنَّهُ اللَّيْلُ مَرْهُوبِ[5]

ومنه : « أجننت الميت ، » إذا واريته فى اللحد ، و « جننته » ، وهو نظير

---

(١) يعنى أن الأولى أشهر فى لغة بنى أسد ، وأن الثانية أشهر فى لغة بنى تميم .

(٢) « جن الليل » (بكسر الجيم) : اختلاط ظلمته .

(٣) هو البريق الهذلى ، واسمه : « عياض بن خويلد الخناعى » ، وروى الأصمعى أن قائل الشعر هو « عامر بن سدوس الخناعى » .

(٤) ديوان الهذليين ٣ : ٥٦ ، وما بقى من أشعار الهذليين رقم : ٣١ ، واللسان (سدف) (جنن) ، من أبيات يمجد فيها نفسه ، وبعد البيت :

مَعِي صَاحِبٌ مِثْلُ نَصْلِ السِّنَانِ ... عَنِيفٌ عَلَى قِرْنِهِ مِغْشَمُ

و يروى : « وماء وردت على خيفة » ، ويروى « قبيل الصباح » ، وكله حسن . و « السدف » : الظلمة من أول الليل أو آخره ، عند اختلاط الضوء . و « الأدهم » : الضارب إلى السواد .

(٥) ديوانه : ٣٣ ، ذكر نفسه فى هذا البيت ثم قال بعده :

قَطَعْتُ بِصَهْبَاءِ السَّرَاةِ شِمِلَّةٍ ... تَزِلُّ الوَلَايَا عَنْ جَوَانِبِ مَكْرُوبِ

وختمها بالبيت الحكيم :

تَرَى المَرْءَ يَصْبُو لِلحَيَاةِ وَطُولِهَا ... وَفِي طُولِ عَيْشِ المَرْءِ أَبْرَحُ تَعْذِيبِ

وصدق غاية الصدق ! وكان فى المطبوعة : « الليل مرهب » ، والصواب من المخطوطة . و « الخرق » (بفتح فسكون) : الفلاة الواسعة ، ورواية الديوان : « تصيح الهام » ، و « الهام » ذكر البوم ، ورواية أبى جعفر أجود ، لأن « الصدى » هو أيضاً ذكر البوم .

« جنون الليل » ، في معنى غطيته . ومنه قيل للترس « مِجَنّ » لأنه يُجِنّ من استجنّ به فيغطّيه ويواريه :

* * *

وقوله : « رأى كوكباً » ، يقول : أبصر كوكباً حين طلع = « قال هذا ربى » ، فروى عن ابن عباس في ذلك ، ما : —

١٣٤٦٢ — حدثني به المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين » ، يعني به الشمس والقمر والنجوم = « فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى » ، فعبده حتى غاب ، فلما غاب قال : لا أحب الآفلين = « فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربى » ، فعبده حتى غاب ، فلما غاب قال : لئن لم يهدني ربى لأكونن من القوم الضالين = « فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر » ، فعبدها حتى غابت ، فلما غابت قال : يا قوم إنى برىء مما تشركون .

١٣٤٦٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحبّ الآفلين » ، علم أن ربّه دائم لا يزول . فقرأ حتى بلغ : « هذا ربى هذا أكبر » ، رأى خلقاً هو أكبرَ من الخلقين الأوّلين وأنور .(١)

١٦٣/٧

وكان سبب قيل إبراهيم ذلك ، ما :—

١٣٤٦٤ — حدثني به محمد بن حميد قال ، حدثنا سلمة بن الفضل قال ، حدثني محمد بن إسحق = فيما ذكر لنا ، والله أعلم = أن آزر كان رجلاً من أهل

---

(١) في المطبوعة : « رأى خلق » ، وهو فاسد المعنى ، وفي المخطوطة : « رأى خلقاً » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

كوثَى ، من قرية بالسوادِ ، سواد الكوفة ، وكان إذ ذاك ملك المشرق لنمرود ،[1] فلما أراد الله أن يبعث إبراهيم ، [عليه السلام ، خليل الرحمن ، حجة على قومه] ،[2] ورسولاً إلى عباده ، ولم يكن فيما بين نوح وإبراهيم نبيٌّ إلا هود وصالح ، فلما تقارب زمان إبراهيم الذى أراد الله ما أراد ، أتى أصحابُ النجوم نمرودَ فقالوا له : تَعَلَّمْ ، أنّا نجد فى عِلْمنا أن غلاماً يولد فى قريتك هذه يقال له «إبراهيم» ،[3] يفارق دينكم ، ويكسر أوثانكم ، فى شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا . فلما دخلت السنة التى وصف أصحابُ النجوم لنمرود ، بعث نمرود إلى كل امرأة حبلى بقريته فحبسها عنده = إلاَّ ما كان من أمّ إبراهيم امرأة آزر ، فإنه لم يعلم بحبَلها ، وذلك أنها كانت امرأة حَدَثة ، فيما يذكر ، لم تعرف الحبَل فى بطنها ،[4] ولِمَا أرادَ الله أن يبلغ بولدها ،[5] = يريدُ أن يقتل كل غلام ولد فى ذلك الشهر من تلك السنة ، حذراً على ملكه . فجعلَ لا تلد امرأة غلاماً فى ذلك الشهر من تلك السنة ، إلا أمر به فذبح . فلما وجدت أم إبراهيم الطَّلْقَ خرجت ليلاً إلى مغارة كانت قريباً منها ، فولدت فيها إبراهيم ، وأصلحت من شأنه ما يُصْنع

---

(١) فى المطبوعة : «لنمرود بن كنعان» ، وليس ذلك فى المخطوطة ، ولا فى تاريخ الطبرى ١ : ١١٩ ، بل الذى هناك : «لنمرود الخاطىء ، وكان يقال له : الهاصر . وكان ملكه فيما يزعمون قد أحاط بمشارق الأرض ومغاربها ، وكان ببابل . . .» ، فاختصر أبو جعفر الخبر كعادته . وهو خبر قسمه أبو جعفر فى تاريخه ، فروى صدره هذا ، ثم فصل ، ثم عاد إلى حديث ابن إسحق .

(٢) الزيادة بين القوسين من تاريخ أبى جعفر ١ : ١١٩ .

(٣) «تعلم» (بفتح التاء والعين وتشديد اللام المفتوحة) فعل أمر بمعنى : اعلم ، يكثر ورودها فى سيرة ابن إسحق ، ويخطئ كثير من الناس فى ضبطها من قلة معرفتهم بالكلام .

(٤) «امرأة حدثة» (بفتحات) : حديثة السن صغيرة ، بينة الحداثة . والمذكر : «رجل حدث» ، أى شاب صغير . وكان فى المطبوعة : «حدبة» بالباء ، وهو خطأ صرف ، وهى فى المخطوطة غير منقوطة ، والصواب فى تاريخ الطبرى .

(٥) فى المطبوعة : «ولما أراد الله أن يبلغ بولدها أراد أن يقتل ...» غير ما كان فى المخطوطة ، لأنه لم يفهم سياق الكلام ، فوضع مكان «يريد» ، «أراد» . وسياق الكلام : «. . . بعث نمرود إلى كل امرأة حبلى بقريته فحبسها عنده . . . يريد أن يقتل كل غلام . . .» ، ووضعت العبارة الفاصلة فى شأن ولدها بين خطين ، لذلك . وقوله «ولما أراد الله . . .» ، أى وللذى أراد الله . وهذه الجملة ليست فى تاريخ أبى جعفر ، اختصر الكلام هناك كعادته .

بالمولود، [١] ثم سَدّت عليه المغارة ، ثم رجعت إلى بيتها، ثم كانت تطالعه فى المغارة فتنظر ما فعل ، فتجده حيًّا يمص ّ إبهامه، يزعمون ، والله أعلم ، أن الله جعل رزق إبراهيم فيها وما يجيئه من مصّه. وكان آزر ، فيما يزعمون ، سأل أمّ إبراهيم عن حمْلها ما فعل، فقالت: ولدت غلاماً فمات ! فصدّقها ، فسكت عنها . وكان اليوم ، فيما يذكرون ، على إبراهيم فى الشَّباب كالشهر ، والشهر كالسنة. فلم يلبث إبراهيم فى المغارة إلاّ خمسة عشر شهراً حتى قال : لأمه : أخرجينى أنظر ! فأخرجته عِشاء فنظر ، وتفكر فى خلق السموات والأرض، وقال : «إن الذى خلقنى ورزقنى وأطعمنى وسقانى لربىّ، ما لى إله غيره »! ثم نظر فى السماء فرأى كوكباً، قال : « هذا ربى » ، ثم اتّبعه ينظر إليه ببصره حتى غاب ، فلما أفل قال : « لا أحب الآفلين » ، ثم طلع القمر فرآه بازغاً ، قال : « هذا ربى» ، ثم اتّبعه ببصره حتى غاب ، فلما أفل قال: « لئن لم يهدنى ربىّ لأكونن من القوم الضالين »! فلما دخل عليه النهار وطلعت الشمس، أعظَمَ الشمسَ، [٢] ورأى شيئاً هو أعظم نوراً من كل شىء رآه قبل ذلك ، فقال : « هذا ربى ، هذا أكبر » ! فلما أفلت قال : « يا قوم إنى برئ مما تشركون . إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين» . ثم رجع إبراهيم إلى أبيه آزر وقد استقامت وجهته ، وعرف ربَّه ، وبرئ من دين قومه ، إلا أنه لم يبادئهم بذلك . وأخبر أنه ابنه، وأخبرته أم إبراهيم أنه ابنه، وأخبرته بما كانت صنعت من شأنه، فسرَّ بذلك آزر وفرح فرحاً شديداً . وكان آزر يصنع أصنام قومه التى يعبدونها ، ثم يعطيها إبراهيم يبيعها ، فيذهب بها إبراهيم ، فيما يذكرون ، فيقول : « من يشترى ما

---

(١) فى المطبوعة : « ما يصنع مع المولود » ، أراد الناشر ترجمة كلام أبى جعفر إلى سقم عربيته !! ، والصواب من المخطوطة والتاريخ .

(٢) هكذا فى المطبوعة والمخطوطة : « أعظم الشمس » ، كأنه يعنى : استعظمها ، ووجدها عظيمة . وهو صواب فى المعنى ، وأما فى التاريخ فهناك : « رأى عظم الشمس » ، وهو صواب أيضاً .

يضرُّه ولا ينفعه »، فلايشتريها منه أحد. فإذا بارت عليه ، [1]ذهب بها إلى نهر فصوَّبَ فيه رؤوسها ، [2] وقال : « اشربى »، استهزاء بقومه وما هم عليه من الضلالة ، حتى فشا عيبُه إياها واستهزاؤُه بها فى قومه وأهل قريته ،من غير أن يكون ذلك بلغ نمرودَ الملك . [3]

* * *

قال أبو جعفر : وأنكر قوم من غير أهل الرواية هذا القول الذى روى عن ابن عباس وعمن روى عنه ، من أن إبراهيم قال للكوكب أو للقمر : « هذا ربى » ، وقالوا : غير جائز أن يكون لله نبيٌّ ابتعثه بالرسالة ، أتى عليه وقتٌ من الأوقات ١٦٤/٧ وهو بالغٌ إلا وهو لله موحدٌ ، وبه عارف ،ومن كل ما يعبد من دونه برىء . قالوا : ولوجاز أن يكون قد أتى عليه بعض الأوقات وهو به كافر ، لم يجز أن يختصه بالرسالة، لأنه لامعنى فيه إلا وفى غيره من أهل الكفر به مثله ، وليس بين الله وبين أحد من خلقه مناسبة ، فيحابيه باختصاصه بالكرامة . قالوا : وإنما أكرم من أكرم منهم لفضله فى نفسه ، فأثابه لاستحقاقه الثوابَ بما أثابه من الكرامة . وزعموا أن خبرَ الله عن قيل إبراهيم عند رؤيته الكوكب أو القمر أو الشمس : « هذا ربى » ، لم يكن لجهله بأن ذلك غيرجائز أن يكون ربّه ، وإنما قال ذلك على وجه الإنكار منه أن يكون ذلك ربه ، وعلى العيب لقومه فى عبادتهم الأصنام ، إذْ كان الكوكبُ والقمرُ والشمسُ أضوأ وأحسنَ وأبهجَ من الأصنام، ولم تكن مع ذلك معبودة ، وكانت آفلةً زائلة غير دائمة ، فالأصنام التى [هى] دونها فى الحسن وأصغرَ منها فى الجسم ، أحقُّ أن لا تكون معبودة

(١) هكذا فى التاريخ ، وفى المخطوطة : « وإذا بات عليه » غير منقوطة ، فأثبت ما فى التاريخ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « فضرب فيه رؤوسها » ، والصواب من التاريخ . و « صوب رؤوسها »، نكسها .

(٣) الأثر : ١٣٤٦٤ — هذا الأثر رواه أبو جعفر فى تاريخه مطولا ١ : ١١٩ ، ١٢٠ .

ولا آلهة .[١] قالوا : وإنما قال ذلك لهم ، معارضةً ، كما يقول أحد المتناظرين لصاحبه معارضاً له فى قولٍ باطلٍ قال به بباطل من القول ،[٢] على وجه مطالبته إياه بالفُرْقان بين القولين الفاسدين عنده ، اللذين يصحِّح خصمه أحدَهما ويدعى فسادَ الآخر.

* * *

وقال آخرون منهم : بل ذلك كان منه فى حال طفولته ،[٣] وقبل قيام الحجة عليه . وتلك حال لا يكون فيها كفر ولا إيمان .

* * *

وقال آخرون منهم : إنما معنى الكلام : أهذا ربى ؟ على وجه الإنكار والتوبيخ ، أى : ليس هذا ربى . وقالوا : قد تفعل العرب مثل ذلك ، فتحذف « الألف » التى تدلُّ على معنى الاستفهام . وزعموا أن من ذلك قول الشاعر :[٤]

رَفَوْنِى وَقَالُوا : يَا خُوَيْلِدُ ، لَا تُرَعْ ! فَقُلْتُ ، وأَنْكَرْتُ الوُجُوهَ : هُمُ هُمُ ؟[٥]

يعنى : أهم هم ؟ قالوا : ومن ذلك قول أوس :[٦]

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِى ، وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًا ، شُعَيْثَ بْنَ سَهْمٍ أَمْ شُعَيْثَ بْنَ مِنْقَرِ[٧]

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « والأصنام التى دونها فى الحسن » ، وفى المخطوطة : « فأحق » ، ورأيت السياق يقتضى ما أثبت ، مع زيادة [هى] بين القوسين .

(٢) السياق : معارضاً له ... بباطل من القول ...

(٣) فى المطبوعة : « طفوليته » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) هو أبو خراش الهذلى .

(٥) ديوان الهذليين ٢ : ١٤٤ ، الخزانة ١ : ٢١١ واللسان ، (رفأ) (رفو) ، وغيرها كثير . هى مطلع شعر له فى فرة فرها على رجليه ، فوصف ذلك وحسن فرته . وقوله : « رفونى » ، أى : سكنونى ، كأن قلبه قد طار شعاعاً ، فضموا بعضه إلى بعض . يقال : « رفوته من الرعب » و « رفأته » .

(٦) ينسب أيضاً للأسود بن يعفر النهشلى ، واللعين المنقرى .

(٧) سيبويه ١ : ٤٨٥ ، البيان والتبين ٤ : ٤٠ ، ٤١ ، الكامل ١ : ٢/٣٨٤ : ١١٥ ، الخزانة ٤ : ٤٥٠ ، شرح شواهد المغنى : ٥١ ، وغيرها كثير . قال الجاحظ : « وذكروا أن حزن ابن الحارث ، أحد بنى العنبر ، ولد « محجناً » ، فولد محجن : « شعيث بن سهم » ، فأغير على إبله ، فأتى أوس بن حجر يستنجده ، فقال له أوس : أو خير من ذلك ، أحضض لك قيس ابن عاصم ! وكان يقال إن « حزن بن الحارث » هو « حزن بن منقر » ، فقال أوس :

سَائِلْ بِهَا مَوْلَاكَ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ فَمَوْلَاكَ مَوْلَى السَّوْءِ إِنْ لَمْ يُغَيِّرِ

بمعنى : أشعيث بن سهم ؟ فحذف « الألف » ، ونظائر ذلك . وأما تذكير « هذا » فى قوله : « فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى » ، فإنما هو على معنى : هذا الشيء الطالع ربِّى .

* * *

قال أبو جعفر : وفى خبر الله تعالى عن قيل إبراهيم حين أفل القمر : « لئن لم يهدنى ربّى لأكونن من القوم الضالين » ، الدليلُ على خطأ هذه الأقوال التى قالها هؤلاء القوم ، وأنّ الصوابَ من القول فى ذلك ، الإقرارُ بخبر الله تعالى الذى أخبر به عنه ، والإعراض عما عداه .[1]

وأما قوله : « فلما أفل » ، فإن معناه : فلما غاب وذهب ، كما :—

* * *

١٣٤٦٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة بن الفضل قال ، قال ابن إسحق : « الأفول » ، الذهاب .

يقال منه : « أفل النجم يأفُلُ ويأفِلُ أفولاً وأفْلاً » ، إذا غاب ، ومنه قول ذي الرمة :

مَصَابِيحُ لَيْسَتْ بِاللَّوَاتِي تَقُودُهَا نُجُومٌ ، وَلَا بِالآفِلَاتِ الدَّوَالِكِ[2]

ويقال : « أين أفلت عنا » بمعنى : أين غبت عنا ؟[3]

* * *

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي : أَمِنْ حزن مِحْجَنٍ شُعَيْثُ بن سَهْمٍ أَمْ لِحَزْنِ بن مِنْقَرِ

فَمَا أَنْتَ بِالْمَوْلَى الْمُضَيِّعِ حَقَّهُ وَمَا أَنْتَ بِالْجَارِ الضَّعِيفِ الْمُسَتَّرِ

فسعى قيس فى إبله حتى ردها على آخرها » . والبيت برواية الجاحظ لا شاهد فيه . وكان فى المطبوعة فى المواضع كلها : « شعيب » بالباء ، وهو خطأ . وفى المطبوعة : « أو شعيب » والصواب « أم » كما فى المخطوطة ، وسائر الروايات .

(١) انظر أيضاً معانى القرآن للفراء ١ : ٣٤١ .

(٢) ديوانه : ٤٢٥ ، مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٩٩ ، الأزمنة ٢ : ٤٩ ، كتاب القرطين ١ : ٢٦١ ، اللسان (دلك) ، من قصيدة طويلة ، وصف بها الإبل ، وهذا البيت من صفة الإبل . « مصابيح » جمع « مصباح » ، و « المصباح » التى تصبح فى مبركها لاترعى حتى يرتفع النهار ، وهو مما يستحب من الإبل ، وذلك لقوتها وسمنها . يقول : ليست بنجوم آفلات ، ولكنها إبل .

(٣) هذا مجاز لا تكاد تجده فى كتاب آخر .

القول فى تأويل قوله ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ ﴿٧٧﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فلما طلع القمر فرآه إبراهيم طالعاً ، وهو « بزُوغه » .

* * *

يقال منه : « بزغت الشمس تبزُغُ بزُوغاً » ، إذا طلعت ، وكذلك القمر .

* * *

١٦٥/٧ = « قال هذا ربى فلما أفل » ، يقول : فلما غاب = « قال » ، إبراهيم ، « لئن لم يهدنى ربى » ، ويوفقنى لإصابة الحق فى توحيده = « لأكونن من القوم الضالين » ، أىْ : من القوم الذين أخطأوا الحق فى ذلك ، فلم يصيبوا الهدى ، وعبدوا غير الله .

* * *

وقد بينا معنى « الضلال » ، فى غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٧٨﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله[2] : « فلما رأى الشمس بازغة » ، فلما رأى إبراهيم الشمس طالعةً ، قال : هذا الطالعُ ربىّ = « هذا أكبر » ، يعنى : هذا أكبر من الكوكب والقمر = فحذف ذلك لدلالة الكلام عليه =

(١) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل) .

(٢) « بقوله » ، ساقطة من المخطوطة والمطبوعة ، وهى حق سياقة الكلام .

« فلما أفلت »، يقول : فلما غابت،[1] قال إبراهيم لقومه = « يا قوم إنّى برىء مما تشركون » ، أى : من عبادة الآلهة والأصنام ودعائه إلهاً مع الله تعالى ذكره .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٧٩)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن خليله إبراهيم عليه السلام : أنه لما تبينّ له الحق وعرَفه، شهد شهادةَ الحقّ ، وأظهر خلاف قومِه أهلِ الباطل وأهلِ الشرك بالله، ولم يأخذه فى الله لومة لائم ، ولم يستوحش من قِيلِ الحقّ والثبات عليه ، مع خلاف جميع قومه لقوله ، وإنكارهم إياه عليه ، وقال لهم : « يا قوم إنّى برىء مما تشركون» مع الله الذى خلقنى وخلقكم فى عبادته من آلهتكم وأصنامكم ،[3] إنى وجهت وجهى فى عبادتى إلى الذى خلق السموات والأرض ، الدائم الذى يبقى ولا يفنى ، ويُحيى ويميت = لا إلى الذى يفنى ولا يبقى ، ويزول ولا يدوم ، ولا يضر ولا ينفع .

ثم أخبرهم تعالى ذكره : أن توجيهه وجهه لعبادته، بإخلاص العبادة له، والاستقامة فى ذلك لربه على ما يجبُ من التوحيد ، لا على الوجه الذى يوجِّه له وَجْهه من ليس بحنيف، ولكنه به مشرك ،[4] إذ كان توجيه الوجه على غير التحنُّف غير نافع موجِّهه،[5] بل ضارّه ومهلكه = « وما أنا من المشركين » ،

---

(١) انظر تفسير « أفل » و « بزغ » فيما سلف قريباً .

(٢) انظر تفسير « برىء » فيما سلف ص : ٢٩٣

(٣) انظر تفسير « فطر » فيما سلف ص: ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

(٤) انظر تفسير « الحنيف » فيما سلف ٣ : ١٠٤ - ١٠٨/٦ : ٤٩٤/٩ : ٢٥٠ .

(٥) فى المطبوعة : « إذ كان توجيه الوجه لا على التحنيف » ، وفى المخطوطة : « ... توجيه الوجه على التحنف » ، والصواب ما أثبت .

ولست منكم ، أى : لست ممن يدين دينكم ، ويتّبع ملّتكم أيُّها المشركون .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان ابن زيد يقول :

١٣٤٦٥م — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قول قوم إبراهيم لإبراهيم : تركت عبادة هذه ؟ فقال : « إنى وجّهت وجهى للذى فطر السموات والأرض » ، فقالوا : ما جئت بشىء ! ونحن نعبده ونتوجّهه ! فقال : لا ، حنيفاً !! قال : مخلصاً ، لا أشركه كما تُشْركون .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٨٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وجادل إبراهيم قومه فى توحيد الله وبراءته من الأصنام ،[١] وكان جدالهم إياه قولُهم : أن آلهتهم التى يعبدونها خير من إلهه. قال إبراهيم : « أتحاجونى فى الله » ، يقول : أتجادلوننى فى توحيدى الله وإخلاصى العمل له دون ما سواه من آلهة = « وقد هدان » ، يقول : وقد وفقنى ربى لمعرفة وحدانيته ،[٢] وبصّرنى طريق الحقّ حتى أيقنتُ أن لا شىء يستحق أن يعبد سواه[٣] = « ولا أخاف ما تشركون به » ، يقول : ولا أرهب من آلهتكم التى

---

(١) انظر تفسير « المحاجة » فيما سلف ٣ : ٥/١٢١ : ٤٢٩ ، ٦/٤٣٠ : ٢٨٠ ، ٤٧٣ ، ٤٩٢ .

(٢) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « حتى ألفت أن لا شىء يستحق أن يعبد سواه » ، وهو لا معنى له ، صواب قراءته ما أثبت .

تدعونها من دونه شيئاً ينالنى به فى نفسى من سوء ومكروه.[1] وذلك أنهم قالوا له : « إنا نخاف أن تمسَّك آلهتنا بسوء من برص أو خبل، لذكرك إياها بسوء »! فقال لهم إبراهيم : لا أخاف ما تشركون بالله من هذه الآلهة أن تنالَنى بضر ولا ١٦٦/٧ مكروه ، لأنها لا تنفع ولا تضر = « إلا أن يشاء ربى شيئاً » ، يقول : ولكن خوفى من الله الذى خلقنى وخلق السموات والأرض ، فإنه إن شاء أن ينالنى فى نفسى أو مالى بما شاء من فناء أو بقاءٍ ، أو زيادة أو نقصان أو غير ذلك ، نالنى به ، لأنه القادر على ذلك .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان ابن جريج يقول :

١٣٤٦٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان » ، قال : دعا قومُه مع الله آلهةً ، وخوَّفوه بآلهتهم أن يصيبَه منها خَبَل، فقال إبراهيم: « أتحاجونى فى الله وقد هدان » ، قال : قد عرفت ربىّ ، لا أخاف ما تشركون به .

* * *

= « وسع ربى كل شىء علماً » ، يقول: وعلم ربى كلَّ شىء ، فلا يخفى عليه شىء،[2] لأنه خالق كل شىء ، ليس كالآلهة التى لا تضرّ ولا تنفع ولا تفهم شيئاً، وإنما هى خشبة منحوتةٌ ، وصورة ممثلة = « أفلا تتذكرون» ، يقول : أفلا تعتبرون ، أيها الجهلة ، فتعقلوا خطأ ما أنتم عليه مقيمون ،[3] من عبادتكم صورةً مصوّرة وخشبة منحوتة ، لا تقدر على ضر ولا على نفع ، ولا تفقه شيئاً ولا تعقله = وتركِكم عبادةَ من خلقكم وخلق كلَّ شىء، وبيده الخير ، وله القدرة على كل شىء ، والعالم بكل شىء .

* * *

(١) فى المطبوعة «ينالنى فى نفسى» بحذف « به » وهى ثابتة فى المخطوطة ، ولكنه أساء كتابة « ينالنى » ، فاجتهد الناشر ، فحذف .

(٢) انظر تفسير « السعة » فيما سلف ١٠ : ٤٢٣ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « التذكر » فيما سلف ص : ٤٤٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٨١)

قال أبو جعفر : وهذا جواب إبراهيم لقومه حين خوفوه من آلهتهم أن تمسَّه ، لذكره إياها بسوء ، فى نفسه بمكروه ، فقال لهم : وكيف أخاف وأرهب ما أشركتموه فى عبادتكم ربَّكم فعبدتموه من دونه ، وهو لا يضر ولا ينفع ؟ ولو كانت تنفع أو تضر ، لدفعت عن أنفسها كسرى إياها وضربى لها بالفأس ! وأنتم لا تخافون الله الذى خلقكم ورزقكم ، وهو القادر على نفعكم وضركم فى إشراككم فى عبادتكم إياه = «ما لم ينزّل به عليكم سلطاناً» ، يعنى : ما لم يعطكم على إشراككم إياه فى عبادته حُجّة ، ولم يضع لكم عليه برهاناً ، ولم يجعل لكم به عذراً[1] = « فأى الفريقين أحقّ بالأمن» ، [2] يقول : أنا أحق بالأمن من عاقبة عبادتى ربىّ مخلصاً له العبادة ، حنيفاً له دينى ، بريئاً من عبادة الأوثان والأصنام ، أم أنتم الذين تعبدون من دون الله أصناماً لم يجعل الله لكم بعبادتكم إياها برهاناً ولا حجة[3] = « إن كنتم تعلمون » ، يقول : إن كنتم تعلمون صدق ما أقول ، وحقيقة ما أحتجُّ به عليكم ، فقولوا وأخبرونى : أىُّ الفريقين أحق بالأمن ؟

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان محمد بن إسحق يقول ، فيما : —

١٣٤٦٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، قال محمد بن إسحق فى قوله : « وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله » ، يقول :

---

(١) انظر تفسير « السلطان » فيما سلف ٧ : ٢٧٩/٩ : ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٦٠ .
(٢) انظر تفسير « الفريق » فيما سلف ٨ : ٥٤٨ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « الأمن » فيما سلف ٣ : ٢٩/٤ : ٨٧ .

كيف أخاف وثَناً تعبدون من دون الله لا يضرُّ ولا ينفع ، ولا تخافون أنتم الذى يضر وينفع، وقد جعلتم معه شركاء لاتضر ولا تنفع ؟= « فأىّ الفريقين أحقّ بالأمن إن كنتم تعلمون » ، أى : بالأمن من عذاب الله فى الدنيا والآخرة ، ألذى يَعْبُد الذى بيده الضرّ والنفع ، أم الذى يعبد ما لا يضرّ ولا ينفع ؟ يضرب لهم الأمثال ، ويصرِّف لهم العبر ، ليعلموا أنّ اللهَ أحق أن يخاف ويعبد مما يعبُدون من دونه .

١٣٤٦٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : أفلج الله إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين خاصمهم ،(١) فقال : « وكيف أخاف ما أشركتم ولاتخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأىّ الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون » ؟ ثم قال : « وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه » .

١٦٧/٧

١٣٤٦٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قول إبراهيم حين سألهم : « أىُّ الفريقين أحق بالأمن » ، هى حجة إبراهيم صلى الله عليه وسلم .

١٣٤٧٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره ، قال إبراهيم حين سألهم : « فأى الفريقين أحق بالأمن » ؟ قال : وهى حجة إبراهيم عليه السلام .

١٣٤٧١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : « فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون » ، أمَنْ يعبد ربًّا واحداً، أم من يعبد أرباباً كثيرة؟ يقول قومه : الذين آمنوا برب واحد .(٢)

١٣٤٧٢ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى

---

(١) « أفلجت فلاناً على خصمه » ، إذا غلبته ، و « أفلجه الله عليه » ، آتاه الظفر والفوز والغلبة .

(٢) الأثر : ١٣٤٧١ — انظر الأثر التالى رقم : ١٣٤٧٥ ، وأن هذه مقالة قوم إبراهيم .

قوله : « فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون » ، أمن خاف غير الله ولم يخفه، أم من خاف الله ولم يخف غيره ؟ فقال الله تعالى ذكره : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم » بظلم ، الآية .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٨٢)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى الذى أخبر تعالى ذكره عنه أنه قال هذا القول = أعنى : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، الآية .

فقال بعضهم : هذا فصلُ القضاء من الله بين إبراهيم خليله صلى الله عليه وسلم ، وبين من حاجّه من قومه من أهل الشرك بالله ، إذ قال لهم إبراهيم : « وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأىّ الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون »؟ فقال الله تعالى ذكره ، فاصلاً بينه وبينهم : الذين صدّقوا الله وأخلصُوا له العبادة ، ولم يخلطوا عبادتهم إياه وتصديقهم له بظلم[١] = يعنى : بشرك[٢] = ولم يشركوا فى عبادته شيئاً ، ثم جعلوا عبادتهم لله خالصاً ، أحقّ بالأمن من عقابه مكروهَ عبادته ربَّه ،[٣] من الذين يشركون فى عبادتهم إياه الأوثان والأصنامَ ، فإنهم الخائفون من عقابه مكروه عبادتهم = أمّا فى عاجل الدنيا فإنهم وجِلون من حلول سخَط الله بهم ، وأما فى الآخرة ، فإنهم الموقنون بأليم عذابِ الله .

---

(١) انظر تفسير « لبس » فيما سلف ص : ٤١٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة (ظلم) .

(٣) فى المطبوعة ، أسقط قوله : « ربه » .

• ذكر من قال ذلك :

١٣٤٧٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة بن الفضل قال ، حدثنا محمد بن إسحق قال : يقول الله تعالى ذكره : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، أى : الذين أخلصوا كإخلاص إبراهيم صلى الله عليه وسلم لعبادة الله وتوحيده = « ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، أى : بشرك = « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » ، الأمن من العذاب ، والهدى فى الحجة بالمعرفة والاستقامة . يقول الله تعالى ذكره: « وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفعُ درجات من نشاء ن ربّك حكيم عليم » .

١٣٤٧٤ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون » ، قال فقال الله وقضى بينهم : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، قال بشرك . قال : « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » . فأما الذنوبُ فليس يبرأ منها أحدٌ .

* * *

وقال آخرون : هذا جوابٌ من قوم إبراهيم صلى الله عليه وسلم لإبراهيم ، حين قال لهم : « أىّ الفريقين أحق بالأمن » ؟ فقالوا له : الذين آمنوا بالله فوحّدوه أحق بالأمن ، إذ لم يلبسوا إيمانهم بظلم .

• ذكر من قال ذلك :

١٣٤٧٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : «فأىّ الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون» ، أمن يعبد ربّاً واحداً أم من يعبد أرباباً كثيرة ؟ يقول قومه : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، بعبادة الأوثان ، وهى حجة إبراهيم = « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ».[1] ١٦٨/٧

* * *

(١) الأثر : ١٣٤٧٥ — انظر الأثر السالف رقم : ١٣٤٧١ .

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب ، قولُ من قال : هذا خبرٌ من الله تعالى ذكره عن أولى الفريقين بالأمن ، وفصل قضاءٍ منه بين إبراهيم صلى الله عليه وسلم وبين قومه. وذلك أن ذلك لو كان من قول قوم إبراهيم الذين كانوا يعبدون الأوثان ويشركونها فى عبادة الله، لكانوا قد أقروا بالتوحيد واتبعوا إبراهيم على ما كانوا يخالفونه فيه من التوحيد، ولكنه كما ذكرت من تأويله بَدِيًّا .[1]

* * *

واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عناه الله تعالى بقوله : « ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » .

فقال بعضهم : بشرك .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤٧٦ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة، عن عبد الله قال : لما نزلت هذه الآية : «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم» ، شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترونَ إلى قول لقمان : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾، [سورة لقمان : ١٣] ؟[2]

١٣٤٧٧ — قال أبو كريب قال، ابن إدريس، حدثنيه أوّلاً أبى ، عن أبان بن تغلب، عن الأعمش، ثم سمعتهُ قيل له : مِنَ الأعمش ؟ قال : نعم ![3]

---

(١) فى المطبوعة : « بدءاً » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو محض صواب ، أى : أولا .

(٢) الأثر : ١٣٤٧٦ — حديث عبد الله بن مسعود . من طريق الأعمش ، رواه أبو جعفر من طرق من رقم : ١٣٤٧٦ — ١٣٤٨٠ ، ١٣٤٨٣ ، وانظر رقم : ١٣٥٠٧ .

وحديث عبد الله ، رواه البخارى فى صحيحه (الفتح ١ : ٨/٨١ : ٢٢٠) ، بنحوه . ورواه مسلم فى صحيحه ٢ : ١٤٣ ، ١٤٤ ، من طريق عبد الله بن إدريس ، وأبى معاوية ، ووكيع ، جميعاً عن الأعمش. ورواه الترمذى فى كتاب التفسير ، من طريق عيسى بن يونس عن الأعمش . ورواه أحمد من طرق فى مسنده رقم : ٣٥٨٩ ، ٤٠٣١ ، ٤٢٤٠ ، وسأشير إليه فى تخريجها بعد .

(٣) الأثر : ١٣٤٧٧ — ذكره مسلم فى صحيحه أيضاً ٢ : ١٤٤ ، من طريق أبى كريب ، بنحو قوله هذا .

١٣٤٧٨ — حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي قال، حدثني عمي يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : لما نزلت : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، شقّ ذلك على المسلمين ، فقالوا : يا رسول الله ، ما منّا أحدٌ إلا وهو يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس بذلك، ألا تسمعون إلى قول لقمان لابنه ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾؟

١٣٤٧٩ — حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : لما نزلت هذه الآية : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم »، شقّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : أيُّنا لم يظلم نفسه؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس كما تظنُّون ، وإنما هو ما قال لقمان لابنه: ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. (٢)

١٣٤٨٠ — حدثنا هناد قال ،حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : لما نزلت هذه الآية : « الذين آمنوا

« أبان بن تغلب الربعي » ، ثقة ، قال ابن عدي : « له نسخ عامتها مستقيمة إذا روى عنه ثقة ، وهو من أهل الصدق في الروايات ، وإن كان مذهبه مذهب الشيعة ، وهو في الرواية صالح لا بأس به » .

[فائدة : قال الحافظ في التهذيب : « التشيع في عرف المتقدمين ، هو اعتقاد تفضيل علي على عثمان ، وأن عليًا كان مصيبًا في حروبه ، وأن مخالفه مخطئ ، مع تقديم الشيخين وتفضيلهما . وربما اعتقد بعضهم أن عليًا أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإذا كان معتقدًا ذلك ، ورعًا دينًا صادقًا مجتهدًا ، فلا ترد روايته بهذا ، لا سيما إن كان غير داعية . وأما التشيع في عرف المتأخرين ، فهو الرفض المحض ، فلا تقبل رواية الرافضي الغالي ولا كرامة] .

وعلة ذكر هذا الخبر الثاني ، في التعقيب على الخبر الأول أن عبد الله بن إدريس رواه قبل عن الأعمش مباشرة ، وكان رواه قبل عن أبيه ، عن أبان بن تغلب ، عن الأعمش ، ليتبه على علو إسناده .

(١) الأثر : ١٣٤٧٨ — « عيسى بن عثمان بن عيسى بن عبد الرحمن التيمي الرملي » ، ثقة ، مضى برقم : ٣٠٠ وعمه : « يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن التيمي الرملي » ، ثقة ، مضى برقم : ٣٠٠ ، ٦٣١٧ ، ٩٠٣٥ .

(٢) الأثر : ١٣٤٨٩ — رواه أحمد في المسند رقم : ٤٢٤٠ ، من طريق وكيع أيضًا ، بمثله .

ولم يلبسُوا إيمانهم بظلم » ، شق ذلك على الناس، فقالوا : يا رسول الله، وأيُّنا لا يظلم نفسه ؟ فقال : إنه ليس كما تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح : ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ؟ إنما هو الشرك.[1]

١٣٤٨١ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة فى قوله : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، قال : بشرك .

١٣٤٨٢ — حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى قال، حدثنا فضيل ، عن منصور ، عن إبراهيم فى قوله : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، قال : بشرك .

١٣٤٨٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : لما نزلت هذه الآية : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : أيُّنا لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ليس بذلك ، ألم تسمعوا قول لقمان : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ؟

١٣٤٨٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير وابن إدريس، عن الشيبانى ، عن أبى بكر بن أبى موسى ، عن الأسود بن هلال ، عن أبى بكر : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، قال: بشرك .[2]

---

(١) الأثر : ١٣٤٨٠ — رواه أحمد فى المسند رقم : ٣٥٨٩ ، من طريق أبى معاوية أيضاً بمثله .

(٢) الأثر : ١٣٤٨٤ — « الشيباني » هو : « أبو إسحق الشيبانى » ، « سليمان بن أبى سليمان » ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ٨٨٦٩ .

و « أبو بكر بن أبى موسى الأشعرى » ، ثقة روى له الجماعة ، مترجم التهذيب .

و « الأسود بن هلال المحاربى » ، « أبو سلام » ، له إدراك ، هاجر زمن عمر ، لم يدرك أبا بكر رضى الله عنه . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/١/٤٤٩ ، وابن أبى حاتم ١/١/٢٩٢ . ومضى برقم : ١٠٣٣١ ، ١٠٣٣٣ .

١٣٤٨٥ — حدثنا هناد قال، حدثنا قبيصة ، عن يونس بن أبى إسحق ، عن أبى إسحق ، عن أبى بكر : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، قال: بشرك .(١)

١٣٤٨٦ — حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن سعيد بن عبيد الطائى ، ١٦٩/٧ عن أبى الأشعر العبدى ، عن أبيه : أن زيد بن صوحان سأل سلمان فقال : يا أبا عبد الله ، آيةٌ من كتاب الله قد بلغت منّى كل مبلغ : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ! فقال سلمان : هو الشرك بالله تعالى ذكره . فقال زيد : ما يسرُّنى بها أنّى لم أسمعها منك ، وأنّ لى مثل كل شىء أمسيتُ أملكه .(٢)

وهذا الخبر ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٢٧ ، ونسبه للفريابى ، وابن أبى شيبة ، والحكيم الترمذى فى الأصول ، وابن المنذر ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه .

(١) الأثر : ١٣٤٨٥ — أسقط فى المطبوعة ذكر : « عن أبى إسحق » ، وهو خبر مرسل .

(٢) الأثر : ١٣٤٨٦ ، ١٣٤٨٧ — « سعيد بن عبيد الطائى » ، « أبو الهذيل » ، وثقه أحمد وابن معين ، وقال أبو حاتم : « يكتب حديثه » . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/٤٥٥ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٤٦ .

« أبو الأشعر العبدى » ، ذكره البخارى فى الكنى : ٨ ، وقال : « روى عنه خليفة بن خلف . قال أبو نعيم ، عن إسماعيل بن عبيد ، عن أبى الأشعر العبدى ، سمع أباه عن سلمان: (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) ، قال : بشرك » . وهكذا جاء « إسماعيل بن عبيد » ، وأخشى أن يكون صوابه « سعيد بن عبيد » كما فى الطبرى . ولما سيأتى فى الأثر التالى : ١٣٤٨٧ .

وأبو « أبى الأشعر العبدى » ، لم أعرف من هو .

و « زيد بن صوحان بن حجر العبدى » ، وهو أخو « صعصعة بن صوحان » ، أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو مذكور فى الصحابة ، وكان شديد الحب لسلمان الفارسى . قتل يوم الجمل مع على رضى الله عنهما . مترجم فى ابن سعد ٦ : ٨٤ ، وقال : « ثقة قليل الحديث » ، وفى تعجيل المنفعة : ١٤٢ ، والكبير ٢/١/٣٦٣ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٥٦٥ .

* * *

وعند آخر الأثر رقم : ١٣٤٨٦ ، انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت عنه نسختنا ، وفيها ما نصه :

« يتلوهُ : حدثنا ابن وكيع قال حدثنا أبى ، عن سعيد بن عبيد
وصلى الله على محمد النبىّ وآله وسلم كثيراً »

١٣٤٨٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سعيد بن عبيد ، عن أبي الأشعر ، عن أبيه ، عن سلمان قال : بشرك .[١]

١٣٤٨٨ — حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثنا نسير بن ذعلوق ، عن كردوس ، عن حذيفة في قوله : « ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، قال : بشرك .[٢]

١٣٤٨٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن أبي إسحق الكوفي ، عن رجل ، عن عيسى ، عن حذيفة في قوله : « ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، قال : بشرك .[٣]

١٣٤٩٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عارم أبو النعمان قال ، حدثنا حماد ابن زيد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير وغيره : أن ابن عباس كان يقول : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، قال : بشرك .

١٣٤٩١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، يقول : بكفر .

ويبدأ بعد بما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم
رَبِّ أَعِنْ يا كَرِيم »

(١) الأثر : ١٣٤٨٧ — انظر التعليق السالف .

(٢) الأثر : ١٣٤٨٨ — « نسير بن ذعلوق الثوري » ، ثقة ، مضى برقم : ٥٤٩١ . و « كردوس » هو « كردوس بن العباس الثعلبي » ، يروي عن حذيفة ، مضى برقم : ١٣٢٥٥ — ١٣٢٥٧ . وكان في المطبوعة : « درسب » غير ما في المخطوطة ، وكان فيها هكذا : « ددوس » ، وهذا صواب قراءته إن شاء الله .

وهذا الخبر خرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٢٧ ، ونسبه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن أبي شيبة ، وأبي عبيد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ . وسيأتي بإسناد آخر بعد هذا .

(٣) الأثر : ١٣٤٨٩ — « أبو إسحق الكوفي » ، هو : « عبد الله بن ميسرة الحارثي » ، مضى برقم : ٩٢٥٠ .

١٣٤٩٢ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، يقول : لم يلبسوا إيمانهم بالشرك . وقال : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة لقمان : ١٣] .

١٣٤٩٣ — حدثنا نصر بن علي الجهضمي قال ، حدثني أبي قال ، حدثنا جرير بن حازم ، عن علي بن زيد ، عن المسيِّب : أن عمر بن الخطاب قرأ : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، فلما قرأها فزع ، فأتى أُبيَّ بن كعب فقال : يا أبا المنذر ، قرأتُ آية من كتاب الله ، مَنْ يَسْلَم ؟ فقال : ما هي ؟ فقرأها عليه = فأيُّنا لا يظلِمُ نفسه ؟ فقال : غفر الله لك ! أما سمعت الله تعالى ذكره يقول : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ؟ إنما هو : ولم يلبسوا إيمانهم بشرك .[1]

١٣٤٩٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس : أن عمر دخل منزله فقرأ في المصحف ، فمرَّ بهذه الآية : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، فأتى أُبيًّا فأخبره ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما هو الشرك .[2]

١٣٤٩٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن [ابن مهران] : أنَّ عمر بن الخطاب كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأه ، فدخل ذات يوم فقرأ ، فأتى على هذه الآية : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » ،

(١) الأثر : ١٣٤٩٣ — هكذا جاء في المطبوعة والمخطوطة : « عن المسيب » ، ولا أدري ما هو ، ولكني أرجح أن الصواب « عن سعيد بن المسيب » ، أو « عن ابن المسيب » ، فإن « علي بن زيد بن جدعان » يروي عنه ، ولأني لم أجد فيمن اسمه « المسيب » ، من روى عنه « علي بن زيد » ، وروى هو عن « عمر بن الخطاب » .

(٢) الأثر : ١٣٤٩٤ — « يوسف بن مهران البصري » ، مضى برقم : ٢٨٥٨ ، ١١٣٧٣ .

فانفتل وأخذ رداءه ،[1] ثم أتى أبيّ بن كعب فقال : يا أبا المنذر = فتلا هذه الآية : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » = وقد ترى أنا نظلم، ونفعل ونفعل! فقال : يا أمير المؤمنين ،إن هذا ليس بذاك، يقول الله تعالى ذكره: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ، إنما ذلك الشرك .[2]

١٣٤٩٦ — حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن فضيل، عن مطرف ، عن أبي عثمان عمرو بن سالم قال : قرأ عمر بن الخطاب هذه الآية : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، فقال عمر: قد أفلح من لم يلبس إيمانه بظلم ! فقال أبيّ: يا أمير المؤمنين ، ذاك الشرك ![3]

١٧٠/٧ ١٣٤٩٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أسباط ،[عن محمد بن] مطرف ، عن ابن سالم قال : قرأ عمر بن الخطاب ، فذكر نحوه .[3]

١٣٤٩٨ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن أبي ميسرة في قوله : « ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، قال : بشرك .

١٣٤٩٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحق ، عن أبي ميسرة ، مثله .

١٣٥٠٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حسين، عن علي ، عن زائدة ،

---

(١) في المطبوعة : « فاشتغل » ، وفي المخطوطة « فامقل » ، وفي الدر المنثور ٣ : ٢٧ « فانتقل » ، وكل ذلك لا معنى له ، وكأن الصواب ما أثبت . يقال : « انفتل الرجل عن صلاته » ، إذا انصرف ، وهو من قولهم : « فتله عن وجهه فانفتل »،أي : صرفه فانصرف .

(٢) الأثر : ١٣٤٩٥ — هكذا جاء في المخطوطة : « عن ابن مهران » ، وفي المطبوعة : « عن مهران»، وهما خطأ صرف فيما أرجح ، وإنما هذا حديث ابن عباس ، فالصواب إن شاء الله : « عن ابن عباس » ، وهو نفس الأثر الذي قبله ، ولكني تركته كذلك كما هو في المخطوطة ، ووضعت ما شككت فيه بين القوسين .

(٣) الأثر : ١٣٤٩٦ ، ١٣٤٩٧ — « أبو عثمان ، عمرو بن سالم الأنصاري » ، معروف بكنيته، وقد مضى برقم: ٨٩٥٠ . وقوله في الأثر الثاني « محمد بن مطرف » ، خطأ فيما أرجح، وإنما هو « مطرف بن طريف » ، كما في الأثر السالف . ولذلك وضعت « محمد بن » بين قوسين .

عن الحسن بن عبيد الله، عن إبراهيم: «ولم يلبسوا إيمانهم بظلم»، قال: بشرك.[1]

١٣٥٠١ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم»، أى: بشرك.

١٣٥٠٢ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حميد، عن أبيه، عن أبي إسحق، عن أبي ميسرة، مثله.

١٣٥٠٣ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم»، قال: بعبادة الأوثان.

١٣٥٠٤ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

١٣٥٠٥ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى: «ولم يلبسوا إيمانهم بظلم»، قال: بشرك.

١٣٥٠٦ — حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: «ولم يلبسوا إيمانهم بظلم»، قال: بشرك.

١٣٥٠٧ — حدثني محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الأعمش: أن ابن مسعود قال: لما نزلت: «ولم يلبسوا إيمانهم بظلم»، كبُر ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، ما منا أحدٌ إلا وهو يظلم نفسه؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما سمعتم قول لقمان: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾؟[2]

---

(١) الأثر: ١٣٥٠٠ — «الحسن بن عبيد الله النخعي الكوفي»، روى عن إبراهيم النخعي، وأبي الضحى، والشعبي. سمع منه الثوري، وزائدة، وحفص بن غياث، وغيرهم، ثقة، مضى في الإسناد رقم: ٧٨. مترجم في التهذيب، والكبير ١/٢/٢٩٥، وابن أبي حاتم ١/٢/٢٣. وكان في المطبوعة والمخطوطة: «الحسن بن عبد الله»، وهو خطأ محض.

(٢) الأثر: ١٣٥٠٧ — مضى هذا الخبر موصولا من طريق الأعمش، من طرق، من

١٣٥٠٨ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد ابن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد فى قوله : « ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، قال : عبادة الأوثان .

١٣٥٠٩ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا محمد بن بشر ، عن مسعر ، عن أبي حصين ، عن أبي عبد الرحمن ، قال : بشرك .[1]

١٣٥١٠ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، قال ابن إسحق : « ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، قال : بشرك .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولم يخلطوا إيمانهم بشيء من معانى الظلم ، وذلك : فعلُ ما نهى الله عن فعله ، أو ترك ما أمر الله بفعله . وقالوا : الآية على العموم ، لأنّ الله لم يخصّ به معنى من معانى الظلم .

* * *

قالوا : فإن قال لنا قائل : أفلا أمْن فى الآخرة ، إلاّ لمن لم يعص الله فى صغيرة ولا كبيرة ، وإلا لمن لقى الله ولا ذنبَ له ؟

قلنا : إن الله عنى بهذه الآية خاصًّا من خلقه دون الجميع منهم ، والذى عنى بها وأراده بها ، خليلَه إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، فأما غيره ، فإنه إذا لقى الله لا يشرك به شيئاً فهو فى مشيئته إذا كان قد أتى بعض معاصيه التى لا تبلغ أن تكون كفراً ، فإن شاء لم يؤمنه من عذابه ، وإن شاء تفضل عليه فعفا عنه .

قالوا : وذلك قول جماعة من السلف ، وإن كانوا مختلفين فى المعنيّ بالآية .

فقال بعضهم : عُنى بها إبراهيم .

* * *

رقم : ١٣٤٧٦ - ١٣٤٨٠ ، ١٣٤٨٣ ، فراجعه هناك .

(١) الأثر : ١٣٥٠٩ - « أبو حصين » هو : « عثمان بن عاصم بن حصين الأسدى » ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ٨٩٦٢ .

و « أبو عبد الرحمن » هو « السلمى » : « عبد الله بن حبيب بن ربيعة » ، مضى برقم : ٨٢ .

وقال بعضهم : عنى بها المهاجرون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.[1]

* * *

• ذكر من قال : عنى بهذه الآية إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم .

١٣٥١١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن يمان وحميد بن عبد الرحمن ، عن قيس بن الربيع ، عن زياد بن علاقة ، عن زياد بن حرملة ، عن على قال : هذه الآية لإبراهيم صلى الله عليه وسلم خاصة ، ليس لهذه الأمة منها شيء .[2]

* * *

• ذكر من قال : عنى بها المهاجرون خاصة .

١٣٥١٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن يمان وحميد بن عبد الرحمن ، عن قيس بن الربيع ، عن سماك ، عن عكرمة : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، قال : هى لمن هاجر إلى المدينة . ١٧١/٧

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين بالصحة فى ذلك ، ما صح به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الخبر الذى رواه ابن مسعود عنه أنه قال : الظلم الذى ذكره الله تعالى

---

(١) فى المطبوعة : « المهاجرين » ببناء « عنى » للمفعول ، وأثبت ما فى المخطوطة ، « عنى » بالبناء للمجهول .

(٢) الأثر : ١٣٥١١ — « زياد بن علاقة بن مالك الثعلبى » ، ثقة ، روى له الجماعة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/٣٣٣ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٥٤٠ .

وأما « زياد بن حرملة » ، فلم أجد له ذكراً فى شيء من الكتب ، ومع ذلك فقد جاء كذلك فى المستدرك للحاكم .

وهذا الخبر رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣١٦ ، بإسناده عن أبى حذيفة ، عن سفيان ، عن زياد بن علاقة ، عن زياد بن حرملة قال : سمعت على بن أبى طالب . وذكر الخبر ، وفيه : « هذه فى إبراهيم وأصحابه » . ثم قال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وإنما اتفقا على حديث الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله أنهم قالوا : يا رسول الله ، وأينا لم يظلم نفسه ، الحديث بطوله ، بغير هذا التأويل » . ولم يعقب عليه الذهبى بشيء ، وظنى أنه ترك التعقيب عليه ، رجاء الظفر بخبر عن « زياد بن حرملة » هذا . والخبر ضعيف ، لجهالة « زياد ابن حرملة » ، حتى يعرف من هو ؟

ونسبه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٢٧ للفريابى ، وعبد بن حميد ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، والحاكم ، وابن مردويه . وقصر فى نسبته إلى ابن جرير .

ذكره في هذا الموضع ، هو الشرك .[١]

* * *

وأما قوله : « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » ، فإنه يعني : هؤلاء الذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بشرك = « لهم الأمن » يوم القيامة من عذاب الله = « وهم مهتدون » ، يقول : وهم المصيبون سبيل الرشاد ، والسالكون طريق النجاة .[٢]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (٨٣)

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « وتلك حجتنا » ، قولَ إبراهيم لمخاصميه من قومه المشركين : « أي الفريقين أحق بالأمن » ، أمن يعبد ربًّا واحداً مخلصاً له الدين والعبادة ، أم من يعبد أرباباً كثيرة ؟ وإجابتهم إياه بقولهم : « بل من يعبد ربًّا واحداً أحق بالأمن » ، وقضاؤهم له على أنفسهم ، فكان في ذلك قطع عذرهم وانقطاع حجتهم ، واستعلاء حجة إبراهيم عليهم .[٣] فهي الحجة

---

(١) انظر الآثار السالفة رقم : ١٣٤٧٦ — ١٣٤٨٠ ، ١٣٤٨٣ .

(٢) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

(٣) الحمد لله الذي أنزل الكتاب بالحق ، ولو كان من عند غير الله لوجد الناس فيه اختلافاً كثيراً . ورحم الله أبا جعفر وغفر له ما أخطأ ، وأبو جعفر على جلالة قدره ، وحفظه وضبطه وعنايته ، قد تناقض وأوقع في كلامه اختلافاً كبيراً . فإنه في ص : ٤٩٤ ، قد رجح أن الصواب في قوله تعالى ذكره : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، أنه خبر من الله تعالى ذكره عن أولى الفريقين بالأمن ، وفصل قضاء منه بين إبراهيم وقومه . ثم قال : « وذلك أن ذلك لو كان من قول قوم إبراهيم الذين كانوا يعبدون الأوثان ويشركونها في عبادة الله ، لكانوا قد أقروا بالتوحيد ، واتبعوا إبراهيم على ما كانوا يخالفونه فيه من التوحيد ، ولكنه كما ذكرت من تأويله بدياً » . ثم عاد هنا بعد بضع صفحات ، ففسر هذه الآية ، وزعم أن ذلك من إجابة قوم إبراهيم لإبراهيم ، وهو القول الذي نقضه !! وهذا تناقض بين ، ولكنه يأتي في كتب العلماء ، حجة من الله على خلقه أنهم لا عصمة لهم في شيء ، وأن العصمة لله وحده سبحانه .

التى آتاها الله إبراهيم على قومه ، كالذى : —

١٣٥١٣ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان الثورى ، عن رجل ، عن مجاهد : « وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه » ، قال : هى « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » .

١٣٥١٤ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا يحيى بن زكريا ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : قال إبراهيم حين سأل : « أى الفريقين أحق بالأمن » ، قال : هى حجة إبراهيم = وقوله : « آتيناها إبراهيم على قومه » ، يقول : لقناها إبراهيم وبصّرناه إياها وعرّفناه = « على قومه نرفع درجات من نشاء » .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الحجاز والبصرة : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتِ مَنْ نَشَاء ﴾ ، بإضافة « الدرجات » إلى « من » ، بمعنى : نرفع الدرجات لمن نشاء .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفة : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاء ﴾ بتنوين « الدرجات » ، بمعنى : نرفع من نشاء درجات .

* * *

و « الدرجات » جمع « درجة » ، وهى المرتبة . وأصل ذلك مراقى السلم ودرَجه ، ثم تستعمل فى ارتفاع المنازل والمراتب .(١)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : هما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القرأة ، متقارب معناهما . وذلك أن من رفعت درجته ، فقد رفع فى الدرج = ومن رفع فى الدرج ، فقد رفعت درجته . فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ الصوابَ فى ذلك

* * *

(١) انظر تفسير « الدرجة » فيما سلف ٤ : ٥٣٣ — ٥٣٦ / ٧ : ٣٦٨ / ٩ : ٩٥ ، وتفسيره هنا أوضح مما سبق .

فمعنى الكلام إذاً : « وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه » ، فرفعنا بها درجته عليهم ، وشرّفناه بها عليهم فى الدنيا والآخرة . فأما فى الدنيا ، فآتيناه فيها أجره = وأما فى الآخرة ، فهو من الصالحين = « نرفع درجات من نشاء » ، أى بما فعل من ذلك وغيره .

* * *

وأما قوله : « إن ربك حكيم عليم » ، فإنه يعنى : إن ربك ، يا محمد ، « حكيم » ، فى سياسته خلقه ، وتلقينه أنبياءه الحجج على أممهم المكذّبة لهم ، الجاحدة توحيد ربهم ، وفى غير ذلك من تدبيره = « عليم » ، بما يؤول إليه أمر رسله والمرسل إليهم ، من ثبات الأمم على تكذيبهم إياهم ، وهلاكهم على ذلك ، أو إنابتهم وتوبتهم منه بتوحيد الله تعالى ذكره وتصديق رسله ، والرجوع إلى طاعته .[1]

* * *

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فأتَسِ ،[2] يا محمد ، فى نفسك وقومك المكذبيك ، والمشركين ، بأبيك وخليلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، واصبر على ما ينوبك منهم صبرَه ، فإنى بالذى يؤول إليه أمرك وأمرهم عالم ، وبالتدبير فيك وفيهم حكيم .[3] ١٧٢/٧

* * *

(١) انظر تفسير : « حكيم » و « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) « ائتسى به » ، جعله أسوة له فى نفسه وسيرته . وكان فى المطبوعة « تأس » ، وهى بمعناها ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « بالتدبير » بغير واو العطف ، والصواب إثباتها .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٨٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فجزينا إبراهيم صلى الله عليه وسلم على طاعته إيانا ، وإخلاصه توحيد ربه ، ومفارقته دين قومه المشركين بالله، بأن رفعنا درجته فى عليين ، وآتيناه أجره فى الدنيا، ووهبناله أولاداً خصصناهم بالنبوّة ، وذرية شرفناهم منا بالكرامة ، وفضلناهم على العالمين ،[١] منهم : ابنه إسحق ، وابن ابنه يعقوب = « كلا هدينا » ، يقول : هدينا جميعهم لسبيل الرشاد ، فوفقناهم للحق والصواب من الأديان[٢] = « ونوحاً هدينا من قبل » ، يقول : وهدينا لمثل الذى هدينا إبراهيم وإسحق ويعقوب من الحق والصواب ، فوفقناه له = نوحاً ، من قبل إبراهيم وإسحق ويعقوب .

* * *

= « ومن ذريته داود »، و« الهاء » التى فى قوله : « ومن ذريته » ، من ذكر نوح . وذلك أن الله تعالى ذكره ذكر فى سياق الآيات التى تتلو هذه الآية لوطاً فقال : « وإسمعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين » . ومعلوم أن لوطاً لم يكن من ذرية إبراهيم صلى الله عليهم أجمعين . فإذ كان ذلك كذلك ، وكان معطوفاً على أسماء من سمَّينا من ذريته ، كان لا شك أنه لو أريد بالذرية ذرية إبراهيم ، لما دخل يونس ولوط فيهم . ولا شك أن لوطاً ليس من ذرّية إبراهيم ، ولكنه من ذرية نوح . فلذلك وجب أن تكون « الهاء » فى « الذرية » ، من ذكر نوح .[٣]

(١) انظر تفسير « وهب » فيما سلف ٦ : ٢١٢ .
(٢) انظر تفسير « كل » فيما سلف ٩ : ٩٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « الذرية » فيما سلف ٣ : ١٩ ، ٥/٧٣ : ٦/٥٤٣ : ٣٢٧ ، ٨/٣٦٢ : ١٩ .

فتأويل الكلام: ونوحاً وفقنا للحق والصواب من قبل إبراهيم وإسحق ويعقوب، وهدينا أيضاً من ذرّية نوح ، داود وسليمان .

= و «داود» ، هو داود بن إيشا[١] = و «سليمان» هو ابنه : سليمان بن داود = و «أيوب» ، هو أيوب بن موص بن رازح[٢] بن عيص بن إسحق بن إبراهيم = و «يوسف» ، هو يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم = و «موسى» ، هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب = و «هرون» ، أخو موسى .

* * *

= «وكذلك نجزى المحسنين» ، يقول تعالى ذكره : جزينا نوحاً بصبره على ما امتحن به فينا ، بأن هديناه فوفقناه لإصابة الحق الذى خذلنا عنه من عصانا فخالف أمرنا ونهينا من قومه ، وهدينا من ذريته من بعده من ذكر تعالى ذكره من أنبيائه لمثل الذى هديناه له . وكما جزينا هؤلاء بحسن طاعتهم إيانا وصبرهم على المحن فينا ، كذلك نجزى بالإحسان كل محسن .[٣]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٨٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وهدينا أيضاً لمثل الذى هدينا له نوحاً من الهدى والرشاد من ذريته: زكريا بن إدُّو بن برخيَّا،[٤] ويحيى بن زكريا،

---

(١) ﴿ يسّى ﴾ فى كتاب القوم ، وقد مضى فى التفسير ٥ : ٣٥٥ : «بن إيشى» .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة «روح» والصواب من تاريخ الطبرى ١ : ١٦٥ .

(٣) انظر تفسير «الجزاء» ، و «الإحسان» فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) (حسن) .

(٤) فى كتاب القوم ﴿ بن عِدُّوْ ﴾ فى «عزرا» . الإصحاح الخامس والسادس . وفى المطبوعة:

وعيسى بن مريم ابنة عمران بن ياشهم بن أمون بن حزقيا ،[١] = « وإلياس » .

* * *

واختلفوا فى « إلياس » .

فكان ابن إسحق يقول : هو إلياس بن يسى [٢] بن فنحاص بن العيزار ابن هرون بن عمران ، ابن أخى موسى نبىّ الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وكان غيره يقول : هو إدريس . وممن ذكر ذلك عنه عبد الله بن مسعود .

١٣٥١٥ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن عبيدة بن ربيعة ، عن عبد الله بن مسعود قال : « إدريس » ، هو « إلياس » ، و« إسرائيل » ، هو « يعقوب » .[٣]

* * *

وأما أهل الأنساب فإنهم يقولون : « إدريس » ، جدّ نوح بن لمك بن متوشلخ ابن أخنوخ ، و« أخنوخ » هو « إدريس بن يرد بن مهلائيل » . وكذلك روى عن وهب بن منبه .

* * *

« بن آزن » وفى المخطوطة : « بن أدر » ، وقال صاحب قاموس الكتاب : « زكريا بن يبرخيا ابن عدو . . . يذكر بأنه « بن عدو » ، وسبب ذلك على الأرجح أن أباه برخيا ، مات فى ريعان الشباب ، فنسب حسب العوائد ، إلى جده « عدو » الذى كان مشهوراً أكثر من أبيه » .

وفى كتاب القوم ﴿ يبرخيّا ﴾ ،وكان فى المطبوعة « بركيا » ، وهو فى المخطوطة غير حسن الكتابة ، فأثبت ما فى تاريخ الطبرى ٢ : ١٣ .

(١) فى المطبوعة : « عمران بن أشيم بن أمور » ، خطأ ، صوابه مما سلف ٦ : ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ومن تاريخ الطبرى ٢ : ١٣ .

(٢) فى تاريخ الطبرى ٢ : ١٣ « بن ياسين » .

(٣) الأثر : ١٣٥١٥ — « عبيدة بن ربيعة » ، كوفى ، روى عن ابن مسعود ، وعثمان ابن عفان . روى عنه الشعبى ، وأبو إسحق السبيعى . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/٩١ .

و « أبو إسحق » هو السبيعى ، كما سلف ، وكان فى المخطوطة والمطبوعة « ابن إسحق » ، وهو خطأ محض .

وهذا الخبر ذكره البخارى تعليقاً (الفتح ٦ : ٢٦٥) ، وقال الحافظ : « أما قول ابن مسعود ، فوصله عبيد بن حميد ، وابن أبى حاتم بإسناد حسن ، عنه » .

والذى يقول أهل الأنساب أشبه بالصواب . وذلك أنّ الله تعالى ذكره نسب « إلياس» فى هذه الآية إلى« نوح »،وجعله من ذريته ،و« نوح» ابن « إدريس » عند أهل العلم ، فمحال أن يكون جدّ أبيه منسوباً إلى أنه من ذريته . ١٧٣/٧

* * *

وقوله : « كل من الصالحين »، يقول: من ذكرنا من هؤلاء الذين سمينا[1]= « من الصالحين » ، يعنى : زكريا ويحيى وعيسى وإلياس صلى الله عليهم .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٨٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وهدينا أيضاً من ذرية نوح « إسمعيل » وهو : إسمعيل بن إبراهيم = « واليسع » ، هو :اليسع بن أخْطُوب بن العجوز .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة اسمه .

فقرأته عامة قرأة الحجاز والعراق: ﴿وَٱلْيَسَعَ﴾ ، بلام واحدة مخففة .

* * *

وقد زعم قوم أنه « يفعل » من قول القائل: « وسِعَ يسع» . ولا تكاد العرب تدخل « الألف واللام » على اسم يكون على هذه الصورة = أعنى على « يفعل »= لا يقولون: « رأيت اليزيد » ولا : « أتانى اليَحْيَى » [3]ولا : « مررت باليشكر » ، إلا

(١) انظر تفسير « كل » فيما سلف ص : ٥٠٧، تعليق : ٢، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الصالح » فيما سلف من فهارس اللغة (صلح) .

(٣) فى المطبوعة : «أتانى التجيب » ، وهو خطأ محض ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، وكان فيها «أتانى الىحىا» غير منقوط ، وهذا صواب قراءتها .

فى ضرورة شعر . وذلك أيضاً إذا تُحُرِّىَ به المدح،(١) كما قال بعضهم : (٢)

وَجَدْنَا الْوَلِيدَ بْنَ الْيَزِيدِ مُبَارَكًا شَدِيدًا بِأَحْنَاءِ الْخِلَافَةِ كَاهِلُهْ(٣)

فأدخل فى « اليزيد » « الألف واللام »،(٤) وذلك لإدخاله إياهما فى « الوليد »، فأتبعه « اليزيد » بمثل لفظه .(٥)

* * *

وقرأ ذلك جماعة من قرأة الكوفيين : ﴿ وَاللَّيْسَعَ ﴾ بلامين، وبالتشديد، وقالوا : إذا قرئ كذلك، كان أشبه بأسماء العجم، وأنكروا التخفيف . وقالوا : لا نعرف فى كلام العرب اسماً على « يفعل » فيه « ألف ولام » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندى، قراءةُ من قرأه بلام واحدة مخففة، لإجماع أهل الأخبار على أن ذلك هو المعروف من اسمه، دون التشديد، مع أنه اسم أعجمى، فينطق به على ما هو به . وإنما يُعْلَم دخول

---

(١) فى المخطوطة : « إذا يحر به المدح »، غير منقوطة، وما فى المطبوعة شبيه بالصواب، والذى فى معانى القرآن للفراء : « والعرب إذا فعلت ذلك، فقد أمست الحرف مدحاً » .

(٢) هو ابن ميادة .

(٣) معانى القرآن للفراء ١ : ٣٤٢، أمالى ابن الشجرى ١ : ١٥٤/٢ : ٢٥٢، ٣٤٢، الخزانة ١ : ٣٢٧، شرح شواهد المغنى : ٦٠، وغيرها كثير . من شعر مدح فيه الوليد بن يزيد ابن عبد الملك بن مروان، وقبل البيت :

هَمَمْتُ بِقَوْلٍ صَادِقٍ أَنْ أَقُولَهُ وَإِنِّى عَلَى رَغْمِ الْعَدُوِّ لَقَائِلُهْ

وبعده :

أَضَاءَ سِرَاجُ الْمُلْكِ فَوْقَ جَبِينِهِ غَدَاةَ تَنَاجَى بِالنَّجَاحِ قَوَابِلُهْ

وكان فى المطبوعة : « بأعباء الخلافة »، وهى إحدى الروايتين، وأثبت ما فى المخطوطة . و « أحناء الخلافة »، نواحيها وجوانبها جمع « حنو » (بكسر فسكون)، كنى بذلك عن حمل مشقات الخلافة، وتدبير الملك، وسياسة الرعية .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « فأدخل اليزيد » بإسقاط « فى » والصواب إثباتها .

(٥) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٤٢ .

« الألف واللام » فيما جاء من أسماء العرب على « يفعل ». [١] وأما الاسم الذى يكون أعجميًّا ، فإنما ينطق به على ما سَمَّوا به . فإن غُيِّرَ منه شىء إذا تكلمت العرب به ، فإنما يغيَّر بتقويم حرف منه من غير حذف ولا زيادة فيه ولا نقصان . و « الليسع » إذا شدد ، لحقته زيادة لم تكن فيه قبل التشديد . وأخرى ، أنه لم يحفظ عن أحد من أهل العلم علمنا أنه قال : اسمه « ليسع » . فيكون مشدداً عند دخول « الألف واللام » اللتين تدخلان للتعريف .

* * *

و « يونس » هو : يونس بن متى = « ولوطاً وكلاًّ فضلنا » ، من ذرية نوح ونوحاً ، [٢] لهم بينا الحق ووفقناهم له ، وفضلنا جميعهم = « على العالمين » ، يعنى : على عالم أزمانهم . [٣]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٨٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وهدينا أيضاً من آباء هؤلاء الذين سماهم تعالى ذكره = « ومن ذرياتهم وإخوانهم » ، آخرين سواهم ، لم يسمهم ، للحق والدين الخالص الذى لا شرك فيه ، فوفقناهم له = « واجتبيناهم » ، يقول : واخترناهم لديننا وبلاغ رسالتنا إلى من أرسلناهم إليه ، كالذى اخترنا ممن سمَّينا .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « وإنما لا يستقيم دخول الألف واللام » ، وهو تغيير لما فى المخطوطة وزيادة فيها ، وإفساد لمعنى الكلام ، ونقض لما أراده أبو جعفر . وكان فى المخطوطة : « وإنما نعم دخول الألف واللام » ، وهو فاسد الكتابة ، وصواب قراءته ما أثبت « يعلم » بالبناء للمجهول . يعنى أن دخول الألف واللام إنما يعرف فيما جاء من أسماء العرب على « يفعل » . وهذا مناقض لما كتبه الناشر .

(٢) فى المطبوعة : « ونوح » بالرفع وهو خطأ ، وتغيير لما فى المخطوطة . وكان فى المخطوطة : « له بينا الحق » ، والأشبه بالصواب ما فى المطبوعة .

(٣) انظر تفسير « العالمين » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) .

يقال منه: « اجتبى فلان لنفسه كذا » ، إذا اختاره واصطفاه ، « يجتبيه اجتباء ». (١)

* * *

وكان مجاهد يقول فى ذلك ما :—

١٣٥١٦ — حدثنى به محمد بن عمرو قال ،حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ،عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره : « واجتبيناهم »، قال : أخلصناهم .

١٣٥١٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ،حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

= « وهديناهم إلى صراط مستقيم »،يقول : وسدّدناهم فأرشدناهم إلى طريق غير معوجّ ، وذلك دين الله الذى لا عِوَج فيه ، وهو الإسلام الذى ارتضاه الله ربُّنا لأنبيائه، وأمر به عباده .(٢) ٧/ ١٧٤

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (٨٨)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ذلك هدى الله » ، هذا الهدى الذى هديت به من سميت من الأنبياء والرسل ، فوفقتهم به لإصابة الدين الحقّ الذى نالوا بإصابتهم إياه رضى ربهم ، وشرفَ الدنيا ، وكرامة الآخرة ، هو « هدى

---

(١) انظر تفسير « اجتبى » فيما سلف ٧ : ٤٢٧ .

(٢) انظر تفسير « الصراط المستقيم » فيما سلف ١٠ : ١٤٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

الله » ، يقول : هو توفيق الله ولطفه الذى يوفق به من يشاء ، ويلطف به لمن أحب من خلقه ،حتى ينيب إلى طاعة الله ، وإخلاص العمل له ،وإقراره بالتوحيد، ورفض الأوثان والأصنام[١]=« ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون »، يقول : ولو أشرك هؤلاء الأنبياء الذين سميناهم ، بربهم تعالى ذكره ، فعبدوا معه غيره = « لحبط عنهم »، يقول: لبطل فذهبَ عنهم أجرُ أعمالهم التى كانوا يعملون،[٢] لأن الله لا يقبل مع الشرك به عملاً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « أولئك » ، هؤلاء الذين سميناهم من أنبيائه ورسله ، نوحاً وذريته الذين هداهم لدين الإسلام ، واختارهم لرسالته إلى خلقه ، هم « الذين آتيناهم الكتاب »، يعنى بذلك : صحفَ إبراهيم وموسى ، وزبور داود ، وإنجيل عيسى صلوات الله عليهم أجمعين = « والحكم » ، يعنى : الفهم بالكتاب ، ومعرفة ما فيه من الأحكام . وروى عن مجاهد فى ذلك ما : —

١٣٥١٨ — حدثنى المثنى قال،حدثنامسلم بن إبراهيم قال،حدثنا أبان قال ، حدثنا مالك بن شداد،عن مجاهد: « والحكم والنبوة » ، قال :«الحكم»، هو اللبُّ .[٣]

* * *

(١) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

(٢) انظر تفسير « حبط » فيما سلف ٤ : ٦/٣١٧ : ٩/٢٨٧ : ١٠/٥٩٢ : ٤٠٩ .

(٣) الأثر : ١٣٥١٨ — « مسلم بن إبراهيم الأزدى الفراهيدى » ، مضى مراراً آخرها رقم : ٧٤٨٧ .

و « أبان » هو : « أبان بن يزيد العطار » ، مضى برقم : ٣٨٣٢ ، ٩٦٥٦ .

« مالك بن شداد » هكذا هو فى المطبوعة والمخطوطة ، ولم أجد له ذكراً فيما بين يدى فى الكتب ، ولعله محرف عن شىء لا أعرفه .

وعنى بذلك مجاهد ، إن شاء الله، ما قلت ، لأن « اللب » هو « العقل » ، فكأنه أراد : أن الله آتاهم العقل بالكتاب ، وهو بمعنى ما قلنا من أنه الفهم به .

* * *

وقد بينا معنى « النبوة » و« الحكم » ، فيما مضى بشواهدهما، فأغنى ذلك عن إعادته .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ (٨٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فإن يكفر : يا محمد ، بآيات كتابى الذى أنزلته إليك فيجحد هؤلاء المشركون العادلون بربهم ، كالذى :-

١٣٥١٩ - حدثنى على بن داود قال ، حدثنا أبو صالح قال، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « فإن يكفر بها هؤلاء » ، يقول : إن يكفروا بالقرآن .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بـ« هؤلاء ».

فقال بعضهم : عُنى بهم كفار قريش = وعنى بقوله : « فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين » ، الأنصار.

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٢٠ - حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا سليمان قال، حدثنا أبو هلال، عن قتادة فى قول الله تعالى ذكره: « فإن يكفر بها هؤلاء »، قال: أهل مكة = « فقد وكلنا بها » ، أهل المدينة .

---

(١) انظر تفسير « النبوة » فيما سلف : ٢ : ١٤٠ - ٦/١٤٢ : ٢٨٤ ، ٣٨٠ .
= وتفسير « الحكم » فيما سلف ٣ : ٨٦ - ٨٨ ، ٦/٢١١ : ٥٣٨ .

١٣٥٢١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبدة بن سليمان ، عن جويبر ، عن الضحاك ، «فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين » ، قال : الأنصار .

١٣٥٢٢ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن مغراء ، عن جويبر ، عن الضحاك : « فإن يكفر بها هؤلاء » ، قال : إن يكفر بها أهل مكة = « فقد وكلنا بها » ، أهل المدينة الأنصار = « ليسوا بها بكافرين » .

١٣٥٢٣ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فإن يكفر بها هؤلاء »، يقول : إن تكفر بها قريش= « فقد وكلنا بها » ، الأنصار .

١٣٥٢٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « فإن يكفر بها هؤلاء »، أهل مكة= « فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين »، أهلَ المدينة .

١٣٥٢٥ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمى قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين » ، قال : كان أهل المدينة قد تبوأوا الدار والإيمان قبل أن يقدم عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما أنزل الله عليهم الآيات ، جحد بها أهل مكة . فقال الله تعالى ذكره : « فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين » . قال عطية : ولم أسمع هذا من ابن عباس ، ولكن سمعته من غيره .[1]

١٧٥/٧

١٣٥٢٦ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « فإن يكفر بها هؤلاء » ، يعني أهل

(١) الأثر : ١٣٥٢٥ — « عطية » ، هو : « عطية بن سعد العوفي » ، جد « محمد بن سعد » الأعلى ، وهو مفسر في شرح هذا الإسناد رقم : ٣٠٥ .

مكة . يقول : إن يكفروا بالقرآن = « فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين » ، يعني أهلَ المدينة والأنصار .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : فإن يكفر بها أهل مكة ، فقد وكلنا بها الملائكة .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٢٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن عوف ، عن أبي رجاء : « فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين » ، قال : هم الملائكة .

١٣٥٢٨ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا محمد بن جعفر وابن أبي عدى وعبد الوهاب ، عن عوف ، عن أبي رجاء ، مثله .

* * *

وقال آخرون : عنى بقوله : « فإن يكفر بها هؤلاء » ، يعني قريشاً = وبقوله : « فقد وكلنا بها قوماً » ، الأنبياء الذين سماهم في الآيات التي مضت قبلَ هذه الآية .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٢٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فإن يكفر بها هؤلاء » ، يعني أهل مكة = « فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين » ، وهم الأنبياء الثمانية عشر الذين قال الله : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ .

١٣٥٣٠ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « فإن يكفر بها هؤلاء » ، قال : يعني قوم محمد . ثم قال : « فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين » ، يعني النبيين الذين قص قبل هذه الآية قصصهم . ثم قال : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب ، قولُ من قال : عنى بقوله : « فإن يكفر بها هؤلاء » ، كفار قريش = « فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين »، يعنى به الأنبياء الثمانية عشر الذين سماهم الله تعالى ذكره فى الآيات قبل هذه الآية . وذلك أن الخبر فى الآيات قبلها عنهم مضى ، وفى التى بعدها عنهم ذكر ، فما بينها بأن يكون خبراً عنهم ،[1] أولى وأحق من أن يكون خبراً عن غيرهم .

* * *

فتأويل الكلام ، إذ كان ذلك كذلك : فإن كفر قومك من قريش ، يا محمد ، بآياتنا ،[2] وكذبوا وجحدوا حقيقتها ، فقد استحفظناها واسترعينا القيام بها رُسلَنا وأنبياءنا من قبلك ، الذين لا يجحدون حقيقتها ، ولا يكذبون بها ، ولكنهم يصدقون بها ويؤمنون بصحتها .

* * *

وقد قال بعضهم : معنى قوله : « فقد وكّلنا بها قوماً » ، رزقناها قوماً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : «أولئك»، هؤلاء القوم الذين وكلنا بآياتنا وليسوا بها بكافرين ، هم الذين هداهم الله لدينه الحق ، وحفظ ما وكلوا بحفظه من آيات كتابه ، والقيام بحدوده ، واتباع حلاله وحرامه ، والعمل بما فيه من أمر الله ، والانتهاء عما فيه من نهيه ، فوفقهم جل ثناؤه لذلك = « فبهداهم اقتده » ،

---

(١) فى المطبوعة : « نفيا بينها » ، وفى المخطوطة : « فما بينهم » ، والصواب بينهما ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « فإن يكفر قومك من قريش » ، وفى المخطوطة : « فإن يكفر بها قومك » والكلام لا يستقيم إلا بحذف « بها » ولكن الجملة لا تستقيم أيضاً فى العطوف المتتابعة حتى تكون « فإن كفر قومك » ، فعلا ماضياً كالذى عطف عليه .

يقول تعالى ذكره : فبالعمل الذى عملوا ، والمنهاج الذى سلكوا ، وبالهدى الذى هديناهم ، والتوفيق الذى وفقناهم = « اقتده » ، يا محمد ، أى : فاعمل ، وخذ به واسلكه ، فإنه عمل لله فيه رضًى ، ومنهاجٌ من سلكه اهتدى .

* * *

وهذا التأويل على مذهب من تأوّل قوله : « فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين » ، أنهم الأنبياء المسمون فى الآيات المتقدمة . وهو القول الذى اخترناه فى تأويل ذلك . ١٧٦/٧

* * *

وأما على تأويل من تأول ذلك : أن القوم الذين وكّلوا بها هم أهل المدينة = أو : أنهم هم الملائكة = فإنهم جعلوا قوله : « فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين » ، اعتراضاً بين الكلامين ، ثم ردّوا قوله : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » ، على قوله : « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوّة » .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٣١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « ووهبنا له إسحق ويعقوب » إلى قوله : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » ، يا محمد .

١٣٥٣٢ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « اولئك الذين هدى الله » ، يا محمد ، « فبهداهم اقتده » ، ولا تقتد بهؤلاء .

١٣٥٣٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنى أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : ثم رجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » .

١٣٥٣٤ — حدثنا على بن داود قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قال : ثم قال فى الأنبياء

الذين سماهم فى هذه الآية : « فبهداهم اقتده » .

* * *

ومعنى : « الاقتداء » فى كلام العرب ، بالرجل : اتباع أثره ، والأخذ بهديه . يقال : « فلان يقدو فلاناً » ، إذا نحا نحوه ، واتبع أثره ، « قِدَة ، وقُدوة وقِدوة وقِدْيَة » .[1]

* * *

القولُ فى تأويل قوله ﴿ قُل لَّآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٩٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله وعليه سلم : « قل » لهؤلاء الذين أمرتك أن تذكّرهم بآياتى ، أن تبسَل نفس بما كسبت ، من مشركى قومك يا محمد : « لا أسألكم » ، على تذكيرى إياكم ، والهدى الذى أدعوكم إليه ، والقرآن الذى جئتكم به ، عوضاً أعتاضه منكم عليه ، وأجراً آخذه منكم ،[2] وما ذلك منى إلا تذكير لكم ، ولكل من كان مثلكم ممن هو مقيم على باطل ، بـأسَ الله أن يَحُلَّ بكم ، وسَخَطه أن ينزل بكم على شرككم به وكفركم = وإنذارٌ لجميعكم بين يدى عذاب شديد ، لتذكروا وتنزجروا .[3]

* * *

(١) فى المطبوعة ، كتب مكان « وقدية » « وقدوة » ، وهو خطأ صرف ، خالف ما فى المخطوطة وهو الصواب .

(٢) انظر تفسير « الأجر » فيما سلف من فهارس اللغة (أجر) .

(٣) انظر تفسير « ذكرى » فيما سلف ص : ٤٣٩

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وما قدروا الله حق قدره » ، وما أجلُّوا الله حق إجلاله ، ولا عظموه حق تعظيمه = « إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء » ، يقول : حين قالوا : لم ينزل الله على آدميّ كتاباً ولا وحياً .[1]

* * *

واختلف أهل التأويل فى المعنيّ بقوله : « إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء » ، وفى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : كان قائل ذلك رجلاً من اليهود .

* * *

ثم اختلفوا فى اسم ذلك الرجل .

فقال بعضهم : كان اسمه : مالك بن الصيف .

* * *

وقال بعضهم : كان اسمه : فنحاص .

* * *

واختلفوا أيضاً فى السبب الذى من أجله قال ذلك .

* * *

* ذكر من قال : كان قائل ذلك : مالك بن الصيف .

١٣٥٣٥ ـ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب القمى ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جبير قال : جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى ، أما تجد فى التوراة أن الله يُبْغِض الحَبْرَ السمين ؟ وكان حبراً سميناً ، فغضب فقال :

(١) انظر تفسير « بشر » فيما سلف ٦ : ٥٣٨/١٠ : ١٥٢ .

والله ما أنزل الله على بشر من شيء ! فقال له أصحابه الذين معه : ويحك ! ولا موسى ! فقال : والله ما أنزل الله على بشر من شيء ! فأنزل الله : « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى » ، الآية .

١٧٧/٧ ١٣٥٣٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قوله : « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء »، قال : نزلت فى مالك بن الصيف ، كان من قريظة ، من أحبار يهود = « قل» يامحمد « من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس»، الآية .

* * *

* ذكر من قال : نزلت فى فنحاص اليهودىّ .

١٣٥٣٧ — حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء » ، قال : قال فنحاص اليهودىّ : ما أنزل الله على محمد من شيء!

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك جماعة من اليهود ، سألوا النبى صلى الله عليه وسلم آيات مثل آيات موسى .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٣٨ — حدثنا هناد قال، حدثنا يونس قال، حدثنا أبو معشر المدنى ، عن محمد بن كعب القرظى قال : جاء ناسٌ من يهودَ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو مُحْتَبٍ ،فقالوا : يا أبا القاسم،ألا تأتينابكتاب من السماء ، كما جاء به موسى ألواحاً يحملها من عند الله ؟ فأنزل الله : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾، الآية [سورة النساء : ١٥٣] . فجثا رجل من يهود فقال : ما أنزل الله عليك

ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئاً! فأنزل الله: « وما قدروا الله حق قدره » . = قال محمد بن كعب : ما علموا كيف الله[1] = « إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً » ، فحلَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حُبْوته ، وجعل يقول : ولا على أحد ![2]

١٣٥٣٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء »، إلى قوله : « فى خوضهم يلعبون » ، هم اليهود والنصارى ، قوم آتاهم الله علماً فلم يقتدوا به،[3] ولم يأخذوا به، ولم يعملوا به ، فذمهم الله فى عملهم ذلك . ذكر لنا أن أبا الدرداء كان يقول : إن من أكثر ما أنا مخاصَمٌ به غداً أن يقال : يا أبا الدرداء ، قد علمت ، فماذا عملت فيما علمت ؟

١٣٥٤٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء » ، يعنى من بنى إسرائيل ، قالت اليهود : يا محمد ، أنزل الله عليك كتاباً ؟ قال : نعم ! قالوا : والله ما أنزل الله من السماء كتاباً ! قال : فأنزل الله : « قل » يا محمد « من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدًى للناس » ، إلى قوله : « ولا آباؤكم » ، قال : الله أنزله .

* * *

وقال آخرون : هذا خبر من الله جل ثناؤه عن مشركى قريش أنهم قالوا : « ما أنزل الله على بشر من شىء » .

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « ما علموا كيف الله » ، هكذا ، وهو تعبير غريب جداً أكاد أستنكره ، وأخشى أن يكون تحريفاً ، وهو تفسير للآية ، أى : « قدروا الله » .

(٢) الأثر : ١٣٥٣٨ — هذا الخبر لم يذكر فى تفسير الآية من سورة النساء ٩ : ٣٥٦ — ٣٥٨ ، وهذا من وجوه اختصار أبى جعفر تفسيره .

(٣) فى المطبوعة : « فلم يهتدوا » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

• ذكر من قال ذلك :

١٣٥٤١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج قال ، عبد الله بن كثير : أنه سمع مجاهداً يقول : « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء » ، قالها مشركو قريش . قال : وقوله : ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ ،[1] قال : هم يهود، الذين يبدونها ويخفون كثيراً. قال : وقوله : « وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم » ، قال : هذه للمسلمين .

١٣٥٤٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وما قدروا الله حق قدره » ، قال : هم الكفار ، لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم ، فمن آمن أن الله على كل شيء قدير ، فقد قدر الله حق قدره . ومن لم يؤمن بذلك ، فلم يقدر الله حق قدره .

١٣٥٤٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وما قدروا الله حق قدره » ، يقول : مشركو قريش. ١٧٨/٧

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك ، قول من قال : عنى بقوله[2] : « وما قدروا الله حق قدره » ، مشركو قريش . وذلك أن ذلك في سياق الخبر عنهم أولاً ، فأن يكون ذلك أيضاً خبراً عنهم ، أشبهُ من أن يكون خبراً عن اليهود ولما يجر لهم ذكرٌ يكون هذا به متصلاً ، مع ما في الخبر عمن أخبر الله عنه في هذه الآية ، من إنكاره أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً من الكتب ، وليس ذلك مما تدين به اليهود ، بل المعروف من دين اليهود : الإقرار

(١) هذه إحدى القراءتين في الآية بالياء فيها جميعاً « يجعلونه » ، « يبدونها » ، « يخفون » ، وهي غير قراءتنا في مصحفنا ، وسيذكرها أبو جعفر فيما يلي .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « عنى بذلك » ، والسياق يقتضي ما أثبت .

بصُحُف إبراهيم وموسى، وزبور داود . وإذ لم يأت بما روى من الخبر، [1] بأن قائل ذلك كان رجلاً من اليهود، خبرٌ صحيح متصل السند = ولا كان على أن ذلك كان كذلك من أهل التأويل إجماعٌ = وكان الخبر من أول السورة ومبتدئها إلى هذا الموضع خبراً عن المشركين من عبدة الأوثان = وكان قوله : « وما قدروا الله حق قدره » ، موصولاً بذلك غير مفصول منه= [2] لم يجز لنا أن ندّعي أن ذلك مصروف عما هو به موصول ، إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل .

ولكني أظن أن الذين تأوّلوا ذلك خبراً عن اليهود، وجدوا قوله : « قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم » ، فوجهوا تأويل ذلك إلى أنه لأهل التوراة، فقرأوه على وجه الخطاب لهم : ﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ﴾ ، [3] فجعلوا ابتداء الآية خبراً عنهم ، إذ كانت خاتمتها خطاباً لهم عندهم. وغير ذلك من التأويل والقراءة أشبه بالتنزيل، لما وصفت قبل من أن قوله : « وما قدروا الله حق قدره » ، في سياق الخبر عن مشركي العرب وعبدة الأوثان وهو به متصل ، فالأولى أن يكون ذلك خبراً عنهم .

والأصوب من القراءة في قوله : ﴿ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ ، أن يكون بالياء لا بالتاء، على معنى : أنّ اليهود يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً ، ويكون الخطاب بقوله : « قل من أنزل الكتاب » ، لمشركي قريش . وهذا هو المعنى الذي قصده مجاهد إن شاء الله في تأويل ذلك ، وكذلك كان يقرأ .

١٣٥٤٤ — حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « وإذا لم يكن بما روى من الخبر » ، وهو كلام غير مستقيم ، صوابه ما أثبت إن شاء الله — أي : « وإذا لم يأت بما روى . . . خبر صحيح » .

(٢) السياق : « وإذ لم يأت بما روى . . . خبر صحيح . . . ولا كان . . . وكان الخبر . . . وكان قوله . . . لم يجز » ، كل ذلك عطوف متتابعة ، وجواب « وإذ لم يأت » قوله : « لم يجز » .

(٣) هذه القراءة الثانية للآية ، وهي قراءتنا اليوم في مصحفنا .

حماد ، عن أيوب ، عن مجاهد أنه كان يقرأ هذا الحرف : ﴿ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيراً ﴾ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾[1]

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد ، لمشركى قومك القائلين لك : «ما أنزل الله على بشر من شىء » = قل : « من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً » ، يعنى : جلاءً وضياء من ظلمة الضلالة[2] = « وهدى للناس » ، يقول : بياناً للناس ، يبين لهم به الحق من الباطل فيما أشكل عليهم من أمر دينهم[3] = « تجعلونه قراطيس تبدونها » .

* * *

فمن قرأ ذلك : ﴿ تَجْعَلُونَهُ ﴾ ، جعله خطاباً لليهود على ما بيّنت من تأويل من تأوّل ذلك كذلك .

* * *

ومن قرأه بالياء ﴿ يَجْعَلُونَهُ ﴾ ، فتأويله فى قراءته : يجعله أهله قراطيس ، وجرى الكلام فى « يبدونها » بذكر « القراطيس » ، والمراد منه المكتوب فى القراطيس ، يراد : يبدون كثيراً مما يكتبون فى القراطيس فيظهرونه للناس ، ويخفون كثيراً مما يثبتونه فى القراطيس فيسرُّونه ويكتمونه الناس .[4]

* * *

(١) أثبت الآية على قراءتنا فى مصحفنا ، وإن كان تفسير أبى جعفر بعد على القراءة الأخرى . فليتنبه قارئ التفسير إلى موضع الخلاف كما حرره أبو جعفر ، ص : ٥٢٤ ، ٥٢٥ .

(٢) انظر تفسير « النور » فيما سلف ١٠ : ٣٣٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

(٤) انظر تفسير « القرطاس » فيما سلف ص ٣٦٥ : ٣٦٦ .

ومما كانوا يكتمونه إياهم ، ما فيها من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوّته ، كالذي : —

١٣٥٤٥ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً » ، اليهود . ١٧٩/٧

١٣٥٤٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة : « قل » ، يا محمد « من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس يجعلونه قراطيس يبدونها » ، يعني يهود ، لما أظهروا من التوراة = « ويخفون كثيراً » ، مما أخفوا من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه = قال ابن جريج : وقال عبد الله بن كثير : إنه سمع مجاهداً يقول : « يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً » ، قال : هم يهود ، الذين يبدونها ويخفون كثيراً .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٩١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وعلمكم الله جل ثناؤه بالكتاب الذي أنزله إليكم،[١] ما لم تعلموا أنتم من أخبار من قبلكم، ومن أنباء من بعدكم ، وما هو كائن في معادكم يوم القيامة = « ولا آباؤكم » ، يقول : ولم يعلمه آباؤكم ، أيها المؤمنون بالله من العرب وبرسوله صلى الله عليه وسلم ، كالذي : —

١٣٥٤٧ — حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال، حدثنا حماد ، عن أيوب ، عن مجاهد : « وعلمتم » معشرَ العرب « ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم » .

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « الكتاب » بغير باء الجر ، والصواب إثباتها ، فإن مفعول علمكم » ، هو : « ما لم تعلموا » .

١٣٥٤٨ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال: قال عبدالله بن كثير: إنه سمع مجاهداً يقول في قوله: «وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم»، قال: هذه للمسلمين.

* * *

وأما قوله: «قل الله»، فإنه أمرٌ من الله جل ثناؤه نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يجيبَ استفهامَه هؤلاء المشركين عما أمره باستفهامهم عنه بقوله: «قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً»،[1] بقيل الله،[2] كأمره إياه في موضع آخر في هذه السورة بقوله: ﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾، [سورة الأنعام: ٦٣].[3] فأمره باستفهام المشركين عن ذلك، كما أمره باستفهامهم إذ قالوا: «ما أنزل الله على بشر من شيء»، عمن أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس. ثم أمره بالإجابة عنه هنالك بقيله: ﴿ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ٦٤]، كما أمره بالإجابة ههنا عن ذلك بقيله: الله أنزله على موسى، كما:-

١٣٥٤٩ - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: «قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس»، قال: الله أنزله.[4]

* * *

ولو قيل: معناه: «قل: هو الله»، على وجه الأمر من الله له بالخبر عن

---

(١) هذه القراءة الأخرى التي اختارها أبو جعفر، فتركت تفسيره على حاله، لئلا يختلط الكلام على قارئه.

(٢) قوله «بقيل الله» متعلق بقوله «أن يجيب...».

(٣) وتركت هذه الآية أيضاً على قراءة أبي جعفر التي اختارها «لئن أنجيتنا»، كما سلف ص: ٤١٤، وأما قراءتنا في مصحفنا: «لئن أنجانا». وانظر ما مضى في ترجيح أبي جعفر أولى القراءتين على الأخرى.

(٤) الأثر: ١٣٥٤٩ - هذا مختصر الأثر السالف رقم: ١٣٥٤٠.

ذلك = لا على وجه الجواب ، إذ لم يكن قوله : « قل من أنزل الكتاب » مسألة من المشركين لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فيكون قوله : « قل الله » ، جواباً لهم عن مسألتهم ، وإنما هو أمرٌ من الله لمحمد بمسألة القوم : « من أنزل الكتاب » ؟ فيجب أن يكون الجواب منهم غير الذى قاله ابن عباس من تأويله = كان جائزاً،[1] من أجل أنه استفهام ، ولا يكون للاستفهام جوابٌ ، وهو الذى اخترنا من القول فى ذلك لما بينا .

* * *

وأما قوله : « ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون » ، فإنه يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ثم ذَرْ هؤلاء المشركين العادلين بربهم الأوثان والأصنام ،[2] بعد احتجاجك عليهم فى قيلهم : « ما أنزل الله على بشر من شىء » بقولك : « من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس » ، وإجابتك ذلك بأن الذى أنزله : الله الذى أنزل عليك كتابه = « فى خوضهم » ، يعنى : فيما يخوضون فيه من باطلهم وكفرهم بالله وآياته[3] = « يلعبون » ، يقول : يستهزئون ويسخرون .[4]

* * *

وهذا من الله وعيد لهؤلاء المشركين وتَهدُّد لهم . يقول الله جل ثناؤه : ثم دعهم لاعبين ، يا محمد ، فإنى من وراء ما هم فيه من استهزائهم بآياتى بالمرصاد ، وأذيقهم بأسى ، وأحلّ بهم إن تمادوا فى غيّهم سَخَطى .[5] ١٨٠/٧

* * *

(١) قوله : « كان جائزاً » ، جواب قوله آنفاً : « ولو قيل : معناه ... » ، وما بينهما فصل .

(٢) انظر تفسير « ذر » فيما سلف ص : ٤٤١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الخوض » فيما سلف ٩ : ١١/٣٢٠ : ٤٣٦

(٤) انظر تفسير « اللعب » فيما سلف ص : ٤٤١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٥) فى المطبوعة : « وتهديد لهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب محض ، ولكن الناشر غيره فى جميع المواضع السالفة ، فجعله « تهديد » ، ولا أدرى لم ؟

القول فى تأويل قوله ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وهذا القرآن ، يا محمد = « كتاب » .

* * *

وهو اسم من أسماء القرآن ، قد بينته وبينت معناه فيما مضى قبلُ بما أغنى عن إعادته ، ومعناه مكتوب ، فوضع « الكتاب » مكان « المكتوب » .[1]

* * *

= « أنزلناه » ، يقول : أوحيناه إليك = « مبارك » ، وهو « مفاعل » من « البركة »[2] = « مصدِّق الذى بين يديه » ، يقول : صدَّق هذا الكتاب ما قبله من كتب الله التى أنزلها على أنبيائه قبلك ، لم يخالفها [دلالة ومعنى][3] = « نوراً وهدى للناس » ، يقول : هو الذى أنزل إليك ، يا محمد ، هذا الكتاب مباركاً ، مصدقاً كتاب موسى وعيسى وغير ذلك من كتب الله . ولكنه جل ثناؤه ابتدأ الخبر عنه ، إذ كان قد تقدم [من] الخبر عن ذلك ما يدل على أنه [له] مواصل ،[4] فقال : « وهذا كتاب أنزلناه إليك مبارك » ، ومعناه : وكذلك أنزلت إليك كتابى هذا مباركاً ، كالذى أنزلت من التوراة إلى موسى هدى ونوراً .

* * *

وأما قوله : « ولتنذر أمَّ القرى ومن حولها » ، فإنه يقول : أنزلنا إليك ، يا محمد ،

---

(١) انظر تفسير « كتاب » فيما سلف ١ : ٩٧ ، ٩٩ .

(٢) انظر تفسير « مبارك » فيما سلف ٧ : ٢٥ .

(٣) فى المطبوعة : « لم يخالفها ولا بنبأ وهو معنى نوراً وهدى » ، وهو كلام لا يستقيم . وفى المخطوطة : « لم يخالفها ولا سا ومعنى نوراً وهدى » ، وهو غير منقوط ، وهو أيضاً مضطرب ، فرجحت ما كتبته بين القوسين استظهاراً لسياق المعنى .

(٤) فى المطبوعة : « ما يدل على أنه به متصل » ، وفى المخطوطة : « ما يدل على أنه من أصل » ، فرجحت ما أثبت ، وزدت « من » و « له » بين القوسين ، فإن هذا هو حق المعنى إن شاء الله .

هذا الكتاب مصدِّقاً ما قبله من الكتب ، ولتنذِر به عذابَ الله وبأسَه مَنْ فى أم القرى ، وهى مكة = « ومن حولها » ، شرقاً وغرباً ، من العادلين بربّهم غيره من الآلهة والأنداد ، والجاحدين برسله ، وغيرهم من أصناف الكفار .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٥٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولتنذر أم القرى ومن حولها » ، يعنى بـ « أم القرى » ، مكة = « ومن حولها » ، من القرى إلى المشرق والمغرب .

١٣٥٥١ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولتنذر أم القرى ومن حولها » ، و « أم القرى » ، مكة = « ومن حولها » ، الأرض كلها .

١٣٥٥٢ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور قال ، حدثنا معمر ، عن قتادة : « ولتنذر أم القرى » ، قال : هى مكة = وبه عن معمر ، عن قتادة قال : بلغنى أن الأرض دُحِيَتْ من مكة .

١٣٥٥٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولتنذر أم القرى ومن حولها » ، كنا نُحَدَّث أن أم القرى ، مكة = وكنا نحدَّث أن منها دُحيت الأرض .

١٣٥٥٤ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط عن السدى : « ولتنذر أم القرى ومن حولها » ، أما « أم القرى » فهى مكة ، وإنما سميت « أم القرى » ، لأنها أول بيت وضع بها .

* * *

وقد بينا فيما مضى العلة التى من أجلها سميت مكة « أم القرى »، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

القولُ فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (٩٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن كان يؤمن بقيام الساعة والمعادِ فى الآخرة إلى الله ، ويصدِّق بالثواب والعقاب ، فإنه يؤمن بهذا الكتاب الذى أنزلناه إليك ، يا محمد ، ويصدق به ، ويقرّ بأن الله أنزله ، ويحافظ على الصلوات المكتوبات التى أمرَه الله بإقامتها ،(٢) لأنه منذرٌ من بلغه وعيدَ الله على الكفر به وعلى معاصيه، وإنما يجحد به وبما فيه ويكذِّب،أهل التكذيب بالمعاد ، والجحود لقيام الساعة ، لأنه لا يرجو من الله إن عمل بما فيه ثواباً ، ولا يخاف إن لم يجتنب ما يأمره باجتنابه عقاباً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ ١٨١/٧

قال أبو جعفر : يعنى جل ذكره بقوله : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً » ، ومن أخطأ قولاً وأجهل فعلاً = « ممن افترى على الله كذباً »، يعنى : ممن اختلق

(١) انظر تفسير « أم القرى » فيما سلف ١ : ١٠٨ ، وانظر أيضاً الأثر رقم : ٦٥٨٩ .
(٢) انظر تفسير « المحافظة على الصلوات » فيما سلف ٥ : ١٦٧ ، ١٦٨ .

على الله كذباً،[1] فادعى عليه أنه بعثه نبيًّا وأرسله نذيراً ، وهو فى دعواه مبطل ، وفى قيله كاذب .

* * *

وهذا تسفيهٌ من الله لمشركى العرب ، وتجهيلٌ منه لهم ، فى معارضة عبد الله ابن سعد بن أبى سرح ، والحنفىِّ مسيلمة ، لنبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، بدعوى أحدهما النبوّة ، ودعوى الآخر أنه قد جاء بمثل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم = ونفىٌ منه عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اختلاقَ الكذب عليه ودعوى الباطل.

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى ذلك .

فقال بعضهم فيه نحو الذى قلنا فيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٥٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قوله : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلىّ ولم يوح إليه شىء » ، قال : نزلت فى مسيلمة أخى بنى عدى بن حنيفة ، فيما كان يسجع ويتكهن به = « ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله » ، نزلت فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، أخى بنى عامر بن لؤى ، كان كتب للنبى صلى الله عليه وسلم ،[2] وكان فيما يملى « عزيز حكيم » ، فيكتب « غفور رحيم » فيغيره ، ثم يقرأ عليه « كذا وكذا » ، لما حوَّل ، فيقول : « نعم ، سواءٌ ». فرجع عن الإسلام ولحق بقريش وقال لهم : لقد كان ينزل عليه « عزيز حكيم » فأحوِّله ، ثم أقرأ ما كتبت ، [3] فيقول : «نعم سواء » ! ثم رجع إلى الإسلام قبل فتح مكة ، إذ

---

(١) انظر تفسير « الافتراء » فيما سلف ص : ٢٩٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة : « كان يكتب للنبى . . . » ، والصواب الجيد ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « ثم أقول لما أكتب » ، وفى المخطوطة : « ثم أقول أكتب » ، وفوق الكلام حرف (ط) من الناسخ ، دلالة على الخطأ ، وأنه خطأ قديم فى النسخة التى نقل عنها . ورجحت قراءتها كما أثبت ، وهو سياق الكلام .

نزل النبي صلى الله عليه وسلم بمرّ.[1]

* * *

وقال بعضهم : بل نزل ذلك في عبد الله بن سعد خاصة .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٥٦ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلىّ ولم يوحَ إليه شيء » إلى قوله : « تجزون عذاب الهون » . قال : نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، أسلم ، وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا أملى عليه : « سميعاً عليماً » ، كتب هو : « عليماً حكيماً » ، وإذا قال : « عليماً حكيماً » كتب : « سميعاً عليماً » ، فشكّ وكفر ، وقال : إن كان محمد يوحى إليه فقد أوحى إلىّ ، وإن كان الله ينزله فقد أنزلت مثل ما أنزل الله ! قال محمد : « سميعاً عليماً » فقلت أنا : « عليماً حكيماً » ! فلحق بالمشركين ، ووشى بعمار وجبير عند ابن الحضرمي ، أو لبني عبد الدار . فأخذوهم فعُذّبوا حتى كفروا ، وجُدِعت أذن عمار يومئذ .[2] فانطلق عمار إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما لقي ، والذي أعطاهم من الكفر ، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم أن يتولاه ، فأنزل الله في شأن ابن أبي سرح وعمار وأصحابه : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا ﴾

---

(١) « مر » ، هي « مر الظهران » .

(٢) « جدعت أذنه » ، قطعت ، وكان يقال له « الأجدع » ، انظر ابن سعد ٣ : ١٨١ . وكان في المطبوعة والمخطوطة : « وجدع أذن عمار » ، ذهب إلى تذكير « الأذن » ، والصواب تأنيثها ، لم يذكروا فيها تذكيراً فيما أعلم .

وهذا خبر غريب وقد روى ابن سعد في الطبقات ٣ : ١٨١ عن ابن عمر : « رأيت عمار ابن ياسر يوم اليمامة ، على صخرة قد أشرف يصيح : يا معشر المسلمين! أمن الجنة تفرون ؟ أنا عمار ابن ياسر ، هلموا إلى ! = وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت ، فهي تذبذب ، وهو يقاتل أشد القتال » . ثم قال : « قال : شعبة : لم ندر أنها أصيبت باليمامة » .

فهذا خبر آخر ، والمشهور من خبره أنها أصيبت مع النبي صلى الله عليه وسلم . كأن ذلك كان في بعض الغزوات .

[سورة النحل : ١٠٦] ، فالذى أكره : عمار وأصحابه = والذى شرح بالكفر صدراً ، فهو ابن أبى سرح .(١)

* * *

وقال آخرون : بل القائل : « أوحى إلى ولم يوح إليه شىء » ، مسيلمة الكذاب .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٥٧ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أو قال أوحى إلىّ ولم يوح إليه شىء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله » ، ذكر لنا أن هذه الآية نزلت فى مسيلمة . ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيت فيما يرى النائم كأنّ فى يدىّ سوارين من ذهب ، فكبرا علىّ وأهمّانى ،(٢) فأوحى إلىّ : أن انفخهما ، فنفختهما فطارا ، فأوّلتهما فى منامى الكذّابين اللذين أنا بينهما ، كذّاب اليمامة مُسيلمة، وكذّاب صنعاء العنسى . وكان يقال له : « الأسود » . (٣) ١٨٢/٧

١٣٥٥٨ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : « أوحى إلىّ ولم يوح إليه شىء » ، قال : نزلت فى مسيلمة .

١٣٥٥٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة = وزاد فيه : وأخبرنى الزهرى : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: بينا أنا نائم رأيتُ فى يدىّ سوارين من ذهب ، فكبر ذلك علىّ ، فأوحى إلى

(١) الأثر : ١٣٥٥٦ — كان حق هذا الخبر أن يذكر فى تفسير آية « سورة النحل » ، لبيان أنها نزلت أيضاً فى « عبدالله بن سعد بن أبى سرح » ، ولكن أبا جعفر لم يفعل ، وذلك دلالة أخرى قاطعة على اختصاره تفسيره .

(٢) فى المخطوطة : « فأهمنى » ، وعلى الكلمة حرف (ط) دلالة على الخطأ ، والصواب ما فى المطبوعة ، موافقاً لرواية البخارى ومسلم .

(٣) الأثر : ١٣٥٥٧ — خبر الرؤيا ، رواه البخارى (الفتح ٨ : ٦٩ ، ٧٠) ، ومسلم فى صحيحه : ١٥ : ٣٤ .

أن انفخهما ، فنفختهما فطارا ، فأوّلت ذلك كذاب اليمامة وكذاب صنعاء العنسى .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب أن يقال : إن الله قال : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلىّ ولم يوح إليه شىء »، ولا تمانُع بين علماء الأمة أن ابن أبى سرح كان ممن قال : « إنى قد قلت مثل ما قال محمد »، وأنه ارتدّ عن إسلامه ولحق بالمشركين، فكان لا شك بذلك من قيله مفترياً كذباً . وكذلك لا خلاف بين الجميع أن مسيلمة والعنسىّ الكذابين، ادّعيا على الله كذباً أنه بعثهما نبيين ، وقال كل واحد منهما إنّ الله أوحى إليه ، وهو كاذب فى قيله . فإذ كان ذلك كذلك ، فقد دخل فى هذه الآية كل من كان مختلقاً على الله كذباً ، وقائلاً فى ذلك الزمان وفى غيره : « أوحى الله إلى » ، وهو فى قيله كاذب ، لم يوح الله إليه شيئاً . فأما التنزيل، فإنه جائز أن يكون نزل بسبب بعضهم = وجائز أن يكون نزل بسبب جميعهم = وجائز أن يكون عنى به جميعُ المشركين من العرب = إذ كان قائلو ذلك منهم ، فلم يغيّروه . فعيّرهم الله بذلك ، وتوعّدهم بالعقوبة على تركهم نكيرَ ذلك ، ومع تركهم نكيرَه هم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مكذبون ، ولنبوّته جاحدون ، ولآيات كتاب الله وتنزيله دافعون ، فقال لهم جل ثناؤه : « ومن أظلم ممن ادّعى علىّ النبوّة كاذباً » ، وقال : « أوحى إلى » ، ولم يوح إليه شىء ، ومع ذلك يقول : « ما أنزل الله على بشر من شىء » ، فينقض قولَه بقوله ، ويكذب بالذى تحققه ، وينفى ما يثبته . وذلك إذا تدبره العاقلُ الأريب علم أن فاعله من عقله عديم .

* * *

وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقول فى قوله : « ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله » ، ما : —

(١) الأثر : ١٣٥٥٩ — انظر التعليق على رقم : ١٣٥٥٧ .

١٣٥٦٠ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله » ، قال : زعم أنه لو شاء قال مثله = يعني الشعر .

* * *

فكأنّ ابن عباس في تأويله هذا على ما تأوّله، يوجِّه معنى قول قائل: « سأنزل مثل ما أنزل الله » ، إلى: سأنزل مثل ما قال الله من الشعر . وكذلك تأوّله السدي. وقد ذكرنا الرواية عنه قبل فيما مضى .(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولو ترى ، يا محمد ، حين يغمر الموت بسكراته هؤلاء الظالمين العادلين بربهم الآلهة والأنداد ، والقائلين : « ما أنزل الله على بشر من شيء » ، والمفترين على الله كذباً ، الزاعمين أنّ الله أوحى إليه ولم يوحَ إليه شيء ، والقائلين : « سأنزل مثل ما أنزل الله » ،(٢) فتعاينهم وقد غشيتهم سكرات الموت ، ونزل بهم أمر الله ، وحان فناء آجالهم ، والملائكة باسطو أيديهم يضربون وجوههم وأدبارهم ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ ﴾ ، [سورة محمد : ٢٧ ، ٢٨] . يقولون لهم : أخرجوا أنفسكم .

---

(١) لم يذكر « الشعر » في خبر السدي السالف رقم : ١٣٥٥٦ ، ولعل أبا جعفر نسي أن يكتبه ، أو لعله أراد أن ذلك مروي في خبر السدي السالف وإن كان لم يذكره هناك .

(٢) هكذا جاء على الجمع في المخطوطة أيضاً « والمفترين . . . الزاعمين . . . والقائلين » ، والسياق يقتضي الإفراد ، ولكني تركته على حاله ، لظهور معناه ، وإن كنت أرجح أن الصواب : « والمفتري على الله كذباً الزاعم أن الله أوحى إليه ولم يوح إليه شيء ، والقائل : سأنزل مثل ما أنزل الله » .

و « الغمرات » جمع « غمرة »، و« غمرة كل شيء » ، كثرته ومعظمه ، وأصله الشيء الذى يغمر الأشياء فيغطيها ، ومنه قول الشاعر :[1]

١٨٣/٧ وَهَلْ يُنْجِي مِنَ الْغَمَرَاتِ إِلاَّ بُرَاكَاءُ الْقِتَالِ أَوِ الْفِرَارُ ؟[2]

* * *

وروى عن ابن عباس فى ذلك ، ما : —

١٣٥٦١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : قوله : « ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت » ، قال : سكرات الموت .

١٣٥٦٢ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « فى غمرات الموت » ، يعنى سكرات الموت .

* * *

وأما « بسط الملائكة أيديها » ،[3] فإنه مدُّها .[4]

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى سبب بسطها أيديها عند ذلك .

فقال بعضهم بنحو الذى قلنا فى ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٦٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى

---

(١) هو بشر بن أبى خازم .

(٢) شرح المفضليات : ٦٧٧ ، النقائض : ٤٢٣ ، الأغانى ١٣ : ١٣٧ ، ديوان الخنساء : ٢١٦ ، واللسان (برك) ، وغيرها . وهذا البيت آخر قصيدة فى المفضليات ، وروايته : « ولا ينجى » . و « البراكاء » (بفتح الباء وضمها) : الثبات فى ساحة الحرب ، والجد فى القتال ، وهو من « البروك » ، يبرك المقاتل فى مكانه ، أى : يثبت . وكان فى المطبوعة : « تراك للقتال » ، وهو خطأ صرف . وفى المخطوطة : « براكا للقتال » ، وهو أيضاً خطأ .

(٣) فى المطبوعة : « أيديهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب محض .

(٤) انظر تفسير « بسط الأيدى » فيما سلف ١٠ : ١٠٠ ، ٢١٣ .

معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم » ، قال : هذا عند الموت ، « والبسط » ، الضرب ، يضربون وجوههم وأدبارهم .

١٣٥٦٤ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم » ، يقول : « الملائكة باسطو أيديهم » ، يضربون وجوههم وأدبارهم = والظالمون فى غمرات الموت ، وملك الموت يتوفّاهم .

١٣٥٦٥ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « والملائكة باسطو أيديهم » ، يضربونهم .

* * *

وقال آخرون : بل بسطها أيديها بالعذاب .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٦٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك : « والملائكة باسطو أيديهم » ، قال : بالعذاب .

١٣٥٦٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن إسمعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح : « والملائكة باسطو أيديهم » ، بالعذاب .

* * *

وكان بعض نحويى الكوفيين يتأوّل ذلك بمعنى : باسطو أيديهم بإخراج أنفسهم .[1]

* * *

فإن قال قائل : ما وجه قوله : « أخرجوا أنفسكم » ، ونفوس بنى آدم إنما يخرجها من أبدان أهلها رب العالمين ؟ فكيف خوطب هؤلاء الكفار ، وأمروا فى

(١) هو الفراء فى معانى القرآن ١ : ٣٤٥ .

حال الموت بإخراج أنفسهم ؟ فإن كان ذلك كذلك ، فقد وجب أن يكون بنو آدم هم يقبضون أنفس أجسامهم !

قيل : إن معنى ذلك بخلاف الذى [إليه] ذهبت ،(١) وإنما ذلك أمرٌ من الله على ألسن رُسله الذين يقبضون أرواحَ هؤلاء القوم من أجسامهم ، بأداء ما أسكنها ربها من الأرواح إليه ، وتسليمها إلى رسله الذين يتوفَّونها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٩٣)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ثناؤه عما تقول رُسل الله التى تقبض أرواحَ هؤلاء الكفار لها ،(٢) يخبر عنها أنها تقول لأجسامها ولأصحابها : « أخرجوا أنفسكم » ، إلى سخط الله ولعنته ، فإنكم اليوم تُثابون على كفركم بالله ،(٣) وقيلكم عليه الباطل ، وزعمكم أن الله أوحى إليكم ولم يوحِ إليكم شيئاً ، وإنكاركم أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً ،(٤) واستكباركم عن الخضوع لأمر الله وأمر رسوله ، والانقياد لطاعته = « عذابَ الهون » ، وهو عذاب جهنم الذى يُهينهم فيذلّهم حتى يعرفوا صَغَار أنفسهم وذِلّتها ، كما : —

١٣٥٦٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « عذاب الهون » ، فالذى يهينهم .

(١) الزيادة بين القوسين يقتضيها السياق .
(٢) قوله : « لها » ، أى الكفار .
(٣) انظر تفسير « الجزاء » فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) .
(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « وإنذاركم أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً » ، وهو لا معنى له ، وإنما هو تحريف من الناسخ ، والصواب ما أثبت .

١٣٥٦٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج، عن ابن جريج : « اليوم تجزون عذاب الهون » ، قال : عذاب الهون ، في الآخرة = « بما كنتم تعملون » .

* * *

والعرب إذا أرادت بـ« الهون » معنى « الهوان » ، ضمت « الهاء » ، وإذا أرادت به الرفق والدَّعَة وخفة المؤونة ، فتحت« الهاء » ،[1] فقالوا : هو « قليل هَوْن المؤونة » ، ومنه قول الله : ﴿ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [سورة الفرقان : ٦٣] ، يعني : بالرفق والسكينة والوقار ، ومنه قول : جندل بن المثنَّى الطُّهوىّ :[2] ١٨٤/٧

وَنَقْضَ أَيَّامٍ نَقَضْنَ أَسْرَهُ هَوْنًا ، وَأَلْقَى كُلُّ شَيْخٍ فَخْرَهُ[3]

ومنه قول الآخر :[4]

هَوْنَكُمَا لاَ يَرُدُّ الدَّهْرُ ما فَاتَا لاَتَهْلِكَا أَسَفًا فِي إِثْرِ مَنْ مَاتَا[5]

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٢٠٠ .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « المثنى بن جندل الطهوى » ، وهو خطأ صرف ، وإنما هو « جندل بن المثنى الطهوى » ، وهو شاعر إسلامي راجز ، كان يهاجي الراعي . انظر سمط اللآلي ص : ٦٤٤ ، وغيره .

(٣) لم أعثر على الرجز ، وإن كنت أذكره . و « الأسر » : القوة . وقوله : « ألقى كل شيخ فخره » ، كناية عن عجز الشيخ إذا بلغ السن .

(٤) هو ذو جدن الحميري ، ويقال هو : « علقمة بن شراحيل بن مرثد الحميري» .

(٥) سيرة ابن هشام ١ : ٣٩ ، تاريخ الطبري ٢ : ١٠٧ ، الأغاني ١٦ : ٧٠ ، معجم ما استعجم : ١٣٩٨ ، ومعجم البلدان (بينون) و (سلحون) واللسان (هون) ، وبعد البيت :

أَبَعْدَ بَيْنُونَ لاَ عَيْنٌ وَلاَ أَثَرٌ وَبَعْدَ سَلْحُونَ يَبْنِي النَّاسُ أَبْيَاتَا

وَبَعْدَ حِمْيَرَ إِذْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ حَتْمُهُمْ غَيْبُ هَذَا الدَّهْرِ حِتَّاتَا

و « بينون » ، و « سلحون » ، و « غمدان » من حصون اليمن التي هدمها أرياط الحبشي ، في غزوة اليمن ، فذكرها ذو جدن ، يأسى على ما دخل أهل حمير من الذل والهوان .

يريد : أَرْوِدا .(١) وقد حكى فتح « الهاء » في ذلك بمعنى « الهوان » ، واستشهدوا على ذلك ببيت عامر بن جُوَين : (٢)

يُهِينُ النفوسَ ، وَهَوْنُ النُّفُـــوسِ عِنْدَ الكَرِيهَةِ أَغْلَى لَهَا (٣)

والمعروف من كلامهم ، ضمُّ « الهاء » منه ، إذا كان بمعنى الهوان والذل ، كما قال ذو الإصبع العدواني :

أَذْهَبْ إِلَيْكَ فَمَا أُمِّي بِرَاعِيَةٍ تَرْعَى الْمَخَاضَ وَلاَ أُغْضِي عَلَى الهُونِ (٤)

يعني : على الهوان = وإذا كان بمعنى الرفق ، ففتحُها .

* * *

(١) في المطبوعة : « رودا » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة . و « الإرواد » ، الإمهال والرفق ، والتأني ، ومنه قيل : « رويدك » ، أي : أمهل ، وتأن ، وترفق .

(٢) هكذا قال أبو جعفر ، والمشهور أنه للخنساء ، وهو في شعرها ، وبعض أبيات قصيدة الخنساء ، تروى لعامر بن جوين الطائي ، فلعل هذا مما يروى له من شعرها . أو لعله من شعر عامر بن جوين ، وروى للخنساء .

(٣) ديوان الخنساء : ٢١٥ ، والأغاني ١٣ : ١٣٦ ، والنقائض : ٤٢٣ ، واللسان (هون) . وروايتهم جميعاً « يوم الكريهة أبقى لها » . وفي المطبوعة : « أعلى » ، والصواب من المخطوطة .

(٤) شرح المفضليات : ٣٢٣ ، وما بعدها ، والأمالي ١ : ٢٥٦ ، واللسان (هون) ، وغيرها كثير . وقد جاء أبو جعفر برواية لم تذكر إلا في اللسان ، عن ابن بري . وأما رواية الرواة ، فهي :

عَنِّي إِلَيْكَ فَمَا أُمِّي بِرَاعِيَــةٍ تَرْعَى الْمَخَاضَ ، وَلاَ رأْيِي بِمَغْبُونِ

إِنِّي أَبِيٌّ أَبِيٌّ ذُو مُحَافَظَـــةٍ وَابْنُ أَبِيٍّ أَبِيٍّ مِنْ أَبِيِّينِ

لاَ يُخْرِجُ القَسْرُ مِنِّي غَيْرَ مَأْبِيَةٍ وَلاَ أَلِينُ لِمَنْ لاَ يَبْتَغِي لِينِي

عَفٌّ نَدُودٌ ، إِذَا مَا خِفْتُ مِنْ بَلَدٍ هُوناً ، فَلَسْتُ بِوَقَّافٍ عَلَى الهُونِ

فالشاهد في البيت الأخير .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ثناؤه عما هو قائل يوم القيامة لهؤلاء العادلين به الآلهة والأنداد ، يخبر عبادَه أنه يقول لهم عند ورودهم عليه : « لقد جئتمونا فرادي » .

ويعني بقوله : « فرادى » ، وُحداناً لامال معهم ، ولا إناث ، ولارقيق ،[1] ولا شيء مما كان الله خوّلهم فى الدنيا = « كما خلقناكم أوّل مرة » ، عُرَاة غُلْفاً غُرْلاً حُفاة ، كما ولدتهم أمهاتهم ،[2] وكما خلقهم جل ثناؤه فى بطون أمهاتهم لا شيء عليهم ولا معهم مما كانوا يتباهَوْن به فى الدنيا .

* * *

و « فرادى » ، جمع ، يقال لواحدها : « فَرَد » ، كما قال نابغة بنى ذبيان :

مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مَوْشِيٍّ أَكَارِعُهُ طَاوِى المَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفَرَدِ[3]

---

(١) فى المطبوعة : « ولا أثاث ولا رفيق » ، والصواب ما فى المخطوطة ، يعنى نساءهم وخدمهم ، وانظر الأثر التالى رقم : ١٣٥٧١ ، وانظر تفسير البغوى (بهامش ابن كثير ٣ : ٣٦١) قال : « وحدانا لا مال معكم ، ولا زوج ، ولا ولد ، ولا خدم » . فهذا صواب القراءة بحمد الله .

(٢) « غلف » جمع « أغلف » ، وهو الذى لم يختتن . و « الغرل » جمع « أغرل » ، وهو أيضاً الذى لم يختتن ، وهذا حديث مسلم فى صحيحه من حديث عائشة : « يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا » (١٧ : ١٩٢ ، ١٩٣) .

(٣) ديوانه : ٢٦ ، واللسان (فرد) ، وغيرهما كثير - من قصيدته المشهورة التى اعتذر بها إلى النعمان بن المنذر ، يقول قبله فى صفة الثور :

كَأَنَّ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا يَوْمَ الجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحِدِ

و « وجرة » ، منزل بين مكة والبصرة ، مربة للوحوش والظباء . « موشى أكارعه » ، فى قوائمه نقط سود . « طاوى المصير » ، ضامر البطن ، و « المصير » جمع « مصران » . يصف بياض الثور والتماعه كأنه سيف مصقول جديد الصقل

و «فَرَدٌ» و «فريد»، كما يقال: «وَحَد» و «وَحِد» و «وحيد» في واحد «الأوحاد».
وقد يجمع «الفَرَد» «الفُرَاد» كما يجمع «الوَحَد»، «الوُحَاد»، ومنه قول الشاعر: [١]

تَرَى النَّعَرَاتِ الزُّرْقَ فَوْقَ لَبَانِهِ فُرَادَى وَمَثْنَى أَضْعَفَتْهَا صَوَاهِلُهْ[٢]

وكان يونس الجرْمىّ،[٣] فيما ذكر عنه، يقول: «فُراد» جمع «فَرْد»، كما قيل: «تَوْم» و «تُوَام» للجميع. ومنه: «الفُرَادى»، «والرُّدَافى» و «القُرَانى».[٤]
يقال: «رجل فرد» و «امرأة فرد»، إذا لم يكن لها أخٌ. «وقد فرَد الرجلُ فهو يفرُد فروداً»، يراد به تفرَّد، «فهو فارد».

* * *

١٣٥٧٠ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، [قال ابن زيد قال]، أخبرني عمرو: أن ابن أبي هلال حدثه: أنه سمع القرظىّ يقول: قرأت عائشةُ زوجُ النبي صلى الله عليه وسلم قولَ الله: «ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة»، فقالت: واسوأتاه، إن الرجال والنساء يحشرون جميعاً ينظر بعضهم إلى سوأة بعض! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه»، لا ينظر الرجال إلى النساء، ولا النساء إلى الرجال، شغل بعضهم عن بعض.[٥]

* * *

(١) هو تميم بن أبي بن مقبل.
(٢) مضى البيت وتخريجه وتفسيره ٧ : ٥٤٣، بغير هذه الرواية، فراجعه هناك.
(٣) مضى في ١٠ : ١٢٠، تعليق: ١، ذكر «يونس [الحرمى]»، وقد أشكل على أمره، كما ذكرت هناك، وصح بهذا أنه «الجرمى»، ولم أجد في قدماء النحاة من يقال له: «يونس الجرمى»، وذكرت هناك أن «يونس بن حبيب»، ضبى لا جرمى، فعسى أن يهديني من يقرأ هذا إلى الصواب فيه، متفضلا مشكوراً.
(٤) في المطبوعة: «والفوانى»، وفي المخطوطة: «والعوانى» غير منقوطة، وصواب قراءتها ما أثبت، يقال: «جاءوا قرانى»، أى مقترنين، قال ذو الرمة:

قُرَانَى وَأَشْتَاتًا، وَحَادٍ يَسُوقُهَا إِلَى المَاءِ مِنْ جَوْزِ التَّنُوفَةِ مُطْلِقُ

(٥) الأثر: ١٣٥٧٠ — «عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصارى المصرى»، ثقة مضى برقم: ١٣٨٧، ٥٩٧٣، ٦٨٨٩، ١٠٣٣٠.

وأما قوله: « وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم » ، فإنه يقول : خلفتم أيها القوم ما مكناكم فى الدنيا مما كنتم تتباهون به فيها ، خلفكم فى الدنيا فلم تحملوه معكم.

وهذا تعيير من الله جل ثناؤه لهؤلاء المشركين بمباهاتهم التى كانوا يتباهون بها فى الدنيا بأموالهم.

* * *

وكل ماملكته غيرك وأعطيته : «فقد خوّلته» ،[1] يقال منه : « خال الرجل يخال أشدّ الخيال » بكسر الخاء = « وهو خائل » ، ومنه قول أبى النجم : ١٨٥/٧

أَعْطَى فَلَمْ يَبْخَلْ وَلَمْ يُبَخَّلِ   كُومَ الذُّرَى مِنْ خَوَلِ المُخَوِّلِ[2]

وأما « ابن أبى هلال » ، فهو : « سعيد بن أبى هلال الليثى المصرى » ، ثقة . مضى برقم : ١٤٩٥ ، ٥٤٦٥ .

وأما « القرظى » ، فقد بينه الحاكم فى المستدرك فى إسناده وأنه : « عثمان بن عبد الرحمن القرظى » ، ولكنه مع هذا البيان ، لم يزل مجهولا ، فإنى لم أجد له ترجمة ولا ذكراً فى شىء من الكتب . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « القرطبى » ، وهو خطأ .

وهذا الخبر ، أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤ : ٥٦٥ ، من طريق « عبد الله بن وهب ، عن عمرو بن الحارث » ، ليس فيه « قال ابن زيد » ، وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، وعلق عليه الذهبى فقال : « صحيح ، فيه انقطاع » .

والذى فى إسناد الطبرى « قال ابن زيد قال » ، عندى أنه زيادة من الناسخ ، لأن عبد الله ابن وهب ، يروى مباشرة عن « عمرو بن الحارث » ، كما يروى عن « عبد الرحمن بن زيد بن أسلم » ، ولما كثر إسناد أبى جعفر « حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد » ، أسرع قلم الناسخ بإثبات « ابن زيد » مقحماً فى هذا الإسناد ، كما دل عليه إسناد الحاكم .

وانقطاع هذا الإسناد ، كما بينه الذهبى ، هو فيما أرجح ، أن « عثمان بن عبد الرحمن القرظى » لم يسمع من عائشة .

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « وكل من ملكته غيرك ... » ، وهو خطأ محض ، صوابه ما أثبت .

(٢) لامية أبى النجم فى كتاب (الطرائف) ، والمراجع هناك ، وسيأتى فى التفسير ٢٣ : ١٢٧ (بولاق) ، وهو مطلع رجزه ، وقبله :

* الحَمْدُ لِلّٰهِ الوَهُوبِ المُجْزِلِ *

وقد ذكر أن أبا عمرو بن العلاء كان ينشد بيت زهير :

هُنَالِكَ إنْ يُسْتَخْوَلُوا الْمَالَ يُخْوِلُوا ... وَإنْ يُسْأَلُوا يُعْطُوا وَإنْ يَيْسِرُوا يُغْلُوا (١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

١٣٥٧١ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وتركتم ما خوّلناكم »، من المال والخدم = « وراء ظهوركم » ، فى الدنيا .

* * *

وقوله : « كوم الذرى » ، أى : عظام الأسنمة ، « كوم » جمع « كوماء » ، وهى الناقة العظيمة السنام . و « المخول » بكسر الواو ، الله الرزاق ذو القوة المتين . وانظر تعليق على البيت فى طبقات فحول الشعراء : ٥٧٦ ، تعليق : ٤ .

(١) ديوانه : ١١٢ ، واللسان (خبل) (خول) ، وسيأتى فى التفسير ٢٣ : ١٢٧ (بولاق) ، وغيرها كثير . من قصيدته المشهورة فى هرم بن سنان بن أبى حارثة ، والحارث بن عوف ابن أبى حارثة المرى ، يذكر قومهما بالكرم فى زمن الجدب ، وقبله :

إذَا السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ بِالنَّاسِ أجْحَفَتْ ... وَنَالَ كِرَامَ الْمَالِ فِى السَّنَةِ الأَكْلُ

رَأَيْتَ ذَوِى الْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ ... قَطِينًا لَهُمْ ، حَتَّى إذَا أنْبَتَ الْبَقْلُ

هُنَالِكَ إنْ يُسْتَخْوَلُوا . . . .

ورواية غير أبى عمرو بن العلاء : « إن يستخبلوا المال يخبلوا » ، يقال : « استخبل الرجل ناقة فأخبله » ، إذا استعاره ناقة لينتفع بألبانها وأوبارها فأعاره . و « الاستخوال » مثله . وروى الأصمعى عن أبى عمرو أنه قال : « ولو أنشدتها لأنشدتها : إن يستخولوا المال يخولوا » ، وقال : « الاختبال : المنيحة ، ولا أعرف الاستخبال ، وأراه : يستخولوا . والاستخوال أن يملكوهم إياه » .

وقوله : « ييسروا » ، من « الميسر » الذى تقسم فيه الجزر . وقوله « يغلوا » ، أى يختاروا سمان الجزر للنحر ، فهم لا ينحرون إلا غالية

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لهؤلاء العادلين بربهم الأنداد يوم القيامة : ما نرى معكم شفعاءكم الذين كنتم فى الدنيا تزعمون أنهم يشفعون لكم عند ربكم يوم القيامة .(١)

* * *

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت فى النضر بن الحارث ، لقيله : إنّ اللات والعزى يشفعان لهُ عند الله يوم القيامة .

* * *

وقيل : إن ذلك كان قول كافة عَبَدة الأوثان .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٧٢ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما قوله : « وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء » ، فإن المشركين كانوا يزعمون أنهم كانوا يعبدُون الآلهة ، لأنهم شفعاء يشفعون لهم عند الله ، وأنّ هذه الآلهة شركاءُ لله .

١٣٥٧٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، أخبرنى الحكم بن أبان ، عن عكرمة قال : قال النضر بن الحارث : « سوف تشفع لى اللات والعزّى » ! فنزلت هذه الآية : « ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة » ، إلى قوله : « شركاء » .

* * *

(١) انظر تفسير « الشفيع » فيما سلف ص : ٤٤٦ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (٩٤)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره ، مخبراً عن قيله يوم القيامة لهؤلاء المشركين به الأنداد : « لقد تقطع بينكم » ، يعنى تواصلهم الذى كان بينهم فى الدنيا ، ذهب ذلك اليوم ، فلا تواصل بينهم ولا توادّ ولا تناصر ، وقد كانوا فى الدنيا يتواصلون ويتناصرون ، فاضمحلّ ذلك كله فى الآخرة ، فلا أحدَ منهم ينصر صاحبه ، ولا يواصله .(١)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٧٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « لقد تقطع بينكم » ، « البين » ، تواصلهم .

١٣٥٧٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « لقد تقطع بينكم » ، قال : تواصلهم فى الدنيا .

١٣٥٧٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « لقد تقطع بينكم » ، قال : وصلكم .

١٣٥٧٧ — وحدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق، قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « لقد تقطع بينكم » ، قال : ما كان بينكم من الوصل .

١٣٥٧٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى

---

(١) انظر تفسير « البين » فيما سلف ٨ : ٣١٩ .

معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « لقد تقطع بينكم وضلّ عنكم ما كنتم تزعمون » ، يعني الأرحام والمنازل .

١٣٥٧٩ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « لقد تقطع بينكم » ، يقول : تقطع ما بينكم .

١٣٥٨٠ – حدثنا أبو كريب قال ، قال أبو بكر بن عياش : « لقد تقطع بينكم » ، التواصل في الدنيا .[1]

* * *

واختلفت القرأة في [قراءة] قوله : « بينكم » .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة نصباً ، بمعنى : لقد تقطع ما بَيْنكم .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة مكة والعراقيين : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنُكُمْ ﴾ ، رفعاً ، بمعنى : لقد تقطع وصلُكم . ١٨٦/٧

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول عندي في ذلك أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان باتفاق المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ الصوابَ .

وذلك أن العرب قد تنصب « بين » في موضع الاسم . ذكر سماعاً منها : « أتاني نحوَك ، ودونَك ، وسواءَك » ،[2] نصباً في موضع الرفع . وقد ذكر عنها سماعاً الرفع في « بين » ، إذا كان الفعل لها ، وجعلت اسماً ، وينشد بيت مهلهل :

كَأَنَّ رِمَاحَهُم أَشْطَانُ بِئْرٍ بَعِيدٍ بَيْنُ جَالَيْهَا جَرُورِ [3]

---

(١) الأثر : ١٣٥٨٠ – هذا إسناد منقطع كما أشرت إليه فيما سلف رقم : ١٢٤٦ ، ٢١٥٠ و « أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي » ، ثقة معروف ، مضى برقم : ١٢٤٦ ، ٢١٥٠ ، ٣٠٠٠ ، ٥٧٢٥ ، ٨٠٩٨ .

(٢) في المطبوعة : « إياي نحوك . . . » وهو خطأ محض ، وهي في المخطوطة غير منقوطة ، والصواب في معاني القرآن للفراء ١ : ٣٤٥ .

(٣) أمالي القالي ٢ : ١٣٢ ، واللسان (بين) ، وغيرهما ، من قصيدته المشهورة التي

برفع « بين »، إذ كانت اسماً ، غير أن الأغلب عليهم في كلامهم النصبُ فيها في حال كونها صفة ، وفي حال كونها اسماً .

* * *

وأما قوله : « وضل عنكم ما كنتم تزعمون » ، فإنه يقول : وحاد عن طريقكم ومنهاجكم ما كنتم من آلهتكم تزعمون أنّه شريك ربكم ، وأنه لكم شفيع عند ربكم ، فلا يشفع لكم اليوم .[1]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا تنبيهٌ من الله جل ثناؤه هؤلاء العادلين به الآلهة والأوثان على موضع حجّته عليهم ، وتعريفٌ منه لهم خطأ ما هم عليه مقيمون من إشراك الأصنام في عبادتهم إياه . يقول تعالى ذكره: إن الذي له العبادة ، أيها الناس ، دون كل ما تعبدون من الآلهة والأوثان ، هو الله الذي فَلق الحبَّ = يعني : شق الحبَّ من كل ما ينبت من النبات ، فأخرج منه الزرع = « والنوى ،» من كل ما يغرس مما له نَواة ، فأخرج منه الشجر .

* * *

و « الحبّ » جمع « الحبة » ، و« النوى » جمع « النواة » .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

قالها لما أدرك بثأر أخيه كليب وائل . وقبله :

فِدًى لِبَنِي الشَّقِيقَةِ يَوْمَ جَاءُوا كَأُسْدِ الغَابِ لَجَّتْ فِي زَئِيرِ

و « الأشطان » الحبال الشديدة الفتل، التي يستقى بها، واحدها «شطن» . (بفتحتين) و « الجال » و « الجول » (بضم الجيم) : ناحية البئر وجانبها وما يحبس الماء منها . و « جرور » صفة البئر البعيدة القعر ، لأن دلوها يجر على شفرها ، لبعد قعرها . يصف طول رماحهم ، وحركة أيديهم في الضرب بها ، ثم نزعها من بدن من أصابته .

(١) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل)

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٨١ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إن الله فالق الحب والنوى » ، أما « فالق الحب والنوى » : ففالق الحب عن السنبلة ، وفالق النواة عن النخلة .

١٣٥٨٢ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « فالق الحب والنوى » ، قال : يفلق الحب والنوى عن النبات .

١٣٥٨٣ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله : « فالق الحب والنوى » ، قال : الله فالق ذلك ، فلقه فأنبت منه ما أنبت . فلق النواة فأخرج منها نبات نخلة ، وفلق الحبة فأخرج نبات الذى خلق .

* * *

وقال آخرون : معنى « فالق » ، خالق .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٨٤ — حدثنا هناد بن السرى قال، حدثنا مروان بن معاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « إن الله فالق الحب والنوى » ، قال : خالق الحب والنوى .

١٣٥٨٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

١٣٥٨٦ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « إن الله فالق الحب والنوى » ، قال : خالق الحب والنوى .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أنه فلق الشقّ الذى فى الحبّة والنواة .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٨٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « فالق الحب والنوى » ، قال : الشقان اللذان فيهما .

١٣٥٨٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٣٥٨٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا معلى بن أسد قال، حدثنا خالد ، عن حصين ، عن أبي مالك فى قول الله : « إن الله فالق الحب والنوى » ، قال : الشق الذى يكون فى النواة وفى الحنطة .

١٣٥٩٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام، عن عنبسة ، عن محمد ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد : « فالق الحب والنوى » ، قال : الشقان اللذان فيهما .

١٣٥٩١ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنى عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « فالق الحب والنوى » ، يقول : خالق الحب والنوى ، يعنى كلّ حبة .

١٨٧/٧

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى ،ما قدّمنا القول به. وذلك أن الله جل ثناؤه أتبع ذلك بإخباره عن إخراجه الحى من الميت والميت من الحى ، فكان معلوماً بذلك أنه إنّما عنى بإخباره عن نفسه أنّه فالق الحب عن النبات ، والنوى عن الغُرُوس والأشجار ، كما هو مخرج الحى من الميت ، والميّت من الحى .

* * *

وأما القول الذى حكى عن الضحاك فى معنى « فالق » ، أنه خالق ، فقولٌ = إن لم يكن أراد به أنّه خالق منه النبات والغُروس بفلقه إياه = لا أعرف له وجهاً ، لأنه لا يعرف فى كلام العرب : « فلق الله الشىء » ، بمعنى : خلق .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ (٩٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يخرج السنبل الحىّ من الحبّ الميت ، ومخرج الحبِّ الميت من السنبل الحىّ ، والشجرِ الحىّ من النوى الميت ، والنوى الميِّت من الشجر الحىّ .

* * *

والشجر ما دام قائماً على أصوله لم يجفّ ، والنبات على ساقه لم ييبَس ، فإن العرب تسميه « حيًّا » ، فإذا يبس وجفّ أو قطع من أصله ، سمّوه « ميتاً » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٩٢ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « يخرج الحى من الميت » ، فيخرج السنبلة الحية من الحبة الميتة ، ويخرج الحبة الميتة من السنبلة الحية ، ويخرج النخلة الحية من النواة الميتة ، ويخرج النواة الميتة من النخلة الحية .

١٣٥٩٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن السدى ، عن أبى مالك : « يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى » ، قال : النخلة من النواة ، والنواة من النخلة ، والحبة من السنبلة ، والسنبلة من الحبة .

* * *

وقال آخرون بما : —

١٣٥٩٤ — حدثنى به المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « إن الله فالق الحبّ والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحىّ » ، قال : يخرج

النطفة الميتة من الحى ، ثم يخرج من النطفة بشرًا حيًّا .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا التأويل الذى اخترنا فى ذلك ، لأنه عَقِيبَ قوله : « إن الله فالقُ الحب والنوى » ، على أن قوله : « يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى » ، وإن كان خبراً من الله عن إخراجه من الحبِّ السنبل ومن السنبل الحب ، فإنه داخل فى عمومه ما رُوى عن ابن عباس فى تأويل ذلك . وكل ميِّت أخرجه الله من جسمٍ حَيٍّ ، وكل حيٍّ أخرجه الله من جسمٍ ميتٍ .

* * *

وأما قوله : « ذلكم الله » ، فإنه يقول : فاعل ذلك كلِّه اللهُ جل جلاله = « فأنى تؤفكون » ، يقول : فأيَّ وجوه الصدِّ عن الحقِّ ، أيها الجاهلون ، تصدُّون عن الصواب وتصرفون ،(١) أفلا تتدبرون فتعلمون أنّه لا ينبغى أن يُجعل لمن أنعم عليكم بفلق الحب والنوى ، فأخرج لكم من يابس الحب والنوى زروعاً وحرُوثاً وثماراً تتغذون ببعضه وتفكّهون ببعضه ، شريكٌ فى عبادته ما لا يضر ولا ينفع ، ولا يسمع ولا يبصر ؟

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « فالق الإصباح » ، شاقٌّ عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده .(٢)

* * *

و « الإصباح » مصدر من قول القائل : « أصبحنا إصباحاً » .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الأفك » فيما سلف ١٠ : ٤٨٥ ، ٤٨٦ .

(٢) انظر تفسير « الفلق » فيما سلف قريباً ص : ٥٥٠ .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال عامة أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٩٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك : « فالق الإصباح » ، قال : إضاءة الصبح .

١٣٥٩٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فالق الإصباح » ، قال : إضاءة الفجر. ١٨٨/٧

١٣٥٩٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٣٥٩٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فالق الإصباح » ، قال : فالق الصُّبح .

١٣٥٩٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله : « فالق الإصباح » ، يعنى بالإصباح ، ضوءَ الشمس بالنهار ، وضوءَ القمر بالليل .

١٣٦٠٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام قال ، حدثنا عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد : « فالق الإصباح » ، قال : فالق الصبح .

١٣٦٠١ — حدثنا به ابن حميد مرة بهذا الإسناد، عن مجاهد فقال فى قوله : « فالق الإصباح » ، قال إضاءة الصبح .

١٣٦٠٢ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فالق الإصباح » ، قال : فلق الإصباح عن الليل .

١٣٦٠٣ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله: « فالق الإصباح » ، يقول خالق النور ، نور النهار .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : خالق الليل والنهار .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٦٠٤ — حدثنا محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا ﴾ ، [١] يقول : خلق الليل والنهار .

* * *

وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ : ﴿ فَالِقُ الأَصْبَاحِ ﴾ ، بفتح الألف ، كأنه تأول ذلك بمعنى جمع « صبح » ، كأنه أراد صبح كل يوم ، فجعله « أصباحاً » ، ولم يبلغنا عن أحد سواه أنه قرأ كذلك . والقراءة التي لا نستجيز تعدِّيها ، بكسر الألف : [٢] ﴿ فالِقُ الإِصْبَاحِ ﴾ ، لإجماع الحجة من القرأة وأهل التأويل على صحة ذلك ورفض خلافه .

* * *

وأما قوله : « وجاعِلُ الليل سكناً » ، فإن القرأة اختلفت في قراءته .

فقرأ ذلك عامة قرأة أهل الحجاز والمدينة وبعض البصريين : [٣] ﴿ وَجَاعِلُ اللَّيْلِ ﴾ بالألف على لفظ الاسم ، ورفعه عطفاً على « فالق » ، وخفض « الليل » بإضافة « جاعل » إليه ، ونصب « الشمس والقمر » ، عطفاً على موضع « الليل » ، لأن « الليل » وإن كان مخفوضاً في اللفظ ، فإنه في موضع النصب ، لأنه مفعول « جاعل » . وحسن عطف ذلك على معنى « الليل » لا على لفظه ، لدخول قوله : « سكناً » بينه وبين « الليل » ، قال الشاعر : [٤]

قُعُودًا لَدَى الأَبْوَابِ طُلَّابَ حَاجَةٍ   عَوَانٍ مِنَ الْحَاجَاتِ أَوْ حَاجَةً بِكْرَا [٥]

---

(١) هذه قراءة أهل الحجاز كما سيذكر بعد ، وتركتها على قراءتهم في هذا الخبر .

(٢) في المطبوعة : « لا نستجيز غيرها » ، بدل ما كان في المخطوطة وهو محض صواب .

(٣) في المطبوعة : « عامة قراء الحجاز » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٤) هو الفرزدق .

(٥) سلف البيت وتخريجه وتفسيره فيما سلف ٢ : ١٩٥ ، وأزيد هنا مجاز القرآن لأبي عبيدة

فنصب « الحاجة » الثانية ، عطفاً بها على معنى « الحاجة » الأولى ، لا على لفظها ، لأن معناها النصب ، وإن كانت في اللفظ خفضاً . وقد يجيء مثل هذا أيضاً معطوفاً بالثاني على معنى الذي قبله لا على لفظه ، وإن لم يكن بينهما حائل ، كما قال بعضهم : (١)

بَيْنَا نَحْنُ نَنْظُرُهُ أَتَانَا مُعَلِّقَ شِكْوَةٍ وَزِنَادَ رَاعِ (٢)

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين : ﴿ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ ﴾ ، على « فَعَلَ » ، بمعنى الفعل الماضي ، ونصب « الليل » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار ، متفقتا المعنى ، غير مختلفتيه ، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب في الإعراب والمعنى .

* * *

وأخبر جل ثناؤه أنه جعل الليل سكناً ، لأنه يسكن فيه كل متحرك بالنهار ، ويهدأ فيه ، فيستقر في مسكنه ومأواه .

* * *

---

١ : ٢٠١ وروى هناك : « قعود » بالرفع ، كما أشرت إليه ثم .

(١) لرجل من قيس عيلان ، ونسب أيضاً لنصيب .

(٢) سيبويه ١ : ٨٧ ، معاني القرآن للفراء ١ : ٣٤٦ ، الصاحبي : ١١٨ ، شرح شواهد المغني : ٢٧٠ ، والذي هنا رواية الفراء وابن فارس . ورواية سيبويه « بينما نحن نطلبه » ، وفي شرحه « نرقبه » ، وروايته أيضاً « معلق وفضة » . وكان في المطبوعة هنا : « فبينا » بالفاء ، وأثبت ما في المخطوطة . وفي المطبوعة : « شلوه » وهو خطأ .

« ننظره » : نرقبه وننتظره . و « الشكوة » : وعاء كالدلو أو القربة الصغيرة ، يبرد فيه الماء ، ويحبس فيه اللبن . وأما « الوفضة » ، فهي خريطة كالجعبة ، يحمل فيها الراعي أداته وزاده .

ولم أجد بقية الشعر .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى ذلك :

فقال بعضهم : معنى ذلك : وجعل الشمس والقمر يجريان فى أفلاكهما بحساب .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٩/٧

١٣٦٠٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « والشمس والقمر حسباناً » ، يعنى عدد الأيام والشهور والسنين .

١٣٦٠٦ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « والشمس والقمر حسباناً » ، قال : يجريان إلى أجلٍ جُعل لهما .

١٣٦٠٧ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « والشمس والقمر حسباناً » ، يقول : بحساب .

١٣٦٠٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « والشمس والقمر حسباناً » ، قال : الشمس والقمر فى حساب ، فإذا خَلَتْ أيامهما فذاك آخرُ الدهر ، وأول الفزع الأكبر = « ذلك تقدير العزيز العليم » .

١٣٦٠٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله ، « والشمس والقمر حسباناً » ، قال : يدوران فى حساب .

١٣٦١٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن

ابن جريج ، عن مجاهد : « والشمس والقمر حسباناً » ، قال هو مثل قوله : ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [سورة يس : ٤٠] ، ومثل قوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ [سورة الرحمن : ٥].

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : وجعل الشمس والقمر ضياء .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٦١١ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « والشمس والقمر حسباناً » ، أي ضياء .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين في تأويل ذلك عندي بالصواب ، تأويل من تأوّله : وجعل الشمس والقمرَ يجريان بحساب وعددٍ لبلوغ أمرهما ونهاية آجالهما ، ويدوران لمصالح الخلق التي جُعِلا لها .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية ، لأن الله تعالى ذكره ، ذكَر قبلَه أياديه عند خلقه ، وعظم سلطانه ، بفلقه الإصباح لهم ، وإخراج النبات والغِراس من الحب والنوى ، وعقّب ذلك بذكره خلق النجوم لهدايتهم في البر والبحر . فكان وصفه إجراءه الشمس والقمرَ لمنافعهم ، أشبه بهذا الموضع من ذكر إضاءتهما ، لأنه قد وصف ذلك قبلُ بقوله : « فالق الإصباح » ، فلا معنى لتكريره مرة أخرى في آية واحدة لغير معنى .

* * *

و « الحسبان » في كلام العرب جمع « حِساب » ، كما « الشُّهبان » جمع « شهاب ».[1] وقد قيل إن « الحسبان » ، في هذا الموضع مصدر من قول القائل : « حَسَبْتُ الحساب أحسُبُه حِساباً وحُسْباناً ». وحكي عن العرب : « على الله حُسْبان فلان وحِسْبته » ، أي : حسابه .

* * *

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٢٠١ .

وأحسب أن قتادة فى تأويل ذلك بمعنى الضياء ، ذهب إلى شىء يروى عن ابن عباس فى قوله : ﴿ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾، [سورة الكهف : ٤٠]. قال : ناراً ، فوجه تأويل قوله : « والشمس والقمر حسباناً » ، إلى ذلك التأويل . وليس هذا من ذلك المعنى فى شىء .

* * *

وأما « الحِسبان » بكسر « الحاء » ، فإنه جمع « الحِسبانة »،[1] وهى الوسادة الصغيرة ، وليست من الأوَّلين أيضاً فى شىء . يقال : « حَسَّبْته » ، أجلستُه عليها.

* * *

ونصب قوله : « حسباناً » بقوله : « وجعل » .

* * *

وكان بعض البصريين يقول : معناه « والشمس والقمرَ حُسباناً »، أى : بحساب ، فحذف « الباء » ، كما حذفها من قوله: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [سورة الأنعام : ١١٧]، أى : أعلم بمن يضل عن سبيله .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (٩٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وهذا الفعل الذى وصفه أنه فعله ، وهو فلقه الإصباح ، وجعله الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ، تقدير الذى عزّ سلطانه ، فلا يقدر أحد أراده بسوء وعقاب أو انتقام، من الامتناع منه = «العليم»، بمصالح خلقه وتدبيرهم = لا تقديرُ الأصنام والأوثان التى لا تسمع ولا تبصر ، ولا تفقه شيئاً ولا تعقله ، ولا تضر ولا تنفع ، وإن أريدت بسوء لم تقدر على ١٩٠/٧

(١) هكذا قال أبو جعفر « بكسر الحاء » ، والذى أطبقت عليه كتب اللغة أنه بضم الحاء ، ولم يشيروا إلى كسر الحاء فى هذه .

(٢) قائل هذا هو الأخفش ، كما هو بين فى لسان العرب (حسب) .

الامتناع منه ممن أرادها.(١) يقول جل ثناؤه : فأخلصوا ،أيها الجهلة، عبادتكم لفاعل هذه الأشياء ، ولا تشركوا فى عبادته شيئاً غيره .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٩٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : والله الذى جعل لكم ، أيها الناس ، النجوم أدلةً فى البر والبحر إذا ضللتم الطريق ، أو تحيرتم فلم تهتدوا فيها ليلاً ، تستدلّون بها على المحجّة ، فتهتدون بها إلى الطريق والمحجة، فتسلكونه وتنجون بها من ظلمات ذلك ، كما قال جل ثناؤه : ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [سورة النحل : ١٦] ،أى : من ضلال الطريق فى البرّ والبحر = وعنى بالظلمات، ظلمة الليل ، وظلمة الخطأ والضلال ، وظلمة الأرض أو الماء .

* * *

وقوله : « قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون » ، يقول: قد ميّزنا الأدلة ، وفرّقنا الحجج فيكم وبيّنّاها ، أيها الناس، (٢) ليتدبّرها أولو العلم بالله منكم، ويفهمها أولو الحجى منكم ، فينيبوا من جهلهم الذى هم مقيمون عليه ، وينزجروا عن خطأ فعلهم الذى هم عليه ثابتون ، ولا يتمادوا عناداً لله = مع علمهم بأن ما هم عليه مقيمون خطأ = فى غيّهم .(٣)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

---

(١) انظر تفسير « العزيز » ، و « العليم » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) انظر تفسير « فصل » فيما سلف ص : ٣٩٤ – ٣٩٦

(٣) فى المطبوعة : « ولا يتمادوا فى عناد الله » ، زاد « فى » ، فأفسد الكلام غاية الإفساد ، وسياق العبارة « ولا يتمادوا عناداً لله ... فى غيهم » ، وفصلت الجملة المعترضة بخطين .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٦١٢ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر » ، قال : يضلّ الرجل وهو في الظلمة والجور عن الطريق .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ (٩٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإلهكم ، أيها العادلون بالله غيره = « الذي أنشأكم » ، يعني : الذي ابتدأ خلقكم من غير شيء ، فأوجدكم بعد أن لم تكونوا شيئاً [(١)]= « من نفس واحدة » ، يعني : من آدم كما :—

١٣٦١٣ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « من نفس واحدة »، قال : آدم عليه السلام.

١٣٦١٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة » ، من آدم عليه السلام .

* * *

وأما قوله : « فمستقر ومستودع » ، فإن أهل التأويل في تأويله مختلفون .

فقال بعضهم : معنى ذلك : وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة، فمنكم مستقِرٌّ في الرحم ، ومنكم مستودع في القبر حتى يبعثه الله لنَشْر القيامة .

* ذكر من قال ذلك

١٣٦١٥ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو معاوية ، عن إسمعيل بن أبي خالد ، عن إبراهيم ، عن عبد الله : ﴿ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾، [سورة هود : ٦] . قال : «مستقرها» ، في الأرحام = « ومستودعها » ، حيث تموت .

(١) انظر تفسير « أنشأ » فيما سلف : ٢٦٣ ، ٢٦٤

١٣٦١٦ — حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم ، عن إسمعيل ، عن إبراهيم ، عن عبد الله أنه قال : « المستودع » حيث تموت ، و « المستقر » ، ما في الرحم .

١٣٦١٧ — حدثت عن عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن السدى ، عن مرة ، عن عبد الله بن مسعود قال : « المستقر » ، الرحم ، و « المستودع » ، المكان الذى تموت فيه .

١٣٦١٨ — حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال ، حدثنا محمد بن فضيل ، وعلى بن هاشم ، عن إسمعيل بن أبي خالد ، عن إبراهيم : ﴿ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ ، قال : ﴿ مُسْتَقَرَّهَا ﴾ ، في الأرحام = ﴿ وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ ، في الأرض ، حيث تموت فيها .

١٣٦١٩ — حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ، حدثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مقسم قال : « مستقرها » ، في الصلب حيث تأوى إليه = « ومستودعها » ، حيث تموت .

* * *

وقال آخرون : « المستودع » ، ما كان في أصلاب الآباء = و « المستقر » ، ما كان في بطون النساء ، وبطون الأرض ، أو على ظهورها . ١٩١/٧

* ذكر من قال ذلك :

١٣٦٢٠ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير في قوله : « فمستقر ومستودع » ، قال : مستودعون ، ما كانوا في أصلاب الرجال . فإذا قرّوا في أرحام النساء أو على ظهر الأرض أو في بطنها ، فقد استقرّوا .

١٣٦٢١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا ابن علية ، عن كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير : « فمستقر ومستودع » ، قال : المستودعون ما كانوا في أصلاب الرجال . فإذا قرّوا في أرحام النساء أو على ظهر الأرض ، فقد استقروا .

١٣٦٢٢ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبير قال ، قال ابن عباس : ﴿ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ ، [سورة هود : ٦] . قال : « المستودع » فى الصلب = و « المستقر » ، ما كان على وجه الأرض أو فى الأرض. [1]

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فمستقر فى الأرض على ظهورها ، ومستودع عند الله .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٦٢٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن المغيرة ، عن أبي الجبر بن تميم بن حذلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « المستقر » الأرض ، « والمستودع » ، عند الرحمن . [2]

---

(١) الأثر : ١٣٦٢٢ — « المغيرة بن النعمان النخعى » ، يروى عن سعيد بن جبير ، وروى عنه شعبة ، والثورى ، ومسعر ، وغيرهم . ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٣٢٥/١/٤ ، وابن أبى حاتم ٢٣١/١/٤ .

(٢) الأثر : ١٣٦٢٣ — « المغيرة » فى هذا الإسناد ، هو « المغيرة بن مقسم الضبى » ، إمام مشهور ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ٩٢٩٢ .

و « أبو الجبر بن تميم بن حذلم » ، كان فى المطبوعة هنا ، وفى رقم : ١٣٦٢٩ ، ١٣٦٣٧ « أبو الخير تميم بن حذلم » ، وفى المخطوطة : « أبو الحر تميم بن حذلم » ، غير منقوطة وبإسقاط « بن » ، وهو خطأ . فإن « تميم بن حذلم الضبى » كنيته « أبو سلمة » ، أو « أبو حذلم » ، وهو من أصحاب عبد الله بن مسعود ، وأدرك أبا بكر ، فهو تابعى قديم ، وليس يروى عنه « مغيرة » ، إنما يروى عنه من طريق ابنه هذا ، ومن طريق إبراهيم النخعى . وهو مترجم فى التهذيب ، والكبير ١٥١/٢/١ ، ١٥٢ ، وابن أبى حاتم ٤٤٢/١/١ .

وأما ابنه « أبو الجبر بن تميم » ، فاسمه « عبد الرحمن بن تميم بن حذلم الضبى » ، روى عنه أبو إسحق الهمدانى ، ومغيرة . فلذلك صححت ما كان فى المخطوطة ، والمطبوعة ، وزدت « بن » ، وكذلك أشار إليه البخارى فى التاريخ وغيره فى ترجمة أبيه ، الكبير ١٥١/٢/١ ، ١٥٢ .

و « أبو الجبر » بالجيم والباء ، وهو مذكور فى أكثر الكتب « أبو الخير » ، وهو خطأ ، ضبطه عبد الغنى فى المؤتلف والمختلف ، وابن ماكولا ، والدولابى ، وكذلك ذكره ابن أبى حاتم فى الكنى (٣٥٥/٢/٤) فى حرف الجيم ، وهو مترجم أيضاً فيه ٢١٨/٢/٢ . وانظر الأثرين التاليين رقم : ١٣٦٢٩ ، ١٣٦٣٧ .

١٣٦٢٤ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : « المستقر »، الأرض ، و« المستودع »، عند ربك .

١٣٦٢٥ - حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ،عن إسمعيل بن أبي خالد، عن إبراهيم قال، قال عبد الله : « مستقرها »، في الدنيا ، « ومستودعها » ، في الآخرة = يعني = « فمستقر ومستودع » .

١٣٦٢٦ - حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال :« المستودع » ، في الصلب ، و « المستقر » ، في الآخرة وعلى وجه الأرض .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : فمستقر في الرحم ، ومستودع في الصلب .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٦٢٧ - حدثنا هناد قال، حدثنا أبو الأحوص، عن أبي الحارث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قول الله : « فمستقر ومستودع »،قال : مستقر في الرحم ، ومستودع في صلب ، لم يخلق سيُخلق .(١)

١٣٦٢٨ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن يحيى الجابر ، عن عكرمة: « فمستقر ومستودع »، قال : « المستقر » ،الذى قد استقر في الرحم ، و « المستودع » ، الذى قد استودع في الصلب . (٢)

١٣٦٢٩ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبي الجبر بن تميم ، عن سعيد بن جبير ، قال ابن عباس : سل ! فقلت : « مستقرٌّ

---

(١) في المطبوعة : « وسيخلق » بزيادة الواو ، ولا ضرورة لها .

(٢) الأثر : ١٣٦٢٨ - « يحيى الجابر » ، هو « يحيى بن المجبر » منسوباً لجده ، و « يحيى ابن عبد الله بن الحارث بن المجبر التيمي»، مضى برقم : ١٠١٨٨ - ١٠١٩٠ ، وكان في المطبوعة هنا « يحيى الجابري » ، وهو خطأ صرف .

ومستودع » ؟ قال : « المستقر »، فى الرحم، و«المستودع »، ما استودع فى الصلب .[١]

١٣٦٣٠ — حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ، حدثنا ابن إدريس، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس فى قوله : « فمستقر ومستودع » ، قال : « المستقر » الرحم، و « المستودع » ، ما كان عند رب العالمين مما هو خالقه ولم يخلق .

١٣٦٣١ — حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾، [سورة هود : ٦] ، قال: « المستقر » ، ما كان فى الرحم مما هو حىٌّ، ومما قد مات = و « المستودع » ، ما فى الصلب .

١٣٦٣٢ — حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير قال : قال لى ابن عباس، وذلك قبل أن يَخْرُجَ وجهى[٢]: أتزوّجت يا ابن جبير ؟ قال: قلت لا ، وما أريد ذاك يومى هذا ! قال فقال: أما إنه مع ذلك سيخرج ما كان فى صلبك من المستودَعين .

١٣٦٣٣ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير قال : قال لى ابن عباس : تزوجت ؟ قلت :لا ! قال : فضرب ظهرى وقال: ما كان من مستودَع فى ظهرك سيخرج .

١٩٢/٧

١٣٦٣٤ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فمستقر ومستودع » ، قال : « المستقر »، فى الأرحام، و « المستودع »، فى الصلب، لم يخلق وهو خالقه .

١٣٦٣٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى

---

(١) الأثر : ١٣٦٢٩ — «أبو الجبر بن تميم» ، انظر التعليق على رقم : ١٣٦٢٣ ، وكان فى المطبوعة : «أبو الخير تميم» ، وفى المخطوطة : «أبو الحر تميم» غير منقوط ، وهما خطأ .

(٢) قوله : « وذلك قبل أن يخرج وجهى » ، يعنى : قبل أن تنبت لحيته ، وهذا تعبير عزيز لا تجد تفسيره فى كتب اللغة والمجاز ، فقيده .

معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « فمستقر ومستودع »، قال : « المستقر »،في الرحم ، و« المستودع »،ما استودع في أصلاب الرجال والدوابّ .

١٣٦٣٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد قال : « المستقر » ، ما استقرّ في الرحم ، و« المستودع » ، ما استودع في الصلب .

١٣٦٣٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير، عن مغيرة ، عن أبي الجبر بن تميم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، بنحوه .[1]

١٣٦٣٨ — حدثنا هناد قال، حدثنا عبيدة بن حميد، عن عمار الدهني ، عن رجل ، عن كريب قال : دعاني ابن عباس فقال : اكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ،من عبد الله بن عباس، إلى فلان حَبْر تيْماء، سلامٌ عليك،فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو ، أما بعد = قال ، فقلت : تبدؤه تقول : السلام عليك ؟ فقال : إن الله هو السلام = ثم قال : اكتب : « سلامٌ عليك ، أما بعد، فحدثني عن : « مستقر ومستودع ».قال : ثم بعثني بالكتاب إلى اليهودي، فأعطيته إياه . فلما نظر إليه قال : مرحباً بكتاب خليلي من المسلمين ! فذهب بي إلى بيته ، ففتح أسفاطاً له كبيرة ،[2] فجعل يطرح تلك الأشياء لا يلتفت إليها . قال قلت : ما شأنك ؟ قال : هذه أشياء كتبها اليهود ! حتى أخرج سفر موسى عليه السلام ، قال : فنظر إليه مرتين فقال : « المستقر » ، الرحم ، قال : ثم قرأ: ﴿وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ [سورة الحج : ٥] ،وقرأ: ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ﴾، [سورة البقرة : ٣٦] ، [سورة الأعراف : ٢٤] . قال : مستقرُّه فوق

---

(١) الأثر : ١٣٦٣٧ — « أبو الجبر بن تميم » ، مضى برقم : ١٣٦٢٣ ، ١٣٦٢٩ ، تصحيحه ، وكان هنا أيضاً في المطبوعة : « أبو الخير تميم » ، وفي المخطوطة : « أبو الحبر تميم » غير منقوط .

(٢) « الأسفاط » جمع « سفط » (بفتحتين) : وهو وعاء كالجوالق ، وبين الخبر هنا أنهم كانوا يستخدمونه في حفظ الكتب والأسفار .

الأرض ، ومستقرُّه فى الرحم ، ومستقره تحت الأرض حتى يصير إلى الجنة أو إلى النار .(١)

١٣٦٣٩ — حدثنا هناد قال، حدثنا قبيصة ، عن سفيان، عن ابن جريج ، عن عطاء : « فمستقر ومستودع » ، قال : « المستقر » ، ما استقر فى أرحام النساء ، و « المستودع » ، ما استودع فى أصلاب الرجال .

١٣٦٤٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء قال : « المستقر » ، الرحم ، و « المستودع » فى أصلاب الرجال .

١٣٦٤١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا روح بن عبادة، عن ابن جريج ، عن عطاء = وعن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد = قال : « المستقر» ، الرحم ، و« المستودع »، فى الأصلاب .

١٣٦٤٢ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فستقر » ، ما استقر فى أرحام النساء = « ومستودع » ، ما كان فى أصلاب الرجال .

١٣٦٤٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٣٦٤٤ — حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا، حدثنا جرير، عن ليث ، عن مجاهد قال : « المستقر » ، ما استقر فى الرحم ، و« المستودع »، ما استودع فى الصلب .

١٣٦٤٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : « المستقر » ، الرحم ، « والمستودع » ، الصلب .

(١) الأثر : ١٣٦٣٨ — « كريب » هو « كريب بن أبى مسلم الهاشمى » مولى ابن عباس ، تابعى ثقة ، مضى برقم : ١٠٧٥ .

١٣٦٤٦ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا معاذ بن معاذ ، عن ابن عون قال : أتينا إبراهيم عند المساء فأخبرونا أنه قد مات ، فقلنا : هل سأله أحدٌ عن شيء ؟ قالوا : عبد الرحمن بن الأسود ، عن «المستقر» و «المستودع» ، فقال : « المستقر » ، في الرحم ، و « المستودع » ، في الصلب .

١٣٦٤٧ - حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا ابن عون قال : أتينا إبراهيم وقد مات ، قال : فحدثني بعضهم : أنّ عبد الرحمن بن الأسود سأله قبل أن يموت عن «المستقر» و «المستودع»، فقال : « المستقر »، في الرحم ، « والمستودع » ، في الصلب .

١٣٦٤٨ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا بن علية، عن ابن عون: أتينا منزل إبراهيم ، فسألنا عنه فقالوا : قد توفي . وسأله عبد الرحمن بن الأسود ، فذكر نحوه . ١٩٣/٧

١٣٦٤٩ - حدثني به يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن ابن عون : أنه بلغه : أنّ عبد الرحمن بن الأسود سأل إبراهيم عن ذلك ، فذكر نحوه .

١٣٦٥٠ - حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابي قال، حدثنا ضمرة بن ربيعة، عن العلاء بن هرون قال : انتهيت إلى منزل إبراهيم حين قبض ، فقلت لهم : هل سأله أحد عن شيء ؟ قالوا : سأله عبد الرحمن بن الأسود عن « مستقر ومستودع » ، فقال : أما « المستقر »، فما استقر في أرحام النساء ، و«المستودع» ، ما في أصلاب الرجال .[1]

---

(١) الأثر : ١٣٦٥٠ - « عبيد الله بن محمد بن هارون الفريابي » ، شيخ الطبري ، مضى برقم : ١٧ ، ٩٢٢٧ .

و « ضمرة بن ربيعة الفلسطيني » ، مضى برقم : ٧١٣٤ ، ١٢٨٦٨ .

و « العلاء بن هارون الواسطي » ، سكن الرملة . روى عن ابن عون . ثقة، مترجم في التهذيب، وابن أبي حاتم ٣٦٢/١/٣ .

وأخشى أن يكون هذا الخبر ، عن العلاء بن هرون، عن ابن عون، بل أرجح أن يكون كذلك .

١٣٦٥١ — حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا، حدثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد في : « فمستقر ومستودع » ، قال : « المستقر » ، الرحم ، و « المستودع » ، الصلب .

١٣٦٥٢ — حدثني يونس قال، حدثني سفيان ، عن رجل حدَّثه ، عن سعيد بن جبير قال : قال لي ابن عباس : ألا تنكح ؟ ثم قال : أما إني أقول لك هذا ، وإني لأعلم أن الله مخرجٌ من صلبك ما كان فيه من مستودَع .[1]

١٣٦٥٣ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : « المستقر » ، في الرحم ، و « المستودع » ، في الصلب .

١٣٦٥٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن ابن عباس : « فمستقر ومستودع » ، قال : « مستقر » ، في الرحم ، و « مستودع » ، في الصلب .

١٣٦٥٥ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « فمستقر ومستودع » ، قال : « مستقر » ، في الرحم ، و « مستودع » ، في الصلب .

١٣٦٥٦ — حُدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك : « فمستقر ومستودع » ، أما « مستقر » ، فما استقر في الرحم = وأما « مستودع » ، فما استودع في الصلب .

١٣٦٥٧ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « فمستقر ومستودع » ، قال : « مستقر » ، في الأرحام ، « ومستودع » ، في الأصلاب .

١٣٦٥٨ — حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا

---

(١) في المطبوعة : « ما كان فيه مستودعاً » ، غير ما في المخطوطة بلا طائل .

حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير = وأبى حمزة ، عن إبراهيم = قالا : « مستقر ومستودع » ، « المستقر » ، فى الرحم ، و « المستودع » ، فى الصلب .

* * *

وقال آخرون : « المستقر » ، فى القبر ، « والمستودع » ، فى الدنيا .

• ذكر من قال ذلك :

١٣٦٥٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان الحسن يقول : « مستقر » ، فى القبر ، « ومستودع » فى الدنيا ، وأوشك أن يلحق بصاحبه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله جل ثناؤه عمَّ بقوله : « فمستقر ومستودع » ، كلَّ خلقه الذى أنشأ من نفس واحدة ، مستقرًّا ومستودعاً ، ولم يخصص من ذلك معنى دون معنى . ولا شك أنّ من بنى آدم مستقراً فى الرحم ، ومستودَعاً فى الصلب ، ومنهم من هو مستقر على ظهر الأرض أو بطنها ، ومستودع فى أصلاب الرجال ، ومنهم مستقر فى القبر ، مستودع على ظهر الأرض . فكلٌّ «مستقر» أو «مستودع» بمعنى من هذه المعانى ، فداخل فى عموم قوله : « فمستقر ومستودع » ومراد به ، إلاّ أن يأتى خبرٌ يجب التسليم له بأنه معنىٌّ به معنى دون معنى ، وخاص دون عام .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « فمستقر ومستودع » .

فقرأت ذلك عامة قرأة أهل المدينة والكوفة : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ ، بمعنى : فمنهم من استقرّه الله فى مقرّه ، فهو مستقَرٌّ = ومنهم من استودعه الله فيما استودعه فيه ، فهو مستودَع فيه .

* * *

وقرأ ذلك بعض أهل المدينة وبعض أهل البصرة : ﴿ فَمُسْتَقِرٌّ ﴾ ، بكسر « القاف »

بمعنى : فمنهم من استقرّ فى مقرّه ، فهو مستقِرٌّ به .

* * *

١٩٤/٧ وأولى القراءتين بالصواب عندى ، وإن كان لكليهما عندى وجه صحيح : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ ﴾ ، بمعنى : استقرّه الله فى مستقَرِّه ، ليأتلف المعنى فيه وفى « المستودَع » ، فى أن كل واحد منهما لم يسمّ فاعله ، وفى إضافة الخبر بذلك إلى الله فى أنه المستقِرُّ هذا ، والمستودِع هذا . وذلك أن الجميع مجمعون على قراءة قوله : « ومستودَع » بفتح « الدال » على وجه ما لم يسمّ فاعله ، فإجراء الأوّل = أعنى قوله : « فمستقر » = عليه ، أشبه من عُدُوله عنه .

* * *

وأما قوله : « قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون » ، يقول تعالى : قد بيّنا الحجج ، وميزنا الأدلة والأعلام وأحكمناها [1] = « لقوم يفقهون » ، مواقعَ الحجج ومواضع العبر ، ويفهمون الآيات والذكر ، [2] فإنهم إذا اعتبروا بما نبّهتهم عليه من إنشائى من نفس واحدة ما عاينوا من البشر ، وخلقى ما خلقت منها من عجائب الألوان والصور ، علموا أنّ ذلك من فعل من ليس له مثل ولا شريك فيشركوه فى عبادتهم إياه ، كما : —

١٣٦٦٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون » ، يقول : قد بينا الآيات لقوم يفقهون .

* * *

---

(١) انظر تفسير « فصل » فيما سلف ص : ٥٦١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « فقه » فيما سلف ص : ٤٣٣ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : والله الذى له العبادة خالصة لا شريك فيها لشىء سواه،[1] هو الإله الذى أنزل من السماء ماء = « فأخرجنا به نبات كل شىء »، فأخرجنا بالماء الذى أنزلناه من السماء من غذاء الأنعام والبهائم والطير والوحش وأرزاق بنى آدم وأقواتهم ، ما يتغذون به ويأكلونه فينبُتون عليه وينمون . وإنما معنى قوله : « فأخرجنا به نبات كل شىء » ، فأخرجنا به ما ينبت به كل شىء وينمو عليه ويصلحُ .

* * *

ولو قيل : معناه : فأخرجنا به نبات جميع أنواع النبات ، فيكون « كل شىء » ، هو أصناف النبات = كان مذهباً ، وإن كان الوجه الصحيح هو القولَ الأول .[2]

* * *

وقوله : « فأخرجنا منه خضراً » ، يقول : « فأخرجنا منه » ، يعنى : من الماء الذى أنزلناه من السماء = « خَضِراً » ، رطباً من الزرع .

* * *

« والخضر » ، هو« الأخضر» ، كقول العرب : « أرِنيهَا نَمِرة ، أُرِكْها مَطِرَة» .[3] يقال : « خَضِرَت الأرض خَضَراً . وخَضَارة » .[4] و «الخضر» رطب البقول ،

(١) فى المطبوعة : « لا شركة فيها لشىء سواه » ، غير ما فى المخطوطة بسوء رأى ! !

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٤٧ .

(٣) هذا مثل ، نسبه صاحب اللسان فى (نمر) إلى أبى ذؤيب الهذلى ، ولم ينسبه فى (خضر) ، ورواه الميدانى فى الأمثال ١ : ٢٥٨ ، وأبو هلال فى جمهرة الأمثال : ١٤ ، ولم ينسباه إليه ، وأذكر أنى قرأت قصته ثم افتقدتها الآن فلم أجدها . وقوله : « نمرة » يعنى ، سحابة ، وهو أن يكون سواد وبياض ونمرة ، يضرب مثلا فى صحة مخيلة الشىء ، وصحة الدلالة عليه . وذلك إذا رأيت دليل الشىء ، علمت ما يتبعه .

(٤) « الخضارة » مصدر ، مثل « الغضارة » ، لم يذكر فى مادته من كتب اللغة .

ويقال : « نخلة خضيرة »، إذا كانت ترمى ببسرها أخضر قبل أن ينضج . و« قد اختُضِر الرجل » و « اغتُضِر »، إذا مات شابًّا مُصَحَّحاً . ويقال : « هو لك خَضِرًا مَضِرًا » ، أى هنيئاً مريئاً .[1]

* * *

قوله : « نخرج منه حبًّا متراكباً » ، يقول : نخرج من الخضر حبًّا = يعنى : ما فى السنبل ، سنبل الحنطة والشعير والأرز ،[2] وما أشبه ذلك من السنابل التى حَبُّها يركب بعضه بعضاً .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٦٦١ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « منه خضرًا نخرج منه حبًّا متراكباً » ، فهذا السنبل .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن النخل من طلعها قنوانه دانية ،[3] = ولذلك رفعت « القِنوان » .

* * *

(١) ذكره صاحب اللسان فى (خضر) ، ولم يذكره فى (مضر) . و « المضر » الغض الطرى .

(٢) انظر تفسير « الحب » فيما سلف ص : ٥٥٠

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « ومن النخل من طلعها قنوان دانية » ، وهو نص الآية ، وهو بيان لا يستقيم ، وإنما الصواب ما أثبت ، استظهرته من معانى القرآن للفراء ١ : ٣٤٧ .

و « القنوان » جمع « قِنْو » ، كما « الصنوان » جمع « صِنْو » ، وهو العِذْق ،[1] يقال للواحد هو « قِنْو » ، و « قُنْو » و « قَنَا » ، يثنى « قِنوانِ » ، ويجمع « قنوانٌ » و « قُنوانٌ » .[2] قالوا في جمع قليله : « ثلاثة أقْناء » . و « القِنوان » من لغة الحجاز ، و « القُنْوان » ، من لغة قيس ، وقال امرؤ القيس :

فَأَثَّتْ أَعَالِيهِ ، وَآدَتْ أُصُولُهُ وَمَالَ بِقِنْوانٍ مِنَ البُسْرِ أَحْمَرَا[3]

و « قِنْيان » ، جميعاً ، وقال آخر :[4]

195/7

لَهَا ذَنَبٌ كَالقِنْوِ قَدْ مَذِلَتْ بِهِ وَأَسْحَمَ لِلتَّخْطَارِ بَعْدَ التَّشَذُّرِ[5]

---

(1) « العذق » (بكسر فسكون) : كباسة النخل وعراجينها .

(2) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة 1 : 202 .

(3) ديوانه : 67 ، واللسان (قنا) ، وغيرها كثير . من قصيدته المستجادة ، وهو من أولها ، يصف ظعن الحي يشبهها بالنخل ، يقول قبله :

بِعَيْنَيَّ ظُعْنُ الحَيِّ لَمَّا تَحَمَّلُوا لَدَى جَانِبِ الأَفْلاَجِ مِنْ جَنْبِ تَيْمَرَا
فَشَبَّهْتُهُمْ فِي الآلِ لَمَّا تَكَمَّشُوا حَدَائِقَ دَوْمٍ ، أَوْ سَفِيناً مُقَيَّرَا
أَوِ المُكْرِعَاتِ مِن نَخِيلِ ابْنِ يَامِنٍ دُوَيْنَ الصَّفَا اللاَّئِي يَلِينَ المُشَقَّرَا
سَوَامِقَ جَبَّـــارٍ أَثِيثٍ فُرُوعُهُ وَعَالَيْنَ قِنْوَاناً مِنَ البُسْرِ أَحْمَرَا

فهذه رواية أخرى غير التي رواها أبو جعفر وغيره . وقوله : « فأثت أعاليه » : أي : عظمت والتفت من ثقل حملها . وقوله : « آدت » ، أي تثنت ومالت .

(4) لم أعرف قائله .

(5) رواه أبو زيد في نوادره : 182 ، بيتاً مفرداً ، وقال في تفسيره : « التشذر » ، إذا لقحت الناقة عقدت ذنبها ونصبته على عجزها من التخيل ، فذاك التشذر . و « المذل » (بفتحتين) : أن لا تحرك ذنبها . ولم أعرف لقوله « أسحم » في هذا البيت معنى ، ورواية أبي زيد : « وأسمح » ، وهو حق المعنى فيما أرجح . و « التخطار » ، مصدر « خطر الفحل بذنبه خطراً وخطراناً وخطيراً » ، رفعه مرة بعد مرة ، وضرب به حاذيه ، وهما ما ظهر من فخذيه حيث يقع شعر الذنب . وهذا المصدر لم يذكر في شيء من معاجم اللغة . والمعنى : أنها أقرت ذنبها ، ثم أسمح لها بعد نشاطها وتبخترها فاسترخى . هكذا ظننت معناه .

وتميم تقول : « قُنْيان » بالياء .

* * *

ويعني بقوله : « دانية » ، قريبة متهدّلة .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٦٦٢ — حدثنا المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « قنوان دانية » ، يعني بـ « القنوان الدانية »، قصار النخل ، لاصقة عُذُوقها بالأرض .

١٣٦٦٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « من طلعها قنوان دانية » ، قال : عذوق متهدلة .

١٣٦٦٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « قنوان دانية » ، يقول : متهدلة .

١٣٦٦٥ — حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = عن سفيان، عن أبي إسحق ، عن البراء في قوله : «قنوان دانية »، قال : قريبة .

١٣٦٦٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن أبي إسحق ، عن البراء بن عازب : « قنوان دانية » ، قال : قريبة .

١٣٦٦٧ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ومن النخل من طلعها قنوان دانية » ، قال : الدانية ، لتهدُّل العُذوق من الطلع .

١٣٦٦٨ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « ومن النخل من طلعها قنوان دانية » ، يعني النخل القصارَ الملترقة بالأرض ، و« القنوان » طلعه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأخرجنا أيضاً جنات من أعناب = يعنى : بساتينَ من أعناب . [(١)]

* * *

واختلف القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه عامة القرأة : ﴿ وَجَنَّاتٍ ﴾ نصباً ، غير أن « التاء » كسرت ، لأنها « تاء » جمع المؤنث ، وهى تخفض فى موضع النصب . [(٢)]

* * *

وقــد :—

١٣٦٦٩ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا القاسم بن سلام ، عن الكسائى قال ، أخبرنا حمزة ، عن الأعمش أنه قرأ : ﴿ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ ﴾ .

* * *

= بالرفع ، فرفع « جنات » على إتباعها « القنوان » فى الإعراب ، وإن لم تكن من جنسها ، كما قال الشاعر :

وَرَأَيْتِ زَوْجَكِ فِى الوَغَى مُتَقَلِّداً سَيْفاً وَرُمْحَا[(٣)]

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التى لا أستجيز أن يقرأ ذلك إلاّ بها ، النصبُ : ﴿ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ ﴾ ، لإجماع الحجة من القرأة على تصويبها والقراءة بها ، ورفضهم ما عداها ، وبُعْدِ معنى ذلك من الصواب إذا قرئ رفعاً .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الجنات » فيما سلف من فهارس اللغة (جنن) .

(٢) فى المطبوعة ، أسقط « فى » من الكلام سهواً .

(٣) مضى البيت وتخريجه مراراً ١ : ١٤٠ : ٦/٤٢٣ : ١٠/٤٠٨ .

وقوله : « والزيتون والرمان » ، عطف بـ « الزيتون » على « الجنات »، بمعنى : وأخرجنا الزيتونَ والرمان مشتبهاً وغير متشابه .

* * *

وكان قتادة يقول في معنى : « مشتبهاً وغير متشابه » ، ما :—

١٣٦٧٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه » ، قال : مشتبهاً ورقه ، مختلفاً ثمرُه .

* * *

وجائز أن يكون مراداً به: مشتبهاً في الخلق ، مختلفاً في الطعم . [1]

* * *

قال أبو جعفر : ومعنى الكلام : وشجر الزيتون والرمان ، فاكتفى من ذكر « الشجر » بذكر ثمره ، كما قيل: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ ، [سورة يوسف : ٨٢]، فاكتفى بذكر « القرية » من ذكر « أهلها »، لمعرفة المخاطبين بذلك بمعناه .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾

١٩٦/٧ قال أبو جعفر : اختلفت القرأة في قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة وبعض أهل البصرة: ﴿ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ ﴾، بفتح « الثاء » و « الميم » .

* * *

وقرأه بعض قرأة أهل مكة وعامة قرأة الكوفيين : ﴿ إِلَى ثُمُرِهِ ﴾ ،بضم « الثاء » و « الميم » .

* * *

(١) انظر تفسير « متشابه » فيما سلف ١ : ٣٨٥ — ٣٩٤/٦ : ١٧٣ .

= فكأنّ من فتح « الثاء » و « الميم » من ذلك، وجَّه معنى الكلام : انظروا إلى ثمر هذه الأشجار التي سمينا من النخل والأعناب والزيتون والرمان إذا أثمرَ = وأن « الثمر » جمع « ثمرة » ، كما « القصب » ، جمع « قصبة » ، و « الخشب » جمع « خشبة » .

* * *

= وكأنّ من ضم « الثاء » و « الميم » ، وجَّه ذلك إلى أنه جمع « ثِمَار » ، كما « الحُمُر » جمع « حمار » ، و « الجُرُب » جمع « جراب » ، وقد : —

١٣٦٧١ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن أبي حماد ، عن ابن إدريس ، عن الأعمش، عن يحيى بن وثاب : أنه كان يقرأ : ﴿ إِلَى ثُمُرِهِ ﴾ ، يقول : هو أصناف المال .

١٣٦٧٢ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي حماد قال ، حدثنا محمد بن عبيد الله ، عن قيس بن سعد، عن مجاهد قال : « الثُّمُر » ، هو المال = و « الثمر » ، ثَمَر النخل . (١)

* * *

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب ، قراءة من قرأ: ﴿ أُنْظُرُوا إِلَى ثُمُرِهِ ﴾ بضم « الثاء » و « الميم » ، لأن الله جل ثناؤه وصفَ أصنافاً من المال كما قال يحيى ابن وثاب ، وكذلك حبّ الزرع المتراكب ، وقنوان النخل الدانية ، والجنات من الأعناب والزيتون والرمان ، فكان ذلك أنواعاً من الثمر ، فجمعت « الثمرة » « ثمرًا » ، ثم جمع « الثمر » « ثماراً » ، ثم جمع ذلك فقيل: ﴿ انظُرُوا إِلَى ثُمُرِهِ ﴾ ، فكان ذلك جمع « الثمار » و « الثمار » جمع « الثمر » = و « إثماره » ، عقدُ الثمر .

* * *

وأما قوله : « وَيَنْعه » ، فإنه نُضجه وبلوغُه حين يبلغ .

* * *

(١) روى عن مجاهد أبين من هذا إذ قال : « هو الذهب والفضة » ، كما حكاه الفارسي عنه .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول فى « يَنْعه » إذا فتحت ياؤه ، هو جمع « يانع » ، كما « التَّجْر » جمع « تاجر »، و« الصحب » جمع « صاحب » . [1]

* * *

وكان بعض أهل الكوفة ينكر ذلك ، ويرى أنه مصدر من قولهم : « ينع الثمر فهو يَيْنَع يَنْعاً »، ويحكى فى مصدره عن العرب لغات ثلاثاً : « يَنْع » و« يُنْع »، و« يَنَع » ، وكذلك فى « النَّضْج » « النُّضج» و« النَّضَج » . [2]

* * *

وأما فى قراءة من قرأ ذلك : ﴿وَيَانِعِهِ﴾ ، فإنه يعنى به : وناضجه ، وبالغه .

* * *

وقد يجوز فى مصدره : « يُنُوعاً »، ومسموع من العرب : « أينعت الثمرة تُونِع إيناعاً » ، ومن لغة الذين قالوا : « ينع » ، قول الشاعر : [3]

فِى قِبَابٍ عِنْدَ دَسْكَرَةٍ حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنَعَا[4]

---

(١) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٢٠٢ ، وهو منسوب أيضاً إلى ابن كيسان ، كما جاء فى لسان العرب (ينع) .

(٢) ذكر أبو جعفر فى « ينع » و « نضج » مصدراً ثالثاً غير الذى ذكره أصحاب المعاجم ، فإنهم اقتصروا فى (ينع) على فتح الياء وسكون النون ، وضمها وسكون النون = واقتصروا فى (نضج) على فتح النون وسكون الضاد ، وضمها وسكون الضاد . وأما هذا المصدر الثالث الذى رواه أبو جعفر ولم يضبطه ، فلم أجده فى شيء من المعاجم ، وهو مما يزاد عليها ، إلا أنى استظهرت ضبطه فى الحرفين بفتح الياء والنون فى « ينع » ، وبفتح النون والضاد فى « نضج » . وسيذكر أبو جعفر مصدراً آخر بعد قليل وهو « ينوع » .

(٣) هذا شعر مختلف فيه من شعر يزيد بن معاوية ، ونسبه المبرد إلى الأحوص ، ونسبه الجاحظ إلى أبى دهبل . وينسب إلى الأخطل خطأ .

(٤) الحيوان ٤ : ١٠ ، الكامل ١ : ٢٢٦ ، أنساب الأشراف ٤/٢/٢ ، مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٠٢ ، تاريخ ابن كثير ٨ : ٢٣٤ ، تاريخ الخلفاء للسيوطى : ١٤٠ ، معجم ياقوت (الماطرون)، الخزانة ٣ : ٢٧٩ ، العينى (هامش الخزانة ١ : ١٤٩) ، واللسان (ينع) وغيرها . من شعر يقال إن يزيد قاله فى نصرانية ترهبت فى دير خرب عند الماطرون ، وهو موضع بالشأم . وهذا هو الشعر ، مع اختلاف الرواية فيه :

آبَ هَذَا الهَمُّ فَاكْتَنَعَا وأَتَرَّ النَّوْمَ فَامْتَنَعَا

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٦٧٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « وينعه » ، يعنى : إذا نضج .

١٣٦٧٤ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : « انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه » ، قال : « ينعه » ، نضجه .

١٣٦٧٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة :

رَاعِياً لِلنَّجْمِ أَرْقُبُهُ ... فَإِذَا مَا كَوْكَبٌ طَلَعَا

حَامَ ، حَتَّى إِنَّنِى لأَرَى ... أَنَّهُ بِالْغَوْرِ قَدْ وَقَعَا

وَلَهَـــا بِالْمَاطِرُونِ إِذَا ... أَكَلَ النَّمْلُ الَّذِى جَمَعَا

خُرْفَةٌ ، حَتَّى إِذَا ارْتَبَعَتْ ... سَكَنَتْ مِنْ جِلَّقٍ بِيَعَا

فِى قِبَابٍ حَوْلَ دَسْكَرَةٍ ... حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنَعَا

عِنْدَ غَيْرِى ، فَالْتَمِسْ رَجُلاً ... يَأْكُلُ التَّنُّومَ وَالسَّلَعَا

ذَاكَ شَىْءٌ لَسْتُ آكُلُهُ ... وَأَرَاهُ مَأْكَلاً فَظِعَا

« اكتنع الهم » ، دنا دنواً شديدا . و « أرّ النوم » أبعده ، والرواية المشهورة و « أمر النوم » من المرارة . وقوله : « أكل النمل الذى جمعا » ، يعنى زمن الشتاء . و « الخرفة » ما يجتنى من الفاكهة . و « ارتبعت » دخلت فى الربيع . و « جلق » قرية من قرى دمشق . و « البيع » جمع « بيعة » (بكسر الباء) ، وهى كنيسة اليهود أو النصارى . و « الدسكرة » بناء كالقصر ، كانت الأعاجم تتخذه للشرب والملاهى . و « التنوم » و « السلع » نباتان ، تأكلها جفاة أهل البادية . و « فظع » ، فظيع يستبشعه آكله .

ورواية البلاذرى البيت :

فِى جِنَانٍ ثَمَّ مُؤْنِقَةٍ ... حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنَعَا

« انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه » ، أي نضجه .

١٣٦٧٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وينعه » ، قال : نضجه .

١٣٦٧٧ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وينعه » ، يقول : ونضجه .

١٣٦٧٨ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وينعه » ، قال : يعنى نضجه .

١٣٦٧٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « وينعه » ،قال : نضجه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٩٩)

١٩٧/٧ قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره إن فى إنزال الله من السماء الماءَ الذى أخرج به نباتَ كل شيء ، والخضِرَ الذى أخرج منه الحبَّ المتراكب ، وسائر ما عدَّد فى هذه الآية من صنوف خلقه = « لآيات » ، يقول : فى ذلكم ، أيها الناس ، إذا أنتم نظرتم إلى ثمره عند عقد ثمره ، وعند ينعه وانتهائه ، فرأيتم اختلاف أحواله وتصرفه فى زيادته ونموّه، علمتم أن له مدبِّراً ليس كمثله شيء ، ولا تصلح العبادة إلاّ له دون الآلهة والأنداد ، وكان فيه حجج وبرهان وبيان[1]= «لقوم يؤمنون »،

(١) انظر تفسير «آية» فيما سلف من فهارس اللغة (أيى) .

يقول : لقوم يصدقون بوحدانية الله وقدرته على ما يشاء .

وخصّ بذلك تعالى ذكره القوم الذين يؤمنون، لأنهم هم المنتفعون بحجج الله والمعتبرون بها ، دون من قد طَبَعَ الله على قلبه ، فلا يعرف حقًّا من باطل، ولا يتبين هدًى من ضلالة .

* * *

تمَّ الجزء الحادى عشر من تفسير الطبرىّ

ويليه الجزء الثانى عشر ، وأوّله :

القول فى تأويل قوله :

﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ ﴾

تتمة التخريج

تتمة التخريج

١ — ج١١ ص ٨٦ — حديث جابر في لحم الصيد للمحرم : لم يسقه الطبري مساق الرواية ، بل ذكره بالمعنى . وقد رواه أحمد في المسند : ١٤٩٥١ ، ١٥٢١٩ . ولفظه مرفوعاً : « صيد البر لكم حلال وأنتم حرم ، ما لم تصيدوه أو يُصَدْ لكم » . وإسناده صحيح . وذكره المجد بن تيمية في المنتقى ، رقم : ١٤٩٠ ، ونسبه لأحمد ، وأبي داود ، والترمذي ، والنسائي . وقال : « قال الشافعي : هذا أحسن حديث روى في الباب وأقْيَس » .

٢ — الحديث : ١٢٨٠٠ — رواه الطبري في هذا الموضع بإسنادين ، أحدهما مرسل والثاني موصول : فرواه من طريق سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، مرسلاً ، ثم من طريق سفيان ، عن معمر ، « قال الزهري : قال أنس مثل ذلك » — يعني أول الحديث — ثم ساق باقي الحديث . والظاهر أن هذا الباقي من رواية قتادة المرسلة ومن رواية الزهري عن أنس الموصولة .

وعلى كل فإن قتادة إنما أخذه عن أنس ، وإن لم يصرح بذلك في هذا الإسناد . وقد مضى قبل ذلك — موصولاً — بإسنادين ، من رواية قتادة ، عن أنس : ١٢٧٩٥ ، ١٢٧٩٧ . والذي نقله ابن كثير ٣ : ٢٤٩ عن الطبري ، هو الحديث : ١٢٧٩٧ ، بإسناده ولفظه .

٣ — الحديث : ١٢٨١٣ — حديث أبي ثعلبة الخشني : « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها » — إلخ : هكذا رواه الطبري موقوفاً من كلام أبي ثعلبة ، وذلك من رواية أبي معاوية ، عن داود بن أبي هند ، عن مكحول ، عن أبي ثعلبة .

ورواه الحاكم في المستدرك ٤ : ١١٥ ، من طريق علي بن مسهر . والدارقطني ، ص : ٥٠٢ — ٥٠٣ ، من طريق إسحق الأزرق . وابن حزم في الإحكام ٨ : ٢٤ (بتحقيقنا) ، من طريق حفص بن غياث — ثلاثتهم عن داود بن أبي هند ، عن مكحول ، عن أبي ثعلبة ، مرفوعاً .

فهؤلاء ثلاثة من الثقات الكبار رووه مرفوعاً . والرفع زيادة تقبل من الثقة الواحد ، فأولى أن تقبل من ثلاثة .

وهذا الحديث هو الحديث الثلاثون من الأربعين النووية ، (ص : ٢٠٠ من شرح ابن رجب). قال النووى : « حديث حسن . رواه الدارقطني وغيره » . ونقل ابن رجب أنه حسنه — قبل النووى — الحافظ أبو بكر السمعانى فى أماليه .

وذكر ابن رجب أيضاً أن فيه علتين :

إحداهما : الخلاف فى رفعه ووقفه . وقد بينا أن الذى روى رفعه ثلاثة من الثقات ، فلا ينبغى أن يسمى هذا خلافاً . بل الرواة كثيراً ما يقفون الحديث المرفوع ، دون إنكار لرفعه .

والعلة الثانية : أن مكحولاً لم يصح له السماع من أبى ثعلبة . وهذا قول قد قيل فى كتب الرجال . ولكن المعاصرة فى مثل هذا كافية . وأبو ثعلبة مات سنة ٧٥ . ومكحول مات سنة ١١٢ ، فهما متعاصران على اليقين . ومكحول سمع من شيوخ من هذه الطبقة .

وقد نسب السيوطى وغيره للحاكم أنه صححه . ولم أجد فى المستدرك تصحيحاً له ولا كلاماً عليه ، وكذلك لم يقل فيه الذهبى شيئاً فى مختصر المستدرك المطبوع والمخطوط . ولكن الحديث — عندى — صحيح بكل حال .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١ : ١٧١ مرفوعاً ، بلفظ « وغفل عن أشياء » بدل « وسكت » . ثم قال : « رواه الطبرانى فى الكبير — وهو هكذا فى هذه الرواية . وكأن بعض الرواة ظن أن هذا معنى « وسكت » ، فرواها كذلك — ورجاله رجال الصحيح » .

وروى قبل ذلك نحوه عن أبى الدرداء مرفوعاً . وقال : « رواه البزار والطبرانى فى الكبير . وإسناده حسن ، ورجاله موثقون » .

٤— الحديث : ١٢٨٢٣ — هكذا ثبت ناقص الإسناد محال اللفظ فى نسخ

الطبرى ، إذ جعل من كلام عبد الرزاق أنه يقول : « رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجر قصبه فى النار » — إلخ ! !

وهو ثابت على الصواب فى تفسير عبد الرزاق ، ص : ٦٢ هكذا : «عبدالرزاق، عن معمر ، عن الزهرى، عن أبى هريرة ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال . . . » فذكره . وكذلك ثبت فى المسند : ٧٦٩٦ ، من رواية الإمام أحمد ، عن عبد الرزاق .

وهو بهذا الإسناد — فى تفسير عبد الرزاق والمسند — منقطع ، لأن الزهرى لم يدرك أبا هريرة . وقد بينا فى شرح المسند أنه من رواية الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة . كما مضى فى رواية الطبرى السابقة : ١٢٨١٩ .

فانقطاع الإسناد بين الزهرى وأبى هريرة — الظاهر أنه سهو من عبد الرزاق ، أو من شيخه معمر .

وأما الثابت هنا ، من حذف من هو فوق عبد الرزاق — فإنما هو من تخليط الناسخين فى نسخ الطبرى .

٥ — الحديث : ١٢٨٥١ — هذا حديث جيد، انفرد بروايته الطبرى هنا ، وابن مردويه — كما فى الدر المنثور ، فيما نعلم . وإسناد الطبرى إسناد صحيح . وعندى أن « الربيع بن صبيح » ثقة ، ولئن ضعفه بعض العلماء لقد وثقه آخرون .

٦ — الحديث : ١٣١٠٥ — هذا الحديث من صحيفة همام بن منبه . وهو فى الصحيفة المفردة ، برقم : ١٣ (طبعة المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٣٧٢) .

٧ — الحديثان : ١٣١٠٦ ، ١٣١٠٧ — هما موقوفان هنا على عبد الله بن عمرو بن العاص . ولكن معناهما ثابت مرفوعاً ، من حديث أبى هريرة ، فى المسند : ٩٦٠٧ ، ١٠٢٨٥ ، ١٠٦٨٠ — ١٠٦٨٣ . وصحيح مسلم ٢ : ٣٢٤ (بولاق) ، وابن ماجة : ٤٢٩٣ . ومن حديث سلمان ، مرفوعاً أيضاً ، عند مسلم ٢ : ٣٢٤ .

٨ — الحديثان: ١٣٢٢٣ ، ١٣٢٢٤ — أولهما فى العنزين اللتين انتطحتا ، وثانيهما فى ذلك وفى قول أبى ذر « لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يقلب طائر جناحيه فى السماء إلا ذكرنا منه علماً » . وكلاهما منقطع الإسناد ، كما أوضح ذلك أخى السيد محمود . ولأن « منذر بن يعلى الثورى » لم يدرك أبا ذر ، وإنما يروى عن التابعين .

والمعنى الأول — معنى انتطاح العنزين أو الشاتين — رواه أحمد من طريق عبد الرحمن بن ثروان ، عن الهزيل بن شرحبيل ، عن أبى ذر ، (المسند ٥ : ١٧٢ — ١٧٣) ، كما ذكر أخى السيد محمود .

وإسناده صحيح .

والمعنى الثانى : ورد من وجه آخر صحيح . فرواه ابن حبان فى صحيحه : ٦٤ (بتحقيقنا) ، من طريق سفيان ، وهو ابن عيينة ، عن فطر بن خليفة ، عن أبى الطفيل ، عن أبى ذر ، قال : « تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يطير بجناحيه إلا عندنا منه علم » .

وهذا إسناد صحيح متصل . وما وجدته بإسناد متصل إلا فى صحيح ابن حبان . وقد فصلت تخريجه هناك .

٩ — الحديث : ١٣٢٦٣ — ذكر السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ١٣ نسبته لأحمد أيضاً . ولم أجده فى المسند ، فى مسند سعد بن أبى وقاص — إلا أن يكون الإمام أحمد رواه أثناء مسند صحابى آخر ، فخفى علىّ موضعه .

١٠ — ص ٤٦٢ — حديث الصور وأنه قرن ينفخ فيه. خرجه أخى السيد محمود من المسند وأبى داود والترمذى والحاكم . وأزيد هنا أن أحمد رواه مرة أخرى : ٦٨٠٥ ، وأن الحاكم رواه فى المستدرك مرتين أخريين ٢ : ٤٣٦ ، ٥٠٦ ، وصححه ، ووافقه الذهبى

١١ — ص ٤٦٣ — حديث « إن إسرافيل قد التقم الصور وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ » . نقل أخى السيد محمود عن ابن كثير أنه رواه مسلم ، ثم قال :

« ولم أستطع أن أعرف مكانه فى صحيح مسلم » . وهو كما قال . وقد وهم ابن كثير فى ذلك . فإن الحديث ذكر النابلسى فى ذخائر المواريث : ٧٩٦٠ أنه رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة . فلم ينسبه لمسلم . وكذلك ذكره السيوطى فى زيادات الجامع الصغير ٢ : ٣٣٥-٣٣٦ (الفتح الكبير) من حديث أبى سعيد ، ونسبه لأحمد والترمذى وابن حبان والحاكم . ومن حديث ابن عباس ، ونسبه لأحمد والحاكم . وهو فى المسند من حديث أبى سعيد : ١١٠٥٤ (٣ : ٧ حلبى) . ولم أجد فيما رأيت من رواياته تسمية « إسرافيل » ، بل فيها « صاحب القرن » ، دون ذكر اسمه . وحديث أبى سعيد فى المستدرك ٤ : ٥٥٩ ، بإسنادين . وحديث ابن عباس فى المسند : ٣٠١٠ ، وكذلك هو فى المستدرك ٤ : ٥٥٩ . والحديثان : حديث ابن عباس وحديث أبى سعيد — ضعيفان لضعف أسانيدهما .

١٢— الحديث : ١٣٤٦١ — أزيد على ما ذكره أخى السيد محمود : وانظر أيضاً تفسير ابن كثير ٧ : ٢٢٠ — ٢٢١ ، و ٨ : ١٠٢ .

١٣— الحديث : ١٣٥١١ — فى الإسناد تابعى اسمه « زياد بن حرملة » يروى عن علىّ بن أبى طالب ، ورواه عنه تابعى آخر ، هو « زياد بن علاقة » . فهذا « زياد بن حرملة » ذكر أخى السيد محمود شاكر أنه لم يجد له ذكراً فى شىء من الكتب ، وهو كما قال . وأزيد عليه أنى لم أجده أيضاً فى كتاب الثقات لابن حبان (مخطوط مصور) . وليس هناك احتمال فى أن يكون خطأ من الناسخين ، لاتفاق الاسم مع رواية المستدرك للحديث . فمن العجيب حقًّا أن لا يترجم مثل هذا ، والإسناد يدل على أنه تابعى قديم . وأيًّا ما كان فالإسناد صحيح ، لأن زياد بن حرملة هذا ، وإن جهلنا حاله ، فقد عرفنا شخصه برواية تابعى آخر عنه . والتابعون حالهم عندنا على الستر والقبول ، حتى يستبين شىء خلاف ذلك . خصوصاً وأن رواية تابعى آخر عنه كأنها توثيق له . وذلك الظن بطبقة التابعين .

١٤— الحديث : ١٣٥٧٠ — ذكره السيوطى مختصراً ، فى تفسير سورة عبس ٦ : ٣١٧ ، ونسبه للحاكم وابن مردويه فقط . وفاته أن ينسبه للطبرى . ولم يروه الطبرى فى تلك السورة .

أحمد محمد شاكر

الفهارس

فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير

فهرس اللغة

هذا الفهرس مرتب على حروف معاجم اللغة ، على أصل الاشتقاق ، وعلى آخر الأصل باباً ، وأوله فصلاً .

* * *

أعلام المترجمين فى التعليق

الأرقام فى هذا الفهرس ، على أرقام الاثار ، لا الصفحات

(١) فى الإسناد خطأ ، فيه « عمرو بن عبد الكريم » ، والصواب : «عمرو عن عبد الكريم» .

فهرس المصطلحات

فهرس الفرق

مباحث النحو والعربية وغيرها

* « ألف » الاستفهام ، حذفها من الكلام ، نحو :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًا ، شُعَيْثُ بنَ سَهْمٍ ، أَمْ شُعَيْثُ بنَ مِنْقَرِ

بمعنى : أشعيث بن سهم : ٤٨٤ ، ٤٨٥

* « الألف واللام » ، لا تدخلها العرب إلا فى معروف ، إما فى جنس ، أو فى واحد معهود معروف عند المخاطبين : ١٧٦

* « الألف واللام » إدخالها فيما كان من الأسماء على وزن « يفعل » ، وذلك فى ضرورة الشعر ، إذا تحرّى به المدح أيضاً : ٥١٠ ، ٥١١

* « إذْ » بمعنى « إذا » نحو قوله :

* ثُمَّ جَزَاهُ ٱللهُ عَنَّا إِذْ جَزَى *

بمعنى : إذا جزى . و« إذْ » تصاحب فى الأغلب من كلام العرب المستعمل بينها ، الماضى من الفعل ، إذا عرف السامعون معناها ، وذلك غير فاش ولا فصيح فى كلامهم : ٢٣٥ ، ٢٣٦

والعرب تضع « إذْ » مكان « إذا » ، و « إذا » مكان « إذْ » ، وإن كان حظ « إذْ » أن تصاحب ما قد وُجد فقضى . وحظ « إذا » أن تصاحب من الأخبار ما لم يوجد : ٣١٧

* « أرأيتكم » وجوهها وتأويلها : ٣٥١ — ٣٥٣

* « إليك » فى الإغراء : ١٣٨

* « أن » المصدرية ، أثبت فى المعرفة من المصدر : ٢٩٨

* * *

* * *

كالمعرفة ، والاستشهاد عليه بقوله :

عَلَيَّ يَوْمَ يَمْلِكُ الأُمُورَا صَوْمُ شُهُورٍ وجبت نُذُورَا

وبادنًا مُقَلَّدًا مَنْحُورَا

١٩٨ :

* « التمييز » فى قوله : « أو عدل ذلك صياماً » : ٤٤

* « العطف » العطف على موقع الاسم من الإعراب لا على لفظه ، إذا كان بينهما حائل أو لم يكن ، نحو :

قُعُوداً لَدَى الأَبْوَابِ طُلَّابَ حَاجَةٍ عَوَانٍ مِنَ الحَاجَاتِ ، أو حَاجَةً بِكْرَا

وقوله فى الآخر :

بَيْنَا نَحْنُ نَنْظُرُهُ أَتَانَا مُعَلِّقَ شِكْوَةٍ وَزِنَادَ رَاعِ

فعطف ولا حائل بينهما : ٥٥٦ ، ٥٥٧

* « الظرف » رفع الظرف ، وإن كانت إضافته غير محضة ، لأنه قد صار كالمنعوت فى قوله : « هذا يومُ ينفع الصادقين صدقهم » : ٢٤١

* « الظرف » إعرابه على ما بعده ، إن كان رفعاً رفعوه ، نحو : « هذا يومُ يركب الأمير » . وإن كان نصباً نصبوه ، نحو : « هذا يومُ خرج الجيش » ، وأن معناها فى الحالين : « إذ » و « إذا » : ٢٤٢

* الاسم الأعجمى ، وترك إجرائه : ٤٦٧ ، ٤٦٨

* « الاسم الأعجمى » ، ينطق على ما سموا به ، فإن غير منه شىء إذا تكلمت به العرب ، فإنما يغير بتقديم حرف منه ، من غير حذف ولا زيادة فيه ولا نقصان : ٥١٢

* « يفعل » ما كان من أسماء الأعلام على وزن « يفعل » ، فالعرب لا تكاد

تدخل عليه « الألف واللام » : لا يقولوا : « رأيت اليزيد »، إلا فى ضرورة شعر ، وذلك إذا تحرّى به المدح ، نحو :

وَجَدْنَا الوَلِيدَ بن اليَزِيدَ مُبَارَكاً   شَدِيداً بأَحْناء الخِلَافَةِ كَاهِلُهْ

فأدخل « الألف واللام » ، إتباعاً لإدخالهما فى « الوليد » : ٥١٠ ، ٥١١

• « فعلان » الذى مؤنثه « فعلى » لا يجرى (لا يصرف) فى كلام العرب فى معرفة ولا نكرة : ٤٥١ .

• « الصرف » نصب الفعل على الصرف وشروطه ، نحو : « لا يسعنى شىء ويضيق عنك » : ٣١٩ — ٣٢١

• نصب الفعل فى جواب التمنى بالواو والفاء : ٣١٨ ، ٣١٩ — ٣٢١

• « الجزاء » العرب تحذف جواب الجزاء ، لدلالة الكلام عليه ، ومعرفة السامعين بمعناه : فيقول الرجل للرجل : « إن استطعت أن تنهض معنا فى حاجتنا ، إن قدرت على معونتنا » ، يحذف الجواب وهو يريد : إن قدرت على معونتنا فافعل : ٣٣٨ ، ٣٣٩

• « المصدر » الاسم لا يكون مصدراً ، غير أن العرب قد تضع الأسماء مواضع المصادر : ١٦٠ ، ١٩٧

• العرب تحذف المصدر اجتزاء بالاسم ، وتحذف الاسم اجتزاء بالمصدر : ١٩٧

• « الجمع » ، الجموع يلحقها التأنيث : ٢٩٢ ، ٢٩٣

• « الجمع » الجموع التى ليس لها واحد : ٣٠٩ ، ٣١٠

• « الضمير » انظر « الكناية » : ٣٦٧

• « الكناية » (الضمير) : العرب إذا كنت عن الأفعال (المصادر) وحدت الكناية ، وإن كثر ما يكنى عنه من الأفاعيل (المصادر) : ٣٧٦

- « الضمير » إسقاط الضمير العائد على صلة « من » و « ما » و « الذى » ، فى كلام العرب : ٢٩٢

- تأنيث الفعل لمجاورته المؤنث ، نحو قول لبيد :

فَمَضَى وَقَدَّمَهَا ، وَكَانَتْ عَادَةً   مِنْهُ إِذَا هِيَ عَرَّدَتْ إِقْدَامُهَا

فقال : « وكانت » بتأنيث « الإقدام » ، لمجاورته : « عادة » : ٢٩٨

- « التذكير والتأنيث » ما لاحظَّ للمذكر فيه ، نحو « امرأة طامث » و « نخلة موقر » : ٣٠٦

- « أفعل » التفضيل ، حذف « منه » ، العرب تفعل ذلك ، فتقول : « فلان أفضل » ، وهى تريد : أفضل منك ، وذلك إذا وضع « أفضل » موضع الخبر وإن وقع موقع الاسم ، وأدخلت فيه الألف واللام ، فعلوا ذلك أيضاً ، إذا كان جواباً لكلام قد مضى ، فقال : « هذا الأفضل » يريدون : هو الأفضل منك : ٢٠٣

- « الحذف » ، حذف المضاف ، وإقامة المضاف إليه مقامه نحو :

يُمَشِّي بَيْنَنَا حَانُوتُ خَمْرٍ   مِنَ الخُرْسِ الصَّرَاصِرَةِ القِطَاطِ

يعنى صاحب حانوت خمر ، لأنه معلوم أن الحانوت لا يمشى : ٢٠٠

- « الحذف » ، وإقامة ما بقى مقام المحذوف ، نحو : « واسأل القرية » : ١٥٩ ، ١٩٧ ، ٥٧٨ .

* * *

- « المبالغة » ، إذا أراد العرب المبالغة فى الكلام أو نحوه ، زادوا فيه من معناه نحو : « كلمت فلاناً بفمى » ، و « مشيت إليه برجلى » ، و « ضربته بيدى » : ٣٤٩

- العرب إذا أخبرت خبراً عن غائب ، وأدخلت فيه « قولا » ، وجهت الخبر أحياناً إلى الخبر عن الغائب ، وأحياناً إلى الخطاب ، وتخبر عنه أحياناً على